

الحياة اليومية في مصر

في عهد الرعامسة

من القرن الثالث عشر الى القرن الثاني عشر قبل الميلاد

تأليف

ببير مونتيه

مراجعة

عبد الحميد الدواخلى

ترجمة

عزيز مرقس منصور

المؤسسة المصرية العامة للتأليف والناشر والنشر

الدار المصرية للتأليف والترجمة

هذه ترجمة إلى اللغة العربية لكتاب :

LA VIE QUOTIDIENNE EN EGYPTE

AU TEMPS DES RAMSES

(X III -- X II Siecles

AVANT J. C.)

PAR

PIERRE MONTET

Traduction Par :

AZIZ MORCOS MANSOUR.





صفحة

١

المقدمة :

المفتدين

الفصل الأول : المساكن ١٢

- ١ -- المدن ١٢ ٢ -- القصور ٢٤ ٣ -- المنازل ٢٨
٤ -- الأثاث ٣٥ .

الفصل الثاني : الزمن ٤٠

- ١ -- الفصول ٤١ ٢ -- الأعياد والأجازات ٤٦
٣ -- أيام السعد وأيام الفحس ٤٨ ٤ -- التوقيت ٥١
٥ -- الليل ٥٥ .

الفصل الثالث : الأسرة ٦١

- ١ -- الزواج ٦١ ٢ -- الزوجة ٦٧ ٣ -- الأولاد ٧٤ ٤ -- الخدم ٧٢
والعبيد ٧٢ ٥ -- الحيوانات الأليفة ٨٧ .

الفصل الرابع : الأعمال المنزلية ٩٢

- ١ -- العناية بالنظافة ٩٣ ٢ -- الزي ٩٧ ٣ -- الطعام ١٠٠
٤ -- المطبخ ١١١ ٥ -- الخبز ١١٥ ٦ -- المشروبات ١١٧
٧ -- الوجبات ١١٩ ٨ -- السهر ١٢١ ٩ -- الولائم ١٢٣
١٠ -- الألعاب ١٣٣ .

الفصل الخامس : الحياة في الريف ١٣٩

- ١ - الفلاحون ١٣٩ ٢ - رى الحدائق ١٤٠ ٣ - جنى
- العنب ١٤٢ ٤ - الحرث والبذر ١٤٦ ٥ - الحصاد ١٥٦
- ٦ - الكتان ١٦٢ ٧ - أعدة الزراعة ١٦٤ ٨ - تربية
- الماشية ١٣٥ ٩ - سكان المستنقعات ١٨٠ ١٠ - الصيد

في الصحراء ١٧٦

الفصل السادس : الحرف والفنون ٨١

- ١ - عمال الحاجر ١٨١ ٢ - عمال المناجم ١٨٩ ٣ - العمل
- في المصانع ١٩٦ ٤ - النقاشون ١٩٧ ٥ - الصياغ وتجار الخلي
- والجواهر ٢٠١ ٦ - صناعة الأخشاب ٢٠٦ ٧ - صناعة
- الجلود ٢١٠ ٨ - حالة الفنانين والصناع ٢١٠ ٩ - البناءون
- وذوو الحرف الصغيرة ٢١٧ ١٠ - أصحاب الأعمال
- والعمال ٢٢٩ ١١ - التجارة والنقد ٢٢٣

الفصل السابع : الأسفار ٢٢٩

- ١ - التنقلات داخل القطر ٢٢٩ ٢ - السفر في الصحراء
- ٢٣٦ ٣ - السفر إلى جيبيل ٢٤١ ٤ - السفر في البحر
- الأحمر ٢٤٨

الفصل الثامن : فرهون ٢٦١

- ١ - واجب الملوك الأسمى ٢٦١ ٢ - تزيين الملك ٢٦٩
- ٣ - الملك في عمله ٢٧٢ ٤ - حق منح العفو ٢٧٦

- د - الهبات الملكية ٢٧٧ ٦ - استقبال السفراء
 الأجانب ٢٨٣ ٧ - المباحج الملكية : الرياضة ٢٨٤
 ٨ - حفلات الصيد الملكية ٢٨٩ ٩ - الملك في حياته
 الشخصية ٢٩١ ١٠ - دسائس الحريم ٢٩٥ ١١ - أفكار
 ملكية ٢٩٧

الفصل التاسع : الجيش والحرب ٣٠١

- ١ - مزايا ومتاعب مهنة العسكرية ٣٠١ ٢ - الخدمة
 الداخلية ٤٠٧ ٣ - الجيش في الحرب ٣١١ ٤ - تجميع
 الأسلحة وتوزيعها ٣١٠ ٥ - نظام المسير ٣١٧ ٦ - الموقعة
 ٣٢٠ ٧ - حرب ا-صار ٣٣٣ ٨ - الحرب في بلاد النوبة
 ٣٣٦ ٩ - عودة النصر ٣٣٦

الفصل العاشر : السكتية والقضاة ٣٣٩

- ١ - الإدارة ٣٣٩ ٢ - تعيين الموظفين وتدريبهم ٣٤١
 ٣ - الحكام الصالحون والعالحون ٣٤٦ ٤ - المحافظة على
 النظام ٣٤٩ ٥ - المحكمة ٣٦١ ٦ - رعاية الدول الأجنبية ٣٦٤

الفصل الحادى عشر : النشاط الداخلى داخل المعابد ٣٧١

- ١ - التقوى ٣٧١ ٢ - السكنة ٣٧٦ ٣ - العبادة ٣٨٠
 ٤ - خروج المعبود ٣٨٧ ٥ - خروج المعبود من ٣٨٨
 ٦ - عيد أوبت الجليل ٣٩٤ ٧ - عيد الوادى ٣٩٨ ٨ -
 الأسرار الدينية ٣٩٩ ٩ - بيت الحياة ٤٠٤

مقدمة المترجم

الأستاذ بيير مونتيه مؤلف هذا الكتاب غنى عن التعريف ، فهو بين علماء الآثار المصرية فى مقدمة الصف وعميدهم دون منازع . ألف الكثير من الكتب فى علوم الآثار المصرية تعتبر مراجع هامة لا للقارىء العادى الذى يصبو إلى المعرفة والاطلاع فحسب ولكن للعالم المتخصص الراغب فى الاستزادة من العلم والتعمق فيه ، وكشف — منذ ربع قرن مضى — مقبرة الملك إسوسنس شرق الدلتا وهو عمل بلى فى الأهمية كشف مقبرة الملك توت عنخ آمون .

وفى كتابه هذا قدم لنا المؤلف صوراً واضحة عن دقائق الحياة اليومية فى فترة من تاريخ مصر عندما تولى عرشها ملوك الأسرتين التاسعة عشرة والعشرين الذين أطلقوا على أنفسهم اسم « رمسيس » خلال القرنين الثالث عشر والثانى عشر قبل الميلاد .

وقد أبدع المؤلف فى إيراد الحقائق وتصويرها بقلمه فى صدق وأمانة وفى نزاهة العالم الباحث المدقق مستنداً إلى ما دون فى أوراق البردى أو سجل على جدران المعابد والآثار أو ما كشف عنه العلم والخفريات الحديثة .

وعندما اعترضتنى صعوبة اختلاف النطق بالأسماء المصرية القديمة أضفت كتابتها بالحروف اللاتينية لضبط النطق بها ، وكذلك مع أسماء المؤلفين الأجانب .

الفصل الثاني عشر : الجنائزات ٢٠٧

- ١ - الشيخوخة ٤٠٧ ٢ - وزن الأعمال ٤١٠ ٣ - إعداد المقبرة ٤٢٧ ٤ - واجبات كاهن الروح ٤١٧ ٥ - التحنيط ٤٢١ ٦ - الدفن وتكوين موكب الجنائز ٤٣٤ ٧ - عبور النيل ٤٣٥ ٨ - الصعود إلى المقبرة ٤٣٧ ٩ - وداعاً أيتها الموميا ٤٣٨ ١٠ - الوجبة الجنائزية ٤٤١ ١١ - العلاقة بين الأحياء والأموات ٤٤٣

مراجع ٢٥١

- مراجع عامة ٤٥٣ تلخيصات رئيسية ٤٥٤ بيانات المقدمة ٤٥٨ الفصل الأول ٤٥٩ الفصل الثاني ٤٦٢ الفصل الثالث ٤٦٤ الفصل الرابع ٤٦٩ الفصل الخامس ٤٧٥ الفصل السادس ٤٨١ الفصل السابع ٤٨٦ الفصل الثامن ٤٩٠ الفصل التاسع ٤٩٤ الفصل العاشر ٤٩٧ الفصل الحادي عشر ٥٠٠ الفصل الثاني عشر ٥٠٥

(ح)

وقد التزمت النص الفرنسى للكتاب فى الترجمة ، ولكن لتوضيح بعض النقاط أضفت بعض التعليقات فى الهامش .

ولا يفوتنى أن أتقدم بجزيل الشكر لكل من كان له فضل المعاونة .
وللاستاذ صبرى سبيع الذى عهدت إليه بمراجعة الترجمة وقام بها مشكوراً .

وأخيراً أسأل الله التوفيق فى خدمة العلم ؟

عزير مرقس منصور

المادى فى ١٤ يونيه ١٩٦٥

مفتش بمنطقة جنوب القاهرة التعليمية

مقدمة

كان اهتمام قدماء المصريين بالآلهة والموتى يفوق إلى حد بعيد ، اهتمامهم بأنفسهم . فكانوا إذا شرعوا فى تشييد قصر للملايين السنين أو أرادوا بناء مسكن أبدي فى غرب طيبة جلبوا لها الأحجار والمعادن والأخشاب الجيدة ، مهما بعدت أماكنها أو ارتفعت أثمانها ، كيلا تضارعا مبان أخرى فى جمالها ومتانتها .

ومع هذا فإن منازلهم التى يعيشون فيها كانت تبني باللبن ، وكانوا يقلدون بالرسم الأحجار والمعادن . ولذلك بقيت المعابد والمقابر مددا أطول من المدن حتى أن مجموعات المتاحف تضم من التوابيت واللوحات وتمائيل الملوك والآلهة ، أكثر من الأدوات المخصصة لسد حاجات الأحياء ، ونصوص المراسيم الدينية وكتب الموتى فهى بدورها تفوق المذكرات والقصص من حيث الحكم .

هل نستطيع فى هذه الظروف أن نحاول وصف الحياة اليومية لرعايا فرعون دون أن نضطر إلى الاكتفاء بالملاحظات السطحية^(١) والأحكام الطائشة التى درنها الرحالة الأغريق والرومان ؟ يميل المحدثون إلى الاعتقاد بأن المصريين القدماء كانوا يولدون فى لفائف جنائزية ، فقد كتب جاستون ماسپرو ، عندما ترجم الأغاني الغرامية الأولى ، أنه لا يمكن تصور أحد المصريين القدماء يقوم بدور عاشق ، جائيا أمام محبوبته . والواقع أن سعادة الحياة على ضفاف النيل جعلت قلوب المصريين تفيض اعترافا بجميل الآلهة ،

(م ١ - الحياة فى مصر)

سادة كل المخلوقات . وقد دفعهم هذا السبب نفسه إلى الإمعان في الاستمتاع بأطياب الحياة ، حتى وهم في القبور .

وقد اعتقدوا أنهم حققوا هذه الغاية عندما غطوا جدران مقابرهم بالنقوش الغائرة والرسوم الملونة التي تمثل الشخص الرائد داخل التابوت يعيش في أرضه تصحبه زوجته وأولاده وأقاربه وخدمه ولفيف من الصناع والفلاحين . إنه يجوب أرضه سائرا على قدميه أو محمولا على محفة أو جالسا في قارب ، ويمكنه أن يكتفي بالاستمتاع بالمنظر وهو جالس في مقعد مريح بينما يتحرك كل شيء أمام عينيه . وقد يساهم في العمل فيركب زورقا ويصيد بالعصى العصفاور وهي في أعشاشها بين الأغصان الملتفة لنبات البردى أو يصيد بالحرايب الأسماك الضخمة التي تبلغ حجم الإنسان أو يتربص للبط البري ويشير للصائدين ويضرب بسهامه الماعز البري والغزلان .

ويحرص جميع خلصائه على حضور زينته فيقوم بعضهم بتقليم أظافر يديه ورجليه ، بينما يقدم له أحد النظار تقريرا عن سير الأعمال ويلقى بعض الحراس تحت أقدامه في كثير من العنف بعض الخدم غير الأمناء . والموسيقيون والراقصات على أهبة الاستعداد دائما للتشريف أذنيه وإبهاج عينيه . وفي ساعات القيقظ خلال النهار يشارك زوجته ألعابا لا تختلف كثيرا عن لعبتي الشطرنج والسيجة المعروفة لدينا .

ولكى يشبع الفنان رغبات عميله كان عليه ألا ينسى أية حرفة من الحرف ، فالسكان الذين يعيشون على شواطئ البحيرات كانوا يمارسون صيد الطيور والأسماك ويتخذون من نبات البردى المادة الأساسية للصناعة الأكواخ وحدها ولكن لعمل القوارب الخفيفة التي تصلح لمطاردة التماسيح وفرس النهر خلال الأعشاب المائية ، وأحيانا للوصول إلى الغابات المكشوفة

حيث تتجمع الطيور أو لاكتشاف مواطن تجمع الأسماك . وكان الصيادون قبل قيامهم برحلة الصيد يجربون قواربهم مما كان يتيح لهم اختبار قوتهم ومهارتهم وكانوا يضعون تيجانا من الأزهار فوق رؤوسهم ويتسلحون بعصى طويلة ويتدافعون في الماء ويتبادلون الشتائم . وعند عودتهم متصالحين إلى القرية يتولون عمل شبا كههم وآلاتهم وإصلاحها ويقومون بحفظ الأسماك وتربية الدواجن . وكان الفلاح يحرق الأرض ويذر الحب ويقتلع الكتان ثم يحصد القمح ويربطه حزما ثم تحمله الخيول إلى القرية وهناك يفرش لتطاه الثيران والخيول وحتى الأغنام إذا لزم الأمر ، ليفصل الحب عن القش . وبينما يقوم البعض بجمع القش يسكيل الآخرون الحبوب ويحملونها إلى المخازن . وعقب الانتهاء من هذه الأعمال يكون الغنم قد نضج وحان الوقت لقطفه وعصره وتعبئته في زلع محكمة الإغلاق . وعلى مدار السنة يقوم الطحانون بطحن الغلال وتسليم الدقيق إلى صانعي الجعة والخبازين . أما المواد التي يستعملها الصانع عادة فهي الغرين والحجر والخشب والمعادن ، ونظراً لندرة الأخشاب فإن الأدوات التي يحتاجها الزراع والكرامون وصانعو الخمر والخبازون والطهاة ، كانت تصنع من الفخار أما الأواني الجميلة فكانت من الأحجار وخاصة الجرانيت والشيست والمرمر والحجر السماقي . وكانت الكتوس الصغيرة تصنع من البلور .

وكان المصريون يحبون الحلى فكانت مصانع الصاغة تخرج منها العقود والأساور والخواتم والتيجان وقلائد الصفا والتألم . وكانت هذه الأشياء الصغيرة الجميلة توضع في خزائن ولكن فتيات الدار كن يخرجنها من مخابها لكي يتزين بها لحظات . أما النحاتون فكانوا يقومون بنحت صورة لرب الدار جالسا أو واقفا وحده أو محاطا بأفراد عائلته ، سواء كانت هذه الصورة

منحوتة في المرمر أو الجرانيت أو خشب الأبنوس أو خشب شجر الطلح . كان النجارون يصنعون الصوانات والحزائن والأسرة والعصى والمقاعد ذات المتكثات .

وأخيراً كان النجارون يقطعون الأشجار ويشذبونها ويبنّون المراكب والصنادل والسفن التي كانت تستخدم كوسيلة للنقل بين أرجاء البلاد وتركيز المحاصيل الزراعية أو توصيل الحجاج إلى أيديوس (العرابة المدفونة) وإلى مدينتي بيه أو دب . وكما قال الرجل الذي نجا من الغرق بعد أن ألقى به في جزيرة الثعبان الطيب بأنه لا يوجد شيء إلا وهو موجود في هذه الجزيرة . ولا ينقص الصورة إلا كل ما يشير إلى النشاط الخاص بصاحب المقبرة أثناء حياته . وتكرر المناظر نفسها التي تسجل أعمال صاحب المقبرة سواء كان من رجال الجيش أو من رجال البلاط وسواء كان حلاقاً أو طبيباً أو مهندساً أو وزيراً . والنصوص المدونة الهيروغليفية التي تحيط برسوم الأشخاص أو تشغل فراغ المباني تتناول وصف المناظر بنفس العبارات والنوعت ولا غرو فقد كان مصدر النصوص والصور واحداً .

وقد كانت هناك أنماط من الرسوم في متناول أيدي الفنانين المكلفين بزخرفة المقابر . وقد كان كل فنان يقتبس ما يروق له ويضعه كيفما يريد .

ويظهر أنه بديء بتكوين هذه الأنماط وتنسيقها من أول عهد الأسرة الرابعة ثم ازداد خلال الدولة القديمة بفضل الفنانين الذين كان لا ينقصهم الخيال ولا تفوتهم الدعاية ومثال ذلك صورة عابر سبيل ينتهز فرصة غياب الراعي فيحلب بقرته ، أو صورة قرد خفيف الحركة يقبض على خادم امتدت يده إلى سلة مملوءة بالتين أو صورة أنثى فرس البحر وهي على وشك الولادة ، بينما يتربح تمساح ، المولود الصغير ليلتهمه دفعة واحدة أو صورة

طفل صغير يقدم لآبيه قطعة من الحبل في طول اليد ليربط بها زورقا . ويمكن أن نضيف الكثير من الأمثلة إلى ما سبق (٢) .

ولم يغف عن بال الرسامين أن هدفهم الأساسي هو تدوين الأعمال اليومية في المزارع الكبرى ، كذلك لم يهمل الفنانون مطلقا معين هذه الصورة المعبرة فزينوا بها جدران مقابر الدولة الوسطى في بنى حسن ومير والبرشا وطيه وأسوان . وقد استمر استعمالها لعدة قرون عندما نقل الفراعنة مقر حكمهم إلى مدينة طيه . وقد لجأ الفنانون في أول عهد البطالمة إلى استعمال هذه النماذج في زخرفة الأثر الرائع الذى بنى على هيئة معبد ودفن فيه پت أوزيريس أحد نبلاء المدينة العتيقة التى كانت معبوداتها الآلهة الثمانية والذى كان رئيسا لكهنة هرموبوليس* وكاهنا للمعبود تحوت والمعبودات الأخرى .

على أننا نحيد عن الصواب إذا اعتقدنا أن هذه المقابر ذات الرسوم المتكررة قد بلغت مدى الاتقان والكمال الذى وصلت إليه في عهد الأهرام الكبرى . ففي بنى حسن احتلت الألعاب والمصارعات والمعارك والصحراء مكانا أكبر من ذى قبل . كذلك نرى مناظر جنود المقاطعات وهى تتدرب وتحاصر القلاع . لقد خطا الفن خطواته الأولى . فقد أضيف الآن إلى مجموعة المناظر القديمة تمثيل الأحداث التى كان لها أثر في مهنة الشخص : فهو لاء بدو جاءوا من بلاد العرب وتقدموا إلى حاكم مقاطعة الماعز البرى ، ليقايعوا مسحوقا أخضر بحبوب ، وليثبتوا حسن نيتهم أهدوا له غزالا ووعلا اصطادوهما في الصحراء . ونجد هذه الرسوم في مقبرة خنوم حتب

بين المناظر التي تمثل الصيد ومرور قطعان الماشية^(٣) . أما محافظ مقاطعة الأرنب ، فإنه لم يستقبل أحدا قادمًا من بعيد . ولكنه أوصى النحاتين الذين كانت مقار أعمالهم قريبة من محاجر الرخام في حاتوب ، وهو غير بعيد عن مقر إقامته ، أن يصنعوا له تماثلاً طوله ثلاث عشرة ذراعاً . ولما انتهوا من عمل التمثال وأخرجوه من المشغل وضعوه فوق زحافة أخذ يجرها مئتا من الرجال من مختلف الأعمار انتظموا في أربعة صفوف وساروا يبطء إلى المعبد في طريق ضيق ممتلئ بالأحجار والحصى . وكان المتفرجون المتراصون في صفين على جانبي الطريق يتصايحون وبصفقون إعجاباً كلما تقدم إلى الأمام^(٤) . والواقع أننا نشاهد في مقابر الدولة القديمة رسوماً تمثل نقل التماثيل بحجمها الطبيعي وهي تنقل إلى المقابر . ولم يكن هناك ضرورة لتجنيدها كل أشداء المقاطعة ، إذ كانت هذه إحدى المراسم الجنائزية العادية . ولكنه جحوتى حطب قد أثر أن يثير دهشة زائري مقبرته ويبين مدى ثرائه وحظوته في قصر الملك بعمل يعد شاذاً للغاية .

وفي عهد الإمبراطورية الحديثة كانت الموضوعات التي تزين مقابر الخاصة تتكون من ثلاث مجموعات كبيرة : فنجد أولاً الرسوم المأخوذة من المجموعة القديمة بعد أن نسقت طبقاً المذوق الحديث الذي تغير تغيراً ملحوظاً خلال ألف عام . ثم تأتي المجموعة الثانية وتمثل المناظر التاريخية مثل رخ مارع الوزير ومن خبر رع النبي الأول لآمون* ومثل هوى الابن الملكي** لكوش ، وقد كان لهم دور في الأحداث الكبيرة وقد رسموا وهم

* معناها رئيس كهنة آمون .

** الابن الملكي تعبير يعني الحاكم .

يقدمون إلى جلالة الملك شخصيات أجنبية كبيرة من كريت وسوريا وبلاد
النوبة أنوا ليكونوا في « حى فرعون » ، أو يلتمسوا منه نسمة الحياة . وقد
وردت الرسوم تمثلهم وقد جبوا الضرائب وأقاموا العدالة وراقبوا الأعمال.
ودربوا المجندين حديثا . وفيما مضى كان تاريخ حياة صاحب المقبرة يقص
علينا بحفره على جدران المقبرة أما الآن فقد أصبحت الأحداث ترسم
بالصور . وأخيرا فإن التعبد للآلهة الذى لم يكن حتى ذلك الوقت موضوعا
للرسوم أصبح مصدر وحى لكثير من اللوحات . وخصص لرسوم
الحفلات الجنائزية مساحة أوسع من ذى قبل ، إذ أصبحنا نرى كل
الخطوات من صنع أثاث جنازى يمكن أن يملأ مخزنا كبيرا وإعداد موكب
الجنازة وعبور نهر النيل ومواراة الميت القبر وعويل الندابات ثم
الوداع الأخير .

إن المعابد ليست سوى كتاب كبير من الحجر يستخدم الحفار كل
أسطحه أما البواكى والأعمدة وقواعدها وجوانب الأبواب فقد حليت
برسوم الأشخاص والكتابات الهيروغليفية وكذلك الجدران الداخلية
والخارجية . أما فى المعابد الأكثر كمالا والتي ترجع إلى العهد المتأخر فقد
كانت رسومها ونقوشها مقصورة على الطقوس الدينية وحدها . وفى العمود
الأقدم زمنا فإن كان المعبد بيتا للآلهة فهو أيضا أثر مشيد لتمجيد الملك .
وكان فرعون ابن الإله ولذا فقد كان كل ما يفعله يتحقق بإذن الإله وغالبا
يتم بمعاونته ، وعلى هذا فالإشادة بالأعمال العظيمة لعمد من العمود تعد وسيلة
لتمجيد الآلهة . ولذلك نرى المناظر المقتبسة من حياة الملك قد اختلطت
بالمناظر الدينية . وقد اهتموا خاصة بالتذكير بكل ما قام به الملك فى سبيل
تجميل الهيكل وإرضاء الآلهة مثل الحملة إلى بلاد البخور ووقائع حروب

سوريا وليبيا وبلاد النوبة والعودة منها محملين بالغنائم يتقدمهم الأسرى الذين يصحبون عبيدا للمعبد . وتكمل هذه المجموعة بتلك الرسوم التي تمثل رحلات الصيد الملكية وخروج الإله* وسط الجمهور المبهج المبهور ، وتضاعف أهمية الرسوم بتلك النصوص التي تشرحها وتسجل الأحداث والأوامر والأغاني .

لذلك فمحاولة وصف الحياة اليومية في مصر القديمة ليست بالمهمة الشاقة وإن كان قد كتب علينا أن نجهل بعض مظاهرها . إن الآثار لم تحفظ لنا حسب تلك النقوش والرسوم الملونة والتماثيل واللوحات والتوابيت والأدوات التي تستعمل في الطقوس الدينية مما يعد أكثر من الكفاية — بل قدمت لنا أيضا أشياء متنوعة وبما لا يرب فيه أننا نفضل على الآثار الجنائزى لتوت عنخ آمون أو إيسوسنيس^(٥) أثاث قصر من قصور رمسيس والواقع أن حاجات الميت هي نفس حاجات الأحياء ، فضلا عن هذا ، فكثيراً ما كانت بعض الأيادي التتقية تضع في القبر أدوات كان الميت قد استعملها أو ارتداها أو تمثل ذكريات عائلية .

وهن البديهي أنه ينبغي لنا أن نراعى منتهى الحذر حين ننقل هذه الوقائع التي مضى عليها أكثر من ثلاثة آلاف سنة فالأشياء ربما تكون قد تغيرت ببطء مصر الفرعونية عنها في أية حضارة أخرى ، ذلك أن النيل الذي يبعث الحياة على شاطئيه ، سيد جبار لم تتغير أوامره . وبالرغم من ذلك فإن الأخلاق والنظم والفنون والعقائد لم تبقى دائماً ثابتة ومع أن هذه الحقيقة لم ينكرها أحد من علماء الآثار المصريين إلا أنها ظلت مهملة عمليا .

* معنى الملك .

وفي بعض المؤلفات الحديثة وردت نصوص من جميع العصور مختلطة غير مرتبة . ويحاول العلماء بعض الأحيان تفسير ماورد من غموض في نص قديم فيستعينون بما كتبه ديودور أو بليوتارك ، إن لم يكن جامبليك ولايزالون يحرون على تسمية أشهر السنة بأسماء لم يستعملها المصريون إلا في عصور متأخرة . وبذلك يسود الرأي القائل بأن مصر بقيت كما هي دون أدنى تغيير منذ نشأتها التاريخية السحيقة .

ولتفادى الوقوع في مثل هذا الخطأ كان علينا أن نختار عصراً من العصور ، بعد أن تجنبنا العهدين الوسيطين ، عهد الإنهيار الطويل الذي تلى حرب الأدناس وكذا النهضة الصاوية شغلت مصر تماماً بتحضير الحيوانات المقدسة ونسخ كتب السحر ، كما تجنبنا عصر البطالمة الذي لا يدخل في اختصاص علماء الآثار المصرية . .

واهتم المؤلف بعصر الأهرامات الكبرى والعصر الذي بنى فيه قصر اللابرنت* وبذلك العهد المجيد الذي حكم فيه الملوك الذين كانوا يحملون أسماءاً تحتتمس وأمنحتب ، وبالفتره التي سادت فيها عبادة قرص الشمس ذي الأشعة التي تنتهى بأيد** ، وعهد الأسرتين التامعة عشرة والعشرين الذي يعد امتداداً طبيعياً لتلك الفترة من الزمن .

ولسكل من هذه العصور ما تتميز به : فعهد الدولة القديمة هو عصر شباب مصر ، إذ ظهرت فيه تقريباً كل ما خلقته مصر من حضارة عظيمة وأصيلة . غير أن اختيارنا قد وقع أخيراً على العصر الذي عاش فيه الملوك سيني ورمسيس باعتباره أفضل الأزمنة الملائمة لهدفنا . وهذه الفترة قصيرة المدى ،

* في الفيوم

** عبادة آتن

بدأت حوالى عام ١٣٢٠ قبل الميلاد بتجديد فى النسل — ويقصد المصريون بهذا أن أسرة عديدة الأفراد كثيرة الذرية قد وضعت حداً للمنازعات على تولى العرش ، كما أدخلت الكثير من التعديلات ، فقبل ذلك كان ملوك مصر سادة الاقليمين ، إما من منف أو طيبة أو أن شأنهم قد علا فى أقاليم مصر الوسطى بين قفط والفيوم . ولأول مرة اعتلى عرش هورس رجال من الدلتا قام أجدادهم منذ أكثر من أربعائة عام بخدمة معبود سىء السمعة لأنه قتل أخاه ألا وهو الإله ست . وانتهى هذا العهد حوالى عام ١١٠٠ (قبل الميلاد) بتولى أسرة جديدة بعد أن تخلصت مصر نهائياً من نسل رمسيس ومن معبوده على السواء^(٦) . ويتميز هذا العصر الذى استمر قرنين بأن تولى الحكم خلاله ثلاثة ملوك عظماء هم : سبتي الأول ورمسيس الثانى ورمسيس الثالث . وتركت مصر وراها تاريخاً حافلاً بالأحداث . وبعد أن اجتازت أزمة عصبية ، أتاح لها حكمها الجدد السلام الدينى الذى ظل زمناً مستقراً ولم يضطرب إلا حوالى عام ١١٠٠ ، وقد أحرزت جيوش مصر انتصارات رائعة كما تدخلت مصر فى شئون الشعوب الأخرى أكثر من تدخلها فى أية فترة أخرى . وقد عاش كثير من المصريين خارج بلادهم ، ولكن الأجانب الذين عاشوا فى مصر كانوا أكثر منهم عدداً . وكان الرعامسة من أعظم الملوك تشييداً ، فالحكسوس قد دمروا كل ما اعترض طريقهم ولم يستطع ملوك طيبة أن يتموا ترميم ما تهدم ولكنهم شيدوا الكثير من المباني فى طيبة . وبعد ثورة أخناتون الدينية كان من الضرورى إعادة تجديد ما قاموا به ، مثل بهو الأعمدة فى الكرنك وصرح معبد الأقصر ومعبد الرمسوم ومدينة هابو وعدة مبان أخرى كبيرة كانت أو صغيرة فى

المدينة ذات المائة باب . وكان لرئيس الأول ومن خلفه من ملوك
النصيب الأوفر في إقامة هذه المباني ، دون أن يهملوا ركناً من أركان
أمبراطوريتهم الشاسعة الممتدة من بلاد النوبة إلى برمسيس وبيتوم ، فكم
من مدن شيدوها ومبان ومنشآت وسعوا مبانيها أو رموها أو أسسوها !

وتمدنا مباني تلك الفترة ومقابر الملوك والملكات وخاصة مباني
معاصريهم بمستندات وفيرة يكملها عدد كبير من أوراق البردى ، يرجع
تاريخها إلى القرنين الثالث عشر والثاني عشر ، متضمنة القصص والمجالات
ومجموعات الرسائل وقوائم بأنواع المهن وعملها وعقود ومحاضر التحقيق .
وأهم من هذه كلها ، الوصية السياسية التي خلفها لنا برمسيس الثالث .

هذه هي المراجع التي وضعها بصفة دائمة نصب عيني أثناء تدوين هذا
الكتاب ، وهذا لا يعنى أننى لم انتفع بالرجوع إلى مصادر أقدم أو أحدث
عهداً من هذه المراجع . وإذا عارضت الآراء التي تحفل بها المراجع وتعد
تاريخ مصر فترة متماسكة عمرها ثلاثة آلاف سنة وتطبق على جميع مظاهر
الحضارة الفرعونية مالا يصح حدوثه إلا خلال فترة معينة ، فلم نغفل
ملاحظة أن الكثير من العادات والنظم والعقائد قد لقيت في مصر حياة
شديدة القسوة . وحينما يسلم المؤلف الكلاسيكى بصحة نص محفور
على جدران معبد في طيبة فمن حقنا على الأقل في مثل هذا الأمر ، أن
نعتقد أن المصريين في عهد الرعامسة كانوا يتصرفون تماماً مثل أجدادهم
وخلفائهم . وقد اغترفت من كل منهل ما استطعت إلى ذلك سبيلا دون أن
أنأثر بتلك الألوان الزائفة لأقدم صورة معبرة للحياة اليومية في مصر في
عهد الرعامسة .

الفصل الأول

المساكن

١ - المرحه

تحولت مدن الفراعنة إلى تلال من الأتربة تختلط بها بقايا من الفخار وأطلال ضئيلة ، ولا عجب في ذلك إذ كانت المدن والقصور تشيد بالطوب اللبن . ومع كل ، فقد كان بعضها أحسن حالا مما هي عليه الآن وقت أن كان العلماء ، الذين أحضرهم بوناپرت معه ، يقومون بحصرها وقد هدم الكثير منها في الزمن الحاضر بالإضافة إلى ما تهدم منها في الماضي بواسطة الأهالي الذين لم يعودوا يقنعون بأخذ السباخ من الخرائب وانتزاع الأحجار الكبيرة منها بل اعتادوا أيضاً تلك العادة المؤسفة في البحث عن الآثار . ولا يوجد غير مدينتين يمكن أن نتحدث عنهما بشيء من الاطمئنان فهما مدينتان عمرهما قصير ، يرجع الفضل في إنشائهما إلى أوامر صادرة من السلطة الملكية ، وقد هجرتا أيضاً بغتة بعد حياة قصيرة ، أقدمهما هي مدينة حطب سنوسرت التي أنشأها في الفيوم الملك سنوسرت الثاني وبقيت عامرة لمدة تقل عن قرن من الزمن ، والمدينة الثانية هي أخيتاتون وقد اتخذها أمنحتب الرابع عاصمة للملكة بعد نزاع مع كهنة آمون . وقد بقي خلفاؤه مقيمين بها حتى اليوم الذي نقل فيه توت عنخ آمون بلاطه إلى طيبة وقد يكون من المفيد أن نشير إليهما باختصار قبل أن نتناول بالوصف مدن الرعامسة . كانت المدينة التي أنشأها سنوسرت محاطة بسور طوله أربع مائة متر وعرضه ثلثمائة وخمسون متراً وكانت تكفي لإيواء عدد كبير من الأهالي في مساحة ضيقة (١) .

وكان المعبد مشيداً خارج الأسوار ، وأقيم جدار سميك يقسم المدينة إلى منطقتين خصصت إحداهما للأغنياء والأخرى للفقراء : ويشق المنطقة الأخيرة طريق عرضه تسعة أمتار يتقاطع بزوايا قائمة مع شوارع أقل منه اتساعاً . كانت المنازل متقاربة وظهورها متلاصقة بحيث تطل واجهاتها على الشارع ، أما الغرف والدهاليز فكانت ضيقة إلى حد كبير . أما الحى الذى تعيش فيه طبقة الأغنياء فكانت تخترقه شوارع فسيحة تؤدى إلى القصر وإلى مساكن كبار الموظفين . وكانت مساحتها تعادل نحو خمسين مرة مساحة المساكن المخصصة للطبقة الشعبية . وكانت المساكن والشوارع تشغل كل الميدان . وكان المصريون يحبون دائماً الحدائق . ويروى لنا حور خوف* - هذا المكتشف الذى أحضر من النوبة** قزماً راقصاً هدية لمولاه فرعون الصغير - أنه بنى منزلاً وحفر حوضاً وزرع أشجاراً . . . وقد سجلت سيدة عاشت فى عهد سنوسرت ، على لوحة حجرية ، أنها أجمت الأشجار كثيراً وكذلك غرس رمسيس الثالث الأشجار فى أمكنة متفرقة . ولكن لم يغرس منها شيئاً فى هذه المدينة ، سواء أكانت أشجاراً المزينة أم للزينة .

أما عاصمة أختاتون فكانت مدينة مترفة^(٢) تقع بين النيل والجبل فى مكان نصف دائرى . ويخترق المدينة من أقصاها إلى أدناها طريق يوازى النيل ويتقاطع مع الشوارع الأخرى التى تؤدى إلى شاطئ النهر وإلى جبانة المدينة ومحاجر الرخام .

* هكذا ورد فى الأصل وصحة الاسم هو خوف - حر .

** ربما يقصد المؤلف المنطقة الاستوائية جنوب السودان حيث يعيش الأقزام .

أما قصر فرعون والمعبد والمباني الحكومية والمحلات التجارية فتشغل الحى الرئيسى بالمدينة . وتقع فى الشوارع منازل ضيقة ، تجاور منازل عظيمة وزعها رجال الآثار على أعضاء الأسرة الملكية .

وقد خصصت مساحات فسيحة لزراعة الأشجار والحدائق ، سواء داخل المنازل أو فى أراضي المدينة . أما عمال الجبانة والحاجر فقد عزلت مساكنهم داخل قرية أحيطت بأسوار . وقد هجرت هذه المدينة على حين غرة حتى أنه لم يكن مستطاعا تعديل ما فعله سكانها الأصليون . وبعبكس ذلك كانت المدن التى عمرت زمنأ طويلا - وهى الأكثر عدداً - فقد سادتها الفوضى إلى أبعد الحدود . فمثلا « من نفر » - ثابت هو الجمال ، جمال الملك أو جمال المعبود - وهى التى سماها الإغريق ممفيس ، فكانت تسمى أيضاً « عنخ تاوى » - حياة الأرضين « وحات كابتاح » - قصر روح المعبود پتاح « وسخت » - « شجرة الجيز » ، وكل اسم من هذه الأسماء يصلح أن يكون مستعملا لىكل ما فى هذه المدينة أما فى الأصل فكان يراد بها إما القصر الملكى وملحقاته وإما معبد پتاح ، معبود المدينة وإما معبد حاتحور المعروف فى منف باسم « سيدة شجرة الجيز » وكان الحال كذلك أيضاً فى طيبة ، المدينة ذات المائة باب ، كما وصفها هوميروس مكان يطلق عليها اسم آيات مثل الإقليم الرابع فى الصعيد الذى كانت تتبعه ، كما كان يطلق عليها اسم « أويت » فى عهد الامبراطورية الحديثة . وكان البعض يترجم هذا الاسم بمعنى « حريم » والبعض الآخر « معبد صغير » أو بمعنى « قصر » والمكان الذى يشغله الآن الموقع الأثرى الذى يطلق عليه قرية الكرنك كان يعرف باسم أويت آمون (٢) فى عهد أمنحتب الثالث وكان طريق الكباش يربطه بمعبد الأنصر المسمى أويت الأوسط . ويحيط بكل من المعبدین « أويت آمون »

« وأرپت الأوسط ، سور من الطوب اللبن به أبواب كثيرة بنيت قوائمها بالحجر الجيرى وأبوابها من خشب الصنوبر اللبناى المصفتح بالبرونز والمطعم بالذهب .

وتغلق هذه الأبواب فى وقت الخطر . وقد ذكرى عنى أن هذه الأبواب كانت تغلق وهو يقترب من المدينة ولا تشير النصوص التى بين أيدينا إلى إغلاق هذه الأبواب فى أى وقت على مدار السنة زمن السلم ونحن نميل إلى الاعتقاد بأن حرية المرور كانت مكفولة سواء فى النهار أو فى الليل .

وفى داخل المدينة بين السور وبين المعبد بنيت المساكن والدكاكين والمخازن التى اختفت الآن تماما فوق مساحة شاسعة . وكذلك خططت الحدائق والبساتين التى كانت تسحر البصر . وكانت قطعان أغنام آمون ترعى فى الزراب وقد رسمت إحدى هذه الحدائق على جدران بهو حوليات تحتمس الثالث حيث سجل عليها أنواع الأشجار والنباتات التى استوردها من سوريا^(١) وبين السورين على جانبي طريق الكباش وعلى امتداد شاطئ النهر شيدت القصور والمساكن الحكومية . وكانت رغبة كل ملك فى أن يكون له قصره وكادت الملكات والأمراء وكبار الموظفين ألا يكونوا أقل رغبة فى امتلاك مثل هذه القصور ولما كانت هذه المدينة قد ظلت تنمو طوال عهد ثلاث أسر ملكية متوالية فربما كانت منازل الطبقة الفقيرة والطبقة المتوسطة تبنى بين هذه القصور الفخمة بدلا من أن تبنى فى منطقة منفصلة كما حدث فى عهد الملك « حتب سنوسرت » .

وفى مواجهة الأقصر والكرنك على الشاطئ الغربى للنيل نشأت مدينة ثانية هى جاميه Tjamé والأجدر وصفها بأنها مجموعة مباني فخمة تراكت

حولها منازل ودكاكين، وكان يحيط بهذه المباني جدار من الطوب اللبن بلغ طوله أربعائة متر أو أكثر^(٥) وعرضه ثلثمائة متر، ولا يقل طول الجدار الذى بناه أمحتب الثالث عن ٥٠٠ متر وبلغ سمك أساس هذه المباني العظيمة نحو ١٥ متراً وارتفاعه نحو ٢٠ متراً أو أكثر . وكان يخفى ما بداخله من مبان تماماً دون أن يظهر منها غير الطرف الهزى للمسلات أو أعلى الأبراج أو التيجان التى تعلو رموس التماثيل الضخمة . وقد قاست غالبية هذه المدن مقاساة شديدة من الإنسان ومن الزمن على السواء ، فتمثالاً ممنون موجودان الآن وسط حقول القمح ولم يقاما هنا ليظلا في مثل هذه العزلة الفريدة ، ولكنهما كانا يزينان مدخل معبد عظيم كانت تحوطه مبان من الطين يسكنها الكثيرون من الأهالى وتوجد بها كميات وافرة من البضائع . وقد قاوم هذان التمثالان تقلبات الزمن، أما ما عداهما فقد أصبح دمناء . . وقد لقي سواهما من التماثيل الضخمة في غير هذا المكان نفس المصير . وهذه البقايا الأثرية التى قد تكشف عنها أعمال سريعة من الحفائر الأثرية سرعان ماتحتفى تحت ثرى الأرض الزراعية .

أما معبد رمسيس الثالث في مدينة حابو ، ومعبد الرامسيوم في الشمال ، وعلى امتداد شمال معبد سيقى الأول ثم معبد الملكة حتشبسوت المدرج - الدير البحرى - فهى لاتزال حتى الآن ، مبانى أثرية رائعة . ويمكننا أن نلم بالحالة التى كانت تبدو بها هذه المدن المسورة ، عندما كانت حديثة البناء بمقارنتها بمدينة حابو^(٦) . فبعد أن يرسو القارب على سفح سلم مزدوج ، يجتاز الزائر جداراً غير مرتفع بين رواقين للحراس وهذا السور مزود بتحصينات ، ويفصل طريق دائرى بين هذا السور وبين السور الكبير المبنى باللبن . ويحترق هذا السور باب مدرع يماثل المجدل السورى وهو عبارة عن برجين متماثلين تفصل بينهما مسافة قدرها ستة أمتار يحوطها مبنى به فتحة تسع لمرور عربة . أما النقوش الغائرة التى تغطى الجدران فهى تتغنى

بمدى سلطان فرعون . كما رسم أعداء مصر الألداء من ليبيين وعرب وزنوج
ونوبيين وهم يحملون الجزية فوق رؤوسهم ويشعر الإنسان بشيء من الرهبة
وهو يسير بين هذه الجدران .

أما في القاعات العليا فكانت موضوعات الرسم أشد بهجة ، فقد رسم
الفنان رمسيس وهو يداعب ذقن غادة مصرية ظريفة بينما يقوم ندماؤه على
خدمته ومع ذلك فلم يكن هذا البناء إلا ملاذا في حالة الاضطرابات فالقصر
والحریم كانا يوجدان على مسافة أبعد من ذلك إذ كانا يقعان بجوار المعبد ،
ولم يكن يقيم هناك عادة غير الحراس .

وبعد اختراق البوابة نجد فناء متسعاً ينتهى بجوار سور ثالث يوجد
بداخله المعبد وقاعات الحریم والقصر والأفنية والمباني ، كما توجد مساكن
صغيرة شديدة الالتصاق تماماً على أحد جوانب السور بينما يحيط أمر رئيسي
بالجوانب الأخرى لهذا السور الثالث . وكان كمئة المعبد وعدد وفير من
الآهالي هم السكان الدائمون لهذه المدينة الصغيرة ، حيث كان يقيم فرعون
عند ما يحضر مع نسائه وخدمه العديدين إلى الشاطئ الغربي . وعلى هذا النحو
كان قصر رمسيس حاكماً أون في أملاك آمون وكذلك الرمسيوم . وهكذا كان
الحال في العشرين أو الثلاثين مدينة ملكية في الضفة الغربية من النيل .

وبالرغم من مظهرها الخارجي الخشن فقد حوت من الداخل مزيجاً من
روائع الفن الهندسي ومن القصور المموهة بالذهب تقوم بجانبها أكواخ معتمة
قائمة . ولا شك أنه حدث في وقت ما أن أمراء مصر العظام وأميراتها
القائمتات ممن كانوا موضع غر مصر وحاشيتهم كانوا يسرعون الخطا بين
هذه الطرقات وتلك الأفنية . وكان صدى الضحكات والأغاني ورنين الموسيقى
يملاً تلك المساكن الملكية . وعند ما ينتهى الحفل كان لا يسمح باجتياز

البوابة المحصنة إلا لقطعان الأغنام وصفوف العبيد الذين يحملون الأمتعة على رؤسهم أو على أكتافهم وللجنود ركنة الحسابات والبنائين والعمال يمرون جميعاً خلال الغبار والضوضاء ثم يتفرقون إلى المصانع والحوانيت والاسطبلات والمذابح بينما يتوجه التلاميذ والصبية لينالوا قسطهم من العلم ونصيحتهم من ضربات العصي. (٧)

ولم تكن مدن الدلتا أقل من مدن الصعيد فخامة في مبانيها وعماراتها أوفى قدمها التاريخي، تلك المدن التي اجتاحتها الهكسوس وأهمل شأنها ملوك الأسرة الثامنة عشرة، قد رمت ووسعت وازدادت جمالا بفضل الملوك الرعامسة. وكان رمسيس الثاني معجبا بالجزء الشرقي من الدلتا إذ أنها كانت مهد عائلته وكان يجد فيها الجو الملائم والأراضي ذات العشب الأخضر وساحات المياه الشاسعة وكروم العنب التي تنتج نبيذا أحلى مذاقا من العسل. وعلى جانب الفرع الثانيسي للنيل وسط مراعي تذرؤها الرياح كانت توجد مدينة قديمة عاش فيها الحكمة وكانت مركزاً لعبادة الإله «ست»، كما كانت مركزاً أيضاً لمدرسة فنية ذات طراز أصيل، ويرجع تاريخها إلى عهد بعيد، هذه المدينة هي حات وا عرت وقد اتخذها الهكسوس عاصمة للحكم. ومنذ أن طردهم الملك أمحوزا أخذت المدينة في الاضمحلال وقد انتقل إليها رمسيس بعد أن انتهى مباشرة من دفن أبيه وقام بآخِر الواجبات الجنائزية.

وعلى الفور بدأ القيام بالأعمال العظيمة التي أعادت إلى المدينة القديمة رونقها فأخذت تنمو حتى أصبحت عاصمة فريدة في نوعها (٨) وكما كان الحال في طيبة، كان المعبد وسائر المباني داخل سور من الطوب اللبن، له أربعة أبواب تمتد أمامها الترع والطرق من الجهات الأربع. ولأجل بناء قدس الأقداس في المعابد وتوفير اللوحات والمسلات، أحضرت من أسوان كتل من الأحجار ذات أحجام غير مألوفة، دون أدنى اعتبار لبعد المسافة

أو صعوبة النقل ، بعد أن تم صقلها وتنكسيتها حتى بلغت ذروة الإتقان .
ونحتوا كذلك أسودا ذات أوجه آدمية عابسة من صخور الجرانيت
الأسود ، كما نحتوا تماثيل أبوالهول من صخور الجرانيت الوردى اللون وقد
وضعت بحيث يواجه أحدها الآخر على طول الطريق الضيق المرصوف
بأحجار البازلت ، بينما كانت أسود راقدة تسهر على حراسة الأبواب وتماثيل
للمجموعة معبودات يحوى كل منها معبودين أو ثلاثة معا ، وتماثيل ضخمة واقفة
أو جالسة ، ينافس الكثير منها مثيلاتها الموجودة في طيبة ويفوق تلك التى
على شاكلتها في منف . وقد كانت متراصة أمام البوابات ذات الأبراج .

كان القصر متألثا بالذهب واللازورد والفيروز مزدانا بالزهور في كافة
أرجائه والطرق التى أحسن تظليلها تخترق الريف المنزرع بطريقة تدعو
إلى الإعجاب . وكانت البضائع الواردة من سوريا ومن الجزر ومن بلاد بونت
مكدسة فى الحوانيت . وكانت فرق من المشاة وحمة السهام والأقواس وراكبي
العربات الخرية ورجال البحرية لهم معسكراتهم بجوار القصر ووفد الكثيرون
من المصريين ليسكنوا بجوار الشمس* . قال الكاتب باباسا : ما أحلى
الإقامة هناك ، فليس للمرء أية أمنية يتساوى فيها الصغير والكبير . .
والناس جميعا سواء ، فى الإفشاء بطلباتهم . .

ومثلها مثل سائر المدن الكبرى الأخرى حيث يخاطب المصريون اللييون
والزنوج . غير أن الأسويين كانوا قد تدفقوا بصفة خاصة قبل عصر الخروج
وحتى بعده ، وكان من بينهم نسل أبناء يعقوب ، وغيرهم من البدو الرحل ،
من سمح لهم بالإقامة فى مصر ولم يرغبوا مطلقا بعد ذلك فى مغادرتها ،
كما كان من بينهم الأسمرى الذين أتى بهم من بلاد كنعان وعامور

ونهارينا* ونحول أبنائهم بمضى الزمن إلى عمال زراعيين أو إلى عمال مهن حرة . وسرعان ما اتسعت المدينة الملكية بعد أن أضيفت إليها أحياء شاسعة الأرجاء تحوى الكثير من المساكن والخوانيت . وسرعان ما أصبح لهذه الأحياء الجديدة معبدها الخاص وقد أحيط بأسوار من الطوب اللبن مثل أى معبد كبير . وكان من الضروري تخصيص مكان للجبانة (٩) لأن أهل الدلتا لم يعتادوا مثل أهل الصعيد دفن موتاهم في الصحراء القريبة منهم ، ولذلك شيدوا مقابرهم ومقابر حيواناتهم المقدسة إما خارج السور وإما داخله على بعد خطوات من المعبد . ونظرا لضيق المكان ، لم يكن في استطاعتهم بناء عمارات ضخمة على غرار مثيلاتها في منف .

وكانت المقابر التي في تانيس أو أتريب صغيرة الحجم إلى أبعد الحدود بغض النظر عن مكانة الشخص الذي يدفن فيها .

لم يترك رمسيس الثانى لمن خلفه ما يشغلهم كثيرا في شئون البناء ، ولذلك ركز رمسيس الثالث اهتمامه برعاية الحدايق والمشائل والإكثار منها ، قائلا :

« لقد أخضبت الأرض كلها بزراعة الأشجار وغرس النباتات ، بحيث أصبح في استطاعة الناس الجلوس تحت ظلها ، (١٠) . وقد شيد حداثق كثيرة في مقر عرش جده العظيم ، تتخللها طرق تؤدي إلى الريف ، زرعت بالكروم وأشجار الزيتون وعلى جانبي الطريق المقدس** انتشرت الزهور الياضعة (١١) وفي أون أمر الملك بتنظيف بحيرات المعبد المقدسة . برفع القاذورات التي تراكت منذ وجدت الخليقة ، وجدد غرس الأشجار

* هي أراضي فلسطين وسوريا وشمال الفرات وأرض الجزيرة .

** كانت هذه الطرق خاصة محرمة على العامة .

والنباتات في كل مكان وزرع البساتين اليانعة بالسكر ورم ليقدّم للمعبود توم
النبيذ والمشروبات الروحية ، كما زرع أشجار الزيتون التي تنتج أجود الزيوت
المصرية لتبقى شعلة النيران متقدة في معبدك المقدس ، ومعبد هورس الذي
كان في طي النسيان تماما ، أصبح في مقدمة المعابد . ولقد أوليت جل اهتمامي
لزراعة أشجار الأخشاب المقدسة النامية في داخل أسواره . كما عيّنت بغرس
أوراق البردى على نحو ما تزرع في مستنقعات أخبخت (حيث عاش هورس
زمن طفولته) وكان عالم النسيان قد أتى عليه منذ العهد الغابر . لقد عملت على
ازدهار أشجار الأخشاب المقدسة في معبدك وغرستها في نفس الأماكن
التي اقتلعت منها وعيّنت البستانيون للعناية بها حتى يقطر منها الخمر
للشراب والقرايين ، (١٢) .

وهذا جمع بين النافع والمتع . وقد لاحظ هيرودوت أن معبد بوبسط
المحاط بالأشجار الضخمة كان من أروع ما شاهد في كافة أنحاء مصر . ولا شك
أن المسافرين في القرن الثاني عشر قبل الميلاد كان يستطيع أن يحس نفس
هذا الشعور خلال زيارته لكثير من المدن المصرية ، فنظر المساحات
الخضراء كان يعوض خشونة منظر الأسوار الضخمة المبنية باللبن ، وكان
سكان المدن يتمتعون بالنسيم العليل على شواطئ فروع النيل تحت
ظلال الأشجار الضخمة ، وفي أفنية المعبد كان الزهور والورود أثرها في
إظهار جمال التماثيل .

كانت المياه الكثيرة لازمة للحيوان والنبات والإنسان على السواء .
وكان الانتقال لجلب المياه من الترع ، أمرا مقلقا حقا ، حتى لو كانت مجارى
المياه قريبة من أبواب الأسوار ، كما كانت عليه الحال في مدينة حابو وفي
بي رمسيس ، وفي أكثر المدن التي تحوطها أسوار ، شيدت أحواض من
الحجر . (١٣) وقد أقيم سلم يؤدي إلى سطح المياه على مدار العام ، ووجود الآبار

أمر مؤكد منذ عهد الأمبراطورية الحديثة ، على الأقل ، وقد اكتشف بعضها في الأملاك الخاصة وكذلك في أحياء المدن . (١٤) وقد وجدت أربع آبار على الأقل داخل أسوار مدينة رمسيس بنيت بالحجر بغاية تامة (١٥) وأصغرها في غرب المعبد وقطرها ثلاثة أمتار وعشرة سنتيمترات ، كان النزول إليها بواسطة سلم مستقيم مسقوف يبلغ درجانه ثلاثا وعشرين درجة يؤدي إلى سلم حلزوني داخل البئر عدد درجانه اثنتا عشرة درجة .

أما البئر الكبير فتوجد جنوبي المعبد وقطرها نحو خمسة أمتار ويؤدي إلى البئر سلم مسقوف أيضا تبلغ درجانه أربعة وأربعين درجة من سطحين ، وتتوسطها بسطة للاستراحة ، ويمكن الوصول إلى مياه هذه البئر مباشرة منسوب ، بسلم حلزوني على شكل حدوة ، للماء الأباريق بالمياه . أما في فترة زمنية أخرى فكانت المياه ترفع بطريقة أيسر بواسطة الشادوف وتصب في حوض وتنقل منه إلى حوض آخر داخل مبنى المعبد بواسطة قناة من الحجر . وفي القسم الشرقي من المدينة ، اكتشف على عمق كبير ، كثير من القنوات المصنوعة من أنابيب من الفخار من مختلف الأشكال وأكثرها مصنوع من أوان خزفية متداخلة في بعضها قد أحكم وصلها بالأسمنت . ولم يتمكن أحد حتى اليوم ، أن يتتبع امتداد هذه القنوات واكتشاف بدايتها ونهايتها ، كما لا نستطيع تحديد تاريخها ، إذ أننا نجعل ما إذا كانت قد أعدت لنقل المياه الصالحة للشرب أو خصصت لتصريف مياه المجارى . على أنه يجدر بنا أن نشير إلى وجود هذه المنشآت التي تدل على أن الإدارة الفرعونية كانت تنشئ الخير الأهالي وتحرص على الصحة العامة .

كان للعقارات الملكية أو المقدسة قوة جاذبية عجيبة على من يقيمون حولها ، ففي أزمنة الاضطراب كان الأهالي الذين ينتابهم الذعر يغتصبونها

ليقيموا بها ويرفضون تركها ، ويشيدون منازلهم في الحدائق والبساتين وبذلك يشوهون جمال التصميم الذى أراده لها مشيدوها السابقون . كانوا يتسربون إلى ساحة المعبد المقدسة الخارجية ويقيمون فوق الأسوار ، يعطلون إقامة الشعائر الدينية ويقفون حجر عثرة فى سبيل الحراس .

وقد لاحظ أواج حر رسنه ، أحد الأطباء الذين عاشوا فى عصر الملك قبيز ، بعض الأجانب يقيمون فى معبد الإلهة نايث ، معبودة سايس (١٦) فتألم لما رأى ، ولما كان ذا كلمة مسموعة لدى الملك فقد حصل على أمر بطرد جميع أولئك الأجانب ، غير المارغوب فيهم وهدم منازلهم والتخلص من نجاستهم حتى يمكن الاحتفال بالأعياد والمواكب كما كان متبعاً من قبل .

وقد لاحظ أحد السحرة أيضاً ويدعى جد حر وكان يعيش فى أثريب أن أناساً من عامة الشعب بنوا أكواخهم بالطوب اللبن فوق جبانة الصقور المقدسة . (١٧) ولما لم يكن له مثل نفوذ الطبيب الصاوى فقد حاول معهم طريق الاقتاع واستطاع أن يجلب المغتصبين عن المكان الذى احتلوه والانتقال إلى مكان أفضل ارشدهم إليه ، وكان فى الحقيقة موقع مستنقعات ، غير أن علاج ذلك كان فى متناول أيديهم ، إذ كان من المستطاع هدم المنازل الداخلية واستخدامها فى ردم المستنقعات . وهكذا شيدت مساكن الطبقة الطيبة من أهالى أثريب فى مكان حسن الموقع لطيف الجو ، يكاد يكون قليل الرطوبة زمن الفيضان . وفى تانيس لاحظنا بأنفسنا زحف الأهالى بمساكنهم على المعبد . ووجدنا الكثير من المساكن فى أفنية المعبد وعلى أسواره ، وشخصية ذات أهمية اسمها پان مريت ، بنى منزله فى الفناء الأول للمعبد ملاصقاً للصرح كى تستطيع تماثيله الاستفادة من الاحتفالات المقدسة. (١٨) وقد عاش پان مريت فى عصر متأخر عن طبيب سايس وساحر أثريب . ولكن مصر هى بلد التقاليد وسنقدم أدلة على ذلك . فالحقائق التى أشرنا

إلها مؤيدة بمستندات تنتمي إلى عصر متأخر ، يغلب على ظني أنها ظاهرة تكرر أكثر من مرة على مر الزمن ، إذ كان الأهل ينتهزون فرصة عدم يقظة السلطات أو ضعفها ليجبروا الأحياء التي لا تروقهم وينتقلوا إلى داخل الأسوار الكبرى ليجتموا بها وربما ليسطوا على الأموال . وعندما تنبسط السلطات فإنها كانت تطرد الغاصبين فيستعيد المعبد والعاصمة عظمتها إلى أن تتكرر هذه المحاولة من جديد .

وفي عهد سبتي الأول وسنوسرت العظيم ورمسيس الثالث لم يجرؤ أحد على الاقتراب من أرض لا يملكها ، ولكن حدث ذلك في الوقت بين حكم مري إن بتاح وسات ناخت ، بل حدث أسوأ من ذلك في عهد آخر ملوك الرعامسة .

٢ - الفهرس

كثيرا ما أثار القصر الملكي في مدينة في رمسيس إعجاب الكثيرين من المعاصرين ، ومن سوء الحظ أن وصفهم له غير محدد وحتى مكانه أيضا غير معروف بالضبط ، ولم تسفر الحفائر عن أية معلومات دقيقة . ونحن نعرف أنه كان في الدلتا قصور ملكية أخرى فقد عثر على بقايا قصر في قنطير وهي قرية تظللها أشجار النخيل البديعة على بعد ٢٥ كيلومترا جنوب مدينة في رمسيس (١٩) ، حيث كان فرعون ينتظر خطيبته إبنة ملك الحيثيين ، التي جاءت في فصل الشتاء مخترقة آسيا الصغرى وسوريا لتلقاه ، خطر له خاطر طريف هو تشييد قصر حصين في الصحراء بين مصر وفينيقيا حيث كان ينتظرها . وبالرغم من بعد القصر ووجوده في مكان ناء إلا أنه

كان مكتنظا بكل ما كانت تشتهيه الأنفـس . وكانت كل جهة من جهات القصر الأربع تحت حماية أحد المعبودات ، فكان آمون يحمى الناحية الغربية وسوتخ الناحية الجنوبية ، وعشتروت الناحية الشرقية وأوجيت الناحية الشمالية . ولتمجيد ملك مصر وزوجته الآسيوية وضع معبودان مصريان ومعبودان آسيويان لأن ست . منذ ذلك الوقت اتخذ زينة الشعر والملابس التى يتميز بها المعبود بعل ، ولم يعد يشبه معبودات المصريين . وأقيمت أربعة تماثيل ذات أسماء كالأحياء هى : رمسيس ميا آمون ، له الحياة والصحة والقوة ، وموتوفى الأرضين سحر مصر ، وشمس الأمراء الذى أصبح فى منزلة الإله والوريث والباشا . (٢٠)

كان لرمسيس الثالث قصر أطلق عليه اسم « بيت الهناء » يقع داخل مدينته ، غربى طيبة ، وقد وجدت بقاياه التى تولى دراستها علماء الآثار المصرية بمعهد الدراسات الشرقية بشيكاغو ، (٢١) وكانت واجهة هذا القصر تطل على الفناء الخارجى للمعبد . أما النقوش المحفورة التى كانت تزين هذه الواجهة ، وترى من بين أعمدة البهو ، فقد أحسن اختيارها فى عناية تامة لتظهر مدى سلطان الملك . فقد رسم رمسيس وهو يقتل أعداءه بضربات من دبوسه . كما رسم أيضا الملك يتبعه حرسه فى أحسن زينة وهو يزور حظائر الخيل . وكذلك رسم وهو يمتطى عربته متقلدا أسلحته الحربية فى طريقه ليتولى قيادة الجيش أثناء المعركة . ثم رسم أخيرا وهو جالس مع رجال حاشيته يشاهد خيرة جنده وهم يتصارعون ويتمرنون . كانت الشرفة المخصصة لظهور الملك فى الحفلات العامة تتوسط هذه الواجهة وقد زينت أفخم زينة ، فى مقدمتها أربعة أعمدة طويلة على هيئة ساق البردى يعلوها أفريز ذو ثلاثة طوابق ، رسم قرص الشمس الممنح على الطابق الأدنى ، ورسمت زينات من خوص النخيل على الطابق الأوسط ، بينما رسم على الطابق الأعلى رؤس الثعابين تتوجها تيجان على هيئة قرص الشمس . وكان الملك يظهر فى هذه الشرفة

عندما كان يسمح للأهالى بالتجمع فى فناء المعبد فى عيد آمون ، ومنها كان يوزع عليهم العطايا . كانت الشرفة متصلة بالمساكن الملوكية ، وكان يتوسط هذه المساكن عدة غرف ذات أعمدة ، منها قاعة العرش وغرفة الملك وحمامه الخاص . وتفصل ردهة بين هذا الجزء الرئيسى وبين جناح الملوك الذى كان يحوى الكثير من الغرف والحمامات . وكانت هناك ممرات طويلة مستقيمة تيسر الذهاب والمراقبة أيضا ، لأن رمسيس الثالث وقد علمته التجارب ، كان حذرا .

ويبدو أن النقوش الداخلية لقاعة العرش كانت عابسة ، كما يتضح من اللوحات الصغيرة المموهة بالطين التى اكتشفت منذ عام ١٩٠٤ أو من القطع الصغيرة ذات النقوش الغائرة التى اكتشفتها أخيرا البعثة الأمريكية . رسم الملك فى كل مكان على هيئة أبو الهول وقد جثم على مؤخرته ، وقد سجل اسمه بالكتابة الهيروغليفية ، وشاهد أعداء مصر أمامه ، وقد قيدت أقدامهم وهم فى ملابسهم الثمينة المزركشة بزينة البربر وقد بذلت عناية كبيرة فى رسم أشكالهم وزينة شعرهم وحليهم . وقد وسم الليديون بالوشم بينما حلى الزوج أذانهم بالأقراط ، أما السوريون فكانوا يتزينون بحلى كبيرة تتدلى من رقابهم . أما قبائل شاسو الرحل فكانوا يضعون أمشاطا وسط شعرهم الطويل المرسل إلى الخلف . (٢٢) وليس من المستبعد أن نعتقد أن الرسوم والزينات التى كانت تحلى القاعات الخاصة بالملك والملكة كانت ذات موضوعات أكثر رقة وطرافة .

كانت المساحة التى يشغلها مسكن الملك غير بالغة الاتساع إذ كانت عبارة عن مربع يقل طول ضلعه عن أربعين مترا وكانت إقامة الملك فيه غير طويلة .

المدى ، فقد كان فى استطاعته الإقامة فى الجانب الآخر من النهر . أما فى الدلتا فلم يكن له إلا أن يختار بين منف وأون وبنى رمسيس ، وكانت كلها تترقب استتبعه . وقد شيد بين أون وبوسط ، فى المكان الذى أطلق عليه العرب أسم تل اليهودية ، مبنى حديث العهد ، اكتشفت فيه لوحات موهبة بالميناء تماثل تماما تلك التى وجدت فى مدينة حابو . (٢٢) وقد أتى الزمن تماماً على قصور الملك سبتى والملوك الرعامسة حتى أننا إذا أردنا أن نكون فكرة حقيقية عن قصر فرعون فى عصر الإمبراطورية الحديثة كان علينا أن نتخيل أنفسنا فى قصر أخناتون الذى تولى الحكم قبلهم بوقت قصير . كان بلاط أرضية القاعات ذات الأعمدة تمثل مستنقعا يزخر بالأسماك ونباتات البردى ، تطير خلال أغصانها الطيور المائية ويحوطها الغاب والبردى ، وعجول تقفز وسط أجسام وبط برى يطير خوفا منها . وفوق رموس الأعمدة كانت تلتف أغصان الكروم والنباتات العارشة . وزينت تيجان الأعمدة والأفاريز بالنقوش الزاهية وعلى حواجز الجدران رسمت نقوش تمثل مناظر الحياة العائلية ، فالملك والمملكة يجلسان وجها لوجه . كان أخناتون يجلس على مقعد ونفرتيتى على وسادة وعلى ركبتيها طفل رضيع ، وكانت كبرى الأميرات تعانق شقيقته الصغرى ، وتلعب أميرتان صغيرتان على الأرض . (٢٣) وقد قيل فى مبالغة بأنه لم يرد فى الفن المصرى القديم كله ما يضاهاى هذا الرسم رقة . والواقع أن المستنقعات ونباتات البردى والطيور والحيوانات التى تقفز أو تركض كانت ضمن الموضوعات المألوفة . وفى مدينة حابو رأينا الملك محاطا بمحظيات رائعات الجمال . ونحن لانخشى شيئا حين نؤكد أن قصور فرعون فى عهد الأسرتين التاسعة عشرة والعشرين كانت مزينة دائما بأغصان النقوش وكذلك الحال فى عهد أخناتون ، إذ كانت الجدران والسقوف والأفاريز والأعمدة والأرضيات بهجة للعين والنفس .

وكانت نخامة الأثاث وروعة الحلى والملابس تكمل هذه المجموعة
سموا وروعة .

٣ - المنازل

لم تدخر كبار الشخصيات جهدا في محاكاة المساكن الملكية من حيث
الفخامة والرفاهية ، كانت مساحة مساكنهم في المدينة أو في الريف تبلغ
نحو هكتار* أو تزيد ، كما كانت على نسق المعابد أو القصور الملكية يحوطها
سور عريض مرتفع له باب حجري يؤدي إلى حيث يقيم رب البيت ، بينما
توجد أبواب ثانوية وهي عبارة عن فتحات صغيرة في السور تؤدي إلى
الحدايق ويستعملها عامة الناس . هكذا كان منزل المرأة الغادرة تمبووي
التي استقبلت فيه حبيبها في مدينة بوبسط بينما كان منزل أبوي
يمثل معبدا صغيرا . فيه رواق ذو أعمدة على هيئة سيقان البردي يسبق
واجهة المبنى . بينما يسند سطح العمود لإفريز مزخرف برسوم من
سعف النخيل . وكان باب المدخل الرئيسي من الحجر الكبير المنحوت
وأسكفة الباب مزخرفة بدورها بسعف النخيل . (٢٥) وكان المنزل الذي
قابل فيه الملك آي زوجته نفرحتب وكافأها ، له شرفة ذات أعمدة
تسند سطحها خفيفا يغطي جميع جهات المنزل وتقوم أطرافه على أعمدة
عالية رفيعة يتكون منها رواق حول المنزل. (٢٦) يمكن أن نكون فكرة
عن الشكل الخارجى لذين المنزئين على ضوء الرسوم التي رسمها كل من أبوي
ونفرحتب على جدران مقبرتهما ، ولمعرفة التنظيم الداخلى لهما يحسن أن
نזור حفائر تل العمارنة . من باب المدخل يعبر المرء دهليزا قبل أن يصل

* الهكتار يبلغ عشرة آلاف متر مربع أى ما يوازي فدانين ونصف الفدان .

إلى قاعات الاستقبال ذات الأعمدة التي يستند إليها السقف . وهذه القاعات العامة تمتد بواسطة خزائن الملابس مبنية بالطوب وتستخدم كأصوثة للملابس الداخلية وللاثياب ، كما توجد غرف صغيرة تخزن فيها المواد الغذائية والمرطبات . أما الغرف المخصصة لرب البيت وقاعة الحمام ودورة المياه فتشغل باقى المبنى . ونرى جدران الحمام قد كسيت بالأحجار ، وفى أحد الأركان نشاهد كتلة مرتفعة من الحجر ومثبتة فى البناء ومحاطة من الخلف بجدار ساتر يصعد عليها أحد الخدم ليصب المياه على المستحم . وبعد أن يفرغ المستحم من الاغتسال يجلس على مقعد قريب للتدليك . وتطلى دورة المياه التى تقع خلف الحمام بالجير ، وبها مقعد من حجر الكلس مشقوب الوسط يوضع فوق صناديق من الطين تملأ بالرمال . (٢٧) وفى كل منزل مهما كان متواضعا ، توجد عدة أفنية ، فى أحدها صوامع للغلال على هيئة خلية النحل . وتقع مرآقد الكلاب وحظائر الحيوان فى الشمال ، وفى الشرق توجد عادة على التوالى ، المطبخ والخبز وبيوت صغيرة من الطوب يأرى إليها الخدم . وكان على الخدم فى هذه الحالة أن يسيروا مسافة طويلة لإحضار أطباق الطعام لساكنهم .

ويوجد مدخل للخدم يؤدى إلى حجرات الاستقبال ، أما المنازل الصغيرة ، المخصصة للخدم ، فتقسم فى أغلب الأحيان إلى أربع غرف ، المدخل وحجرة فى الوسط يستند سقفاها إلى عمود ومطبخ وحجرة نوم فى الداخل . ويتجمع كل أفراد الأسرة الواحدة فى هذا المكان الضيق الذى يتقاسمونه مع المواشى ، وهناك سلم يؤدى إلى سطح المنزل . وتقع بيوت المديرين فى نهاية هذا الحى ، وتكون مبانيها عادة واسعة ومريحة . (٢٨) وتجلب المياه الصالحة للشرب عادة من بئر حجرية .

ويقع الباب قرب أحد أركان الجدار وهو يتكون من عمودين قائمين وأسكفة وعتبة من الحجر . ولا يتسرب الضوء إلى الطابق الأرضي إلا عن طريق هذا الباب ، أما النوافذ وعددها اثنتان أو أربع أو ثمانية نوافذ في الطابق الواحد فكانت صغيرة ومربعة ومزودة بستائر لتحمي السكان من الحر والغبار . وقد عثرتُ في تانيس على نافذة من الحجر لا يزيد طول ضلعها على ذراع واحدة وكانت عبارة عن قطعة من البلاط المثقوب كالدنتله وتقوم مقام الستارة ، كما عثرتُ أيضا فوق نافذة مربعة على إطارين منقوشين باسم الملك مري إن پتاح . وقد رسمت على بعض النقوش بطييه ، خطوط أفقية على الجدران كأنها عملت بالبلوط السميك أو زخرفت بالألواح . وفي تانيس ظهر تفسير هذه الخطوط إذ اتضح أن البنائين يضعون الملاط على السطح الأفقي للبناء بينما يكتفون بالطين بين الفواصل الرأسية . وحينما يتم البناء نجد أن الجدار قد أصبح مخططا بخطوط أفقية بيضاء .

وتخصص الغرف في الطابق الأرضي في غالب الأحيان للحرف المنزلية ، حدث هذا في طييه ، على سبيل المثال ، في منزل أحد الأهالي المدعو تحوفى نفر حيث كان النساء يغزلن بينما يعمل الرجال بالنسج على الأنوال ، وفي الغرف المجاورة كانوا يطحنون الحبوب ويعدون الخبز . ويعيش أصحاب المنزل في الطابق الأول في غرفة أكثر اتساعا ، ينفذ إليها الضوء من خلال نوافذ صغيرة مرتفعة . وتسند سقفها أعمدة على هيئة ساق اللوتس . ويبدو أن الباب كان مزدانا بلوحات طعمت به بالمينا إذ لم يكن الخشب نفسه قد نقش مباشرة . ولم تكن ثمة نقوش على حواجز الجدران وإن كان من المألوف لدى المصريين أن يغطوا بالرسوم كل مألئهم من

أما الحدائق فكانت تقسم إلى مربعات ومستطيلات تتقاطع عموديا ومستقيمة تماما ، وتزرع بالأشجار وتظلل بالكروم وتغص بها الزهور التي كان المصريون يعنون بها عناية تامة . وقد جمع أنا Anna في حديقته كافة الأشجار التي تنمو في وادي النيل مثل النخيل ونخيل الدوم وشجر جوز الهند التي كانت تسمى نخيل الكوكو وشجرة الجبيز وشجرة زيت النخيل* وشجر العناب واللمخ والطلح والرمال والسر والائل والصفصاف وأنواع أخرى من الأشجار لا نعرف مدلولها وتبلغ ثمانية عشر نوعا . (٢٩)

وزرع الوزير رخ مارع في حديقته المحاطة بأموار قوية كل أنواع الأشجار والنباتات التي كانت معروفة في عصره . (٣٠) وكثيرا ما كانوا يشيدون تحت الأشجار أكشا كالانخلو من جمال وإن بنيت بمواد خفيفة الوزن . وكان السادة يتناولون فيها طعامهم صيفا . وكانت الخصاص الخشبية تجثم في كل مكان ، حيث كانت المشروبات تثلج في أزيار كبيرة تخفيها أوراق الأشجار بجوار الموائد والرفوف حيث رص الخدم بعناية فائقة كل مشروبات المطبخ المصري .

ولا يمكن أن نتخيل وجود حديقة دون بركة ماء ، وهذه تكون عادة إما مربعة أو مستطيلة الشكل ومبنية بالحجر ، وتطفو نباتات النيلوفر فوق سطح المياه ويعوم فيها البط . وتؤدي درجات من سلم إلى هذه البركة حيث أعد قارب لتلبية مسرات أصحاب المنزل (٣١) في غالب الأحيان .

وتتكون بيوت الطبقة الوسطى عادة من عدة طوابق ، وتوجد أحيانا صوامع الغلال فوق سطوحها ، ولا تزخرف واجهة البيت بأية زخارف .

* هذه الشجرة نادرة الآن في مصر . واسكنها منفرة في السودان .

سطوح خالية . وقد عثرت في تانيس بأحد المنازل ، التي تنتمى إلى العصر المتأخر ، على حواجز جدران داخلية طليت بالملاط وبها لوحات قديمة عليها راقصات ومراكب ، ولاريب في أن هذه الوسيلة كانت قديمة العهد ، مما يحملنا على الاعتقاد بأن غرف المنازل تماثل غرف المقابر في طيبة حيث كانت ترسم كرمة على السقف بينما ترسم مناظر الصيد والرحلة إلى مدينة أوزيريس المقدسة * ومناظر أخرى ماثلة كانت ترسم فوق الجدران الداخلية . (١٨)

وكان سقف الطابق الثاني منخفضاً إلى حد لا يحتاج الإنسان معه إلى الوقوف على أطراف أصابع قدميه لكي يلبس السقف بأصبعه . وتخصص في هذا الطابق غرفة لرب البيت ليتولى فيها زينته . كان يجلس على مقعد مريح ذي مساند جانبية ويحمل إليه الخدم الأبريق والطشت والمروحة والمذبة ، وأمامه يجلس الكتبة القرصاء يقرأون البريد ويسجلون الأوامر . ولا يتوقف خدم آخرون عن الحركة فوق درجات السلم وفي الممرات ، وهم يحملون صرراً على رؤوسهم وجراراً مملوءاً بالماء معلقة في طرفي عصا يحملونها على أكتافهم . (٣٢) (١٩)

كان نفس هذا النظام سائداً في منزل أحد الأشخاص المدعو ماحو ، فكانت الجرار مكمومة في الطابق الأرضي . أما الطابق الأول فكانت توجد به حجرة الطعام ، وكان الطابق الثاني مملوءاً بالدروع والأسلحة وأدوات أخرى كثيرة ، ولما كان ماحو رئيساً للشرطة ، فإننا نعتقد أنه كان ينام الليل هنا ليستطيع في حالة استدعائه بغتة أثناء الليل أن يحمل سلاحه ويعتد فوراً خلف المجرمين . كانت سطوح المنازل عادة مسطحة ، ويمكن الصعود^(٤)

إليها إما بدرجات سلم مبنى أو بوساطة سلم متحرك . أقام البعض عليها ، مثل نحو قى حتب صوامع للجلال ، وأقام آخرون سورا من الخشب * على حافة السطح حماية لأطفالهم أو تجنباً لنظرات متطاعة إليهم وهم ينامون ليلاً في العراء . وأقام كل من نب آمون ونختى على سطحى منزلهما بناء إضافياً على هيئة مثلث هرمى بزاوية قائمة فسر بأنه بئر للتهوية . **

ومع ذلك فإن المنازل ذات الأسطح المدببة لم تكن مجهولة في مصر ، ففي إحدى مقابر أبو رواش ، بالقرب من القاهرة ، التى تعاصر زمن الملك دن *** الذى عاش فى عهد يرجع إلى ألفى عام قبل عصر الرعامسة ، قد وجدت قطعتين من أدوات اللعب المصنوعة من العاج وهى تمثل منازل ذات سطوح مائلة ومكونة من مثلثين ومن شكلى شبه المنحرف . (٢٤)

وبناء السطوح على هذه الصورة العلمية فى مثل هذا العهد العتيق ليدعو حقاً إلى الدهشة لأن مثل هذه الفكرة لا يمكن تصورها إلا فى بلد تكثر فيها الأمطار أو تتوافر فيها الأخشاب ، أما فى مصر فلا توجد أمطار إلا فى المنطقة الساحلية . وحتى فى هذا المكان ، وإلى يومنا هذا ، فكل المنازل تعلوها سطوح مستوية . ومن المحتمل أن تمثل قطعتا أبو رواش نوعاً من المساكن الدخيلة على مصر ، إذ ليس لدينا أى برهان على أن مثل هذه المساكن كانت سائدة فى أى مكان بالإقليم المصرى فى عهد الرعامسة .

وحتى فى طيبة لم تكن المساكن متلاصقة تلاصقا شديداً . ولم تكن

* على هيئة الدائنة .

** هى المعروفة باسم مصيدة الهواء أو ماقف ولا تزال تشاهد فى المباني القديمة لاسيما فى الصعيد .

*** رابع ملوك الأسرة الأولى وحكم حوالى عام ٢٩٠٠ قبل الميلاد .

الكلام على فرع شجرة اللبخ ، بعد أن توضع عليه فطيرة هي الوسيلة الكفيلة بمنع الحداة من الخطف .

ورائحة البخور ناجمة في تنقية هواء قاعات الثياب . ولم تكن هذه الوسيلة في متناول جميع الناس ، إذ كان يجب أن يضاف للبخور صمغ التربنتين وبعض المواد الأخرى المصرية والأجنبية . وهذه الوصفة مثل سابقتها دليل على الرغبة في الإبقاء على المنزل نظيفاً نقياً . كانت هذه الرغبة الطبيعية تحمل السلطات على إصدار أوامر عامة لنزع المياه القذرة ورفع القمامة وفضلات المنازل . ومع ذلك ، فلا نستطيع الجزم بذلك لعدم وجود مستندات تؤيد ما نقول .

٤ - الأثاث

يتألف الأثاث ، في أغلب الأحيان في قاعات الاستقبال في القصور الملكية وفي مساكن الأغنياء من مقاعد مختلفة الأشكال ، صنعها بسيطة في معظم الحالات وتماثل صندوقاً مربعاً ، له مسند لا يزيد طوله عن طول اليد الواحدة . وزخرفت جوانبها بغرس من قشور نباتية .

كانت جودة المواد الخام التي يصنع منها الأثاث ، ودقة الصناعة تعوضان بساطة صممه . غير أن المقاعد ذات المتكئين المثقوبة من ناحية إلى أخرى ، كانت أكثر منها غمامة ومريحة إلى أبعد الحدود ، لها أربع قوائم على هيئة أرجل الأسد ومسند كبير ومرفقان . أما المقاعد المخصصة للملك والملكة فكانت أكثر روعة ، تحلى مساندها ومتكأتهما بالواجهة والخلف بنقوش مستمدة من موضوعات النحت الرفيع سواء أكانت منقوشة على الخشب أم على الجلد ، أم المعدن المطروق كالذهب والفضة والنحاس وترصع

الأرض غالبية الثمن لتحول دون إمكان زرع أشجار إما في فناء صغير داخل المسكن أو أمام واجهته . ففي منزل نب آمون تظهر نخلتان وكأنهما ناميتان فوق سطح المنزل ، ومع ذلك فقد كانتا مثقلتين بثمار البلح . كما تظلل باب منزل فنخت نخلة وشجرة حمير . وقد رسم على جدار المقبرة رقم ٢٣ في طينه منزل مرتفع أكثر مما هو عريض ، بين صفين من الأشجار ، بينما في مقبرة أخرى معروفة برقم ٢٥٤ نرى أمام منزل ، ثلاثة أشجار رمان زرعت في أصص من الفخار المزخرف بألوان عديدة كما نشاهد أمامه أيضا شجرتان من الدوم. (٢٤) وقد بذل المصريون كل جهدهم ، حتى الطبقات الفقيرة منهم ، لتكون مساكنهم جميلة ومريحة ، كما عنوا عناية كبيرة بالعمل على وقاية أنفسهم من أعداء الراحة المنزلية وهي عديدة كالحشرات والفيروس والأبراص والثعابين والطيور الجارحة . وتحوى بردية أيرس الطبية بعض الوصفات النافعة. (٢٥) فإذا أردنا التخلص من الحشرات المنزلية فينبغي غسل المنزل بمحلول النطرون أو طلاء جدران به مادة تسمى « يديت » تصحن مع الفحم . وإذا وضعنا ملح النطرون أو سمكة مجففة من البلطى أو حتى بذور البصل في مدخل جحر الثعبان ، فالثعبان لا يغادر جحره ، أما دهن طيور الصفارى فجذ مفيد ضد الذباب ، وبويضات السمك ضد البراغيث ، وإذا وضعنا دهن قط على الزكائب أو على الصرر فالفيروس لا تقر بها . ولإبعاد الحشرات القارضة عن الغلال يحرق في المخزن روث الغزلان أو تطفى الجدران أو الأرضية بمحلول من هذا الروث .

وهاك وصفة مؤكدة لمنع الحدأة من الخطف ، يزرع في الأرض فرع من شجرة اللبخ وتوضع بجانبه كعكة ، ويتلى عليها ما يلي : « كانت حدأة تخطف من المدينة ومن الريف . . طيرى ، اطبخها ثم كليها » . ونريد هذا

بالأحجار الكريمة ، وقد يمثل الملك على هيئة عقاب أو على هيئة أبو الهول بحميه ثعبان الكوبرا أو الضقر أو العقاب الذى يمزق بمخالبه أسويبا أو زنجياً . وتشاهد كائنات غريبة* مثل أوائل الذين استجلبوا بثن غال من بلاد بونت أو من أعلى النيل ، وهم يرقصون على دقات الطبول . والملك يتناول من يد الملكة الزهرة التى تجلب الحب . بينما تربط الملكة عقداً حول رقبة زوجها ، وترى رسوم تمثل رهوس أسود أو عقبان أو نساء على حافة المقعد . وفى الناحية الأمامية للمتكآت وبين قوائم المقعد تنمو النباتات الرمزية للجنوب والشمال وتكون علامة هيروغليفية كبيرة هى رمز الاتحاد (٢٦)

وكان هناك نوعان من المقاعد التى لا مساند لها ، وأكثرها بساطة تلك التى كانت أرجلها رأسية ، وأكثر منها خفامة تلك التى كانت أرجلها متقاطعة على هيئة العلامة X وتنتهى برأس بطة ، وكانت القضبان بدورها تفتهى برهوس حيوانات وكانت الأرضية تفرش بالحصر وعليها الكثير من الوسائد (٢٧) وكانت الوسائد توضع أيضاً خلف ظهور الجالسين على المقاعد وتحت أقدامهم . وإذا كان عدد الناس يزيد عن عدد المقاعد ، فيجلس آخر من يأتى أو أصغر الموجودين سناً على الوسائد أو حتى على الحصر .

وإذا كانت قاعة الطعام منفصلة عن قاعة الاستقبال ، فإنها تزود بمقاعد وتجلب لها مناضد مستديرة للضيوف ، وموائد وأرفف توضع عليها سلات الفاكهة وأطباق اللحوم والخضراوات والأواني والأكواب . وهذه الأثاث كثير العدد ولامكنه صغير الحجم . ولم يفكر المصريون إطلاقاً فى

عمل مناظرة كبيرة يمكن أن يجتمع حولها عدد كبير من الضيوف، فكان من عادة المصري أن يتناول الطعام وحده أو ضمن مجموعة من اثنين .

ومنذ أقدم الأزمنة ، كان يستعمل نوعان من أواني المائدة فكانت الآنية العادية من الفخار أما الآنية الفاخرة فكانت من الحجر ، وكانت تصنع غالباً من حجر الشست الأسود أو الأزرق ومن الرخام الأبيض . وكانت في النادر تصنع من الرخام الأحمر . أما الأواني الكبيرة الحجم فكانت تصنع من الجرانيت ، وكانت الكؤوس الصغيرة الحجم تصنع من الحجر الصخري المتبلور (الكريستال) وكانت تصنع من هذه المواد المختلفة الآنية ذات الشكل الأسطوانى أو البيضاوى والكؤوس والأقداح والكؤاب والأطباق والبرانى ذات الصنبور والأباريق وسلاطين الحساء والأواني ذات القاعدة ، وقد رسم بعض الصناع ممن وهبوا خيالاً واسعاً ، على سطح أبريق الشبكة التى يقدم داخلها هذا الأبريق ، أو يشكلون إناء على هيئة مركب أو حيوان . (٢٨)

ولم تتوقف إطلاقاً صناعة الأواني الجميلة من الأحجار ، ومقابر عهد الامبراطورية الحديثة تقدم لنا منها مجموعة هامة ، ومع ذلك فقد كانت الآنية المفضلة هى التى تصنع من الذهب أو الفضة ، وكانوا يصنعون أبريق لتستخدم فى الطقوس الدينية ، ويصنعون كثيراً غيرها للاستعمال الدينى (٢٩)

وكانت تحضر المشروبات الساخنة فى أوان على هيئة غلايات ذات مصفاة داخلية مثبتة داخل الصنبور ، وتشبه أبريق الشاي التى تستعمل فى الوقت الحاضر . كما كان من الممكن صب المشروب الساخن خلال مصفاة يتسرب منها السائل فى قده يسكه الشارب ، لو فضل ذلك . وقد هيم الأبريق

المشهور ذو الماعز وهو أحد كنوز بوبسط ليسكون إناء لحفظ اللبن . وكانت الأواني المخصصة للمشروبات ، ذات أشكال مختلفة ، فمنها أقداح ذات قاع مستدير وصنبور ، وآنية مستديرة ذات مقبض وصنبور وأقداح في نهايتها مقبض طويل تماثل معيار اللبن في فرنسا . وكانت الفناجيل ذات المقبضين والأواني المستطيلة المزينة ملائمة للزبد والفظائر . وكان يصير رمسيس الثالث ، عند قيامه بحملة حربية على أن يحمل ضابط الإمدادات معه إناء كبيرا من الذهب ذا مقبض ، سعته ثلاثة لترات تقريبا ، كما يحمل قنينة المياه . (١٠) وكان الذين لا يستطيعون استعمال هذه الأواني ، التي تعد على درجة كبيرة من الفخامة ، يكتفون بأوان من الفخار . وكان صناع الفخار ينتجون منذ زمن قطعا جميلة من الفخار الجيد النوع ويرسمون عليها زخارف هندسية أو صور أزهار أو رسوما حية مثل تلك التي نراها محفورة على الأواني المعدنية وتمثل طائرا يلتهم سمكة وحيوانات تتسابق راكضة .

ومنذ أول عهد الامبراطورية الحديثة استوردت مصر من الخارج ، من الجزر ومن سوريا ومن بلاد النوبة ، أدوات كالية فاخرة مثل أواني الخلط وجرار الخمر وقواعد الأواني المصنوعة من المعادن والأحجار الكريمة والتي لم تكن الحاجة إليها ماسة ولكنها كانت تستخدم كوسيلة لتكوين مجموعات من شتى أنواع النبات والحيوان في البلاد الأجنبية ، الحقيقي منها أو الخيالي على السواء . وكان للعباد نصيب وافر من معظم هذه الأشياء الثمينة واسكن فرعون كان يحتفظ لنفسه ببعض النماذج الجميلة منها . وقد انتشر ذوق هذه القطع الأجنبية الجميلة بين الأهالي . فبدأ الصياغ المصريون في صناعة مثيلاتها .

وكان من ضمن الأعمال المكلف بها الأمير قنامون Qenammon الذى كان يشغل مناصب عليا ، تقديم هدايا رأس السنة إلى الملك ، وقد سجل على جدران مقبرته ، المجموعة الكاملة لتلك الهدايا التى صنعت فى المصانع الملكية. (١١) ويلاحظ بصفة خاصة قطعة من الأثاث رسمت عليها غابة من نخيل الدوم ونخيلات سورية وقد تشابكت مع نباتات النيلوفر وزهور الأقحوان. وترى قروود تقفز فوق سيقان النباتات لتجنى جمارالنخيل. وهناك قطع أثاث أخرى تتفق والذوق التقليدى . وتماثيل من الأبنوس وأخرى من الأبنوس المطعم بالذهب تمثل الملك والملكة فى أشكال مختلفة ، إما فوق قاعدة أو فى صوان أو على شكل أبو الهول ذى الرأس الآدمى ، أو رأس الباز ، أو ماعز وغزلان مستلقية فوق الموائد والصناديق وأعتقد أن كل هذه القطع كانت مخصصة لتأثيث القصور الملكية وقاعات الاستقبال .

أما فى غرف النوم فكان السرير هو القطعة الأساسية . وكان من الأسرة ما هو بسيط الصنيع إلى أبعد الحدود . إطار خشبى تقوم عليه عارضة تحملها أربع قوائم ، تماثل فى أغلب الأحيان أرجل الثور أو الأسد . وقد حفظت لنا مقبرة توت عنخ آمون أسرة فاخرة ، كل ناحية منها على هيئة حيوان كامل ، البقرة والفهد ، وفرس البحر . وتحتوى الغرفة أيضا على أصونة من الخشب المشغول بالمرصعات حيث كانت توضع بها الملابس الداخلية والثياب . أما أدوات الزينة كالمرايا والأمشاط ودبابيس الشعر والشعور المستعارة فكانت تحفظ فى صناديق وخزائن مختلفة الأحجام . وأما مستحضرات التجميل كالمرام والروائح العطرية فكانت توضع فى أوان من الزجاج الطبيعى أو من العاج . أما القاعات المخصصة لأفراد الأسرة كالاطفال والبنات فكانت تترك بها الآلات الموسيقية وصناديق اللعب .

أما قاعات المكاتب فكانت تؤثث بأصوثة ذات طابع خاص تزدحم فيها المخطوطات وملفات الرقوق وأوراق البردى وجميع الأدوات التي يحتاج إليها الكاتب . وعندما تكتب ورقة البردى كانت تطوى وتربط ثم تختم وتوضع الملفات في ربطات ، وتحفظ الربطات في حقائب من الجلد . وهذه تحفظ بدورها في الأصوثة . (١٧) ولم يكن المكتب في حاجة إلى مناضد ليكتبوا عليها ، وكان يكفي الكاتب أن يبسط ورقة البردى على ركبتيه وهو جالس ، وفي بعض الأحيان كان يكتب وهو واقف قابضا على ورقة البردى باليد اليسرى ، دون أن تطوى الورقة . وعندما يفرغ من الكتابة يضع كل أدوات الكتابة داخل ما يشبه حقيبة غير رخصة ، ذات سطح مستو ، مزودة بقفل ينزلق ليسدها ، وفي نهايتها سير تعلق منه .

أما أثاث المطابخ فيتكون من مناضد ذات أربع قوائم وأوعية من الفخار السميك ذات الأشكال والأحجام المختلفة . وكانت الأفران تصنع من الصلصال الذي يتحمل النيران . أما المواقد المعدنية ذات القوائم الطويلة التي كان يشوى عليها الأوز ، فلم تكن تستخدم ، كما اعتقد ، إلا في المعابد ، ولم يكن يلجأ إلى استعمالها طباطخ يهوى مهنته .

أما في المنازل الصغيرة ، حيث كان يتجمع كل أفراد الأسرة في غرفة لا تتجاوز مساحتها عشرين مترا مربعا فكانت تقل قطع الأثاث فيها حتى تصبح مجرد حصير ، وبعض أوان من الفخار . وهنا كانت بعض الأرفف والصدائق الخشبية تعد على أنها دليل على الثراء .

الفصل الثاني

الزمن

١ - الفصول

لم تكن السنة بالنسبة للمصريين مجرد الوقت الذي تستغرقه دورة الشمس بل المدة اللازمة التي يستغرقها محصول من المحصولات . وكانوا يكتبون كلمة سنة بالهيروغليفية رنيت وهى عبارة عن رسم يمثل غصنا صغيراً به برعم ، وهذا الرمز الكتابي يوجد فى مجموعة مشتقات مثل : رني ومعناها نضر - قوى ، ورنوت ومعناها المحصولات السنوية

ولكن المحاصيل فى مصر تعتمد على الفيضان . وفى أوائل يونيه من كل عام تعاني البلاد من الجفاف وتنخفض المياه فى مجرى النيل وتهدد الصحراء بابتلاع أرض الوادى ، ويستولى على الناس شعور بالقلق الشديد ويقابل المصريون هبات الطبيعة السخية بعاطفة من الاعتراف بالجميل بمنزجة بالخوف - الخوف مثلاً من تشويه الإله حين يقطع حجر من الحجر ، أو من خنقه حين تبذر حبة فى الأرض التى شقها المحراث ، والخوف من سحقه عندما توطأ الغلال لدرسها أو قطع رأسه عندما تقطع السنابل . وعلى قدر ما كانت تعى ذاكرة الناس ، فإن الفيضان لم يتخلف إطلاقاً . وكان يأتى أحياناً عالياً جداً وأحياناً أخرى منخفضاً ، إلا أنه كان دائماً سخياً يروى الأرض العطشى ، وبالرغم من أن التجربة لم تفشل إطلاقاً ، فإن سكان شاطئ النهر

لم يكونوا يطمئنونوا اطمئنانا كاملا ، حينما يضرع إليك الناس كل عام لتمنحهم الماء اللازم لهم طوال العام ، يروى القوى والضعيف على السواء . ويخرج كل رجل ومعه معداته ، دون أن يتقاعس أحد انكالا على جاره ، لقد تجرد الكل من ملابسهم ، أما أبناء الطبقة الراقية فلا يتزينون ولا يصخبون في الليل بالأغاني . (١) لقد فرضت التقوى على المصريين أن يضعوا النيل في صف الآلهة منذ أقدم العصور ، أطلقوا عليه اسم حانى Hāpi وصوروه في هيئة رجل شديد الامتلاء ، له ثديان متدليان وبطن مكشز ، يشده حزام ، وفي قدميه نعل . وهذه إحدى علامات الثراء ، ويتوج رأسه إكليل من النباتات المائية ، وبداه تشران علامات الحياة أو يحمل بين يديه مائدة مثقلة بالقرابين تكاد تحتفي تماما تحت أكوام من السمك والبط وباقات الزهور وسنابل القمح . وكانت بلاد كثيرة تحمل اسم حانى ، ويطلق عليه أبو الآلهة ، لذا كان من الواجب ألا يكون الشعب أقل إكراما له عن الآلهة الأخرى . ولم يقصر رمسيس الثالث في ذلك ، فطوال مدة حكمه في مدينة أون وفي مدينة منف مدى ثلاث سنوات ، أنشأ رمسيس أسفار حانى أو جدها حيث سطر فيها أنواع مختلفة كثيرة من الأطعمة والمحصولات ، وكانت تصنع للمعبود حانى آلاف من التماثيل الصغيرة من الذهب والفضة والنحاس أو الرصاص والفيروز واللازورد والقيشاني ومن مواد أخرى ، وكذلك كانت تصنع خواتم وتماثيل وأقراط وتماثيل صغيرة لزوجة حانى واسمها ربيت (٢) وفي اللحظة التي يجب أن يرتفع فيها منسوب مياه الفيضان كانت تقدم القرابين للمعبود حانى في كثير من المعابد وتلقى أسفار النيل في بركة معبد « رع حر أختي » في مدينة أون ، الذي كان يسمى قبحو Qebhou . وكان ارتفاعه يماثل ارتفاع نهر النيل عند الشلال وربما كانوا يلقون فيها أيضا تماثيل صغيرة (٣) وكانوا يكررون احتفالهم مرة أخرى بعد شهرين .

ولم يفت المصريين أن يربطوا بين هاتين الظاهرتين فإنهم كانوا يعززون الفيضان إلى دموع إيزيس وكانوا يعتبرون ظهور النجم بمثابة احتفال بهذه المعبودة . ولذلك اعتبروا إيزيس شفيعة السنة ، واليوم الذى تظهر فيه النجمة سوبديت اعتبر أول أيام السنة . وقد سجلت هذه المعادلة فى كتاب « بيت الحياة » ، الذى كان عبارة عن سجل للتقاليد والمعلومات التى ظلت سائدة منذ عهد الدولة القديمة حتى العصر المتأخر. (١) وتقويم رمسيس الثالث الذى حفر على سور خارجى لمعبده فى مدينة حابو ، نص فيه على أن عيد الآلهة سوبديت الذى يحتفل به عند بزوغ هذه النجمة يتفق مع أول يوم من أيام السنة. (٢) وفى أغنية عاطفية يقارن المحب حبيبته بالنجمة التى تظهر فى بدء السنة الكاملة رنبت نفرت (٣) لأنه كان ثمة سنة عرجاء مبهمه تسمى رنبت جاب حيث لا يظهر المعبودشو اطلاقا ويحل الشتاء محل الصيف ولا تنتظم الشهور فى أوقاتها . والأهالى لا يحبون هذه السنة ، فيقول الكاتب « نجنى من هذه السنة العرجاء » (٤) فالمزارعون والصيادون وصيادو الأسماك والمكتشفون والأطباء والسكينة كل أولئك كانوا مضطرين إلى إحياء معظم احتفالات الأعياد فى أوقات معينة ، ويشاركونهم فى هذا كل من كانت أعماله تتوقف على الظواهر الطبيعية فيستعملون السنة الكاملة حيث بقيت الشهور والفصول دون تغيير ، وحيث كان آخيت يستمر أربعة شهور ، يسكون قد امتلأ النيل خلالها بمياه الفيضان ، وبريت يوافق وقت البذر الذى يتفق وموسم الاعتدال ، وشمو يوافق موسم الحصاد والأيام الحارة . ولهذا كانوا يقولون عن فرعون إنه ملطف للحرارة فى فصل شمو ، وركن أدفأته الشمس فى فصل بريت. (٥) وكان عمال المناجم الذين يستخرجون الفيروز من سيناء يعلمون أنه

عندما يصل الفيضان إلى أقصى ارتفاعه ، ونهر النيل الذى يخترق أرض الوادى وينساب فى يسر بين الصحراوين محولا المدن إلى جزر ، والقرى إلى جزر صغيرة ، والجسور إلى سدود ، يبدأ منسوب مياهه فى الانخفاض. وبعد أربعة شهور من ابتداء ظهور الفيضان تعود مياه النيل إلى مجراها العادى . وهذه الفترة التى تستمر أربعة شهور ، كان المصريون يعدونها أرل فصول السنة وسموها آخت أى الفيضان .

وبمجرد أن تنحسر المياه عن الأرض كان الفلاحون ينتشرون فى الحقول دون أن يتركوا للأرض الوقت لتجف ، فيحرقوها ويبنذروا الحب فيها ، وبعد ذلك لم يكن لديهم لمدة أربعة شهور أو خمسة إلا أن يرووها ، ويأتى بعدئذ موسم الحصاد . وبعد الحصاد يدرسون الحبوب ويخزنونها ، إلى غير ذلك من مختلف الأعمال التى كانوا يقومون بها . وعلى هذا فهناك فصل للفيضان آخت ، يعقبه فصل لانحسار المياه عن الأرض ييريت ثم فصل المحصولات شيمو وعلى هذا فمجموع فصول السنة عند المصريين ثلاثة فصول بدلا من أربعة كما كان الحال عند العبرانيين والإغريق .

ومهما كانت ظاهرة الفيضان منتظمة فإنه كان من العسير تحديد ابتداء السنة اعتمادا على مجرد ملاحظة ارتفاع مياه الفيضان ، ولـكن فى الوقت الذى تبدأ فيه مياه النيل فى الارتفاع يحدث فى هذه الآونة حدث يمكن أن يكون مرشدا لمنشئ التقويم ، فإن النجم سيربوس واسمه بالمصرى القديم سوبديت Sōpdi (الأبرق من الشعرى الألمانية) ، والذى لم يكن يظهر منذ مدة طويلة ، يبرز للحظة بسيطة فى الشرق تماما قبيل شروق الشمس مباشرة .

لا يجب الانتظار إلى شهور فصل شمو لأن الجبال تكون خلال هذا الفصل الردىء ملتهبة مثل الحديد المنصهر ، مما يؤثر في لون الأحجار الكريمة. (٩)
وكان الاطباء والبيطريون يعلمون أن بعض الأمراض والتوقعات يتفشى موسمياً ، فالبعض منها يظهر خلال فصل پريت ، والبعض الآخر في فصل شمو .

وقد بلغت بهم الدقة في العلاج بأن وصفوا أن تعطى بعض العقاقير في الشهر الثالث أو الرابع من فصل پريت ، بينما تعطى عقاقير أخرى في الشهرين الأولين من هذا الفصل نفسه . وعلى النقيض من ذلك كانت بعض التركيبات الأخرى مفيدة خلال فصل آخت أو پريت أو شمو ، وبمعنى آخر في أى وقت طوال العام. (١٠) ورغبة في التيسير وسهولة الاستعمال قسمت فصول السنة الثلاثة إلى اثني عشر شهراً كل شهر ، يتكون من ثلاثين يوماً . وقد كان هذا لا يزال مستعملاً في عصر رمسيس كما كان مستعملاً من قبل في أقدم العهود السابقة ، حسب ترتيبها في الفصل ، فيقال : الشهر الأول أو الثانى أو الثالث أو الرابع من آخت أو من پريت أو من شمو . والأسماء التى أخذت من الأعياد الشهرية لم تستعمل إلا في العصر الصاوى وكانت تضاف خمسة أيام في آخر الشهر الرابع من فصل شمو لتكملة العدد ٣٦٥ . فكيف استطاعوا إذن التوصل إلى أن يبقى التقويم ثابتاً وبحولوا دون تأخير بدء السنة يوماً كل ٤ سنوات ؟ لا توجد مستندات فرعونية تذكر ذلك . ولكن سترابون ذكر بطريقة غير مألوفة ، أنهم كانوا يضيفون يوماً في بعض المناسبات عندما تكمل كسور الأيام الزائدة كل سنة يوماً كاملاً. (١١) وكان من الأفضل أن يضيفوا يوماً كل ٤ سنوات ، وقد تم

هذا عندما أتيح لمصر الحظ السعيد في أن يتولى عرشها ملوك مثل الملك سبتى أو ابنه . ونستطيع أن ندرك أن هذا اليوم الإضافى قد أهمل أمره تماماً خلال أيام الاضطرابات ، وبذلك اختل التقويم إلى أن لفت علماء «بيت الحياة» نظر أحد الفراعنة المتنورين إلى ذلك ، فنظم التقويم وجعله متمشياً مع الطبيعة وأعاد بدء السنة إلى يوم عيد سوڤديت .

٢ - الأعياد والأجارات

لم يكن أول يوم في السنة عيد المعبودة سوڤديت فحسب ، وإسكنه كان عيداً يحتفل به في كافة أرجاء البلاد . وفي معبد أوب واوات ، كان أهل المنزل يقدمون هداياهم لسيدهم ، (١٢) ويعنى هذا كما أعتقد ، أن كهنة المعبد كانوا يقدمون للمعبود القرايين التى كان القرويون قد أحضروها في الأيام السابقة . وقد سجل الأمير قن آمون Qenamoun على مقبرته صور الهدايا الثمينة التى قدمها بمعرفته للملك بمناسبة يوم رأس السنة . (١٣) فهل يسكنى هذا للاعتقاد بأن كل المصريين كانوا يتبادلون في ابتداء السنة التمنيات والهدايا؟

لقد كانت الأعياد ، طوال السنة عديدة جداً ولا حصر لها . وخاصة في فصل آخيت حين كانت تتوقف الأعمال الزراعية . وكان عيد أوبت الكبير يستمر زهاء شهر خلال هذا الفصل . أنا لا أجزم أن الأهالى كلهم كانوا يحصلون على أجازة لمدة شهر وإسكن من المؤكد أن حشوداً عديدة كانت تحتفل بالمركب المقدسة لآمون ويتبعون ركابها من شاطئ النهر عندما تتجه إلى أوبت الجنوبية ، وكان المصريون يتركون بسرور بالغ أعمالهم ليشتركوا في أعياد بوسطة ، فيركبون القوارب معهم . نساؤهم يحملن الصاجات ، والرجال لا يسكفون طوال الطريق

عن الغناء والرقص وتبادل الدعابات مع من يصادفونهم في الطريق . ويقال
لأنهم خلال العيد كانوا يشربون كميات وفيرة من النبيذ تفوق ما كانوا
يقتنولونه طول العام . وعيد تينخي وهي كلمة تعني « السكر » كان يحتفل
به في اليوم الأول من الشهر الثاني -- وكان من الأعياد المحبوبة التي لا
يتخلى عنها . وكان اليوم الأول من الشهر الأول من فصل البذر يحتفل به
كعطلة عامة في مصر كلها . وكان من الواجب أن يحتفل كل إقليم في كل مدينة
مرة في السنة على الأقل بالمعبود المحلي الذي كان سيدهم وحاميهم . ولما
كانت آلهة المصريين مغرمة بالرحلات وبسكرم الضيافة فكان كل معبد ،
مهما كانت درجة أهميته يستضيف العدد الوفير من هذه الآلهة .

وكان لاحتياج معبود منف أملاك داخل حدود السكرنك وكان لو اجبت
سيدة إيميت Imit أملاك في تانيس . فالأهالي الذين لم يكن في مقدورهم التخلي
عن واجب الاحتفال بمعبودهم المحلي كانوا لا يستطيعون أن يهملوا الاحتفال
بالآلهة الصديقة ، فكانوا يتعطرون ويتزينون بالملابس الجديدة ثم يتوجهون
للمعبد لتقديم القرابين ، وكان يسمح لهم بتناول الشراب والأطعمة والصباح
أكثر من المعتاد . وكانت بعض الأعياد متصلة في النفوس ومحترمة إلى حد
كبير ، حتى أنه إذا لم يكن للمعبود المحتفى به هيكل في المعبد المجاور كان يحتفى
به في البيوت ذاتها ، وفي هذه الأثناء لا يمارس إنسان أى عمل جديد ، وفي بعض
الاحيان لا يمارس أى عمل إطلاقا . وقد كان من حق الفلاح والعامل أن
يقولوا ، كما قال الاسكافي في قصص لافونتين * إن الخورى ، يشيد دائما في
عظته الأسبوعية بسيرة أحد القديسين الجدد ، ويظهر ، من ناحية أخرى

أن أول كل عشرة أيام كان بمثابة أيام الآحاد . وقد نقش على لوحة السنة الثامنة التي أقيمت في معبد حاتحور بمدينة أون ، خطاب رمسيس الثانى للعمال الذين قاموا بتجميل معابده وقصوره : « لقد ملأت لكم الصوامع بكافة الأشياء ، فطائر ولحوم وحلوى ونعال وملابس وروائح عطرية تعطرون بها رؤوسكم كل عشرة أيام وملابسكم لطول العام ، ونعال لأقدامكم كل يوم. (١) ولم يكن من المعقول أن يطلب من هؤلاء الذين يفرطون في زينتهم وتمتلىء بطونهم بالطعام الشهى الدسم أكثر من المعتاد ، أن يؤدوا أعمالهم .

٣ - أيام السمر والخمس

بعد أن يتمم المصرى واجباته نحو الآلهة ويراعى العطلة الدينية ، كان لا يستطيع أن يستمتع بالملذات أو يؤدى أعمالا نافعة دون أن يحتاط لأمره ، وكانت الأيام مقسمة إلى ثلاثة أقسام مختلفة :

أيام سعيدة ، وأيام منذرة ، وأيام معاكسة عدائية ، وذلك وفقا للأحداث التي طبعت بها وقت أن كانت الآلهة على الأرض ، ففي نهاية الشهر الثالث من موسم الفيضان توقف المعبودان هورس وست عن النضال الخفيف الذى كان ناشبا بينهما . ومنذ تلك اللحظة ساد السلام جميع أرجاء العالم ، وأعطى هورس ملكية القطر المصرى بأكمله ، بينما استولى ست على الصحراء على مدى اتساعها وأصبح الإلهان فى صفاء دائم وروثام مستقر أمام الآلهة الذين سادهم السرور ، لأن النزاع كان قد امتد إلى جميع سكان السماء . وتوج هورس رأسه بالتاج الأبيض بينما لبس ست التاج الأحمر . كانت هذه الأيام الثلاثة سعيدة ، وكان أول يوم فى الشهر الثانى من فصل پريت من الأيام السعيدة أيضاً لأن رفع السماء بقوة ساعديه فى ذلك اليوم .

وكذلك اليوم الثاني عشر من الشهر الثالث من هذا الفصل ذاته (بريت) لأن نحوت أخذ مكان عظمة نوم ، في حوض حقيقى المعبد .

ولكن سرعان ما عاد ست إلى القيام بأعماله الشريرة . ففي اليوم الثالث من الشهر الثاني من فصل پريت ، اعترض ست وأعوانه طريق ملاحه المعبود شو . فكان هذا يوما منذرا ، مثل اليوم الثالث عشر من نفس الشهر ، الذى أصبح من الأيام المخيفة إذ كانت عين المعبودة سخمت تقذف فيه بالذوبنة . أما يوم ٢٦ من الشهر الأول من فصل آخيت فلم يكن فقط يوما مثيرا للقلق ، ولكنه كان يوم نحس بكل ما فى هذه الكلمة من معنى ، إذ أنه كان يوم الذكرى السنوية لوقوع المعركة الكبرى بين هورس وست . فقد اتخذ المعبودان هيئة البشر وأخذتا يتصارعان على الضلوع ثم تغيرا على هيئة عجل البحر وأمضيا ثلاثة أيام وثلاث ليال على هذه الحال . إلى أن قامت إيزيس أم هورس وأخت ست وأجبرتهما على أن يتخليا عن هذه الهيئة المزرية حين طعنهما برمحها . ويوم ميلاد ست وهو اليوم الثالث من أيام النسيء كان يوما مشئوما . فالملوك كانوا يمضون طيلة هذا اليوم حتى الليل دون أن يتفرغوا لأى عمل بل دون أن يعنوا حتى بإصلاح أنفسهم .

وكان سلوك الأفراد ينظم أيضا وفقا لطبيعة الأيام ، ففي خلال أيام النحس كان من المستحسن عدم مغادرة البيت سواء كان عند غروب الشمس أو فى الليل أو حتى فى أية ساعة من ساعات النهار . وكان من المحرم الاستحمام أو ركوب قارب أو القيام برحلة أو أكل سمك أو أى شيء آخر يخرج من المياه أو دبح عزة أو عجل أو بطة . كما كان الاقتراب من النساء محرما فى يوم ١٩ من الشهر الأول من فصل پريت . وفى أيام أخرى

كثيرة، ومن فعل ذلك وقع فريسة للهلاك بالوباء وكانوا لا يجرؤون ،
على إشعال النار في بيوتهم ، وحرّم عليهم الاستماع إلى الأغاني المرحّة
أو النطق باسم ست ، معبود الشجار والقسوة والشقاء ومن كان ينطق بهذا
الاسم ، في غير الليل دبّت في بيته مشاجرات ومنازعات دائمة .

كيف عرف المصري ما كان يمكن عمله أو ما كان يمكن القيام به بمقدار
ثم ما حرّم عليه الإتيان به أصلاً ؟ لاشك أنهم اعتمدوا في ذلك على التقاليد
الموروثة ، ولكن كانت لديهم تقاويم بأيام السعد وأيام النحس ، تعين
ذاكرتهم وتبين لهم الحالات المشكوك فيها ، ولدينا أجزاء كبيرة من أحّد
هذه التقاويم وبعض أجزاء من تقويمين آخرين. (١٥) ويخيل إلى ، لو أن الحظ
وانا أنا فحصلنا على تقويم كامل لوجدنا المرجع الذي استند إليه المصريون
في اعتبار الشيء مسموحاً به أو محرماً . ولم تكن مصر وقتذاك ينقصها
وحي الغيب . ونتائج تقويم أيام السعد وأيام النحس كانت ترد دون شك
من المعابد التي كان فيها الوحي الغيبي . وكثيراً ما كانت هذه التقاويم متناقضة
دون شك . فكان المصري الذي يشعر بحاجة ملحة إلى الخروج من بيته أو
السفر أو العمل في يوم من أيام النحس ، يستشير وحياً آخر يعتبر هذه
الأيام سعيدة ، وهي التي كان يعتبرها الوحي الأول من أيام الشؤم . وفي
مراكز عبادة أوزيريس وهورس وآمون كانت تصرفات ست تذكر بكل
حرارة ولسكن في باريميس Papremis (١٦) وفي شرق الدلتا بأجمعه وفي وسط
الدلتا وفي الأقليم الحادى عشر في الوجه القبلى وفي نوبيت Nonbit وفي
الهنساق Oxyrrhinque وبالأجمال في كافة الأماكن التي كان يمجّد فيها ست ،
كانت نفس هذه التصرفات تلقى تأييداً كبيراً وتعتبر من الأعمال العظمى ، ويوم
الاحتفال السنوى بها كان يعد من الأيام السعيدة ، ولنفرض مع ذلك أنه لم

تكن لدى المصرى السبل الميسرة ليستشير وحيا آخر أو كان لا يؤمن إلا بوحى نبوءته ، لقد كان يرشد إلى ذلك وربما كتبت فى نهاية التقويم السبل التى كانت تخرجه من مأزقه وتؤمنه على القيام بعمله كأن يتصل بزوجه دون خطر أو يستحم دون أن يبتلعه تمساح أو أن يلقي ثورا دون أن يموت فى الحال . وكان عليه أن يتلو تعاويذ ملائمة للمناسبة التى هو فيها أو أن يلبس تيممة ، والأفضل من كل ذلك أن يتوجه إلى المعبد ليقدم قربانا صغيرا .

٤ - التوقيت

إن المصريين الذين قسموا السنة إلى اثنى عشر شهرا ، قد قسموا النهار أيضا إلى اثنتى عشرة ساعة وجعلوا الليل اثنتى عشرة ساعة كذلك ويظهر أنهم لم يقسموا الساعة بدورها إلى وحدات صغيرة .

فالكلمة «آت» التى نعبر عنها بلحظة ، لاتوازى أى مدة من الزمن محددة . وكان للساعات أسماء ، فالساعة الأولى من النهار كانت تسمى «البارقة» ، والسادسة تسمى القائمة والثانية عشرة «رع يتحد بالحياة» ، والساعة الأولى فى الليل كانت تسمى «هزيمة أعداء رع» ، والساعة الثانية عشرة ليلا كانت تسمى «تلك التى تشاهد جمال رع» . (١٧)

وقد يحملنا هذا على اللظن بأن تسمية الساعات بهذه الأسماء يجعلها تتغير من يوم إلى آخر، ولكن ليس هذا بصحيح . ففى زمن الاعتدالين يتساوى الليل والنهار وفى بقية الأزمنة الأخرى كان المصريون يعرفون أن الشمس قد تتأخر أو تتقدم ولم يكن هذا ليقلقهم كما هو الحال بالنسبة لنا

الآن ، فإنه لا يضايقنا أن تكون الساعة السادسة صباحا أو الثامنة مساء ،
تمثل أوقاتا تختلف في الشتاء عنها في الصيف .

ولم يكن يستعمل الأسماء التي سبق أن ذكرناها ، غير السكينة والعلماء
ونجد بيانا بها على المقابر لأن حركة الشمس في الأقاليم الإثنى عشر من العالم
السفلى كانت تدخل النقوش الجنائزية وكان الأميون يكتفون بتحديد
الساعات بواسطة الأرقام ، وتؤدي بنا هذه الملاحظة إلى التساؤل عما إذا
كان المصريون قد شغفوا بمعرفة الساعة ، وعما إذا كانت لديهم الوسائل التي
تمكنهم من ذلك . لقد كانت هناك طبقة من السكينة تسمى أونوت Ounout
اشتقت من كلمة أونوت Ounout التي تعنى ساعة ، كما لو كانوا يشتغلون
بالتناوب من ساعة إلى أخرى ليمارسوا مراسيم دينية دائمة .

كان أحد كبار الموظفين في عهد پيبي الأول Pepi* يزعم أنه كان يعد
كل ساعات العمل التي تفرضها الدولة ، كما كان يحصى الحبوب والمواشي
والمواد التي تحصل كضرائب. (١٨) وفي الخطاب الذي أرسله الملك نفر كارع
إلى حر خوف** ، أوصى المكتشف الذي أحضر إلى البلاط قرما
راقصاً ، أن يشرف على هذا الشيء الثمين ، رجال يقظون يعدون كل
ساعة***. (١٩) وقد يكون من المبالغة أن نعتقد بناء على هذا النص
أن أجهزة قياس الزمن كانت واسعة الانتشار ، فلم يكن الملك نفر
كارع إلا صبياً حينما كتب لحر خوف . فمن الجائز أنه كان
قد تصور في سذاجة أن الأجهزة التي رآها في القصر كانت في متناول
الناس جميعاً . وعلى كل حال ، فالأجهزة التي تقيس الزمن كانت موجودة

المهتدين

* أحد ملوك الأسرة السادسة .

** خوف حر

*** في النص حرفياً : عشر مرات كل ليلة .

فى ذلك الوقت ويمكن أن نشاهد فى متاحفنا أمثلة منها ، وهى تنتمى إلى العهد فيما بين الأسرة الثامنة عشرة حتى العصر المتأخر .

وفى الليل كان من المستطاع تعيين الساعة بملاحظة النجوم وبالاستعانة بمسطرة مشقوقة وزاويتين بهما خيط ينتهى بشقل من الرصاص ، وينبغى أن يقوم اثنان بهذه العملية ، فأحدهما راصد والثانى شاهد - ويجب أن يقفا تماما فى اتجاه النجم القطبى ، ويستعين الراصد بلوحة قد أعدت من قبل لهذا الغرض صالحة للاستعمال لمدة خمسة عشر يوماً فقط ، وبواسطتها يمكن قراءة أن نجمة معروفة بالذات يجب أن تكون موجودة فى الساعة الأولى فوق وسط الشاهد، وفى ساعة أخرى يجب أن يكون نجم آخر فوق العين اليسرى أو العين اليمنى للشاهد. (٢٠) وإذا تعذرت رؤية النجوم كانوا يستعملون آنية قعجية الشكل طولها ذراع تقريباً ومنقوبة من أسفل. (٢١) وكانت سعة الإناء وقطر الثقب قد أعدت حسابياً بحيث تنسكب المياه من الثقب فى مدة اثنتى عشرة ساعة تماماً وغالباً ما تزين الواجهة الخارجية للإناء بأشكال فلكية. أو بسطور كتابات ونقوش تتعلق بأشكال رسمت أفقياً : فى أعلى الواجهة توجد معبودات الاثنى عشر شهراً وأسفلها رموز العشيرات الست والثلاثين ، وأسفل هذه عبارة إهداء الأثر ، وأخيراً رسم فى كوة صغيرة قرد وهو الحيوان المقدس لتحت معبود العلماء والكتاب . وكان بين ساقى القرد ذلك الثقب الذى تنسكب منه المياه - وفى الداخل كان هناك إثنا عشر شريطاً رأسياً يفصل بين الواحد والآخر أفاريز ذات عدد مساو رسمت عليها رموز الحياة والزمن والاستقرار . وفيها ثقب غير عميقة وعلى أبعاد متساوية تقريباً وكان كل شريط يخصص عادة لشهر معين بالذات، ولكن نظراً لأن الثقوب كلها متماثلة فكانت تستخدم عملياً لكل الأوقات . وكان من المستطاع استعمال الساعة

يستقبل مندوبى الدول الأجنبية ، وكثيرا ما كان يذكر أن فرعون قد عقد المجلس الملكى ولكنهم كانوا يفضلون وقت الانعقاد ولا يذكرونه ولو على وجه التقريب . ويزعم ديودور أن الملك كان يستيقظ فى ساعة مبكرة من الصباح وأن وقته كان موزعا بطريقة دقيقة بين العمل والعبادة والراحة . (٢٦) وليس من المحقق أن ما ذكره ديودور غير صحيح ، غير أنه قلما يبدو أن مثل هذا النشاط يدب فى رعاياه السعداء . فكانوا يعتمدون قبل كل شىء على شعورهم بالجوع أو على مدى ارتفاع الشمس لتقدير الوقت أثناء النهار ، وفى الليل بينما كان الصالحون من الناس ينامون ، كان الآخرون لا يبالون إطلاقا بمعرفة الوقت . والساعات المائية والمزاوول لم تكن أجهزة يستخدمها المدنيون ولا رجال الجيش ولكنها كانت جزءا من أثاث المعابد يرجع إليها رجال الدين الاتقياء لأداء الشعائر الدينية فى أوقاتها بدقة .

٥ - الليل

كان الأزواج ، لاسيما فى الطبقات الموسرة ، ينامون فى غرف مستقلة . ويحكى أن أحد الملوك كان حزينا جدا لأنه لم ينجب ولدا ذكرا ، فتوسل إلى معبودات عصره أن تمنحه إبنا فقررت الاستجابة لمطلبه ، فأمضى الليل مع زوجته فحملت على التو . (٢٧) وليس ثمة شك فى أنه إذا اعتاد الملك أن يقضى ليلاليه بجانب زوجته لكان مؤلف كتاب « الأمير الموعود » قد عبر عن ذلك بطريقة أخرى . (٢٨) وكثيرا ما تمثل الرسوم المنقوشة على قطع الخزف مناظر غرف الحريم دون أن يظهر فيها الزوج ، والأشخاص الذين يظهرون فيها هم النساء وصغار الأطفال دون غيرهم ، فترى المرأة عدة تارة على السرير ترتدى ثوبا شفافا وقد تكون جالسة منهمكة فى

المائة خلال النهار والليل على السواء . ولكن في إقليم مثل مصر حيث لا تغيب الشمس أبدا كان من المستحسن استعمال المزولة . وكان منها نوعان: النوع الأول كان يقاس به طول الظل ، والنوع الثاني كان يعين به زاوية اتجاه الظل . (٢٢) وقدا كان الجمهور يهتم باستعمال تلك الأجهزة . وكان أمرا غير مألوف أن يحدد توقيت وقوع حادث ما صغيرا كان أو كبيرا . وثمة امرأة شابة ، دونت قصتها على لوحة تذكارية ضمن مقننيات المتحف البريطاني تخبرنا أن ابنها قد ولد في الساعة الرابعة من الليل ولكنها كانت زوجة أحد رجال الدين . (٢٣) وكانت الساعة تقترب من الساعة نهارا عندما بلغ تحتمس الثالث مشارف بحيرة قينا (Qina) في سوريا ونصب الخيام . ولكن لم يذكر لنا المؤرخ أن هذه الدقة في تحديد الوقت كانت نتيجة استعمال المزولة . (٢٤) وكان مجرد ملاحظة الشمس كافيا للدلالة على أن الوقت قد تجاوز قليلا منتصف النهار . وعندما يصل المؤرخ إلى سرد أحداث الواقعة كان يقول ببساطة إن في السنة الثالثة والعشرين في الشهر الأول من الصيف ، في اليوم الحادي والعشرين وهو يوم عيد رع ، إستيقظ صاحب الجلالة مبكرا . وفي سرد قصة هروب سنوحى اكتفى القصاص بأن استعمل عبارات غير دقيقة مثل ، أضيئت الأرض ، ، في ساعة تناول العشاء ، ، في ساعة الغسق ، ، وكانت هذه الطريقة في التعبير مناسبة للمقام لأن الهارب المسكين لم يكن في حاجة مطلقا إلى استعمال أجهزة لمعرفة الوقت تضايقه مهما كانت خفيفة الحل . (٢٥) وكانت نفس هذه العبارات أو عبارات أخرى تماثلها تماما ، يعثر عليها في سجل وصف معركة قادش . وفي ورقة البردى المعروفة باسم أبوت Abbott التي نقص علينا تحقيقا قضائيا كما وردت في محاضر التحقيق . بل إن هذه العبارات المقتضبة في ذكر التوقيت ، لم تستعمل إطلاقا في اللوحات التي تمثل وزيرا وهو يستقبل محصلي الضرائب أو التي تمثل رؤساء المصالح أو مجالس الملك وهو

تجميل نفسها بمعاونة خادمتها ، أو قد ترضع طفلها أحياناً . والسرير هو القطعة الأساسية للأثاث وأحياناً تكون قوائم السرير على هيئة المعبود بس Bess ذى الوجه العابس فهو آت من الجنوب . ومن مزاياه أنه يحمى أهل البيت من الحوادث المنزلية ، كالسقوط مثلاً . وترى أدوات التجميل وقد صفت تحت السرير بجانب مقعد صغير بدون مسند والسقف مسند بعرق خشب محمول على أعمدة صغيرة على هيئة البردى ، وتحوط هذه الأعمدة أكاليل من أوراق الأشجار الطيغية أو الصناعية ممتدة حتى السقف .
وأثاث غرفة الزوج ، تحتوى مثل غرفة الزوجة ، على سرير ومقعد بدون مسند وموطىء للقدم وصناديق مليئة بالملابس ، كما توجد بالغرفة أدوات الزينة .

وكان المصريون يقلقون كثيراً بسبب أحلامهم ، وكان فرعون نفسه أشد قلقاً ، ذهب الأمير تحتشم ذات يوم للصيد فنام من شدة الإعياء فى ظل أبو الهول ورأى فى الحلم هذا المعبود يأمره بأن يزج من حوله الرمال التى كانت تخنقه ووعدته جزاء هذا العمل أن يمنحه ملكاً سعيداً . (٢٩)
ولم يتردد الأمير فى إنجاز هذا الأمر . وفى المناسبات العصبية كان فرعون يعتمد على تفسير الأحلام ، ففى السنة الخامسة من حكم الملك سرى إن بتاح ، اجتمعت شعوب النيرسان Tyrsènes والساردان Sardanes والليسين Lyciens والأكاين Achéens والليبيين لمهاجمة الدلتا مجتمعين ، فأراد الملك أن يرد هجومهم ، إلا أن المعبود بتاح ظهر له فى الحلم وأمره أن يبقى فى مكانه وأن يبعث فرق الجيش إلى الأراضى التى كان يحتلها العدو . (٣٠) وكان فرعون يستعين بمفسرى الأحلام عندما يستعصى عليه تفسير الحلم ، وقد حصل (سيدنا) يوسف على ثروته بفضل تفسير حلم البقرات السمان والبقرات العجاف وحلم السنابل . وكان ملك صغير من ملوك

الحبشة ، حين كانت الحبشة على قدم المساواة مع مصر ، قد رأى ذات ليلة ثعبانين أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره فاستيقظ واختفى الثعبانان . فكان هذا حلما أخبره المفسرون بأن حالم هذا الحلم موعود بمستقبل باهر . ولما كان هذا الملك مسيطراً على الوجه القبلى فإنه سوف يغزو مصر الشمالية . الوجه البحرى ، ويضع فوق رأسه النسر ، رمز الجنوب ، بجانب الثعبان الكوبرا رمز الشمال . (٢١)

أما أفراد الشعب الذين لم يكن لديهم مفسر قدير ، فلم يسعهم إلا الاطلاع على أحد المؤلفات من النوع الذى كتب على بردية شستريتي الثالثة Chester Bratty III التى ترجع إلى عصر الرعامسة . (٢٢) وهذا المؤلف مقسم إلى قسمين ، يحتوى القسم الأول على أحلام أتباع هورس ، إذ كان الناس يعتبرونهم الصفوة من المصريين . وفى عهد الرعامسة لم يكن من المستطاع إخفاء أن سلالة أتباع ست كانوا كثيرى العدد جدا وذوى نفوذ كبير لأن الأسرة المالكة كانت تنحدر مباشرة من المعبود ست ، كما أن مؤسسى الأسرة المالكة كانوا من كبار كهنتها . وكان لزاما على الناس أن يتقبلوا سوء الطالع قبولاً حسناً . وكان أتباع ست يتبادلون المجاملات مع كهنة وأتباع آمون وهورس . على أن هؤلاء كانوا فى أعماق نفوسهم يخضون دائماً أتباع ست . وكانوا يقولون إن المشاجرات والسباب وسفك الدماء كانت من خصال أتباع ست وأن هؤلاء لم يكونوا يفرقون جنسياً بين المرأة والرجل إذ كانوا يذكرون دون شك ما كان قد فعله ذات ليلة معبودهم الفاجر مع ابن أخيه هورس . (٢٣) ومهما كان مركز أحد الستين ، حتى وإن كان من معارف الملك حقيقة فإنه يظل يعد فرداً عادياً من عامة الشعب . وإذا توفى فلن يكون من سكان الغرب بل يبقى فى الصحراء فريسة للطيور الجارحة والحيوانات المفترسة . وعلى هذا فقد كان كتاب تفسير الأحلام يتناول تفسير أحلام

أتباع ست على حدة في القسم الثاني منه . ولو وصلنا هذا المؤلف كاملاً فربما وصلنا على أقسام أخرى كثيرة من تفسير الأحلام . وفي زمن هيرودوت كان لدى المصريين سبع طرق غيبية ولكل منها أساليبها الخاصة بالعرافة . (٢٤) ولكن لم يصل إلى أيدينا في الوقت الحاضر ، إلا بداية القسم الثاني . وعلى هذا لم يكن لدينا من سبل المعرفة ما كان يحلم به المصريون وكيف كانوا يفسرون أحلامهم إلا بالرجوع إلى ما ذكر عن أحلام أتباع هورس بالرغم مما يعتورها من نقص في كثير من أجزاء البردية .

وفي معظم الأحوال كان مفسر الأحلام يلجأ إلى طريقة القياس : فالحلم الطيب يبشر بالحصول على كسب ، والحلم الرديء ينبئ بنكبة ، فإذا رأى الحلم بأنه يعطى خبزاً أبيض فهذا حسن ، وسوف يسر بما سيحصل عليه . فإذا رأى نفسه يلبس وجه فهد ، فسوف يكون رئيساً أو سيداً . وإذا رأى نفسه أمام من يكبره ، فهذا فال حسن أيضاً . وأن الروح العظيم الحارس له سوف يرفع شأنه . وبالعكس ذلك فليس من الفأل الطيب أن يحلم المرء أنه يرتشف جعة ساخنة ، فإنه سيفقد شيئاً من أملاكه ، وإذا شك الإنسان نفسه بشوكة فهذا دليل على الكذب ، وإذا انتزعت منه أظافره فهذا معناه أنه سيحرم من ثمرة عمل يديه . وإذا سقطت أسنانه فمعناه أن أحد الذين يتعلق بهم سيلقى حتفه . وإذا أطل داخل برّ فسيخرج به في السجن وإذا تسلق سارى مركب فإن معبوده سوف يرفع شأنه . وإذا تسلم مواد غذائية من المعبد فالمعبد سيمنحه الحياة ، وإذا غطس في النيل فعنى ذلك أنه تطهر من خطايا .

ولم تكن كل الأحوال سهلة كهذه وإلا أصبح فن تفسير الأحلام في متناول الجميع ولم تكن هناك حاجة إلى مؤلف يحتوى على طريقة تفسير

الأحلام . وهاك بعض الحالات التي يكون فيها للحلم معان غير متوقعة ، فإذا رأى الحالم أنه يداعب زوجته في الشمس فهذا ردىء ، إذ أن معناه سوف يراه بائساً . وإذا كان يهشم أحجاراً فمعناه أن الآلهة قد غضت عنه البصر . أما إذا كان يطل من شرفة فمعنى ذلك أن الآلهة سوف تستجيب لابتهاالاته . وإذا كان الحالم يرى نفسه يقود مركباً فمعنى ذلك أن أموره تسير على مايرام .

وكان الأمير أمانحتب يمارس في شغف تفسير الأحلام ومع ذلك فإن الحلم بقيادة السفن كان ينبئ أيضاً عن خسران قضية . كذلك نرى من العسير أن يفسر كيف يكون الحلم بحب الوالد المتوفى حماية من الأذى لمن رأى آسيويين .

ويتخلص مفسر الأحلام أحياناً عندما يرى نفسه في مأزق بأن يلجأ إلى التلاعب بمعاني الألفاظ ، فأكل لحم الحمار ينبئ بالعظمة لأن كلمتي حمار وعظيم متشابهتان في النطق . وإذا كان تسلم قيثاراً يعد أمراً سيئاً ، فذلك لأن كلمة بوانيه التي تعني قيثاراً تذكر بكلمة بين التي معناها «سوء» ، أما الأحلام الفاحشة ، وهي كثيرة الحدوث ، فعادة لا يكون تفسيرها طيباً . والذي يحلم أنه ارتكب فاحشة مع حداة ، فسر ذلك بأنه سوف يسرق ، ربما لأن الحداة تخطف ، ولدينا بالفعل تعريضة لمنع هذا الطائر من الخطف والسرقة . ولا يجب أن يكون الإنسان مطمئناً تماماً إذا ما رأى في الحلم أشياء تتعلق بالشعائر الدينية ، فخرق البنخور للآلهة في الحياة العامة عمل مشكور ، أما الذي يعمل ذلك في الحلم فمعناه أن قوة الإله ستكون مواجهة ضده .

أما الذي يرى حلماً مفزعاً فلا يجوز أن يتطرق اليأس إلى قلبه ، فالبحرقات

العجاف وسنابل القمح المحترقة كانت مجرد تنبيه لاتخاذ الحيطة أكثر مما كانت نذيراً بوقوع كارثة مروعة لامفر منها .

وفي مثل هذه الحال ، يحسن أن يبتهل الإنسان إلى إيزيس لتعاونه ونحميه من النتائج الوخيمة التي لا يني ست بنوت عن العمل على إنجازها .

ولأجل إبطال نتائج الأحلام المزعجة ، يؤخذ بعض الخبز مع قليل من الحشائش الخضراء ويبلل بالجمعة ويضاف إليها البخور ثم يمسح الوجه بهذا الخليط ، وبهذا تمحي الأحلام السيئة .

الفصل الثالث

الأمرة

١ - الزواج

سواء كانت الدار كبيرة أو صغيرة وسواء كانت مؤنثة بأنثى الرياش أو كانت تحوى حصيرة بسيطة فقد كان لكل رب أمرة منزل خاص به . فإنشاء دار واتخاذ شريكة فى الحياة كان معناه واحد أى أنهما مترادفان . ولذلك كان الحكيم يتاح حتب ينصح أتباعه بأن يقوموا باتمام الأمرين معا فى الوقت المناسب . (١) وفى قصة الأخوين ، كان للأخ الكبير زوجة ومنزل ، أما الصغير فكان لا يملك شيئا ، وكان يعيش مع أخيه تابعا له ، يرعى ما شئته وينام فى الإسطبل . وكان أحموزا قبل أن يشتهر فى إحصار أواريس Haouârit قد أمضى شبابه محترفا أعمال الملاحاة الشاقة وكان ينام فى شبكة معلقة ، كجندى قديم ، وانتز فرصة هدوء مؤقت بعد المعركة ليعود إلى بلده نخبيت Nekhabit ليشيد منزلا ويتزوج ، على أنه قد كتب عليه ألا يستمتع طويلا بالسلام العائلى لأن الحرب قامت مرة ثانية ، ولم ينس جنود فرعون المحاربون أن أحموزا كان شجاعا وعرفوه . أنهم لا يستطيعون أن يخوضوا حربا لا يشترك فيها . (٢)

تقول لنا شخصية كبيرة من أتباع المللكة أنها زوجته من إحدى وصيفاتها ، وعندما ترمى زوجها بوصيفة أخرى ، ولم يضره هذا فى شيء . لأن المللكة لم تكن تبخل على وصيفاتها فتمنحهن الهبات والصدقات السخى . (٣) لذلك ينبغي أن نعرف أنه فى كثير من الحالات كان الآباء أو الرؤساء هم الذين يقررون

الزواج. (١) ومع كل فإن الأغاني الغرامية المدونة على أوراق البردى المحفوظة في متاحف لندن وتورين تبين أن الشبان كانوا يتمتعون بحرية كبيرة في اختيار شريكة الحياة . فالأغنية الغرامية التالية يصف فيها شاب فتاة جميلة فيقول : « شعرها أسود ، بل أشد سواداً من الليل ومن حبوب أشجار الخوخ البري ، وشفاهها حمراء ، بل أشد حمرة من العقيق ، ومن البلح الناضج ، ونهداها بارزان في تناسق جميل فوق صدرها » .

وهذا وصف رائع لمحـب ، وليلفت نظرها لجأ إلى حيلة . وهى قوله : « أود أن أرقد في المنزل وأصطحب المرض ، سوف يحضر جيراني لزيارتي وستكون أختي معهم ، وستسخر من الأطباء ، لأنها تعلم حقيقة مرضى » . (٥) ولم تنجح الحيلة ، لأن الشاب مرض حقيقة ، وهذا يماثل ما أورده الشاعر الشهير أندريه شنير André Chenier : « اليوم مضت سبعة أيام دون أن أشاهد خلاها أختي ، ودخلني السأم وانتابني الذبول ولم يعد جسمي يتعرف على نفسه ، إذا عادني كبار الأطباء فدواؤهم لا يشفيني ، ولا يستطيع الكهنة الوصول معي إلى شيء . ولم يعرف أحد تشخيص مرضي . إن ما فعلته هو ما يجعلني أبقى على قيد الحياة . إن اسمها هو الذى يشتد به عضدى . إن تردد رسلها على هو الذى يبعث في الحياة . إن أختي أنجعت لي من جميع الأدوية وأكثر فائدة من كل الكتب . إن زيارتها تشفيني . وإذا مارأيتها تدب العافية في جسمي . عندما تفتح عينيها يعود الشباب إلى جسمي . وحينما تتكلم أصبح قوياً . وعندما أقبلها ، يفر المرض من بدني . واسكنها غابت عني منذ سبعة أيام » . (٦)

والفتاة بدورها ليست عديمة الشعور حينما ترى شاباً جميلاً ، فهمي تقول :

« إن نبرات صوت أخى قد اضطرب لها قلبي ، (٧) غير أنها تفكر فى المستقبل وتعتمد على والدتها : « ومع أنه يسكن بجوار منزل والدتى إلا أنى لا أستطيع أن أتوجه إليه ، وتحسن والدتى صنعاً إذا ما اهتمت هى بأمرى هذا ، (٨) وتأمل أن يفهم الشاب الظريف حالتها ويقوم هو بالخطوات الأولى « آه لو أرسل رسولاً لوالدتى . يا أخى لقد جعلتنى المعبودة أور* من نصيبك كزوجة ، تعال إلى حتى أرى جمالك . إن والدى ووالدتى فى فرح ومرور ، ويهلل لك كل الرجال فى صوت واحد ويدعونك لى يا أخى . ، (٩)

وفى نفس الوقت فإن الأخ من جانبه ، المتلهف للحب ، يتضرع للمعبودة أور سيدة السرور والموسيقى والأغاني والحفلات والحب : « إنى أعبد نوبيت Noubit وأقدم لجلالته كل تمجيد ، أحيى سيدة السماء ، وأعظم حانخور وأحيى معبودتى وأبعث إليها بطلبتى فلتستجيب وتختار لى سيدة ، لقد أنت إلى بنفسها لترانى ، فما أعظم ما حدث لى ، إنى فرح ومغتبط ، لقد كبرت ا ، . (١٠)

وقد تقابل المحبان وتفاهما ، واماكن كلمات الارتباط لم ينطقا بها بعد ، فالفتاة موزعة بين الخوف والأمل وتقول : « كنت أهر بالقرب من داره فوجدت بابه مفتوحاً ، كان أخى واقفاً بجانب أمه وإخوته وأخواته وأسر حبه قلب كل من مر بالطريق . فهو شاب كامل ليس له مثل ا وأن أخى شخص ممتاز . نظر إلى عند مرورى . أنا وحدى ابتهجت ، كم كان قلبي يهتز طرباً لأن أخى رآنى ، إنى لأسأل الإله أن يجعل والدتك تعرف خيئة قلبي ، فتحضر لتسكن بجوارى .

ابن فرعون ولكنه غمره بعطفه وقبله زوجاً لابنته وغمره بالهدايا ، لأنه شعر نحوه بمجازية إلهية .

وفي الأغاني الغرامية ينادى الشاب محبوبته الغالية « يا أختي ، وتنادى الفتاة حبيبها « يا أخي ، ، على أنه لوحظ أن المحبين لا يعيشون تحت سقف واحد وأن أهل الشاب هم غير أهل الفتاة .

وبعد الزواج يستمر الرجل ينادى زوجته Sonit بمعنى أخت وليس هيميت Himit بمعنى زوجة. (١٥) وقد استقر هذا النظام في نهاية الأسرة الثامنة عشرة تقريباً ولا نعرف متى انتهى ولكنه استمر بالتأكيد طوال عهد الأمبراطورية الحديثة .

وأمام المحاكم كانوا لا يستعملون سوى الألفاظ الدقيقة، لذلك استعملت كلمات سن Son الأخ وهاي Hay الزوج وهيميت Himit الزوجة وقد قرر الإغريق أولاً وتبعهم كثيرون من المؤرخين الحديثين ، أن الزواج بين الأخوة كان القاعدة المطردة في مصر القديمة. (١٦) إذ يوجد فراغة تزوجوا أخواتهم أو بناتهم أيضاً ولكن يمكننا أن نقرر في هذا الشأن ، ما قرره القضاة الملكيون لقمبيز Cambyse عندما سألهم إذا كان القانون يسمح لمن يشاء بزواج أخته ، فأجابوه بأنه لا يوجد قانون يسمح بذلك ، ولكن يوجد قانون آخر يعطى الملك الحق في أن يفعل ما يشاء. (١٧) وحتى الآن لا يمكن أن نذكر أن فرداً مصرياً واحداً من طبقة النبلاء أو من الطبقة الوسطى أو من عامة الشعب قد تزوج أخته من أبيه وأمه . ولكن يبدو أن الزواج بين الخال وابنة الأخت كان مسموحاً به إذ وجد على مقبرة أمنمحات Amenemhat أن ابنة أخته باكت آمون Baket Amon تجلس بجوار (م م - الحياة في مصر)

ليت المعبودة نويت* تضع هذه الأمنية في قلب أمه، فأتجه بسرعة صوب أخى وأقبله على مرأى من زملائه (١١). (كان المصريون يقبلون بعضهم بحك الأنف وليس بالشفاه كما كان يفعل الإغريق وقد قلدهم في العصر المتأخر) وإلى أن يتم ذلك كله، كانت الأشجار وعصافير الحديقة تتلقى اعترافات الحببة التي كانت تتصور أنها قد أصبحت سيدة الدار تنزه معه متسكاة على ذراع حبيبها. (١٢) وإذا كانت الأمور لا تسير بسرعة كما يتمناها المحبان، بأن تقوم عقبات في طريقهما، فالمسئولية تقع على عاتقهما. كان الوالدان موافقين ولم يثيرا اعتراضاً على ما اختاره أولادهما، أما إذا عارضاهن مجرد شكليات. والدليل على ذلك أن فرعون فكر في أن يزوج ابنته أهورى Ahouri لأحد قواد المشاة وابنه تنوفر كابتاح لابنة قائد مشاة آخر ولكنه لم يتم هذا الزواج، وزوجهما لبعضهما عندما لاحظ أنهما يحبان بعضهما حباً عنيفاً. (١٣) وفي قصة الأمير الموعود يصل الأمير إلى مدينة نهارينا Naharina حيث يوجد شبان في مثل سنه مجتمعين لمحاولة اعتلاء سور. وكان ملك البلاد قد قرر أنه لا يوافق على زواج ابنته إلا للشخص الباسل الذي يستطيع الوصول أولاً إلى نافذة الجميلة التي تسكن القصر المقام على الجبل. فاشترك الأمير متكرراً في المباراة مع بقية الشبان متظاهراً أنه ابن ضابط مصرى. ترك منزل عائلته لأن والده تزوج بسيدة أخرى كانت تكرهه وجعلت حياته جحماً. استطاع الأمير الفوز في المباراة، غضب الملك وأقسم ألا يزوج ابنته لهارب من مصر ولكنه لم يكن هذا رأى الأميرة، لأن مجرد رؤية هذا المصرى قد هز أعطاف قلبها وذكرت أنها إن لم تتزوجه فسوف تموت لساعتها. أمام هذا التهديد فترت معارضة الوالد فأحسن استقبال هذا الشاب الغريب واهتم بقصته غير أنه كان يحمل أن الذى أمامه هو

* معبودة المحبين .

خالها ، كما لو كانت زوجته. (١٨)

والإشارة إلى الزواج نادرة في النصوص والوثائق المصورة، وحينما أراد فرعون كما ورد في قصة ستنا خامواس أن يزوج أولاده قال : « فليحضر أهوري إلى منزل تنوفر كابتاح هذه الليلة بالذات . ولتحمل مع الأميرة كل أنواع الهدايا . وقد نفدت أوامر فرعون ، وتقول العروس الشابة : « أتو ابى كمروس إلى منزل تنوفر كابتاح . وقد أمر فرعون أن تجلب لى هدية عرس وسوار من الذهب والفضة ، قدمها لى كل أفراد البيت المالك » (١٩) . وكان انتقال العروس من بيت أبيها إلى بيت خطيبها مع صداقها هى الخطوة الأساسية فى حفلة الزواج . ويخيل إلى أن هذا الموكب كان جميلا ورائعا ولا يقل بهجة وصخباً عن مواكب حملة القرايين عند تقديمها إلى المعابد أو مواكب الأجانب وهم يلتمسون أن يصبحوا فى حى الملك ، أو مواكب الجنائز التى كان المصريون يعتبرونها حفلات لتغيير مكان الإقامة . ومن المرجح أن الخطيب كان يتقدم موكب عروسه ، فمنع نعلم أن رمسيس الثانى ذهب إلى أحد قصوره الكائنة بين مصر وفينيقيا لينتظر قدوم ابنة الملك خاتوسيل Khatousil التى عبرت إبان الشتاء جزءا من آسيا الصغرى وسوريا كلها لتصبح الزوجة الأولى للملك .

وكان من عادة المصريين أن يدونوا الحوادث الهامة فى وثائق . ومن الجائز أن يتقدم العروسان إلى موظف حكوى ليقيد أسماءهما مع تفاصيل اتفاقية الزواج وعندما تذهب سيدة متزوجة إلى المحكمة ينادونها باسمها مقروناً باسم زوجها ، مثلاً موتامويا Moutemouia زوجة كاتب السكتب المقدسة نسيامون Nesiamon . وتؤكد قطعة من الخزف وجدت فى طيبة أن الزوج يساهم بثلثى الأعباء المالية وتساهم الزوجة بالثلث . وبعد وفاة أحدهما فإن الشخص الذى لا يزال على قيد الحياة ينتفع بالدخل كله

ولكن لا يستطيع أن يتصرف إلا في الجزء الذى يخصه . (٢٠) فمثلا تنازل حلاق لعبد عن دخل محله وزوجه ابنة أخته اليتيمة ، فأعطيت مهرأ من ثروة الحلاق الشخصية التى كان قبل زواجه ، قد سجل قسمتها بين زوجته وأخته. (٢١)

ومن العسير أن نعتقد أن الدين لم يتناول بالتنظيم موضوعا ذا أهمية عظمى مثل الزواج ، وعندما يتوى رجل متزوج الحج إلى أيدوس (العرابة المدفونة) كانت تصحبه دائماً زوجته . وغالباً ما يذهب الزوجان معاً إلى المعبد . لقد فعل هذا نفرحتب Neferhotep الحارس الأول لقطعان آمون ، فرافقته زوجته سيدة الدار المدوحة من حانحور ، سيدة القوصية Cusae ومغنية آمون عندما يعبدرع وقت بزوغه فوق الأفق الشرقى وحر آختى Harakhte عند أفوله فى الأفق الغربى . لذلك يبدو لى ، بالرغم من عدم وجود وثائق قاطعة ، أن الأزواج وربما كل أقاربهم كانوا يتوجهون إلى معبد الإله المحلى حيث يقدمون الذبائح والقرايين ويتقبلون البركة .

وبعد أن يتم المكتبة والكهنة طقوسهم الدينية ويذهب العروسان إلى منزلها ، ينصرف المدعوون . وهنا أنجاسر وأقترض ، نظراً لما كان يتصف به المصريون من ولع بإقامة المآدب العائلية بأنه قبل أن يترك العروسان وحدهما ، كانوا يحتفلون كيوم عيد وكانوا يتناولون الشراب والطعام بقدر ما تسمح به ظروفهم المادية أو غرورهم وحب الظهور .

٢ - الزوجة

يعطينا الرسامون والنحاتون فكرة لطيفة عن الأسرة المصرية . فالوالد والوالدة يتماصكان فى حب بالأيدي أو بالخصر ، ويلتصق الأطفال الصغار

بوالديهم مهما كانت سنهم. (٢٢) وأثناء حكم اخناتون Akhenaton صورت المشاعر المتدفقة للزوجين الملكيين فرسموا الملكة جالسة على ركبتى الملك . والملك والمملكة يغمران أولادهما بالقبلات ، والأطفال بدورهم ، جزاء هذا العطف يلاطفون ذقن والدهم أو والدتهم بأيديهم الصغيرة . وزال هذا الطابع بزوال بدعته لأنه لم يكن إلا مظهرا أو نتيجة لها ، ومنذ ابتداء الأسرة التاسعة عشرة يعود الفن المصرى إلى صرامته وأصبحنا نشاهد على جدران المقابر الزوج والزوجة جالسين بصفة دائمة بجانب بعضهما متحدثين إلى الأبد ، كما لو كان يراد أن نتصورهما كذلك فى هذه الحياة الدنيا .

لم تتعلق النصوص الأدبية المرأة المصرية ، فصورتها مستهترة ، تهتم بزينتها ، هوائية ، ليس فى قدرتها أن تكتم سرا كاذبة ، محبة للانتقام ، غير وفية بطبيعتها ، يرى فيها الرواة وعلماء الأخلاق بذرة كل خطية وجراب كل خبيث . (٢٣)

فى أحد الأيام كان الملك سنفرو Sنفرو Sنفرو متضايقا شديدا ، وللتخفيف عنه فكروا فى تسيير زورق فى غدير بالبساتين الملكية ، وكان بالزورق عشرون فتاة كلهن عرايا إلا من غلالة رقيقة . فقدت إحدى الفتيات المجدفات حليتها من الفيروز الجديد ، فتوقفت عن التجديف فقال لها الملك : « استمرى فى التجديف وسأعوضك عنها » فردت عليه قائلة : « أفضل حليتى على مثيلتها . » فسكت الملك وأحضر فى الحال الساحر الذى استطاع بطريقته الخاصة الفريدة أن يعثر على الحلية المفقودة حينما وضع نصف الماء فوق النصف الآخر . (٢٤) وفى قصة أخرى لمح الآلهة التسعة بيتاو Bytaou وحيدانى وادى البلوط فأشفقوا على وحدته ووهبوا له سيدة لامثيل لها ، لأن كل إله كان قد منحها خير ما يتصف به . وابتدأت بمخالفة أوامره ثم بخيانته فيها

بعد . ولما تقمص يتاور هيئة ثور وأصبحت زوجته السابقة محظية
لغيرهون تمكنت أثناء مداعبة أميرها وسيدها أن تحصل على أمر بذيخ الثور.

إلا أن يتاور تقمص شجرة ليمخ فطلبت أن تقطع الشجرة . وعندما كان
يتاور خادما بسيطا في حقل أخيه الأكبر ، اكتسب أول خبرة له في غدر
النساء ، وكان في وقت نثر البذور ، وكانت الأرض قد انحسرت عنها مياه
الفيضان وصالحه للحرث ، وكان الأخوان قد خرجا إلى الحقول لبذرهما ،
ولكن لم تكن البذور كافية فعاد يتاور وحده إلى المنزل لإحضار البذور ،
وعندما قفل راجعا من المخزن وهو يحمل بسهولة جوالا ثقيلًا ، لمحت زوجته
أخيه فأعجبت به وفي الحال اشتتهه ، وقالت له : « تعال لنهبط طجع معاً ساعة
وسأصنع لك ملابس جميلة » فانقلب يتاور كنمر من الجنوب وقال لها :
« أنت لي بمثابة أم وزوجك بمثابة أب ، وحذار أن تتقوهي بمثل هذا القول
الفاحش مرة أخرى ، ولن أبوح لأحد بما حدث . » وذهب تاركا وراءه
الحائنة ذليلة والحقد يملأ قلبها . ولما كان الزوج سريعا الانفعال قليل التبصر ،
لذلك كان العربوبة لهذه المخلوقة السيئة السلوك التي حملت زوجها أنوبو
Ανοπου على الاعتقاد بأن أخاه حاول أن يروادها عن نفسها وزعمت
أنها صدته ، ولن يبدأ لها بال إلا إذا عوقب بالموت. (٢٥)

في زمن قديم كانت زوجة تشريفلي في البلاط تخون زوجها مع شاب
حديث السن وكانت تغمره بالهدايا . وكانت زوجة كاهن من كهنة رع تخونه
أيضا وملأت بيته بثلاثة أولاد من الزنى وكان عذرها لزوجها أن الإله رع
نفسه هو والدهم وهو الذي أراد أن يعطى لمصر ثلاثة ملوك أتقياء خيرين. (٢٦)
وقد حدث ذات يوم أن زوجة رويدديت Rouddidit غضبت مع خادمتها
وطردتها ، ففكرت الخادمة التي كانت على علم بكل شيء أن تبلغ الأمر

ثلاث بنات دون أن أنجب له ولدا ، فصليت مع هذا الكاهن الكبير وشاهد
المعبود Imhotep بن پتاح أن يكون عطوفا فوهبني ولدا لمن
لا نسل له : استجاب إلى تضرعاتنا كما فعل مع كل من تضرع له . وفي نظير
الأعمال الطيبة التي قام بها هذا الكاهن الكبير فقد حملت وأنجبت ولدا
في الساعة الأولى من اليوم الخامس في الشهر الثالث من الصيف في السنة
السادسة من حكم الملك كليوباترا في يوم عيد تقديم القرابين حيث كانت
توضع الهدايا على مذبح هذا المعبود العظيم امحتب الملقب بتوباسطى .
وقد سر جميع الناس لهذا الحادث السعيد ووافاني الأجل في اليوم
السادس من الشهر الثاني من فصل الشتاء في السنة السادسة ، وقد
وضعت زوجي الكاهن الكبير پشر يفتاح في الجبابة ، وقام بكافة المراسم
التي تؤدي للأشخاص الأوفياء الكاملين ، وقام بتكفيني بأعظم طريقة
ورأني التراب في مقبرة خلف راكوتي (٢٠) * ، ماتت خاضعة لإرادة والدها
ومطبعة حتى وهى في قبرها لرغبات زوجها البائس تا امحتب Ta Imhotep
ماتت في زهرة شبابه ، مأسوفاً عليها من زوجها الذي لم يرض عنها بالمال
في سبيل دفنها ، في جلال ووقار .

وأمام هذه القصة المؤثرة يجدر بنا إتماما للفائدة قراءة الرثاء الذي رثى
به رجل زوجته ، ودون على بردية ، في متحف ليدن :

« لقد كنت شابا عندما تزوجتك ، وأثناء وجودي معك حصلت على
أرفع المناصب ، ولم أترك يوما ، ولم أعذب قلبك إطلاقا . هذا ما فعلته عندما
كنت شابا وعندما شغلت أكبر وظائف فرعون له الحياة والصحة والقوة ،

* موضعها الحال كوم الشقافة .

صاحب الشأن ، ولكن لسوء حظها أطلعت أولا أخاها على هذا السر ، فضربها ضربا مبرحا جزاء الثقة والإخلاص . (٢٧) وهذه قصة تبوبوت Tabobout وهى سيدة عريقة من أصل كريم إذ كانت من خادמות المعبد وليست من بنات الشوارع . أصرت أن يحرم عشيقها أولاده من ميراثهم وأن يقتلهم بعد ذلك . (٢٨) وسيدة نبيلة أخرى رأت الحقيقة متنكرة على هيئة شاب جميل ، فوهبته نفسها وبعد أن أشبعت نزوتها منه لم تعد تنهم بأمره إلى حد أن جاءها فى أحد الأيام يتسول أمام بابها فانتظر طويلا ، قبل أن تبوح لابنها أن هذا المتسول هو أبوه (٢٩) .

وهكذا نرى أن كل ما جاء عن المرأة فى القصص المصرية ، لم يكن منصفاً للمرأة ، وبالعكس فالرجل كان هو المخلص الأمين ، المحب العطوف الخدوم المتصف بالمرودة والعقل . وجاء فى نفس هذه القصص أن فرعون كان ذا تفكير محدود يحاول تحقيق رغباته ونزواته بالإلتجاء إلى كتابه وسحرته فى كل مناسبة ، وهذه كانت طبيعة الجنس البشرى وبالرغم من ذلك فالواقع أن الكثيرين من الملوك المصريين كانوا مثال الشجاعة فى الحرب ، ماهرين فى إدارة شئون الدولة كما أن كثيرات من المصريات كن زوجات مثاليات صالحات ، وأمهات طيبات ، كذلك كانت السيدة الشابة التى دونت قصتها على لوحة التذكارية فى المتحف البريطانى والتى جاء فيها : « أياها العلماء والمكهنه والأمراء والنبلاء والناس أجمعين وكل من يدخل هذا السرداب * ، استمعوا الى : ولدت فى اليوم التاسع من الشهر الرابع لموسم الفيضان فى السنة التاسعة من حكم بطليموس الثالث عشر . وفى اليوم الأول من الشهر الثالث من صيف عام ٢٣ تزوجنى والدى لسكاهن كبير اسمه بشر ينبتاح . . . Pcherenptah ابن بتوباستى Petoubasti . وكم حز فى قلبه أن أنجب له

لم أهجر بك وبالعكس كنت أقول لنفسى لتكن سعادتى معك وكنت أرفض كل وشاية بك وكنت أقول : إني أعمل مستوحيا قلبك ، لكن انظرى إلى ما حدث لى عندما كلفت أن أدرب ضباط جيش فرعون وجنوده كنت أكلفهم أن ينبطحوا على بطونهم أمامك ومعهم أشياء طيبة كثيرة لكي يضعوها أمامك ، لم أخف عنك شيئا من أرباحى حتى هذا اليوم من حياتى ، ثم يحدث لى أن خدعتك إطلاقا كما يفعل الفلاح الذى يتسلل إلى بيت سواه ، لم أحاول أن أرسل عطورا أو فطائر أو ملابس إلى بيت أخرى ، قائلا : « إن زوجتى هناك ، لأنى لم أشأ أن أغضبك عندما أصبت بالمرض الذى ابتليت به ، لم أرد أن أسبب لك حزنا فأحضرت لك طبيبيا كبيرا قام بعلاجك وعمل كل ما أمرت به . ولما تبعت فرعون عندما ذهب إلى الجنوب ، فأليك ما اتبعته معك : « أمضيت مدة ثمانية أشهر دون أن أتناول طعاما أو شرابا يلائم رجلا فى مستوى ، ولما عدت إلى منف طلبت من فرعون منحنى اجازة وتوجهت إلى المسكن الذى تستقرن فيه (إلى قبرك) وبكيت كثيرا أمامك أنا وأتباعى وهذا ما فعلته إلى الآن : بقيت ثلاث سنوات وحيدا وسوف لا أدخل بيتا آخر وإن كان هذا عملا لست ملزما به ، وأما بيت أخوانى ولسكنى لم أتردد على واحدة منهن ، . (٣١)

هذا الزوج المثالى ، هذا الأرملة الذى يحمل مصابه عن العزاء يبين لنا بوضوح أن أشخاصا كثيرين غيره كانوا يستطيعون أن يسلكوا طريقا آخر بمعنى أنه بمجرد أن يتولى منصبا كبيرا فإنه يطلق زوجته غير العريقة الأصل التى سبق أن تزوج بها قبل أن يرتقى إلى منصبه وقد أجاز لنفسه كل الحرية وإذا أصبح أرملا فإنه لا يبقى ثلاث سنوات يقضيها فى النحيب والبكاء إلى أن يضر جسده . إن أعواما حافلة بمثل هذا الوفاء وهذا الصبر لتبرر لنا أن نشيد بصفاته الفاضلة ونعطف عليه .

ورد في النصوص المصرية أن المرأة الخائنة كانت تعاقب بالموت ، فعندما علم أنوبو Anoupou الأخ الأكبر ، ولو متأخراً ، حقيقة ما حدث لأخيه الأصغر اعتراه الحزن وجلس يندبه ، ولما عاد إلى بيته قتل زوجته وألقى بها للكلاب. ^(٢٢) وفي آخر القصة رفع بيتاوو أمام كبار قضاة جلالة الملك له الحياة والصحة والقوة دعوى ضد زوجته ، وليس لدينا نص المحاكمة ولكن قرر المحامورات أنه يجب أن يقضى عليها بالسكين. ^(٢٣) أما زوجة أوبا إتر Ouba iter التي كانت تخونه وتستولى على أرزاقه ، فقد أحرقت وألقي برماها في نهر النيل ، وكذلك عوقب عشيقها. ^(٢٤) كان هذا هو القانون : ينصح الكاتب أنى Any قائلا : احذر المرأة التي تتسالم في الخفاء ، لا تتبعها لاهى ولا مثيلتها . والزوجة التي يكون زوجها بعيدا عنها وترسل إليك قصاصات أو خطابات تدعوك إليها كل يوم عندما لا يكون هناك شهود فإن حارلت ايقاعك في شراكها فهذه جريمة عقابها الموت إذا ما اكتشف الأمر ، حتى ولو لم تصل في إجرامها حتى النهاية . ^(٢٥) وليس لدينا من الوثائق ما يثبت ما إذا كان الزوج الزانى يقع تحت طائلة العقاب ، لقد كان من حق الرجل أن يدخل لو شاء محظيات في بيته .

وفي فصل جنائزى* خصص باب لجمع صلة القرابة بين من رقدوا في الجبابة ، ونقرأ أن العائلة تتكون من الأب والأم والأصدقاء والشركاء ، والأطفال والزوجات وشخصية تسمى باسم لم يفسر لنا هو : أينت خنت Int-hot ثم العزيزات والخدم. ^(٢٦) وكان تعدد الزوجات معروفا ولكنه في الحقيقة لم يكن واسع الانتشار. ونعلم أن أحد أفراد العصابات الذى اشترك في نهب المقابر كان له أربع زوجات ، أثنتان كانتا على قيد الحياة حينما كانت قضيته معروضة أمام المحكمة وكانتا على وفاق تام ^(٢٧) وفى بلد حيث كان

* من كتاب الموتى

للعصا دور كبير ، كان للزوج الحق في تأديب زوجته ، والأخ أخته ، على شرط ألا يسيء الاستعمال . وكان الشاتم يعاقب . كان الفرد يتعهد أمام القضاة بعدم إهانة زوجته وإلا عوقب بمائة ضربة وحرمان الانتفاع بأى عقار مشترك بينهما . وكان والد الزوجة هو الذى يطالب السلطات بحمايتها . (٢٨) كان هذا عملا سديدا ولا يمكن يجب ألا ننسى أن « معروف » Mārouf كان مصرية وأن أكثر من امرأة شريرة قد لعبت ، بمعاونة الحكام ، بعض الأدوار الملتوية على زوجها .

٣ - الأولاد

ينصح الكاتب أنى قراه أن يتزوجوا فى سن مبكرة وأن ينجبوا الكثير من الأولاد ، كانت النصيحة غير مجدية ، فالمصريون كانوا يحبون الأولاد ، قال الثعبان الطيب للمبحر الغريق : « سوف تصل بلدك فى خلال شهرين وتضم أطفالك إلى صدرك وستمضى حياة سعيدة مع عائلتك . (٢٩) ، والذى يقوم بزيارة مقابر منف وتل العمارنة وطيبه أو يشاهد اللوحات الجنائزية فى العرابية المدفونة أو على المجموعات المنحوتة فسوف يرى فى كل مكان الكثير من رسوم الأطفال . وعندما طاف أحد كبار الملوك مثل تى Ti بأملكه ووصل إلى حيث يشتغل العمال بالحصاد سرعان ما فرش الحصى واحضرت المقاعد واجتمع أفراد العائلة حول كبيرها وأمسك الأطفال بأيديهم عصا والدهم .

وإذا شاء « تى » أن يتبع الصيادين فى مركب أو يجرب مهارته فى صيد الطيور التى تعيش على قمم الأشجار أو ليشرف حاتحور المعبودة الجميلة سيدة Imāou أو سيدة شجرة الجميز فى الموسم المناسب فى غابة البردى فلا يتم سروره إلا إذا وجدت معه زوجته وأطفاله ، فالصبيان الصغار يتمتعون .

على عصا الرماية والرماح ويوفون جيداً في ذلك . لما كان أمحتب الثاني Amenhotep II طفلاً مدللًا كان يتمرن على ألعاب القوى وكان والده غفراً بذلك . (١٠) ويصطحب الراعى أطفاله إلى الحقل وإذا عطش الرجل المعجوز يقف الطفل الصغير على أطراف أصابعه ويقدم له القلة حتى شفتيه . وأولاده العمال كانوا يدورون بالمصنع يحاولون القيام بتأدية خدمات . كان اخناتون والملكة نفرت إيتي Nefert ity يصحبهما دائماً الأميرات الصغيرات عندما يخرجان ، وإذا جلس في القصر تجلس الأميرات بجانبها ، وليس في أوقات الراحة فقط ولكن أثناء تأدية الأعمال الرسمية أيضاً فكان يجلسن على منابك الملك والملكة باطمئنان ويداعبن ذقونهما في رقة بالغة واطمئنان . وكانت الأميرات الكبيرات يشتركن في تسليم النياشين والأوسمة . وبدافع من شوق مفاجيء غنief يضم الوالدان بناتهما الصغيرات بين ذراعيهما ويكادان يلتزمانهن بالقبلات . ولم يكن رمسيس الثاني أقل غفراً بأولاده المائة والستين وأكثر . ويذكر سترابون Strabon بدهشة تقليداً خاصاً كان يتمسك به المصريون كثيراً وهو أن يتولوا تربية كل الأولاد الذين كانوا يرزقون بهم . (١١) وكانت هذه الكثرة في إنجاب الأطفال في العائلات المصرية عكس ما اعتاد عليه الإغريق نتيجة لخصوبة الأرض واعتدال المناخ . وكما يقول ديودور Diodore إن الأولاد لا يكلفون الأبوين شيئاً تقريباً ، وطالما هم في سن الطفولة ، فهم يسيرون حفاة الأقدام عراة الأبدان ، ويتحلى الذكور بقلادة والبنات بمشط ووشاح . وكلهم يتغذون بعيدان وسيقان نبات البردى سواء كان نيشاً أو مسلوفاً . (١٢)

وهذا لا يكلفون آباءهم إلا القليل من النفقات .

ومع أن ولادة جميع الأطفال كانت تلقى ترحيباً كبيراً فإن الرغبة الشديدة

المصريون أنهم كانوا يحددون المعبود الذى ينتمى إليه كل شهر وكل يوم وما سوف يكون المصير المقدر للمولود حسب يوم مولده ، وكيف سيموت وكيف يجب أن يكون (٤٦) روفقا لما جاء بتقويم أيام السعد وأيام النحس فإن كل من ولد فى اليوم الرابع من الشهر الأول لفصل برت سيموت أكبر سنا من كل أقاربه وسيبلغ من العمر أكثر من عمر أبيه ، فكان هذا اليوم ، يوماً سعيداً . وكان يعتبر مفيداً جداً أن يولد الإنسان فى اليوم التاسع من الشهر الثانى من آخيت إذ سوف يموت بسبب الشيوخوخة ، وأكثر من ذلك من كان يولد فى اليوم التاسع والعشرين إذ سيكون محترماً حين يلقى منيته . وعلى العكس من ذلك لم تكن الأيام الرابع والخامس والسادس من هذا الشهر تبشر بما هو حسن إطلاقاً ، فإن مواليد هذه الأيام سوف يموتون بالحمى أو بسبب العشق أو بتأثير الخمر .

وينبغى أن يخشى بأس التمساح من ولد فى اليوم الثالث والعشرين . أما يوم ٢٧ فإنه لم يكن خيراً من سابقه . فالعبدان هو الذى يخشى بأسه . (٤٧) والظروف التى تبدو عديمة الأهمية فى ظاهرها قد تكون ذات عواقب خطيرة . وقد سجل فى بردية إيبس Ebers الطبية بعض هذه الحالات ، فإذا نطق المولود بكلمة هى Hii ، عاش ، وإذا قال مبي Mbi فسوف يموت . وإذا نهر صوته مثل أنين شجرة البلوط ، أو أدار وجهه تجاه الأرض فسوف يموت (٤٨) وكان الأشخاص المتصلعون فى دينهم يعلمون بأن أوزيرس حين قذف به إلى شاطئ جبيل Byblos ابتلعت شجرة بلوط كانت تصنع المعجزات . إذا كان صوت الطفل يذكر بأنين شجرة البلوط ، المؤلف لجميع من سافروا إلى سوريا ، فإن ذلك لا يمكن أن يكون فالأ حسناً .

فى إنجاب الذكور كانت شائعة لدى كافة الناس . فقد علمنا بما سبق ما خطر ببال بشر ينبثق كبير كهنة المعبود يتاح فى هذا الصدد إذ بدأ قصة « الأمير المؤعود ، بالعبرة التالية : « حدث ذات مرة أن ملكاً لم ينجب ولداً ذكرأ فكان شديد الحزن بسبب ذلك . فتضرع للآلهة طالباً أن ينجب ولداً ذكرأ . فقررت الآلهة أن تمنحه ولداً . ودور الابن هو أن يحى لاسم أبيه وواجبه كما نصت على ذلك مئات النقوش وأن يتولى دفنه ويعنى بصيانة مقبرته . (١٢)

لقد كان المصريون جدّ شغوفين بمعرفة المستقبل وكانوا يعتمدون فى هذا على مجموعة من سبع معبودات معروفة باسم « الحانحورات ، لمعرفة ما قد قدر للمولود الجديد فكانت هذه المعبودات تحوم مخفية عن الأنظار حول وسادة الطفل وتخبر بصفة قاطعة نوع الموت الذى سوف يلقاه . « سوف تموت بحد السكين ، هذا ما قالته عن البنات التى كانت الآلهة ترغب فى جعلها زوجة لبيتاؤو . (١٣) كما أن الآلهة قررت بأن الولد الذى كان الملك يتمناه منذ زمن طويل بأنه « سوف يقتله التمساح أو الثعبان أو ربما قتله السكب ، (١٤) وبما أن هذه المعبودات قد أغفلت الإشارة إلى السن التى سوف يحدث فيها هذا الحادث المحتوم ، فقد اتخذت كل التدابير فى بادى الأمر على أساس ذلك حتى يبلغ الأمير سن الشباب ، وعندئذ أبدى الشاب ملاحظة بأن كل هذه الحيلة لن تجدى نفعا وأنه لا يستطيع أن يتفادى ما قد كتب عليه . لذلك طلب أن يترك حراً ليتصرف حسب ما يلهمه قلبه . إننا لانعلم ما إذا كانت الحانحورات تتنازل للإهتمام بكل الأفراد ولكن كان فى مقدور كل رب أسرة أن يقرأ طالع ابنه ، عن طريق النجوم .

يقول هيرودوت Hérodote : « من بين الاصطلاحات التى اتفق عليها

وقد يدل معنى الإسم على رضى المعبود ، ولهذا فقد حظينا بأسماء لانتهى
 مثل : آمون حتب Amon hotep وخنوم حتب Khnoum hotep .
 وبتاح حتب ، الذى يتقدم (على الولد) ، وأسم امنمحات Amonemhat
 يعنى آمون يحميه أو أنه والد (للطفل) . وأسماء سنوسرت Saneusert
 التى نقلها الإغريق سينوستريس Sesostris هم أبناء المعبودة أوسرت
 Ousert ، والملقبون بأسماء سيامون Siamon هم أبناء المعبود آمون .
 وموت نجم Mout Nedjem معناها أن المعبودة موت لطيفة ،
 وبذلك يمكننا أن ندرك مدى حظوة المعبودات فى مختلف عصور التاريخ .
 وصارت سيدة جبيل فى عهد الدولة المتوسطة شفيعة عدد كبير من
 السيدات المصريات . ونحن نعلم أنه منذ أن تولى رمسيس الأول العرش
 حتى حرب الفجار ، استعملت أسماء ست ناختي Seth Nekhti وست ام
 أويال Seth em ouial . وست داخل قارب (رع) ، إذ أن الأسرة المالكة
 كانت نفورة بانحدارها مباشرة من قاتل أوزيريس .

واعتبر ست بعد هذه الحرب ، فى كل مكان . معبودا محتقرا ولم يوجد
 بعد ذلك ، طفل واحد يحمل اسمه ، ولم تكن رعاية الملك أقل فائدة من
 رعاية المعبود ، لأن الملك كان بدوره بمثابة معبود . وفى عهد الأسرة الثامنة
 عشرة عرفت الأسماء جسر كما رع سنسب Djeserkarêsenb ومن خبر رع
 سنسب وفى ما رع نخت Nimârênekht وبعد ذلك انتشرت أسماء رمسيس
 نخت طوال حكم أسرتين ملكيتين .

وكان مجال اختيار الأسماء متسعا كما نرى . وكان يمكن أن يهتدى الوالدان
 إلى اختيار الاسم بتأثير بعض الأحداث الخارجية مثل حلم من الأحلام ، ذلك
 أن ستناخامواس Setna Khamois لم يكن قد أنجب طفلا ذكرا . فأمضت

وسواء أكان والدا الطفل مطمئنين أو جزعين فإنهما كانا يبادران إلى تسمية المولود ، وكان هذا أمرا ضروريا لأن المصريين لم يكن لديهم ألقاب . فعندما تبنت ابنة فرعون الطفل الذى عشر عليه داخل السلة أعطته فى التو إسما كتب له أن يكون خالدا وتصور كثير من الناس منذ أقدم العصور ، وفى عصرنا الحالى بأن هذا الاسم كان يشير إلى الظروف التى اقترنت بالعثور عليه ، وعملوا جاهدين على أن يوجدوا اشتقاقا لإسمه ، فكلمة موشيه Mosché لا تؤدى معنى « المنقذ من المياه » ، وهى ليست سوى كتابة الكلمة المصرية القديمة موسىه Mosé التى هى المقطع الأخير من تحتمس Thoutmosé أو احموس Ahmosé أو ما شابهها من الأسماء والأميرة التى أنقذت الطفل ، قد حلت محل أبويه لتعطيه إسما ، لأن المفروض أنه كان يتيما .

وأسماء المصريين قصيرة جدا فى بعض الأحيان مثل تى Ti . آبى Abi ، توى Toui ، تو To . وقد تكون أحيانا جملة كاملة مثل « چند پتاح ابوف عنخ Djed Ptah iouf ānkh » يقول پتاح بأنه سيحيى . وقد حولت أسماء نكرة وصفات ومفاعيل إلى أسماء أعلام مثل چاوو Djaou ومعناه عصا ، شدو Chedou ومعناه قربه ، نختى Nekhti ومعناه القوى ، وشيرى Chery ومعناه الصغير ، وتا ميت Ta mit ومعناه القطة .

وكان معظم الآباء يؤثرون أن يضعوا أطفالهم تحت رعاية إلهى المعبودات : والأطفال الذين ينتمون إلى المعبود حر Hor يسمون باسم حورى Hori والذين ينتمون إلى المعبود ست Seth يطلق عليهم اسم سبتى Sétoui والذين ينتمون إلى آمون ، يسمون امنى Ameni . وكان المورخ مانيتو يعتبر نفسه تحت حماية المعبود موقتو الطيبى Montou .

زوجته ليلة في معبد پتاح فظهر لها المعبود في المنام وطلب منها القيام بعمل ما فبادرت بتنفيذه ، فحملت . وحلم الزوج بدوره أنه ينبغي له أن يطلق على طفله أسم سنوزيريس . (٤٩)

وبعد أن يطلق الوالدان اسماً على مولودهما ، لم يكن عليهما بعد ذلك إلا أن يسجلاه أمام الهيئة المختصة . وقد أنجبت هذا الطفل الصغير الموجود أمامك — هذا ما قالته الأميرة أهورى Abouri زوجة تنوفر كاپتاح Menoferkaptah لقد سميانه ميراب وسجل في سجلات بيت الحياة . (٥٠)

وبيت الحياة الذى سوف نتاح لنا فرصة التحدث عنه عدة مرات ، كان عبارة من معهد مصرى يحتفظ فيه الفلكيون والمفكرون والمؤرخون بكافة العناصر العلمية التى أهتمت إليها العلماء وكانوا يعملون على تنمية هذا السكتر ، وكانت هذه المناصب السامية لا تتعارض وبعض المهام البسيطة الأخرى التى كانوا يقومون بها . وربما كان بيت الحياة يجمع بجانب العلماء بعض صغار الكتبة للذين كانوا يقومون بتسجيل المواليد وعقود الزواج والوفيات . ونظراً لأنه لا يوجد من الأسانيد ما يؤيد هذا الغرض ، فربما كان من الحكمة قبول رأى ما سبرو Maspero الذى قال بأن الأهالى كانوا يأتون بوالدهم إلى بيت الحياة لقراءة الطالع وبالتالى لمعرفة ما يجب اتخاذه من الإحتياجات المناسبة لتفادى أو تأخير الأحداث المسكرة بقدر المستطاع التى قد تنتاب هذا الطفل ، إذ لم يكن مراب Merab ابن تنوفر كاپتاح وأهورى طفلاً عادياً ، وعلى كل حال فإن السلطات المدنية كان لديها دون شك سجل للمواليد والزواج والوفيات . وكان المتهمون والشهود يذكرون فى الوثائق القضائية بأسمائهم ، يتلوها أسماء آبائهم وأمهاتهم مع ذكر منهم ، لأن الأسماء التى تطلق على كل طفل كانت عديدة جداً إلى حد أن التشابه بين

وكبتيه طفلا صغيرا عاريا ، تتدلى خصلة من شعر رأسه على خده الأيمن . وهذا هو طفل الملك أراج موزيه Ouadj mosé . ويضيف هذا الحاكم العظيم إلى ألقابه لقب رائد الطفل الملوكى . (٥١) ويروى أحد جنود حروب التحرير القدماء وهو احموزا بن نخبيت Ahmose de Nekhabit فيقول : « بلغت شيخوخة سعيدة وأنا احد الذين يعيشون فى كنف الملك . . أما الزوجة المقدسة ، الزوجة الملكية الكبرى ماكارع Makara فقد أغدقتنى بحبها ، لأنى توليت تربية ابنتها الكبرى الأميرة نفروع Nefereure منذ أن كانت طفلة رضيعة . » (٥٥)

هذا المحارب العجوز لم يكن فى استطاعته أن يخصص الكثير من وقته للطفلة لأننا نعرف أن لها مربيا آخر هو كبير المهندسين المماريين ، « سنموت Senmout ، الذى يرجع إليه الفضل فى إقامة أجمل معبد فى مصر وهو الدير البحرى والذى أقام أيضا مسلات الكرنك . وهذا الفنان العظيم كان على تقام تام مع الطفلة . وقد مثل الحفارون فى تعبير قوى وبساطة تامة هذا العطف المتبادل بإقامة تمثال لسنموت ، على شكل مكعب مغطى بالنقوش الذهبية ويبرز منه فحسب رأس الرائد وأمامه رأس الأميرة الصغير للاغاية .

وبحين الوقت الذى لا يمكن للطفل أن يكتفى فيه بمجرد قلادة فى عنقه تكون بمثابة ملابس له ، فكان يعطى الذكر إزار نصفى وحزام وللطفلة رداء وكان يوم تسلم مثل هذه الأشياء يوما خالدا فى حياته . أذ لم ينس رجال البلاط الطاعنون فى السن مثل أونى Ouni وبتاح شبس Ptah Chepsis أنهما تقلدا الحزام والإزار للمرة الأولى فى عهد الملك الفلانى . وربما يكون هذا

الاسماء كان لا يحصى . فكان امنحبت صني الملك امنحبت الثالث ، يلقب أيضا باسم هوى Hovy إلا أن اسم امنحبت قد بلغ عدداً كبيراً إلى حد أن أصحاب اسم امنحبت الذين أضيف إلى اسمهم لقب هوى Hovy أصبحوا بدورهم عديدين جداً .

فكان صني امنحبت الثالث قد اتخذ عادة حسنة جداً بأن أضاف إلى اسمه وإلى لقبه ، إسم والده حاPi Hapi . ولم تكن إضافة هذه الألقاب على الأسماء محض مصادفة بل كان لها طابع رسمي ، وهذا برهان جديد على مدى عناية السلطات بسجلات الحالة المدنية للأفراد .

كان الطفل الحديث السن يبق في حضانة أمه ، تحمله على صدرها غالباً في خرج يعلق في رقبتها حتى تبقى يداها طليقتين . (٤١) . ويعبر الكاتب أنى Any عن تقديره لتضحية الأمهات المصريات بقوله : « رد إلى والدك كل ما فعلته لك . أعطها الخبز بكثرة واحملها كما حملتك ، لقد كنت عبثاً ثقيلاً عليها . ولدتك بعد أن أكملت شهور الحمل ، وحملتك على عنقها ، وثديها في فك طوال ثلاث سنوات ولم تكن تشعر باشمزاز بسبب أرساخك ، (٤٢) أما الملكات وغيرهن أيضاً فربما لم يكن يعانين مثل هذا العناء ، وأم قن آمون كان يطلق عليها لقب المرشعة الكبرى ، إذ كانت هي التي تولت رعاية المعبود .

ولم يكن هذا المعبود سوى فرعون امنحبت الثاني الذي ظل معترفا بالجميل لمرشعته . فكان يتردد عليها بزياراته ويجلس على ركبتيها كما كان الحال أثناء طفولته (٤٣) وكثيراً ما كان يعهد بالأمراء الصغار إلى الشخصيات الكبرى التي أقنت عمرها في خدمة الملك . فإن باحيري Paberi أمير جنى Tjeni ومحافظ إقليم نخبيت Nekhabit ، (الكاب) قد رسم على مقبرته وهو يحمل على

(٦ م - الحياة في مصر)

اليوم متفقا في حقيقة الأمر مع اليوم الذى دخلا فيه المدرسة . وكان من عادة الفلاحين والعمال والصناع أن يبقى الولد فى المنزل يتدرب على رعى القطيع واستعمال الأدوات ، حتى يمكنه أن يمارس بدوره الحرفة التى مارسها أبوه من من قبله .

٤ - الحرم والعبير

لم يكن من اليسير دائما أن نميز من بين أولئك الذين يتبعون شخصية بارزة من الذين يعاونونه فى أداء أعماله الرسمية ومن يقوم على خدمته ومن يتولى خدمة أفراد أسرته . على أن المصريين لم يخلطوا بين كل فئة وأخرى ، فخانى حنفى Hapi Djefai حاكم اسيوط ، نراه يتصرف تارة فى إيراد ممتلكات بيت أبيه وبعبارة أخرى فى ثروته الشخصية وتارة يتصرف فى إيراد بيت الأمير أو بمعنى آخر الممتلكات التى يديرها لحساب الدولة . وكان يدفع من مال أبيه أجور أولئك الذين كانوا يقومون بالطقوس الجنائزية الخاصة به ، ولما كانت الطقوس الجنائزية تعد استمرارا للحياة الدنيا ، فيمكننا أن نعتبر أن أجور الخدم المخصوصين كانت تدفع من مال من يقومون على خدمته .

تؤدى عدة ألفاظ مصرية قديمة معنى كلمة خادم أو أجير فى لغتنا الحديثة ، فاللفظ « المستمعون » يطلق على من يجيبون النداء ، وأباو Oubau لمن يقدمون الشراب ويمر عنه كتابة برسم إناه . وكذا الشمسو وهذا اللفظ يكتب باستعمال رمز مركب يتكون من عصا طويلة منحنية وحصير أو غطاء ملتف مربوط بسير من الجلد ومكنسة صغيرة . وكان « الشمسو » يصحب سيده كلما خرج ، وعندما يقف ، يمسط له الحصير على الأرض وبقدم له العصا الطويلة ليمسكها بيده وكان يسكنس له من حين

إلى آخر الحصر وإذ ذاك كان يستطيع المخدم أن يقابل ركلاه ويستمع للتقارير التي يعرضونها عليه ويقوم شمسو آخر بحمل صندل سيده عندما يسير . وحينما يقف يسمح له قدميه (٥٦) ويضع فيهما النعل . أما الأباو فكانوا مكلفين بخدمة سيدهم في السقاية والطعام . كانوا يقومون بخدمة المائدة مقرين من أسيادهم وكان في استطاعتهم استماع الأسرار وتذكير السيد بأمر هام في الوقت المناسب وعلى ذلك فقد كانت وظيفتهم تضي عليهم أهمية خاصة ، وإننا لنجد سقاة فرعون يشتركون في جميع لجان التحقيق العليا .

وقد يكون الذين ذكرناهم ، إذا لم يكن قد جانبنا الصواب ، هم خدم أحرار بمعنى أنه كان في مقدورهم ترك خدمة سيدهم إذا ما أرادوا ذلك ، أو يحترقون حرفة أخرى ، أو يشترون أملاكاً ويستمتعون بها اذا توفرت لديهم الإمكانيات المادية ويحظون بالخدمة بدورهم .

ويتاوو* بعد أن أخطأ أخوه الأكبر في حقه خطأ جسيماً ، أعلنه بأنه لا يريد أن يستمر في خدمته وأن أنوپو Anoupo يجب أن يعنى شخصياً بمأشيتة . وهذه حالة نرى فيها السيد والخدام أشقاء ، ولكن يحق لنا أن نعتقد أنه حتى إذا لم يكن بينهما صلة قرابة ، فإن يتاوار كان سيرك عمله .

وروديديت السيدة التي أنجبت ثلاثة ملوك أمرت بضرب خا منها بالسوط . بعد نزاع بينهما فتركها الخادمة في الحال دون أدنى تعقيب . حقا ، لقد كان أخوها أول من عاقبها ثم تلاه التمساح الذي كان أداة الانتقام الإلهي ، غير أن سبب عقابها هو أنها أرادت أن تطلع الملك على سر روديديت ، لا بسبب تركها الخدمة . وطبعاً أنه كان في استطاعة المخدم أن يطرده خادمه بسهولة تامة . وعلى العكس من ذلك ، كان الذين يسمون همو hemou

* في قصة الأخوين .

المفوض منه لإعلان الحرب وإصدار الأوامر ، يهيم إمام إلى الشخص الذى أسره إذا كان قد تولى ذلك بمجهوده الفردى أو يوزعهم على الرجال المحاربين إذا كان عدد كبير قد أسر فى إحدى المواقع دفعة واحدة ، وبهذه الوسيلة استطاع البطل أحموزا خلال مدة خدمته الطويلة أن يأمر تسعة عشر عبداً ، عشر نساء ، وتسعة رجال ، ومعظم أسمائهم أجنبية مثل : با. چايو Pa. Medjaieu وپا. عمو pa Amou واستارومى Istaroummi وهديت كوش Hedit kouch .

أما بقية العبيد الذين يحملون أسماء مصرية فيحتمل أن يكونوا قد أعطوا لأحموزا أثناء حملة الدلتا ، ما لم يكن سيدهم قد غير أسمائهم الأجنبية الكنعانية أو النوبية إلى أسماء مصرية كما كان الحال مع يوسف (٦٠)

كان فى إمكان السيد أن يؤجر عبده أو يبيعه ، احتاج رجل إلى ملابس فأجر خدمات جارية سورية لمدة يومين أو ثلاثة أيام ، ولم يذكر نوع العمل الذى قامت به هذه الجارية ولكن الأجر المطلوب كان باهظاً . وقد تسرب الشك فى أن أحد سكان طيبة قد اشترك فى نهب المقابر إذ لوحظ أن مستوى معيشته ارتفع فجأة وقد استجوب القاضى زوجته اقاتلا : « بأية وسيلة حصلت على العبيد الذين كانوا معه ؟ » فأجابت : « لم أر لنقود التى اشتراهم بها . لقد كان مسافراً عندما كان معهم » . (٦٢)

وتشير إحدى أوراق بردى القاهرة وقد نشرت حديثاً ، إلى بعض معلومات عن طريقة شراء العبد ، ، فإن تاجراً اسمه رايا Raia يعرض على أحد عملائه شراء جارية سورية صغيرة السن ويتم الاتفاق على الثمن ولكنه لا يدفع فضة ولا ذهباً ، ولكنه يدفع أصنافاً مختلفة تقدر قيمتها حسب وزنها

فضة، وتسجل في المحكمة العهود والإيمان المغلظة التي يحلفها الشهود وتصبح الجارية ملكاً لمن يدفع الثمن ويطلق عليها فوراً اسم مصري. (٦٣)

وعندما قررت الحكومة أن تعاقب بشدة سرقات المقابر اتهم عدد كبير من العبيد ولم تخفف المحكمة العقوبة عليهم بل بالعكس ضاعفت جلدتهم بل زادته إلى ثلاثة أضعاف، وليس ثمة شك في أن المتهمين الأحرار لم يعاملوا معاملة أفضل من معاملة العبيد. وكان السيد يضرب عبده، كما كان الرعاة وملتزمو الأموال المماطلون في الدفع والممتنعون عن التسديد يضربون بدورهم ومن النادر مثلاً: أن نجد شخصاً مثل نجم أب Nedjem ab الذي عاش في الدولة القديمة، يزعم أنه يستطيع القول بأنه لم يجلد مطلقاً أمام الكبراء منذ أن ولد. (٦٤) ومن يدرينا فقد يكون المخلوق السعيد قد ضرب في الخفاء بالعصا أكثر من مرة، دون أن يشاهده أحد وهو أمر لا يفخر به. وبالاختصار، فإذا واجهنا الموانع التي كانت تحول بين أفراد عامة الشعب وبين رفع مستواهم الطبقي. وجدنا الفروق غير كبيرة بين الأفراد الأحرار في الطبقات الدنيا وبين من يسميهم عبيداً. لقد سبق أن أشرنا إلى مستند جاء فيه أن عبداً سابقاً لحلاق كان قد حصل من سيده على عقد تحرره، وخلفه في مهنته وتزوج بابنة أخته. أن العبيد الذين أوتوا بعض المهارة كانوا يعرفون كيف يتخلصون من نير عبوديتهم ويندمجون في الفئات الشعبية.

٥ - الحيوانات الأليفة:

أن الكلب رفيق الرجل ومساعدته في الصيد، فكان يسمح له بدخول المنزل واحتلال مكانه بهدوء تحت مقعد سيده، وينام، كما تفعل سائر الكلاب، أعني بعين مفتوحة: (٦٥) أما كلب الراعي فإنه لا يترك سيده أبداً ويترقب أوامره، إما بصوته، أو بإشارة منه ليجمع القطيع أو يقوده في السير. (٦٦)

أو بكو br-kou يعتبرون عبدا حقيقيين وبصفة خاصة في عصر الإمبراطورية الحديثة .

ولم يكونوا يعاملون معاملة شديدة لحسب ، بل كان يقتنى أثرهم إذا ما هربوا . أبلغ كاتب رئيسه قائلا : « هرب عبدان من نفر حتب رئيس الأسطول لأنه أمر بضربهما ، ومنذ أن هربا لم يقم أحد ببحث الأرض . وأرسل هذا لإخطار سيدى . » (٥٧) وقد هرب عاملان في يوم ما من قصر رمسيس ، إما لأنهما عوقبا بالضرب وإما لأنهما آثرا الحرية . وقد كاف كماكم أور Ka kem our رئيس رماة السهام من چيكو Tjekcu* للبحث عنهما ، فسافر من بي رمسيس ووصل إلى أسوار چيكو في اليوم التالي وقيل له إن الهاربين شوهدا في طريقهما صوب الجنوب فاتجه الضابط إلى القلعة ولكنه علم أن الهاربين أجتازا أسوار المدينة شمال بوابة سبتى مرى إن يتاح فاوقف البحث عنهما وصرف النظر عن هذا الأمر . (٥٨) ولم يكن مثل هذا الحظ يواتى جميع العبيد ففي مقبرة نفر حتب Neferhotep نرى كاتب يقوم بحصر أسماء العبيد أمام سيده ، فأحد العبيد مقيد اليدين ومربوط بحبل يجر منه . وعبدان آخران يؤدبهما أحد الشرطة وقد قيدت أرجلهما . هذا المنظر يمكن أن يسمى « عودة الهاربين » . (٥٩)

وفي أغلب الأحيان ، إن لم يكن دائما ، كان هؤلاء العبيد من أصل أجنبي وقعوا في الأسر نتيجة حملة انتصر فيها المصريون في بلاد النوبة أو ليبيا أو الصحراء الشرقية أو سوريا . وكان فرعون أو مثله الرسمي ، القائد

٥٥ حسن على المدود العمالية العرقية ، قريبا من تل المسخوطة ..

وكلاب الراعى أو كلاب الحراسة هى فى الغالب نوع من كلاب الصيد - السلوقى ، طويلة الأرجل ، مرتفعة ، طويلة الذيل ومستقيمة الفك وأذنانها متدلّية كبيرة تارة ومدببة وقائمة تارة أخرى . ولم نعد نرى فى الإمبراطورية الحديثة ، كلاب السلوقى القديمة ذات الذيل المستدير الشكل ، ولا كلاب الحراسة ذات الحجم المتوسط التى كانت أذنانها مستقيمة ، ولم نعد نرى أيضاً الكلاب قصيرة القامة التى كانت شائعة إبان الدولة المتوسطة . وكان هناك نوع آخر صغير الحجم يسمى كتكت Ketket بجانب فصيلة السلوقى ، وقد قدم لولى العهد كلب من نوع كتكت وإسكنه طاب كلباً أصيلاً ورفض فى امتحان الكلب الصغير الذى قدم إليه .

كانت كلاب الصيد ذات قيد عادة وأن تركت أحياناً طليقة . والقرود نوع آخر من الحيوانات الأليفة وكان يعد نفسه مسئولاً عن مراقبة الكلاب ، وقد ورد على مقبرة مونتوخر خبشف Montou bir khopechef (١٧) . قرود أمسك بحبل قيد به كلب ، وأخذ يشد الحبل حتى أصبح قصيراً . ولم يسكن الكلب راضياً عن هذه الحركة فالتفت محتجاً على تلك المعاملة . وربما كان لا يكتفى بمجرد النباح .

وكانت تطلق على الكلاب أسماء فأحد الكلاب من عهد الأسرة الأولى كان يسمى نب Neb « السيد » . وقد دفن بالقرب من سيده . وقد عثر على لوحة محفور عليها اسمه وصورته ، وقد أطلق الملك انتف Antef ، أسماء بربرية على كلابه الأربعة وكان غخوراً بها حتى أنه رسمها على لوحة يمكن مشاهدتها فى المتحف المصرى بالقاهرة .

رقد أقام أمام مقبرته تمثالا ، غير موجود اليوم ولكن أشار إليه

تقرير المستشارين عن نهب المقابر الملكية والكلب باهيك Babika ، وهى كلمة باللغة البربرية تعنى « المها » ، كان يقف بين ساقى الملك .

وفى العراية المدفونة كان يوجد مدفن للكلاب بين مدافن النساء ورماة السهام والأقزام . وفى أسبوط كانت توجد مقبرة أخرى للكلاب ، حيث وجد تمثال كلب من الحجر الجيرى الموجود حالياً فى متحف اللوفر وبغض النظر عن الجرس المعلق فى عنقه فإنه لا يبدى كلب حراسة سهل المعاملة .

ولم يحرم المصريون الكلاب من شرف الحفلات الجنائزية أو المقدسة . ولكن يلاحظ أن الفنانين لم يرسموا لوحة يدلل فيها أحد كلباً أو يلعب معه . ويدل هذا على عدم الابتدال .

وقد بلغ القرد مكانة قريبة من قلب الرجل ، فنذ الدولة القديمة كان له مطلق الحرية فى دخول البيت ، وكان يسلى الجميع بحركات وجهه المضحكة وقفزاته وبالأخص بالأعيه المفاجئة التى كان يقوم بها بمعاونة الأقزام وحذب الظهور الذين يكونون جزءاً من حاشية أى منزل كبير . وكان الأقزام الأشد تقديراً هم الذين جلبوا من بلاد شديدة البعد . فحر خوف قد نال من ملكه حسن التقدير اعترافاً بالجميل ومن علماء الأثار الشهرة لأنه خلال إحدى بعثاته فى أقصى الجنوب أتى بقزم كان يرقص رقصة الآلهة . ولم يحدث مثل هذا الأمر منذ عهد أسيسى Asesi قبل ذلك بقرن مضى . ونرى إحدى المقابر الفخمة حول هرم خفرع ، وهى مقبرة القزم سنب ، وقد وجد بجوار مقابر حكام منات خوفو ، مقابر للأقزام ومحدودى الظهور* ، ولكننا لم نعد نشاهد هذه الظاهرة فى عهد الإمبراطورية الحديثة ، ولا حول مقابر الملوك ولا بجوار قبور الأفراد .

* يدل هذا على أن الأقزام والمحدودى الظهور كانوا مقربين لى هؤلاء الحكام .

وعلى العكس من ذلك لم تفقد الفرود شيئاً مطلقاً من امتيازاتها ، فقد وجد ث . لوريه V. Loret في مقبرة تهمس الثالث مومياء قرود ولم يكن وجوده هناك مجرد رمز لآلهة الكتابة والعلوم فحسب ، وإنما لأنه أدخل البهجة في نفس الملك خلال حياته وكان يأمل أن يستمر أيضاً في إبهاجه في العالم الآخر في مملكة أوزيريس ، وهذا يماثل مومياء الكلب التي عثر عليها في مدخل مقبرة بسوسنس Psousennés . وللفرود شغف شديد بمقاعد سادتهم فإذا لم يكن في البيت أقزام أو محدودبو الظهور فالأطفال ، وأطفال الزوج الصغار هم زملاؤهم المقربون في اللعب . وأحياناً كانوا ضحاياهم (٦٩) وعندما تنضج ، الفاكهة تشاهد القرود وهي تتسلق الأشجار (٧٠) وكانت تلهم من البلع والتين أكثر مما تجمع ، دون أن يثير هذا نائرة البستاق فأراضى البلاد المصرية شديدة الخصوبة ويجب أن يعيش الجميع . إنه آمون الذى خلق كل الكائنات وحاضياً يأتى بالمياه لينتفع بها كل الأحياء ، وكان القرود يتفاهم مع الكلب والقط بسهولة أكثر مما يفعل مع أوزة النيل إذ كان من طباعها حب الشجار غير أنه كان يقوم طباعها إذا اقتضى الأمر ذلك . (٧١)

ويظهر أن القط لم يكن يسمح له بدخول البيوت حتى عهد الدولة المتوسطة . وكان يعيش بجانب المستنقعات ويغير على الأوكار مثل سنور الزباد* والحيوانات الصغيرة التي تعيش على افتراس الطيور . (٧٢) ولم تكن المنافسة بين الصيادين لتقلقه مطلقاً فبينما كان هؤلاء يسرون في حذر شديد وفي سكون تام بين أشجار البردى ، وقبل أن يلقوا بعضاً الرماية ، كان

* حيوان من أكلة اللحوم له رائحة نفاذة تستخدم في عمل العطور .

القط يقفز قفزتين فيمسك بين أسنانه بطة برية ، وهاهو ذا يمسك أيضا عصفورين (٧٣) وقد سمح له بأن يصبح ضيف البيت ولكنه لم يفقد استقلال طباعه أو ينسى غريزته كصيد ، فكان يقبى تحت مقعده ، ولكنه كان أكثر شجاعة من الكلب فيقفز على ركبة سيده متى شاء ويعمل مخالبه في رداءه الفاخر المصنوع من الكتان (٧٤) وقد قبل القط أن يوضع طوق في عنقه وكان لا يضيق ذرعا بالطوق إلا إذا ربط في قائمة المقعد أو إذا وضع إناء اللبن بعيدا عنه فيدرك عندئذ أنهم يريدون السخرية به ، فيقف شعره وتبرز مخالبه ويشد الحبل المربوط به بكل قوته. (٧٥) وفي الأحوال العادية يعيش القط في وئام مع بقية الحيوانات الأليفة والأوزة سمون *Smon*

وقد رسم على أحد الآثار الصغيرة قطعة صغيرة وأمامها أوزة ، ولهدوئها رهية ، ولكن يجب إلا ننسى أنهما رمزان للإله آمون القدير ولزوجته موت فَمَا يتصرفان بوقار كما يجب أن تكون عليه الحيوانات المقدسة ، على أن في مقدورهما استعمال الخالب أو المنقار ، إذا ما أثارهما الغضب ، وليس ثمة أى دليل على أن القط هو الذى سيفوز في المعركة. (٧٦)

لم يجهل المصريون أن القط مصدر رعب للفيران. (٧٧) ولكن يرغبوه في البقاء بالبيت دون أى قيد ، كان سيده يقدم اليه سمكة طيبة فيلتمها القط وهو قابع تحت مقعده. (٧٨) ذهب أبوى Apouy في أحد الأيام ، إلى قاربه الذى كان على هيئة بطة ليصطاد الطيور المائية وكانت تصحبه زوجته وخادمه وأخذوا معهم القط ، وهو بذاته الذى رأيناه يعمل مخالبه في رداء سيده ، وطبقا لغزيرة أجداده المتوحشين كان يغير القط على أوكار الطيور. ولكن سادته كانوا يعرفون تماما اللحظة المناسبة التى ينادون عليه فيها لإعادته إلى البيت. (٧٩)

ومن الطيور المنزلية ، عرف المصريون منذ زمن طويل أوزة

النيل سمون Smon التي يطلق عليها علماء الأحياء اسم Cheenalopex (٨٠) وبدلان وضعها مع مثيلاتها في مكان مغلق فقد تركت طليقة تدخل الألفية والحدائق وتنسرب داخل البيوت . ولهذا نرى خوفاً ، عندما أراد اختبار معلومات ساحر كان يفخر بأنه يستطيع إعادة رأس مقطوع إلى مكانها ، قد فكر على التو في إحضار أوزة سمون . وكانت الأوزة تقسم مع القط ذلك الفضاء الممتاز الذي يجنيه مقعد رب البيت . وكانت ذات طباع مستقلة ، فلم تستغل تلك الحظوة وكانت ترتاد من وقت إلى آخر شواطئ النيل لتتربص . وأضرار الأوزة عديدة : فمكائن تفسد البلح في الفصل الحار من السنة وثمر الدوم في فصل الشتاء . أما بقية السنة فكائن تلاحق الفلاحين فلا تمكنهم من نثر الحبوب في الأرض .

وبالرغم من أن المصريين كانوا ينعوتونها بالحيوان البشع ، فإنهم مع ذلك كانوا متساهلين معها : لقد امتنعوا عن صيدها وتقديمها فوق موائد القرابين الإلهية . وكانوا يتسلون بشراستها وطباعها العذراية وصراخها المزعج . (٨١) وربما كان في استناعتها أن تكون حارساً أمينة يقطعة ، مثلها في هذا مثل الكلب . وإذا ما اقتضى الأمر تقويمها ، فإن القردي يتولى ذلك فالامر في سرور وإن تحمل في سبيل ذلك بعض عضات من منقارها .

الفصل الرابع

الأعمال المنزلية

١ - العناية بالنظافة

كان قدماء المصريين يعنون عناية كبيرة بالنظافة ، ويهتمون بأبدانهم وملابسهم ومسكنهم. (١) وحين صدر العفو عن سنوحى ، عاد إلى مصر . كان من بين مظاهر الفرع الكثيرة التى طرب لها أنه خلع الملابس الصوفية الملونة التى كان يرتديها أثناء اقامته مع البدو (٢) واستبدلها بملابس من الكتان. (٣) ولكي ينس الماضى فعل ما فعله أوليس Ulysee عند الفيسييين (Phaeaciens) إذ أزال شعر جسمه وتمشط وتذلك لاجزوت الأشجار فحسب ولكن بأخر أنواع العطور أيضا التى قد تسكون محفوظة فى أناء من الزجاج الطبيعى ومن الذهب ، مثل ذلك الاناء الذى كان يستعمله أبى شمو Abichehou ملك جبيل والذى كان امنمحات الثالث قد اهداه له .

كان المصريون يغتسلون عدة مرات فى اليوم فى الصباح عند الاستيقاظ من النوم وقبل تناول الوجبات الرئيسية وبعد الفراغ منها . كانت أدوات الاغتسال تتكون من طست وابريق ذى صنوبر توضع عادة تحت مائده مستديرة ذات ثلاثة أرجل محممة بألوان الطعام . واسم الطست شأوتى Chaouty ويظهر أنه مشتق من المقطع châ بمعنى رمل ، والخادمة التى تصب الماء تسمى حسمنيت Hesmeynt مشتق من كلمة حسمن Hessem بمعنى النظرون وبعده قد أنه كان بوضع نظرون فى مياه الإبريق ورمال فى الطست . أما مياه مضمضة الفم فكانت تعقم بنوع آخر من الملح يسمى بد Bed وأطلق اسم سوابو Souabou المشتقة من أراب Ouab بمعنى نظيف أو نقى على معجون

جاف محتوى على مادة للترغية وللتنظيف وإزالة الشحم كالرماد أو الصلصال . (١) .

وبعد أول اغتسال يتوجه الرجال إلى الحلاقين وإلى مقلبي أظافر الأيدي والأرجل ، كذلك يتجه النساء إلى محلات التزيين . ويعتبر استيقاظ الملك حدثا عظيما في البلاط ويعتبر كبار الشخصيات الاشتراك في هذا الحفل فخرا كبيرا لهم وأنهم جديرون بأن يوصفوا بالدقة والمواظبة . (٥) وكذلك كان بالنسبة للوزراء وكبار الحكام والمحافظين فكان لهم مثل هذا الحفل ، كان الأخوة والمعارف والأقارب يلتفون حول رئيسهم ويجلس الكتاب القرفصاء لتسجيل الأوامر بأقلامهم المشرعة أو يفردون ورقة طويلة من البردى تحتوى على أسماء وأرقام وأعمال فرغوا من العمل فيها أو لا يزال العمل جاريا ويتناول عمال تقليم الأظافر الأيدي والأرجل ، ويتولى الحلاق حلقة الذقن ويقص الشعر مستعملا موسى منحنى السلاح ذا كلابة وهو تحسين للنوع القديم الذى كان على هيئة سكين النجار ، ذلك النوع الذى كان سائدا في الدولة المتوسطة ، وكانت هذه الأمواس تحفظ في أجربة من جلد مزودة بخلفات صغيرة وكانت توضع الأجربة بجانب مشابك الشعر والمسندات ومقصات تقليم أظافر الأرجل والأيدي في صناديق أنيقة من الأبنوس . (٦)

ويخرج الرجل من هناك نظيفا منتعشا . ذقه قصيرة الشعر مربعة الشكل ورأسه قد نزع شعره تماما أو صار على الأقل قصيرا ، وبأني بعد ذلك دور الأخصائين والصيدلة الذين كانوا يحملون الروائح العطرية والطيب في أوان مختومة من البللور أو المرمر أو الزجاج الطبيعى ، كما يحملون مساحيق خضراء وسوداء لتجميل العيون داخل أ كياس صغيرة ربطت من أعلى بأشرطة (٧) .

وكانت العيون المكحيلة المستطيلة تروق المصريين ، كما كانت تلك المساحيق وسيلتهم لحماية العيون شديدة الحساسية من أنواع الرمذ التي يسببها انعكاس الضوء والرياح والغبار والحشرات .

ولم تكن تنقصهم مواد التجميل ، وانتفاذى الرائحة الكريهة التي تذبعث من الجسم حين تشتد الحرارة . كانوا يداكون أنفسهم عدة أيام متتالية بعطر أساسه زيت النفط ويسمى سونتى Sonte ومن البخور المسمى أنتى Anti الذى كان يخلط بحبوب غير معروفة وبمادة عطرية أخرى . وكانت بعض تركيبات أخرى تستعمل فى مواضع التقاء عضوين من أعضاء الجسم .

وكان لديهم منتجات للتجميل ولتجديد البشرة ولتقوية الجسم ، وأخرى لإزالة البقع وحبوب الوجه . فكانوا يستعملون مثلاً لتقوية البشرة مسحوق المرمر أو مسحوق النظرون أو ماح الشمال بمزوجا بالعمل ، كما توجد وصفات أخرى أساس تركيبها لبن الأتان أما جلد الرأس فقد كانوا يعنون به عناية كبيرة دائمة ، تتمثل تارة فى انتزاع الشعر الأشيب أو تسرب الأشيب إلى شعر الحواجب . وتارة أخرى فى العمل على تلافى الصلع أو إعادة نمو الشعر . وكانوا يعلمون أن زيت الخروع أحسن علاج لذلك ، كما كانوا يعرفون كيف يعملون إلى إزالة شعر الجسم والعدار . وكان فى متناول النساء تركيب خاص تسقط به شعرها (٨) إذا ما أرادت الكيد لها .

ولدينا وصفة علمية د دونت فى نهاية بحث خاص بالجراحة ذات هنوان ينطوى على بعض الإدعاء هو « إعادة الشيخ إلى الشباب » يحصل على قرون وتجفف ثم تفصص وتفصل البذور عن القرون ثم تعمل عجينة من هذه البذور ويخلط بكمية مساوية لها من القرون وتترك حتى تتبخر المياه ثم تغسل وتترك ثانية لتجف ثم يصحن مسحوقا ، وإذا عملت عجينة من هذا المسحوق وسخنت

على النار فإننا نرى طبقة خفيفة من الزيت تطفو على السطح . ويصب هذا الزيت بعد تصفيته في آنية من الحجر الصاب مثل الزجاج الطبيعى . وهذا الزيت الثمين يكسب البشرة لونا لا مثيل له وهو دواء مضمون لعلاج الصلع وبقع الشمس وتجاعيد الشيخوخة والبقع الحمراء التى تشوه الجلد . (٩) وهذا الدواء الهام قد استعمل بنجاح ملايين المرات وليس له عيب سوى أن تحضيره يتطلب وقتا طويلا وأن الكمية التى يحصل عليها منه قليلة ولذلك كان باهظ التكاليف . كان أفراد الطبقات الفقيرة يذهبون إلى حلاق يجلس تحت ظلال شجرة فى العراء ، وانتظارا لدورهم كانوا يتحدثون أو يبقون جالسين دون أن يتمددوا ، فيحنون ظهورهم ويضعون رؤوسهم بين أيديهم ويسندون جباههم على ركبهم وقد يحدث أن يجلس اثنان أحيانا على مقعد واحد مستدير دون مسند والعميل الذى يصيبه الدور يجلس على مقعد ذى ثلاث أرجل ويسلم رأسه للحلاق فيجعله أماس كحجر على شاطئ البحر . (١٠)

أما زينة المرأة الغنية فكانت حدثا هاما مثل زينة زوجها . وبين لنا نقش بارز كيف يتم تزيين إحدى محظيات البلاط . (١١) فقد جلست هذه السيدة على مقعد مريح ذى مسند كبير للظهر ، ومتكئات أخرى جانبية ، ممسكة بيدها مرآتها التى على هيئة قرص من الفضة اللامعة ولها مقبض من الأبنوس والذهب على شكل عمود يماثل ساق نبات البردى ، ولم تقف عامة الزينة دون عمل فبأصابعها الرقيقة الماهرة نراها قد فرغت من عمل مجموعة من الضفائر الصغيرة رغم أن شعر المحظية كان قد قص قصيرا إلى حذما ، وبمبشك من عاج ، حجزت خصلات الشعر المتناثرة التى لم تقناؤها بعد . وكان هذا العمل يتطلب وقتا طويلا . ولأجل الترفيه عن السيدة كان خادم قد كاف بإحضار كأس وصب فيها من قنينة ، قائلا عندما لمس الكأس شففى

سيدته : « في صحة قرينك (الككا) ، . وأما زوجة أنوبو Anopou المتوسطة الحال والتي كان زوجها فلاحاً ومالكاً صغيراً فكانت تقوم بعمل زيتتها بنفسها عندما يسكون زوجها وأخوه في الحقل . وهي لا تحب أن يضايقها أحد . وكانت إذا قامت لقضاء أمر أفسد زيتتها في الطريق ، اضطرت إلى إعادة الكرة من جديد (١٢) .

٢ - الزى

حينما كان الرجل يتزين ، كان لا يرتدى إلا ملابس الصباح البسيطة ، وهي الإزار ، ويظل عارى الرأس حافى القدمين لا يتزين بالحلى أو يتزين بالقليل منها ، وبعد أن تم زينته يمكنه أن يحتفظ بإزار الصباح حتى ولو كان مضطراً إلى مغادرة منزله ، يزين معصمه بزوج أو أكثر من الأساور ، ويضع خاتماً في أصبعه ، وحول رقبته عقد يتألف من خمسة أو ستة صفوف من حبات الخرز ، قد ضم طرفاه بمشبكين على هيئة رأس الصقر ، وإذا أضاف دلالة ، من حجر اليشب أو من العقيق معلقة في خيط طويل ، أصبح في هذه الحالة كامل الزينة واستطاع أن يزور ضياعه ويستقبل رجال الأعمال أو يتردد على بعض المسكاتب . وفي وسعه إذا شاء أن يستبدل الإزار برداه كامل ويحتدى نعلا في رجليه ، (١٣) وكانت النعال معروفة منذ أقدم العصور ولكنهم كانوا يحرصون على عدم استعمالها إلا في المناسبات ، فالملك نارمر الطاعن في السن كان يسير حافى القدمين يتبعه خدومه ، وكان أحدهم يحمل نعل الملك . وأوفى Ouni اتخذ الإحتياطات الكافية بمنع الجنود من سلب النعال من أيدي المارة ، (١٤) من الأيدي وليس من الأقدام . وعندما يذهب القرويون لإنجاز أعمالهم ، كانوا يحملون النعال في أيديهم أو يربطونها في طرف العصا ، وكانوا يتناولونها حينما يصلون إلى المسكن (١٥) (٧ م - الحياة في مصر)

المقصود . وفي عهد الإمبراطورية الحديثة ، وخاصة خلال حكم الرعامسة استعملت النعال بوفرة ، فكانت تصنع من ورق البردى المضغوط أو من الجلد أو من الذهب أيضاً .

وفي مقدمة النعل سير يمر بين أصبعي القدم الأول والثاني ويلتف حول أعلى القدم حيث يتصل بسيور على جانبي النعل ربطت على هيئة عقدة خلف الكعب . وإذا كان النعل من الذهب فتكون السيور بدورها من الذهب . وفي هذه الحال لا بد أنها كانت تسبب جروحاً لمن يرتعلها وخاصة لأولئك الذين كانوا لا يرتعلونها إلا قليلاً . (١٥)

وقد أشارت بعض أوراق البردى الطبية إلى أن المصريين كثيراً ما كانوا يعانون من أقدامهم . (١٦)

وكان بعض المصريين يرتدون ثياباً لا زخرف فيها ، ذات حمالات ، وكانت تمتد بطول الجسم من الصدر إلى أخمص القدم . غير أن أكثر المصريين كانوا يفضلون أن يرتدوا بدلاً من تلك الثياب البسيطة ، ملابس ذات ثنيات لها فتحات واسعة عند الرقبة ، تتناسب مع الجزء الأعلى من الجسم وتوسع عند نهاية الثوب ، أما الأسفل فمقصورة نوعاً وتنتهي بانسياب . وفوق هذا الثوب حزام عريض مصنوع من شال ذي ثنيات من نفس قماش الثوب ، وتنتهي طرفاه على هيئة منشفة مثلثة الشكل . أما الزى الكامل للاحتفالات فكان يتطلب شعراً مستعاراً يحيط تماماً بالرأس ، وبمجموعة كبيرة نفيسة من الخلي والعقود والدلايات وحلي الصدر المزودة بالسلاسل وأساور للرسغ والذراع ونعال للقدمين . (١٧) وكانت ملابس سيدة المجتمع لا تختلف كثيراً عن ملابس زوجها فكانت تشمل قيصاً

شفافاً جداً ، وفوقه ثوب أبيض شفاف ذو ثنيات مثل ملابس الرجال ، يعقد على النهد الأيسر بينما يكشف النهد الأيمن ويمتد مفتوحاً من تحت حزام الوسط. حتى القدمين. أما الأيكام المزركشة بالخمائل فإنها تترك السواعد مكشوفة ، وتكشف عن جمال الأيدي الطويلة المنسقة والأرْسُخ المكنيطة بالأساور ذات الأشكال المختلفة : إذ كان منها ما هو على شكل رقيقتين مزخرفتين من الذهب تربطهما مفصّلتان ، وأقراط من الذهب المصمت وعقود من اللؤلؤ ، والخيل المنتفة والشرائط من الذهب . وكان الشعر المستعار المجدد يفسد فوق الأكتاف والظهر ، ويتألق بين الشعر تاج جميل من الفيروز واللآلئ والذهب ، قد ثبت خاف الشعر بشريطين تدلى منهما الطرر .

وفوق هذا الزخرف المعقد للشعر ، كن يضعن قعاً يحفظن توازنه بأعجوبة . ولم يعرف بعد ما كان يتركب هذا القمع ، ولكن نعتقد أنه كان نوعاً من الدهانات المعطرة . ولم يكن هذا الشكل المخروطي مقصوراً على النساء وحدهن فقد كان الرجال بدورهم يضعونه فوق رؤوسهم في غالب الأحيان. (١٩)

والملايس التي سبق أن وصفناها لا تلائم إلا فئة الأعيان الذين لا عمل معين لهم ، أما طبقة العمال فكان أفرادها يرتدون ملابس أكثر فائدة عملية . وكان الفلاحون والصناع يكتفون - كما هو الحال في العهد السابق - بإزار له حزام في حجم اليد دون حلية أو زركشة يختلف عن إزار الأسويين الذي كان ينتهى بطرر تزينه .

أما أفراد الطبقات المتوسطة فكانوا لا يقلون عن أفراد الطبقات

الغنية في الولع بالحلى والجواهر . وكانوا يستعوضون عن الذهب بحلى من الخزف والبرونز . والنساء عتقات الموسيقى كن يرتدين ملابس مثل سيدات المجتمع : رداء طويلًا شفافاً ، وكثيراً ما كن لا يرتدين ملابس إطلافاً ويسكتفن ببعض الحلى وبخزام وعقد وأساور وأقراط . أما خادמות المنزل الصغيرات ، وكثيراً ما كان من العسير تمييزهن من الأطفال ، فكن يمرن عراة الأجسام لا سيما عندما يستقبل سادتهم الضيوف عارضين على المعجبين في جراحة عجيبة أجسامهن النحيلة الرشيقة .

٣ - الطعام

كان للمصريون يقدرون دائماً قيمة أراضيهم الزراعية ولا يهضون عليها بجهودهم ، ومع ذلك كانوا يخشون شر المجاعة . كانوا يعلمون أن فيضاً ضعيفاً جداً أو جارفاً يستتبعهما بحصول ضئيل . وكان واجب الحكومة يفرض عليها أن تتخذ الإحتياطات التوطينية اللازمة على نحو ما أشار به يوسف على فرعون ، بعد أن فسر حلم البقرات والسنابل لمواجهة الموقف وسد العجز . وهذه الإحتياطات الأولية قد أهملت دون ريب في السنوات الأخيرة التي سبقت سقوط الرعامسة . سئلت امرأة عن مصدر الذهب الذى وجد عندها فأجابت : « لقد حصلنا عليه ثمناً للشعير في سنة الضباع ، عندما تفشت المجاعة ، (٢٠) » .

وكانت الحرب على أشدها عندئذ ضد الكفار ، والعصابات منتشرة في كل مكان ، في المعابد والقصور والضنياع ، يقتلون ويسرقون ويحرقون مواد الطعام . وكان الفلاحون لا يفرطون في المواد الغذائية إلا بعد تسلم ثمنها وزنا بالذهب . وقد أشعرت مثل هذه الأحوال الشعب بالندم على غزو

الملكسوس . ولكن قدماء المصريين عاشوا في رغد من العيش طوال أجيال بين هاتين الفترتين العصبيتين ، إذ كانت الخيرات عميمة في عهد سبتى وعلى الأخص في عهد الرعامسة العظام ، ونشاهد في النقوش البارزة في المعابد أو المرسومة في مقابر الخاصة كميات كبيرة من القرايين وشبانا يحملون الطعام أو يفودون الماشية . وقد دون في بردية هاريس Harrie الكبرى تفاصيل لسخاء رمسيس الثالث نحو الآلهة وبأنه يفضل تقديم ما كولات كقرايين بدلا من المعادن الثمينة والملابس والعطور . وكل هذا يدل على أن المصريين كانوا يميلون إلى الجيد من الطعام ، حتى لو كانوا على سفر خارج بلادهم : فعندما ما كان سنوحى في مقاطعة إيا Iaa بسوريا وجد تينا وعنباً ونبذاً وأوفر من المياه ، وعسلا وزيتا وكل أنواع الفاكهة والشعير والنشا وقطعانا لا حصر لها من الماشية ، وعلى الجملة ، كل ما يوجد من الخيرات تقريباً في أحسن مزارع مصر ويقول أيضاً : « كنت أصنع الفطائر كالعادة ، وأتناول التبيذ مع الطعام كل يوم ، وأكل اللحوم والطيور المشوية بجانب الحيوانات البرية التي كانت تصاد من أجلى وتوضع تحت نصر فى ، فضلا عن الصيد الذى كانت تحضره لى كلابى . » (٢١) ولم يكن فى استطاعته وهو فى مصر أن يحصل على أكثر من هذا . ولم يكن البحار الغريق بدوره سىء الحظ فى الجزيرة التى لجأ إليها فى البحر الأحمر ، فقد قال : « وجدت هناك تيناً وعنباً وكافة الخضروات والسكرات الكبير والخيار والبطيخ والشمام فى حالته الطبيعية وأسماءها وطيوراً ولم يكن هناك شىء غير موجود بها . » (٢٢)

ولنعد إلى مصر لحصر الموارد الغذائية .

ولنبداً باللحوم ؛ كان المصريون دائماً من أكثر الناس أكلا للحوم . فنماظر القصابين وأفواج الحيوانات المخصصة للذبيح تغطى جدران المقابر .

وكان العجل أكبر مصدر للحوم . وباسم ابووا loua كان يعرف الثور الأفريقي ، وهو حيوان كبير الجسم ذو قرنين كبيرين عادة ، سريع الجرى . وبفضل نظام مناسب في غذائه ضخيم حجمه وزاد وزنه ، وحينما يصير غير قادر تقريباً على السير يصبح صالحاً للذبح . ويمكن أن يشاهد هذا المنظر في مواكب أييدوس وفي مدينة حابو. (٢٣) فكان السائق يضع حبلاً في أنف الحيوان ويربط به الشفة السفلى أيضاً ليتمكن من السيطرة عليه . والحيوانات التي تفوز في السبق تزين بوضع ريش النعام وعلمين صغيرين بين قرنيها . وعندما يصل الموكب إلى مدخل المعبد يستقبله كاهن يحمل مبخرة متقدة بيده الممتدة تجاه الحيوان ، وقد وصف هذا المنظر بالسجلات الآتية :
« تسكريس العجل الطاهر الفم للجزر النقي لمعبد رمسيس ميامون الذي يجاور تا أور Ta Our » . ولا يقبل الفاحصون سوى الحيوانات السليمة ويعادون الكشف عليها بعد الذبيح .

وكانوا يطلقون أسم أنجو Ondjou على العجول الصغيرة التي لا قرون لها أو ذات القرون الصغيرة ، ويطلقون أسم نجا Nega على العجول ذات القرون الكبيرة والأجسام الضخمة ولكنها أكثر توحشاً من العجول المسماة أبووا وبالتالي يصعب تسميتها ، ولذلك ترى ضامرة الأجسام دائماً في رسومها . وبعض الصفات التي تطلق على أنواع الحيوانات المعدة للذبح لا يمكن معرفة كنهها إلا بصعوبة ، فعلى سبيل المثال : والعجول التي في مقدمة القطيع أو العجول الصغيرة* . أما العجل المسمى حريسا Herysa فهو على ما أعتقد أجمل ما في الحظيرة من حيوان . ووردت أحياناً إشارة إلى ثيران العمل التي تنتمي في الأصل إلى سوريا أو ثيران بلاد كوش. (٢٤)

وفي عهد الدولة القديمة ، كانت الحيوانات الصغيرة التي تقطن الصحراء

ورد في الأصل بالهروغليفية : ثيران فيط Qite وفيط هي وحدة قرون صغيرة

آخر ويشده مما يضطر الحيوان إلى رفع قدمه المربوطة عن الأرض ، وفي هذه الحالة يفقد الحيوان توازنه فيسقط على الأرض ويهجم عليه جمع من الجزارين ، ويحجم أشدهم جرأة على رقبتة ويمسك بقرني الحيوان ويشد رأسه إلى الخلف . ويتعلق جزار آخر بذيل البهيم . ويحاول ثالث رفع إحدى القدمين الخلفيتين إلى أعلى حتى يسقط الحيوان على ظهره ، وعندئذ تربط رجلاه الخلفيتين مع القدم الأمامية السابق إدخالها في العقدة ، ويصبح من المتعذر عليه أن ينهض ثانية ، أما القدم الأمامية الأخرى فتبقى دون قيد ، ولا يمكن أن تكون ذات فائدة للحيوان المغلوب على أمره الذي يحاول أن يؤخر ساعة أجله المحتوم فيقوص ظهره ، ويمسك جزار قوى الشكيمة رأس الحيوان ويطوح به إلى الخلف ويظل ممسكا به دون حركة ويسند القرنين على الأرض فيصيح النحر مرتفعاً إلى أعلا . وليس لدى الجزارين من أسلحة سوى سكين حادة ذات مقبض قوى مستديرة الطرف حتى لا يشق الجلد . وطول هذه السكين يزيد قليلا عن طول اليد الواحدة وقد علق المسن في جانب من المثزر . ويذبح رئيس الجزارين الضحية ويجمع الدم في إناء ، وإذا تمت هذه العملية في مجزر المعبد ، تقدم كاهن وسكب فوق الجرح سائلا من إبريق . وقد يكون هذا الكاهن أحيانا أحد موظفي الخدمات الصحية . يضع الجزار يده المخضبة بالدم تحت أنف الكاهن قائلا : « انظر هذا الدم ، فيرد عليه وهو ينحن ليتأكد من سلامة الذبيحة زيادة في الحرص ، وفي تلك اللحظة يبدأ تقطيع أوصال الحيوان بسرعة فائقة . تقطع أولا الساق اليمنى التي تركت بدون قيد عند إيقاع الحيوان على الأرض . ويمسكها مساعد الجزار رأسيا ويجذبها إليه ثم يجرها أن تطلب الأمر ذلك كي ييسر للجزار عملية تقطيع العراقيب وهو يدخل سكينه في المفاصل . وبعد أن تفصل الساق تترك للجالين بكاملها وبعدئذ تفصل الرأس عن الجسم الذي يشرح ثم يسلخ الجلد

ذات قيمة كبرى كصدر غذائي. وقد كان المصريون يتوجهون إلى الصحراء لصيد الماعز البرى Oryx والغزلان والوعول . وكان يسعدهم جدا صيد هذه الحيوانات حية ليربوها في حدائقهم ، غير أن تربية الحيوانات بهذه الوسيلة فقدت الكثير من أهميتها في عهد الرعامسة .

فكان رمسيس الثالث يبعث بالصيادين إلى الصحراء لاصطياد الماعز البرى ، وقد قدم في عهده لمعبد آمون الكبير ٥٤ عدداً من الماعز البرى ووعلاوا واحداً و ٨١ غزالاً . وسجل في كشف تكميلي أنه قدم ٢٠٦٠٢ عجلاً و ٣٦٧ من المها والطيوس والغزلان . (٢٥) ويشاهد في موكب أيدوس معزة برية جميلة ذات قرون مستقيمة ولها تسمية غريبة : «عجل المها من حظيرة رمسيس» . ونرى بين الفينة والفينة رسم أحد الماعز البرى بدلاً من العجل في المناظر التي تمثل الذبح ، و لكن لم أجد رسم البقر الوحشى مشتركاً مع رسم العجول في مناظر الولائم . وعلى ذلك يمكن الحكم بأن حيوانات الصحراء لم تكن تصاد لغرض الطعام بل كانوا يفضلون تقديمها قربانا للمعبودات مثل المها والغزلان ، وذلك ذكرى للعهد السالف حين كان المصريون يعتمدون على صيد الحيوان لا على تربيتها . ولا يوجد على ما أعلم أى مستند يمكن أن يؤيد أن قدماء المصريين كانوا يأكلون لحم الخنازير أو الماعز أو الخراف ، ولكن لا يوجد أيضاً ما ينفي ذلك ، وحتى في الصعيد كثيراً ما نرى مثل هذه الحيوانات في المزارع .

وتنتهى مهمة الرعاة حينما يساق العجل إلى المجزر . (٢٦) وعندئذ يبدأ دور الجزارين . وهؤلاء كان يتراوح عددهم بين أربعة أو خمسة رجال يهاجمون الحيوان في عزم ويجهزون عليه بطريقة لا تختلف عما كان متبعاً في العهود السالفة؛ فيبدؤون أولاً بإدخال القدم اليسرى الأمامية للضحية في عقدة من الحبل ويلقون بالطرف الآخر للحبل فوق ظهر الحيوان فيتلغفه جزار

ويستخرج القلب . وتحل بعد ذلك أقدام الحيوان الثلاث من قيودها ثم تقطع بدورها . وتقسم الساقان الخلفيتان إلى ثلاثة أجزاء هي الفخذة سرت Sout والركبة أبووال loul والرجل انست loest . ثم تقطع الأضلاع إلى أجزاء كثيرة منها القطعة المسماة « الفيليت » - لحم الكتف وهي قطع اللحوم الممتازة وبعدها القطع الجانبية أي الفيليه الكاذبة « بيت السكلاوى » التي تليها في الجودة ومن أجزاء اللحوم الممتازة الكبدة والطحال إذ أن كثيرين كانوا يولعون بأكلها ، ويعنى الجزار عناية كبيرة بالأمعاء ، فيخرجها على مهل ليفرغ ما بها . وهكذا يستمر العدل وفقا للتعليمات والأوامر على النحو التالى : « أسرع أيها الزميل ! استحلفك بمباتك أن تسرع ! خلصنا من هذه الفخذة ! خلصنا من القلب ! » .

وإذا كان العمل جاريا داخل أحد المعابد ، فإن حضور رئيس الإحتفالات أو مجرد ذكر اسمه كفيل يجعلهم يبذلون جهدا مضاعفا . إنهض أيها الصديق وأسرع ، استخرج هذه الضلوع من مكانها قبل أن يحضر الرئيس ويقوم بصف العمل على المائدة . هذا هو لحم الكتف ضعه على هذه المائدة المستديرة . . وينفذ المخاطب الأمر دون أدنى تذمر قائلا : « أنى أفعل ما يسرك . . أنى أفعل ما يرضيك » ، وفي بعض الأحيان يخاطب الجزار نفسه عندما يتركه مساعده بقوله : « من العسير على أن أفعل كل هذا وحدى » .

ولم تكن الديكة والدجاج معروفة في ذلك الوقت ، ولكن الدواجن واستهلاكها كانا يقومان على نطاق واسع . وفي بردية هاريس الكبرى كانت تعد الدواجن بمئات الألوف . وقد قدمت هبة من الحيوانات ذوات الأربع بلغ مقدارها ٢٠٢٩ وعدد من الطيور مقدارها ٢٥٠ و ١٢٦

الاسماك ، وكان ممنوعا في بعض المحافظات وفي بعض المدن وكذا في بعض
الفصول أكل هذا النوع أو ذاك من الاسماك . يدل كل هذا على أنه لم يكن
يبغض ما زحافيا هو طاهر ونجس ، فإن كافة الأهالي ، حتى من هم في المعابد
لم يتورعوا عن أكل الاسماك ولكنهم حسب ما اعتقد يمتنعون عن أكل
الأنواع الرديئة القليلة الغذاء مثل السمك المسمى بو Bou أى «الردى» المعاف ،
والنوع المسمى شب Chep أى «الندامة أو الأشف»* ، فكان سكان الدلتا وكذلك
الذين يعيشون على ضفاف بحيرة الفيوم صيادى أسماك محترفين ، وقد عثر
ماريت Mariette بحمة تانيس على مجموعة من أحجار الجرانيت تمثل رجلين
ضخمى الجسم غزيرى شعر الرأس والذقن ، يسيران جنبا إلى جنب فى خطوة
واحدة ويحملان مائدة يتدلى منها نوع فاخر من السمك (البياض) .

وتسجل بردية هاريس كيات وفيرة من الاسماك من بين ما يوزع من
الطعام فى معابد طيبة وأون ومنف : ٤٤١٠٠٠ من الاسماك الكاملة من
أنواع مختلفة وخاصة من البورى ، والقرموط والشال . وهى من الاسماك
المتوسطة الحجم .

أما سمك البلطى الكبير الحجم وسمك البياض فقد بلغ من ثقله ما يستلزم
رجلين لحمل الواحدة منها . (٢٩) ولكى يحملوها كانوا يدخلون عصا طويلة
تخترق أذنيها ثم يضعان طرفى العصا فوق أكتافهما ويسيران بخطى نشيطة
بينما يتدلى ذيلها على أرض الطريق . وسمكة كبيرة مثل هذه كانت تكفى
وحدها لاطعام أسربا كلها .

أما أنواع الخضر فقد وردت فى تقويم مدينة حابو تحت الوصف
العام للمحاصيل السنوية رينبوت وهى إما معروضة على موائد

* هذا النوع من السمك ذو لحم ناعم وسلسلة فقرية وأشواك

أو مربوطة في حزم . وقد ذكر على حدة البصل والسكرات وهما صنفان
كانا معروفين منذ أزمنة سحيقة القدم . وبما يحكى أن تاجرا من عهد الدولة
القديمية قال لعميله عندما تقدم إليه ومعه رغيف : « ضعه جانبا وسأعطيك
بصلا جيدا حجو » . e . h d j o u .

أما السكرات باقت Iaqet فقد ورد ذكره في بردية ايبرس الطبية Ebers
وفي قصة خوفو والسحرة ، كما أن البحار الغربيين كان قد عثر عليه في جزيرته
التي وجد فيها كل شيء . وأما الثوم فكانت له مكانة كبيرة عند المصريين .

وقد زعم هيرودوت أن العمال الذين كانوا يعملون في بناء أهرام
خوفو قد أكلوا من الفجل والبصل والثوم ما تقدر قيمته بألف وستمائة
وزنة من الفضة . ويجوز أن يكون هذا الزعم صحيحا ولو أن هذه البيانات
لم تدون على الآثار كما اعتقد هيرودوت ، ومهما يكن الأمر فقد وجدت في
مقابر طيبة بعض ربطات من الثوم ، والاسم المصري القديم للثوم هو
خيزان Khizan وقد حققه فيكتور لوريه V. Lorel في بردية هاريس
الكبرى وفي ترجمة العهد القديم باللغة القبطية . (٢٠) وقد وزع رمسيس
الثالث كميات وفيرة منه على المعابد ، وقد أبدى العبرانيون ، وهم في طريقهم
إلى أرض الميعاد أسفهم على الخيار والبطيخ والسكرات الكبير والبصل
والثوم التي كانت موجودة بكثرة في مصر (٢١) وكان البطيخ والخيار والشمام
يظهر كثيرا على موائد القرابين بجانب حزم البردى التي ظن البعض خطأ
أنها حزم من الهليون (والإسبرج) ، وقد زعم المؤرخون الكلاسيك أن
الدين كان يمنع أكل الفول والحمص ليعتاد الناس ، كما كان يعتقد دiodore ،

منها ٥٧,٨١٠ حمامة و ٢٥,٠٢٠ من الطيور المائية التي تصاد حية من المستنقعات و ٦,٨٢٠ من الأوز و Ro* و ١,٤٣٤ من الأوز ترب Terp** و ٢,٠٦٠ من الطيور التي تفرخ، و ١,٤١٠ من طيور البشاروش ذات الأرجل الطويلة و ١٦٠ من طيور السكركي. أما السمان پارت Part فقد بلغ عدداً هائلاً هو ٢١٧٠٠ و ١,٢٤٠ وهذه القائمة تعتبر جزءاً ضئيلاً إلى حد ما إذا قورنت بالقائمة التي يمكن عملها حينما نرجع إلى مناظر الصيد وتربية الحيوانات التي دونت على جدران مقابر الدولتين القديمة والوسطى.

وتوجد ثلاثة أنواع من طيور السكركي هي المسماة جات وأبوو وجا، ويمكن أن نضيف إليها أفراخها الصغيرة المسماة أوجا (أو أوزة). والأوز والبط والحمام ويط الماء كانت مقسمة إلى خمسة عشر نوعاً، وليس ثمة شك في أنها لم تكن قد انقرضت في عهد الرعامسة. ولكن هواة تربية الطيور كانوا قد قصروا جهدهم على الأنواع القليلة التي اعتقدوا أنها ذات فائدة أعم من غيرها. (٢٧)

وقد ورد في لوحة الملك الآثيوني پيكنخي Piankhi أنه بعد أن استولى على مصر، رفض أن يجلس على مائدته أمراء الصعيد والدلتا، لأنهم كانوا فاسقين ويأكلون الأسماك، وكانت تقاليد القصر الملكي تعد هذا جريمة لا تغتفر، ماعدا نمروت الذي كان لا يأكل السمك، وربما كان سبب ذلك راجعاً إلى أنه كان يعيش في مدينة كهنة الأشمونين (٢٨) ولم تكن قائمة طعام الموتى في الإمبراطورية الحديثة وكذلك في العهود السابقة تحوى

* هو المعروف عند سكان شمال الدلتا بالبط الشهران .
** " " " " " " بالساكن

رياضة أنفسهم على الحرمان من بعض الأشياء . (٢٢) على أنه قد وجد في الواقع ببعض المقابر الفول والبازلة والخص . ونعلم أن كهنة أون ومنف قد أخذوا الفول في عهد رمسيس الثالث (٢٣) . والواقع أن الخص يشبه إلى حد كبير رأس الصقر ، وخاصة رأس الصقر الذى يغطى الإناء الكانوبي الثالث المخصص لحفظ أحشاء الموتى ، المسمى قبح سنوف ، ولكن لم يكن ذلك سببا الامتناع عن تناوله ، غير أنه يحتمل أن يحدث ذلك في بعض الأيام وفي بعض الأماكن . أما الخص فكان يزرع في الحدائق على مقربة من البيوت ويغمر بالماء وكان نبات المعبودين *Mia* الذى أقيم تمثاله في أغلب الأحيان تجاه مربع من نبات الخص . ولكن هذا المعبود (إله التناسل) لم يكن المعبود الوحيد الذى كان يأكل الخص . ويروى مؤلف قصة النزاع بين هورس وست أن إيزيس توجهت إلى حديقة ست وسألت البستاني عن أنواع الخضر التى كان يأكلها ست فاجاب البستاني : « لم يكن يأكل ست شيئا أما سوى نبات الخص » . وفي اليوم التالى ذهب ست إلى الحديقة حسب عادته اليومية وأكل أيضا نبات الخص . وكان ست فاسقا ولكن مين كان يفوقه مجونا . وقد لوحظ أن الخص يجعل الرجال شبقيين والنساء خصميات ، ولذلك كانت تستهلك منه كميات عظيمة . والخص الأخضر الجميل كان يوجد دائما بوفرة على موائد القرابين . وما لا ريب فيه أنه كان يؤكل كما يفعل العرب اليوم ، نيتا مع الزيت والملح . (٢٤)

ولم يكن لقدماء المصريين حفظ الحديدين ، لأنهم لم يعرفوا البرتنال ولا الليمون ولا الموز . أما الكمثرى والخوخ واللوز والكريز فلم تظهر على الموائد إلا في عهد الرومان . ولكنهم كانوا يأكلون خلال الصيف ، في

مختلف العصور ، العنب والتين والبلح والجميز الذى كان أصغر حجماً وأقل حلاوة من التين . وفى أفليم مصر لم يكن البلح يوجد إلا فى نواحي طيبة ، أما دوم النخيل ، وإن كان صالحاً للأكل ، فقد كان يستخدم فى أغراض طبية ، أما جـوز الهند فكان فاكهة غريبة مفضلة لدى بعض الخاصة . واستمر المصريون فى زراعة أشجار الرمان والزيتون والتفاح التى أدخلت فى عهد الهكسوس ، وكانت تعطى ثماراً طيباً . وكان زيت الزيتون يستعمل فى الإضاءة كما كان يستعمل فى الطعام . وقبل أن يعرف المصريون شجرة الزيتون ، كانوا يزرعون أشجاراً أخرى تدهم بالزيت وأهمها شجرة نخيل الزيت بالك ويمكن إضافة أشجار الپرسيا والنبق والعناب والزيفون إلى قائمة الأشجار المثمرة .

ولا ينبغي أن ننسى أن عدداً كبيراً من أسماء الأشجار والنباتات لم يفسر التعرف عليه بعد . ولا يمكن حصر موارد المصريين من الفاكهة والخضر بكل دقة . وكانت الطبقات الفقيرة تسكتفى فى بعض الأحيان بمصر سيقان نبات البردى كما يصنون الآن عيدان القصب وبعض عصير النباتات المائية التى وجدت أكوام مملوءة منها فى المقابر . (٢٥)

أما اللبن فكان طعاماً لذيذاً ، وكانوا يضعونه فى أوان من الفخار يضاوية الشكل ، يسدون فوهاتهما بأعشاب لحمايتهما من الحشرات وحتى لا يكون إغلافها محكما . ولمنتجات الألبان أسماء كثيرة منها : القشدة ، الزبد ، اللبن . ولكن ترجمة هذه الأسماء ليست دائماً مؤكدة . وكانوا يضعون الملح فى بعض الأدوية والأطعمة الخاصة . ولا يوجد ثمة سبب لعدم استعمالهم اللبن على نطاق واسع . وكانوا يستعملون مسحوق الخروب والعسل (٢٦) فى تحلية الأطعمة والمشروبات ، وعلامة نجم Nodjem وتعنى « حلو » أو « حلاوة » ،

تمثل قرن خروب . وكان المصريون يبحثون عن عسل النحل البرى وشمع ،
في أماكن نائية في الصحراء ، وهذه الحرفة كانت تتطلب مهارة خاصة .
فالباحثون عن العسل يشتركون مع الرجال الذين يجمعون صمغ ، التربنتين ،
من الوديان الصحراوية . وكان الملك يرسل في صحتهم حرسا من حملة السهام
لحمايتهم ، ما يتعرضون له من أخطار عندما يبتعدون عن وادى النيل ،
ولم يكن هذا ليحول بينهم وبين تربية النحل في الحدائق وكانت جرار
الفخار تستعمل كغلايا للنحل . ويسير مربى النحل بين خلایاه دون خوف
ويعد بيديه النحل حتى يتمكن من جمع أقراص العسل . ويحفظ العسل في
جرار حجرية كبيرة محتومة .

٤ - الطبخ

كانت أدوات الطهي بدائية إلى حد ما ، والقطعة الأساسية هي موقد
حتمقل من الفخار ، اسطوانى الشكل يسكاد يبلغ إرتفاعه متراً تقريباً ، في
أسفله فتحة يدخل منها الهواء ويخرج منها الرماد ، وفي داخله قضيب أو جملة
أسياخ يوضع عليها الوقود . وكان لابد من وجود فتحة يتصاعد منها الدخان
ولكن لم يرسم لنا الرسامون إطلاقاً موقداً له مدخنة . كان يوضع فوق
الموقد أناء له مقبضان ، يختلف في الحجم واسكن قطره يزيد قليلا عن أعلى
الموقد . وعند الضرورة كان يستغنى الطهاة عن الموقد بأن يضعوا الإناء
فوق ثلاثة أحجار ويوقدوا تحته بعض الخشب والفحم . وكانت تستعمل أيضاً
أفران من المعدن على هيئة صناديق بدون قاع ، قليلة الارتفاع ويوضع
الوقود منشوراً على السطح ذى الثقوب ، وقد عثر في مقبرة الملك بسوسنس
على فرن صغير ، ينطبق عليه الوصف المذكور ، يرجع تاريخه إلى عهد

رمسيس الثانى . وكان تسرب الهواء إلى الموقد فى هذه الحالة عسيراً فكان الطامى لا يكف عن تحريك مروحته حتى تستمر النيران متوهجة لا تنخبو طيلة قيامه بالطهى. (٢٨)

ولا يوجد الفحم الحجري لا بمصر ولا بالبلاد المجاورة لها . فالطهاة مثل سائر أصحاب الحرف الذين يستعملون الآفران مثل صانع الفخار والخزف وسباك البرونز ، لم يكن فى متناول أيديهم سوى الفحم الخشبي أو الحطب أو الخشب . وقد ذكر فحم الخشب جابت Djibet فى عقود أسبوط كأحدى المواد ذات القيمة والنفع .

وكميات الفحم التى سجلت ضمن تقويم مدينة حابو وفى بردية هاريس ضئيلة جداً . وكانت تسلم داخل أكياس أو فى سلال .

ولأجل إيقاد النيران كان قدماء المصريين يستعملون ما يعرف باسم «خشب الشراقى» ، وكان وقتذاك صنفاً نادر الوجود حتى أن معبداً مهماً مثل معبد الكرنك كان لا يحصل منه إلا على ستين قطعة فى الشهر فقط أى على قطعتين فى اليوم الواحد .

وكان معروفاً منذ زمن سحيق ، إذ أن إحدى العلامات الهيروغليفية التى ترمز إليه وجدت فى فهرست قديم ، وهى عبارة عن قطعتين إحداهما تمثل عوداً رفيماً من أعلا وسميكا عند القاعدة والآخرى تمثل إناء . وكانوا يحضرون « الخشب الشرقى » من جنوب الوادى . وقد وجد البحار الغربى فى جزيرته فى البحر الأحمر هذا الصنف من الخشب فى متناول يده فأوقد النيران بسرعة وقدم ذبيحة للآلهة وأعد لنفسه طعاماً . وبعض العائلات

التي لم يكن لها نصيب في التوزيع الرسمي للخشب الشراقي ، كانت تجد مشقة بالغة عندما تحتاج إلى النيران ولم يكن ثمة مخرج لها إلا أن تطلب من أحد الجيران الظرفاء الذين يقدرون ظروف الغير أن يمنحها قطعة من الجمر .

وإلى جانب المواقد والأفران ومواد الوقود والأخشاب النارية ، فإن أدوات المطبخ كانت تضم أيضاً آنية الطبخ والدسوت والدلاء والأباريق والزلع الفخارية والحقائب والأكياس والسلال والأسبنة التي كانت تستعمل في نقل المواد القويمة والموائد ذات القوائم الثلاث أو الأربع لتقطيع وإعداد الأسماك واللحوم أو لفرز الخضرة والمناضد المنخفضة التي يشتغلون عليها وهم جثاء ، والخطاطيف التي يعلقون عليها اللحوم والطيور .

ونعلم أنه يستعمل في اللغة المصرية القديمة فعلان للدلالة على طهى الطعام : الفعل الأول psy بسى والثانى أشر Acher . ويستعمل الفعل الأول للدلالة على طهى اللبن كما يدل أيضاً على طهى اللحم . ومن ذلك يتضح أنه يمكن ترجمة هذا الفعل بكلمة « فليان » ، وفي بعض الحالات ترسم حلة كبيرة على النار ، وكانت قطع اللحم تطفو فوق سطح الإناء ، ومن هذا يمكن أن نستنتج أنها كانت تطفو فوق سطح ماء يغلي . ولا يعلم أحد إذا كان اللحم المشار إليه يقدم كما هو أو مفروما مع الخضار والتوابل أو على هيئة شرائح مستديرة أو مبططة . ولم يترك قدماء المصريين كتباً عن الطهى ولكن يمكن أخذ فكرة عن مهارتهم في هذا الشأن من أوراق البردى الطبية حيث وصفت وصفات ضد الأمراض والزلات المعوية .

ولم يكونوا يجهلون أن الزبد والقشدة سمي Smy ودسم الآوز ودهن لحوم العجول الصغيرة كانت صالحة جداً في تحضير الأطعمة . (٢١) وفي (٨٢ — الحياة في مصر)

مطبخ رخمارع Rekhmaré رسم قدر صغير الحجم وضع فوق الموقد يدل على أنه لا يمكن استعماله كقدر لطهي اللحم .

وطبقا لما ورد في القصة ، ففي الوقت الذي يضع الطباخ الدهن داخل القدر ، كان على مساعده أن يحرك ما بداخل القدر بأداة طويلة المقبض لانعلم تماما ما إذا كانت تنتهى على هيئة شوكة أو على شكل مغرفة . ويحتمل أن تكون محتويات القدر طعاما متبلا .

أما كلمة أشر Acher فتستعمل للطعام المشوى . وكانوا يفضلون الدواجن المشوية . فكان الطباخ بعد أن ينزع الريش وينظف الأوزة أو البطة يقطع رأسها وأطراف أجنحتها وأرجلها ويضعها في سفود يمسكه بيده ماداً ذراعه فوق موقد تنبعث منه نار هادئة . ولم تكن الدواجن وحدها هي التي تجمر بهذه الطريقة فقد وجدت أيضا قطعة من اللحم أطلق عليها اسم أشر أى مشوية . وهذه القطعة لم يستطع التحقق منها جيدا — كما أن لحم الكتف « الفيلتو » ويعنى « اللحم الممتاز » و « الفيليه » ، الكاذب « بيت السكلاوى » ، ها ha ومعناها الحرفى « لحم » ، كانت تشوى بدورها على السفود .

وإليك ما لاحظته هير ودوت فيما يتعلق بالأسماك والطيور « كانوا يأكلون بعض أنواع الأسماك المجففة فى الشمس أو نيئة ويأكلون أنواعا أخرى مملحة فى الماء والملح . ومن بين الطيور ، كانوا يأكلون السمك والبط وبعض أصناف العصافير الصغيرة نيئة بعد تمليحها . أما باقى الطيور والأسماك فكانت تؤكل مشوية أو مسلوقة . (١٠) »

وتؤكد الوثائق المرسومة والنصوص فى جملتها هذه الشهادة أما أسماك البورى والبلط فكانت توضع فى قفف وتفرغ فوق الأرض ويجلس رجل على مقعد خشبي وييده سكين ليشق بطن هذه

الاسماك لتجفيفها ويعنى السيد وزوجته بهذه العملية دون أن يسدوا أنوفهم. أما بويضات السمك البورى فتوضع جانباً ليعمل منها البطارخ. (١١) وكانت ترسل كميات كبيرة من الأسماك المجففة المشقوقة إلى المعابد في نفس الوقت مع الأسماك المسماة كاملة ، وربما كانت في الواقع أسماكاً طازجة . وترسل إلى المعابد أيضاً بعض الأواني المملوءة بالأسماك المحفوظة بالتراجل . وربما كان هذا يشير إلى إحدى طرق حفظ الأسماك غير أننا لا نعرف عنها شيئاً أكثر من ذلك .

وتوجد أيضاً في بعض الأحيان طيور مائية كانت تشق في نفس المكان الذى تجفف فيه الأسماك ، لتليحها وتجفيفها دون شك . وهذه الطيور المائية التى ترسل إلى المعابد كانت إما حية أو معدة للأكل في خلال مدة قصيرة أو مشقوقة أو مجففة حتى يمكن حفظها بعض الوقت . (١٢)

٥ - الخبز

يمكن عد خمسة عشر اسماً لأنواع الخبز والفطائر الواردة في الكتابات الخاصة بالدولة القديمة . فضلاً عن ألفاظ أخرى يمكن العثور عليها في بعض النصوص . ونحن عاجزون تماماً عن وصف هذا الخبز على وجه التحديد أو هذه الفطائر التى يمكن أن تختلف في صنعها طبقاً لنوع الدقيق وشكلها ودرجة خبزها وكيفية نضجها في الفرن وبما يمزج به من عسل ولبن وفاكهة وبيض ودهن أو زبد . ومصدر الدقيق ثلاثة أنواع من الغلة وهى الشعير أيوت Iot والأذرة بوتى Boti والقمح سوت Sout وكان الأغنياء يخزنون متونهم من الحبوب بالقرب من منازلهم أو فوق سطوحها . وكانوا يستطيعون طحن الحبوب وصنع الخبز داخل المنازل . ويقولون ذلك أيضاً في المعابد ولسكن من المحتمل

وهذه الطريقة في صناعة الخبز كانت متبعة منذ عهد الدولة القديمة . وكانت بطيئة وتطلب عدداً كبيراً من العمال الذين كان يجب إطعامهم إن لم يدفع لهم أجر . وقد يأتى طفل ومعه طاسته الصغيرة في الوقت الذى تقوم فيه أمه برص العجين وتبطينه بكلتا يديها ويلتمس منها أن تعطيه قطعة من الفطير لأنه يشعر بالجوع ، ويعبرونه بأنه مثل عجل البحر ، ويوبخونه بأنه يأكل أكثر من عبد من عبيد الملك (١١) .

وفي عصر الأمبراطورية الحديثة ، كانت تستعمل نفس هذه الطريقة ولكن كانت توجد أفران يمكن خبز عدد رفير من الأرغفة فيها فى آن واحد. (١٢) وكانوا يعرفون أيضاً كيف يخبزون فطائر رقيقة بوضعها وسط رمال ملتهبة كما يفعل البدو الآن .

٦ - المشروبات

كانت الجعة هى المشروب الوطنى لقدماء المصريين (١٣) . كانوا يشربونها فى كل مكان ، فى المنزل والحقول ، فى المركب والحانات . ولما صدر العفو عن سنوحى أبجر من طريق هورس ، إلى إبنى تاوى Iy Taoui ، عاد من جديد إلى الحياة المصرية وأخذ يشرب الجعة التى كان قد حرم منها منذ مدة طويلة . والجعة المصرية كانت تصنع من الشعير والحنطة والبلح ، وكانت أدوات صناعتها تتكون من قوالب كالتى يستخدمها الخباز ولكن بشكل أكبر ، وسلّة وبمجموعة كبيرة من الجرار وصحاف من الفخار . وكانوا يبدأون بصنع الخبز وكما كانوا يفعلون فى الخبز ، كانوا يضعون قوالب كثيرة حول الموقد . وفى نفس الوقت كانوا يجهزون عجينة تسمى واجيت Ouedjit أى (الطازجة) ويسكبونها فى قوالب شديدة الحرارة جداً ، ولكنها لا تلبث فى القوالب إلا وقتاً

أن يعمل بعض الطحانين والخبازين لحسابهم الخاص لصالح بعض الزبائن من عامة الشعب .

وبعد أن تنقى الحبوب من كافة الشوائب تسلم لجماعة يزيد عدد النساء فيها عن الرجال . (١٢) ويقوم الرجال بالعمل الأول فيضعون قليلاً من الحبوب في مدق من الحجر ويتولى بالتناوب شخصان أو ثلاثة أشخاص أقوىاء طاحنها بواسطة مدقة ثقيلة يبلغ طولها ذراعين . وتقوم المفرلات بأخذ الطحين وغربلته بفصل النخالة عن الدقيق ويضعن النخالة جانبا لتكون غذاء للحيوانات ويعد الباقي للطحن . ولم تكن الطاحونة ذات الشكل المخروطى قد استعملت بعد ، ويتكون هذا الجهاز من مدق من جزئين وحجر كبير . وتوضع الحبوب في الجزء الأعلى وعندما تضغط الطاحونة على الحبوب تطرد الدقيق إلى الجزء الأسفل ثم ينخل ويعيدون الكرة حتى يأخذ الدقيق النعومة المطلوبة وهم يغنون : « لننعم آلهة هذا الاقليم على سيدى بالقوة والصحة » .

وكانوا لا يعدون يومياً إلا كمية الدقيق التى تكفى لعمل الخبز ، وفعلاً ورد فى المناظر المرسومة أن الخبازين كانوا يعملون جنباً إلى جنب مع الطحانين ، وفى بعض الأحيان كانوا يتوسطونهم . وتوفير الوقت كانت امرأة تقوم بوضع قوالب مخروطية الشكل فوق النار بحيث تصل النار إلى جوانب المخروط الداخلية ، وتمسك بيد مروحة تزيد النيران اشتعالاً ، وتحمى بيدها الأخرى عينيها ، وعندما تصل الحرارة إلى الدرجة المطلوبة يضعون هذه القوالب على لوحة ذات ثقب مستديرة يملأونها بالعجين المختمر ، ثم تغلق فتحة القالب العليا وينظرون حتى ينضج الخبز ثم يسحبونه من الفرن ويرفعونه من القوالب ثم يعدونه ، لأن المصريين يعدون كل شيء ، وتحمل السلال الممتلئة إلى أولئك السعداء الذين يأكلون الخبز .

قصيراً ، تلفح فيه الحرارة جانبي الرغيف ويظل لبابه نيئاً . وهذا الخبز غير الناضج تماماً يقطع إلى فتات ويوضع في طست كبير ويخلط بالسائل السكرى الناتج من نقيع البلح ثم يقلب ويصفى . وبعد قليل يختمر السائل ولا يبقى بعد ذلك إلا تفرغته في الجرار وسدها بطبق صغير وكية من الجبس .

وبعد تجهيزها على هذه الصورة ، يمكن نقل الجرار إلى أية جهة . أما الاستهلاك فقد كانت الجعة توضع في جرار صغيرة تسع الواحدة منها لترأ أو لترين . والذين يتعاطون الجعة كانوا يضعونها في أقداح حجرية أو خزفية أو معدنية . أما الجعة المرة التى كان النوبيون يصنعونها بنفس الطريقة تقريباً فلا يمكن الاحتفاظ بها إلا زمناً قصيراً . وكانوا يعدون الملك المتوفى بأن يقدموا له خبزاً لا يتفتت وجعة لا تحمض . ومعنى هذا أن الجعة التى كان يتعاطاها الأحياء يمكن أن يتغير طعمها إلى الحموضة .

ومنذ أن سعدت مصر بحكم أسرة من الدلتا فإن هواة عصير العنب ، الذى يعد هبة أوزوريس ، قد زاد عددهم أكثر من أى وقت مضى ، وعلى هذا ، فقد راجت تجارة النبيذ . وكان أحد موظفى القصر الملكى قد عهدت إليه شئون التموين فكان يمون مدينة نيرميسيس بثلاث سفن محملة بالنبيذ منها سفينة يمتلكها هو ، وسفینتان مقدمتان من قصر ملايين السنين إلى أوزيرمارع Ousirmare . وهذه السفن كانت تحمل واحداً وعشرين شخصاً وألف وخمسمائة جرة مسدودة من النبيذ وخمسين جرة من شراب يسمى شده Chedeh وخمسين من شراب آخر يسمى پا أور Pa our كما كانت محملة بسلال من العنب والرمان وأخرى لا تعرف محتوياتها . (١٧) ويمكن أن نفترض أن أحد هذين المشروبين هو شراب الرمان والآخر

شراب من منتجات النبيذ . ومهما يكن الأمر فكثيرا ما كان الشراب المسمى شده يقترن اسمه بالنبيذ ، وكان الشبان من الطلاب يسكرون من هذا الشراب أو من ذاك بالرغم من غضب معلمهم انشيوخ من الكتبة .

وقد وجد في الرميوم كمية كبيرة من جرار النبيذ المكسورة دون ريب ، وقد كتب عليها بالمداد بالرسم الهيراطيقى بيانات هامة تتعلق خاصة بمكان ورودها (١٨) . وكانت كل الكروم تقريبا موجودة في الدلتا ولا سيما في المنطقة الشرقية . وكان يقرأ أيضاً : « نبيذ جيد من ثامن تصفية » أو نبيذ من ثالث تصفية أو « نبيذ حلو » . وإني أفترض أن النبيذ الحلو هو النبيذ الطازج وأن الثالث والثامن هو ثالث وثامن تصفية وأن تصفية النبيذ تعتبر في الحقيقة إحدى الطرق التي تحول دون فساد ، كما يعد عليه طريقة أخرى للإبقاء عليه صالحا . ولدينا نقش في بنى حسن يبدو لي أنه يتعلق بهذه العملية ، وإن كان قد أصابه التلف . (١٩) ولا أعرف ما إذا كان المصريون القدماء يدهنون الجرار من الداخل بالقطران كما كان الإغريق يفعلون . وهو أمر مشكوك فيه لأن المزية القيمة التي كانوا يقدرونها في النبيذ هي حلاوته التي تفوق حلاوة العسل .

٧ - الوجبات

انتهينا من سرد قائمة أهم المصادر التي تمتلئ بها الأسر المصرية وتستخدمها في وجبات الطعام خلال السنة . ولا توجد وثائق تساعدنا على وصف تفاصيل دقائق وجبات الطعام التي تقدم في المنازل على أنه يوجد شيء واحد لاشك فيه وهو أن المصريين كانوا يأكلون وهم قاعدون إما فرادى أو اثنين سويا على مائدة صغيرة يضعون عليها مختلف أنواع الأطعمة من لحوم وطيور وخضر

وفاكمة وشرائح خبز صفت بشكل قعى على الطريقة الألزاسية Kougrihopf .
ويجلس الأطفال على وسائل أو على الحصر .

ولا يجتمع أفراد العائلة صباحاً عند تناول طعام الإفطار، وكان الطعام يقدم لرب الأسرة حينما يفرغ من الاغتسال وارتداء ملابسه . كان يقدم له قطعة من الخبز وكوب من الجعة وشريحة من لحم الفخذ وقطعة من الفطائر شنس Chens . أما الأم فكانت تتناول وجبة الإفطار وقت زيتها أو بعد ذلك مباشرة . وعلى إحدى الرسوم في طيبة (٥٠) نرى خادمة تحمل كأساً تقدمها لسيدها التي لاتزال يدها مشغولة بالمرآة ، وتوجد بالقرب منها مائدة عليها قفة وإناء ان .

أما فائمة طعام الوجبتين الأساسيتين ، فكانت على ما نعتقد تحتوى على لحوم وطيور وخضر وفاكمة الموسم وخبز وفطائر والجعة التي تلازمها دائماً . وليس من المؤكد إطلاقاً أن المصريين ، حتى الأغنياء منهم ، كانوا يتناولون اللحوم في كل الوجبات . ولا يجب أن ننسى أن القطار المصرى من البلاد الحارة وأن تجارة التجزئة لا تكاد توجد بها .

فالأشخاص الذين يقدرّون على أن يذبحوا ثوراً هم أولئك الذين يكونون على ثقة من أكله خلال ثلاثة أيام أو أربعة ، وهم كبار الملاك من يشتغل لديهم عدد كبير من العمال ، ورجال الدين بالمعابد ، وأولئك الذين يقيمون حفلات للطبقات الشعبية خلال الأعياد ومواسم الحج فحسب .

ولا أعرف إلا رسماً بارزاً واحداً فحسب يبين لنا أشخاصاً يتناولون الطعام سوياً ، وأنه يوجد في أحد مقابر العمارنة ، والآكلون هم اخناتون وأسرته (٥١) ونرى الملك يقضم بأسنانه دكتفا مشوياً ، بينما تأكل الملحكة

أحد الدواجن ، أما الملكة الأم فتضع شينا في فمها بينما تناول باليد الأخرى قطعة من الطعام لإحدى الأميرات الصغيرات الجالسة على وسادة بالقرب منها . وبحوار الآكلين ، توجد موائد محملة بالطعام ولكن لا يرى أطباقا ولا أكوابا ولا أقداحا . وهذه الظاهرة تدعو إلى كثير من الدهشة لأن مجموعاتنا الأثرية تحتوي على أطقم من الأدوات المنزلية بها أطباق مختلفة الأشكال ومتعددة الأنواع ، منها ما هو خاص بتناول الحساء والطعام المدهوك والأطباق المملوءة بالصلصة والخشاف ومشهيات الطعام والقشدة . ولذلك فإنى أعتقد أنهم كانوا يوزعون على الآكلين لا الأطباق وحدها بل السكاكين لتقطيع الماء كولات والملاعق والشوك ، وهذه الأدوات ، وإن لم تكن واسعة الانتشار ، إلا أنها موجودة في المتاحف . ويضم متحف اللوفر مجموعة رائعة من الملاعق المصنوعة من الخشب وقد زينت بمقابضها بأشكال جميلة لطيفة للغاية وفي الغالب لم تستعمل أبدا . وقد عثرت فوق مقبرة أو سركون الثانى Osorkon II على ملعقة كان تجويفها مسوكا بيد يمتد منها مقبض على شكل ماسورة من المعدن . ويلاحظ أيضا أن طاقما من أدوات الاغتسال مكون من إبريق وطست يوجد غالبا تحت المائدة الجانبية المملوءة بالطعام . ويثبت هذا أن المصريين كثيرا ما كانوا يتناولون الطعام بأصابعهم .

أما فترة بعد الظهر فكانت تتخللها وجبة خفيفة من الطعام بين الرابعة والخامسة مساء نلها فترة من العمل أو التسلية .

٨ - الشهر

لا يعود الفلاح من الحقل في الخريف والشتاء إلا حينما يرخى القيل سدوله .

وكان ينتظر أن يسكون بيته مضاء . وكان أنوبو عندما يدخل منزله الغارق في الظلمات ينتابه في الحال شعور بوقوع كارثة . وحتى الفلاحين كانت نضاء منازلهم خلال السهرات . كما كان تلاميذ المدارس والصناع يتممون أعمالهم على ضوء المصابيح وقت تبلج الصبح .^(٤٣) وكانوا يستخدمون زيت الخروع وزيت الزيتون في إضاءة المصابيح ، على أن متاحفنا لا تحوى الكثير من أدوات الإنارة . وقد عثرت في إحدى مقابر الأسرة الأولى على مصباح جميل من الحجر على هيئة زورق من ورق البردى به حلقة أفقية لإدخال الفتيل ^(٤٤) وتوجد مصابيح أخرى على شكل زهرة الزنبق . وتوجد في متحف اللوفر أقذاح صغيرة مستديرة ومسطحة ، مصنوعة من الطين لا يزال عالقا بها بقايا فتائل أطرافها سوداء . حتى الآن ، وكانت مشبعة بالمواد الدهنية دون شك ، وهذه هي المصابيح الشائعة التي كان يستعملها عمال الجبانات ، عندما كانوا يبنون المقابر . وكانت تصنع شموع أيضا لإضاءة المعابد في ليلة رأس السنة ومساء ليلة رأس السنة وفي ليلة عيد واجا Ouaga . وكانت هذه الأشياء ذات قيمة كبرى حتى أن موظف المعبد الذي كان يقوم بحراستها كان يتناول أجراً عالياً لأجل تسليمها بعد الاستعمال إلى كاهن قرين* حاني جفای Hapi Djefai الذي كان يضيئها أمام تمثاله .^(٥٥) وكانوا يدعون للتمتوي بأن يبقى مصباحه منارا حتى شروق الشمس . وكانوا يقدمون له بمناسبة أيام النسيء الخمسة الخطرة ،** خمسة أوان ذات شكل مخروطي ولها أيد تجعلها تبدو كالأشجرة ، ويزود الجزء الأعلى منها بمادة الشمع ، ويمكن

* كاهن القرن أو كاهن الروح هو المسئول عن إقامة الطقوس الدينية للميت .
** تقع في نهاية العام .

إشعاله ، وتضاء هذه المسارج للميت أثناء وحدته ، ولا يوجد ثمة دليل على أن هذه المسارج كانت تنار للأحياء. (٥٦)

ولا تعطينا هذه المعلومات القليلة فكرة كافية واضحة عن كيفية إنارة المساكن وما كان السهر يستمر طويلا. إذ أن من عادة المصريين أن يستيقظوا عند بزوغ الفجر ويناموا مبكرين فيما عدا السكينة والحراس الذين يتولون العمل ليلا. وكان الملك امنمحات الأول عندما كان يقصر علينا حدث قلب نظام الحكم الذى تعلم منه مدى جحود الإنسان ونكرانه للجميل ذكر أنه بعد أن تناول وجبة العشاء مسيت Mesyt كان الليل قد أقبل فتراخى نحو ساعة ثم استلقى على سريره بعد أن أنهكه التعب فنام لتوه. (٥٧) وهكذا كان المصريون ، بعد تناول العشاء يقضون ساعة أو ساعتين حول مسراج مدخن ثم لا يلبث أن يسود السكون أرجاء المنزل .

٩ - الترويح

كانت الأعمال التى يقوم بها الثرى المصرى تترك له الكثير من أوقات الفراغ ، ولم تكن تنقصه الوسائل لملئها . فالصيد فى الصحراء والتنزه والزيارات المقدسة للعباد وصيد السمك والطيور فى المستنقعات وارتباد الحانات كان ضمن ما يغريه من حين لآخر . ولكن وجدت فى تناول بده وسائل أخرى للترفيه لا يمكن تجاهلها . وهذه الوسائل هى التى نريد الاهتمام بها أولا .

لقد كان من أكبر دواعى سرور المصريين أن يجتمعوا عددا كبيرا من الأقارب والأصدقاء حول الموائد لتناول طعام الغداء أو العشاء . وقد وجدت مناظر كثيرة على جدران المقابر تمثل مآدب فى المنازل الأبدية (المقابر) وفى القصور الدائمة (المعابد) . كان المدعوون أشباحا ولكن هذه المآدب تماثل من كافة النواحي ، تلك التى كان يقيمها صاحب المقبرة عندما كان

يعيش في الحياة الدنيا . فمن هذه النقوش ومن بعض القطع الأدبية ومن القصص يمكننا أن نذكر صورة عن مآدبة أقيمت لأصدقاء في بيت كريم . كان يسبق هذه الوليمة - دون ريب - حركة كبيرة في الخازن والمطبخ وفي كافة أرجاء البيت . ويذبح ثور طبخا للطرق المألوفة ، ثم يسلخ ويقطع إلى أجزاء وفق أصنافها المختلفة ، ثم تجوز قطع الشئ والتوابل والصلصة وتشوى الأوز على السفود وتعد جرار الجهة والنبيذ والمشروبات الروحية . وتوضع الفاكهة على شكل هرمي في الأطباق والصلال . وتحفظ جميع هذه الأطعمة بعيدا عن الذباب والتراب . وتستخرج من الصوانات السكّوس الذهبية والفضية والأطباق المصنوعة من المرمر والفخار المطلق . ويبرد الماء في الأزيار . وتغسل أرجاء المنزل وتدعك جيدا ثم تلمع ، كما تكتسح ممرات الحديقة وتنتشل منها كل الأوراق المتساقطة من الأشجار . ويستدعى الموسيقيون والمغنون والرافضون من الجنسين . ويستعد البوابون بدورهم . ولا يبقى بعد ذلك سوى حضور المدعوين ليتناولوا الطعام .

وإذا كان من المتوقع حضور شخصيات عظيمة ، وقف رب البيت على حجرة من المدخل ، مخزقا الحديقة مع ضيوفه . وهكذا كان يفعل رجال الدين عندما يأتى الملك إلى المعبد . وحينما يعود رب البيت من القصر الملكي حاملا الهدايا الملكية ، كان يجد أقاربه مجتمعين أمام الباب الرئيسى للبيت . وكان من المحتمل أن يظل رب البيت جالسا في حجرة الاستقبال كما كان يفعل فرعون وهو ينتظر في قاعة الاجتماعات . وكان الأولاد والخدم هم الذين يستقبلون القادمين .

وكان المصريون لا ينضب معينهم حين يتبادلون التحيات ، فإذا استطاعوا استنفاد كل عبارات المديح عندما يتحدثون عن فضائلهم وكل ما ورد من ألفاظ - كما جاء في اللوحات التذكارية التى دونوها للأجيال

القادمة — كان على المدعويين أن يردوا على من يحییهم من مضیفهم بنفس العبارات التي قرأناها في البردية التي ترجع إلى عهد الرعامسة : « فلتحل نعمة آمون في قلبك ! ولتمنحك شيخوخة سعيدة ! وتقضى كل أيام حياتك في سعادة وسرور ، وأن تصل إلى أعلا مراتب الشرف والتمجيد ، ولتسكن شغمتك طاهرتين وأعضاء جسمك قوية ، وعينك حاذق البصر ، إنك لمكسو بالكتان ، تركب عربتك ويديك سوط ذهبي المقبض ، وتمسك يداك أعنة جديدة ، وخيولك مطهمة من سوريا ، ويجرى الزوج أمامك ليفسحوا لك الطريق ، وتركب قاربك المصنوع من خشب الصنوبر المازين كله من مقدمته إلى مؤخرته . وتصل إلى قصرك الجميل المحصن الذي شيدته بنفسك ، وفك ملء بالنيذ والجمعة والخبز واللحوم والحلوى . ولحوم الثيران قطعت إلى أجزاء ، وجرار النيذ قد نزعت عنها أغطيتها . وغناء شجي تتردد أنغامه على مقربة منك ، وينشر حامل الروائح العطرية عبيرها حولك . ويقف أمامك رئيس البساتين ومعه أكاليل الزهور ، ورئيس الواحات يقدم لك السماني ، كما يقدم رئيس الصيادين الأسماك . وتصل مركبك من سوريا محملة بجميع الأشياء الطيبة وحظيرتك ملائى بالعجول ، وتوفى الغزالات في خدمتك ، وتبقى ويهاوى أعداؤك . وليس فيك ما ترمى به من شر . وتدخل أمام مجمع الآلهة التسعة وتخرج منه منتصراً » . (٥٨)

وكان للداعين حق اختيار أى تعبير من التعبيرات المختلفة . فكانوا يستطيعون في لهجة شفيعة ، أن يتمتموا قائلين : « مرحبا مرحبا ، أو « خبز وجمعة ، أو يستنزلوا بركة الآلهة على القادمين : « حياة وصحة وقوة بحق آمون رع سونير . أطلب إلى پراخراخى وست ونفتيس وإلى جميع الآلهة والآلهات في البلاد الطيبة أن تمنحك

الصحة والحياة وأن أتمكن من أن أراك في غنفوان العافية وأن أضحك بين ذراعيّ. (٥٩) وإليك ما يقدم من تمنيات لأحد رجال البلاط الملكي : « أطلب من پراحرا آختى من وقت شروقها إلى غروبها وإلى جميع آلهة پی رمسيس وإلى روح پراحرا آختى الكبيرة ، أن تمنحك الحياة والصحة والقوة فى رعاية سيدك الملك الطيب أمون رع سونتير بأن رع ميامون له الحياة والصحة والقوة كل يوم ، (٦٠) .

وبعد أن تستنفذ التمنيات والتحيات ، وبعد أن يتم العناق الطويل ، لم يبق لهم إلا أن يتوجهوا إلى أماكنهم ، فيجلس أصحاب المنزل على مقاعد ذات ظهور عالية وكلها زخارف موهت بالذهب والفضة والفيروز والعقيق واللازورد . وتخصص بعض المقاعد الفاخرة لكبار المدعوين ، أما الباقون فيجلسون على مقاعد على شكل × أو على مقاعد ذات قوائم رأسية . أما الطبقات المتواضعة فتجلس على الخصر فى بساطة تامة . وتفضل الفتيات الجلوس على وسائد من الجلد جيدة الصنع ، ويصطف الرجال فى ناحية والنساء فى الناحية الأخرى . (٦١) وينصح الحكيم پتاح حتب ، الذى حنكته التجارب ، ألا يطيل المدعوون من الشباب بل ومن الرجال المتقدمين فى السن أيضا ، النظر إلى ناحية السيدات مادامت الدعوة موجهة من منزل صديق . (٦٢) ولم تكن هذه القاعدة مطردة دائما . فعندما يسمع باختلاط الرجال والنساء كانت الأسر يجلس أفرادها دائما بجوار بعضهم دون تفرقة . وكان فى استطاعة الرجل أن يجلس بجوار زوجته لو أراد ذلك . أما الخدم والخادومات فكانوا يطوفون بالمدعوين يوزعون عليهم الزهور والروائح العطرية ، والخادومات دائما صغيرات وجميلات . وكن

غالبا يرتدين ملابس جد شفافة لا تستر شيئا من مفاتهن . بل كن لا يضعن على أجسامهن فى غالب الأحيان سوى عقد وحزام ، ولا يطول الوقت حتى تكون زهور اللوتس قد وزعت على الرجال والنساء على السواء ، يمسك بها كل فرد فى يده ، ولا نلبث أن نجد كلا منهم يضع فوق رأسه قمعا أبيض اللون . وتضع الخادما هذا القمع من دهان معطر قد أعد فى إناء كبير . وكان يضع هذا الدهان أيضا فوق رأسه كل من أصحاب المنزل والفتيات الصغيرات والخادما إذ أنه كان من مستلزمات حفلات الاستقبال . والعبارة التى ذكرناها من قبل : « إن حامل العطر يعبق المكان بروائح البخور ، ما هى إلا تنويه يقصد به ذكر هذه العادة الضرورية . ولا يعد اليوم سعيداً دون روائح عطرية . ولم يكن هذا الأمر عديم الجدوى إذ الغرض منه إخفاء روائح الجمعة والنبذ واللحوم المشوية . والخادما اللاتي يضعن هذا القمع فوق رؤوسهن لم يظهرن ضيقا به إطلاقا أثناء قيامهن بخدمة المدعوين . والرسامون الذين لم يحرموا أنفسهم من تصوير رسوم مضحكة أو مسلية على جدران المقابر ، لم يظهروا أبدا هذا القمع المعطر متديلا من فوق الرؤوس . وبينما كانت الخادما يضعن هذا القمع بمهارة فوق رأس المدعو ، كن أيضا يصلحن وضع عقده إن رأين أنه بدأ يهتز ليسقط .

وقد حان الوقت لتقديم كل ما أعده الطبّاخون وصانعو الحلوى لهذه الحفلة . وبوجد منه ما يرضى كل الرغبات فإن پتاح حنّب الحكيم إذ كان ينصح المدعوين بأن يغضوا من أبصارهم ويتعففوا فى أقوالهم ، فإنه ينصح ، من ناحية أخرى ، بإشباع رغبات المدعوين بقدر المستطاع ، وذلك حتى ينال الداعى عطف الآلهة وحسن الذكرى بين الناس . ولذلك ينبغى أن تستمتع الأذن

تماما كما تستمتع حاسة الذوق، في الوقت الذي يجلس فيه المدعرون في أماكنهم لتناول الطعام ، كان الموسيقيون يدخلون ومعهم آلاتهم ، فالمصريون كانوا في كافة العهود مولعين بالموسيقى حتى قبل اختراع أية آلة موسيقية ، إذ كانوا وقتذاك يصنفقون بالأيدي لدعم الغناء . فالزمار والقيثار والقانون كانت معروفة في عهد الأهرامات . وكانت تشترك آلتان في العزف معا وأحيانا ثلاث آلات أو يمكن إضافة القيثارة أو أية آلة أخرى إلى إحداها ، أو استعمال الآلات الثلاث معا لمصاحبة الغناء والتصفيق بالأيدي . ومنذ عصر الإمبراطورية الحديثة كانت مجموعات الآلات الموسيقية في تقدم مستمر بفضل ما أمكن اقتباسه من الشعوب المجاورة ، فأصبحت القيثارة كبيرة الحجم وتضاعف حجم صندوق الرنين مع زيادة في عدد الأوتار . وصنعت قيثارات يمكن حملها باليد وأخرى في أحجام متوسطة ذات قوائم ، وقيثارات ضخمة كانت في الواقع قطعاً فنية رائعة الصنع ، وقد زينت بأشكال على هيئة زهور أو بأشكال هندسية وزودت برأس من الخشب المذهب ركب في الطرف الأعلى منها أو لبس في القاعدة . أما القانون فهو من أصل أسيوي ، فقبائل عامو Amou من الرعاة الرحل - عندما قدموا إلى منات خوفو في مقاطعة الماعز البري - كانوا يستخدمون هذه الآلة ، وثمة موسيقيون من أصل أجنبي يستخدمون أحيانا أنواعا من القانون ذات قائمة واحدة وصندوق رنان كبير على هيئة نصف عمود . والقانون الصغير الحجم يمكن حملها ويكون في الغالب جميل الشكل إلى أبعد حد ، وليس له سوى خمسة أوتار . أما المزمار المزدوج فلم يكن مثل ما كان عليه من قبل ، مكونا من قصبتين ضمت إحداهما إلى الأخرى فحسب ، ولكنه أصبح مكونا من قصبتين تكونان زاوية حادة . أما العود فهو عبارة عن صندوق مستطيل به ستة ثقب أو ثمانية ومسطح من الناحيتين وله يد طويلة مزينة بحملات

مرتفعة شدت عليها أربعة أوتار . أما الطبله فكانت مستديرة أو مربعة وتستعمل خاصة في الحفلات الشعبية والدينية . وكانت هناك آلات أخرى لإحداث الصوت مثل الصاجات والصلاصل ولو أنها كانت الرمز المقدس للمعبودة حاتحور إلا أن هذه المعبودة كانت راعية حفلات المآدب والموسيقى أيضا . والصناجات كانت تسمى بالمصرية القديمة منات Menat وكانت تصنع من قطعتين متشابهتين من العاج أو من الخشب وكانت تعلق في العقود وتبدل منها ، أما الصلصلة فكانت عبارة عن رأس حاتحور مركبة فوق مقبض ، وقد استبدلت القرون بزائدين طويلتين من المعدن وبينهما خيوط معدنية مشدودة تخترق صنوج صغيرة من المعدن أيضا . وعندما تحرك أو تهز هذه الصلاصل يصدر عنها صوت يدعم الغناء ويضبط الإيقاع . وتشبه هذه الصناجات ، المصفقات الخشبية الأسبانية المعروفة اليوم ، والذين شاهدوا راقصا أو راقصة اسبانية يرقصان على أنغام الصاجات وصفقوا لها يمكنهم أن يتصوروا بسهولة الدور الرائع الذي كانت تؤديه الصلاصل والصاجات في عهد قدماء المصريين . وكان المغنيات من الوسائل ما يمكنهن من مساعدة أنفسهن بالتصفيق بأيديهن أثناء الغناء . وكان الرقص يكمل الاستعراض . ويشترك أحيانا مع الرقص إحدى الهلوانات التي كانت تميل إلى الخلف فيبدل شعر رأسها حتى يلامس الأرض . (٣)

وبعد أن ينتهى الجميع من إشباع بطونهم بالطعام ، يطول الاجتماع وتستمر الأغاني والموسيقى والرقص ، ويتناولون الحلوى مرة أخرى في لذة وبهجة ، لأن غرضهم الأوحد كان إرضاء نهمهم وكان المغنون ينشدون الأشعار ويتغنون فيها بكرم الداعى أو بنعم الآلهة : « أن كاله (الداعى) مكنون في كل القلوب .. عمل المعبود يتاح كل هذا بيديه ، تملأ البركة » (٩ م - الحياة في مصر)

قلبه .. ملئت القنوات بالمياه المتدفقة الجديدة وغمرت الأرض بحبه .. وقال آخر : « إنه ليوم سعيد هذا الذى نشيد فيه بجمال آمون ، ما أحلى التهليل بأصوات عالية تصل إلى عنان السماء .. ، وكان من الأوفق تقديم الشكر للمعبودات واسكن لا يجمل أحد أن المدة التى يقضيها الإنسان على الأرض ليستمتع فيها بخيرات المعبودات ، قصيرة الأمد . فلنتفجع إذن بهذا اليوم السعيد الذى تتحد فيه رحمة الآلهة بكرم الداعى ويكمل بعضها بعضا . وقد ردد عازف القيثارة نفر حتب Neferhotep هذه الحقائق فى إحدى المآدب :

« منذ بدأ العالم وأجساد البشر تفنى وتعود إلى التراب وتحل محلها أجيال شابة جديدة ، وطالما يشرق رع (الشمس) فى الصبح ويغرب توم Tounم ليستريح فى مانو Manou ، فإن الرجال يتناسلون والنساء يلدن ، ومن خلال أنوفهم يتنسمون عبير الحياة ، ولكن لا بد لهم من يوم يفتقل فيه كل مولود إلى مكانه الموعود . أيها الكاهن اصنع يوما سعيدا ، وتوزع عليك العطور من أغر الأنواع وتلقب الروائح الزكية إلى أنفك لتقرعينا ، ولتحوط القلائد والزنايق أكتافك ، ولتحلى رقبة أختك الحبيبة الجالسة بقربك ، وليشنف آذانك الغناء وموسيقى القيثارة . تخلى عن كافة الآلام والأمراض ولا تفكر إلا فى المسرات ، حتى يجىء اليوم الذى يجب فيه الرحيل إلى أرض السكون . اجعل هذا اليوم سعيدا يا نفر حتب يا صاحب الصوت الحق والاب الآلهى الممتاز ، إنك صاحب الأيدى الطاهرة وقد أدركت كل ما انتاب الأجداد : انهدمت جدران منازلهم وأزيلت أماكنهم ، وأصبحوا هم أنفسهم وكأنهم لم يخلقوا أبدا ، منذ الأزل ، أما جدرانك فتينة وقد زرعت أشجار الجيز على حافة بركة حديثك ، وروحك باقية تحتها ، تشرب من مياهها ، اتبع قلبك بإرادة قوية طالما أنك حى ترزق على هذه الأرض .

أعط خبزاً لمن ليس له مأوى حتى تكتسب طيب السمعة إلى الأبد . ليكن يوماً سعيداً . . تخيل اليوم الذى يقودونك فيه إلى حيث يحتلط الرجال من كافة الأجناس ، ولا يوجد قط إنسان أخذ أمواله معه ولن يستطيع العودة إلى الحياة (٦١)

ويذكرنا عازف قيثارة آخر بعدم جدوى مجهودات الإنسان للتغلب على الموت ، فصر فى عهد الرعامسة ، كانت بلداً قديماً وكان من اليسير على الإنسان أن يقدر ما حل بالآهرام . . فالآلهة الذين كانوا يعيشون فى الماضى والذين يرقدون فى أهرامهم ، والمومياءات والأرواح التى تحويها الآهرام التى بنوها قصوراً مشيدة ، قد زالت أما كتبهم من الوجود ، فإذا أصابهم ؟ لقد سمعت أقوال إِمحْتَب Imhotep وحرد ديف Hardidif فى أغنيات كثيرة جداً . لقد تهدمت أسوار مبانيهم وزالت أما كتبها ، كما لو أنهم لم يوجدوا من قبل أبداً ولم يعد أحد يزورهم ليذكر شيئاً عن فضائلهم أو ينغى بأملأ كتبهم . .

د اتبع قلبك طالما أنت على قيد الحياة . ضع البخور فوق رأسك ، لبس الكستان ، تطيب بأغزر أنواع عطور الآلهة . . اتبع قلبك وهى لنفسك السعادة أطول وقت مستطاع ، تقضيه على سطح الأرض . لا تستهلك قلبك إلى أن يوافيك اليوم الذى لا ينفع فيه التوسل فالآلهة الذين توقفت دقائق قلوبهم ، لا يمكنهم أن يستمعوا إلى أولئك الذين يتوسلون إليهم . . (٦٢)

وفى العصر المتأخر لم يكتفوا بالمقابلة شفويا بين أحزان مملكتهم الأموات وبهجة الحياة وإلى حضن المدعوين على انتهاز الفرص للاستمتاع بسعادة الحياة وبهجتها ، فكانوا يعرضون فى مآدب الأغنياء طبقاً لما أورده

الكتاب الإغريق الذين كانت معلوماتهم صحيحة هذه المرة على ما يظن - أنه بعد الانتهاء من تناول الطعام ، كان يعرض تمثال صغير من الخشب يرقد داخل تابوت ، قد دهن وزين ويطابق تماما جثة ميت حقيقي ، محنط بطبيعة الحال ، وليس هيكلًا عظميًا كما يعتقد بعض المتأخرين . وقد عثرت في منزل خاص في تانيس على تماثيل مومياءات محنطة سليمة تمامًا تمسها من قبل أية يد ، طولها ذراع . وربما كانت تستخدم في نفس هذا الغرض . فكان المضيف يقدم إلى كل مدعو هذا التمثال ويقول له : « انظر هذا ، ثم اشرب وابتهج واستمتع بالحياة لأنك متى مت ستصبح مثله تمامًا . » هذا ما كانوا يفعلونه عندما كانوا يجتمعون في حفلات الشراب . وهذا ما يؤكده على الأقل هيرودوت وبلوتارك . وكان لوسيان Lucien يزعم ، وهو يتكلم كشاهد عيان ، أن الأموات كانوا يحضرون فعلا المآدب بأنفسهم . وذكر أكثر من هذا مما لا يمكن إثباته - أن نفر حثب قد دعى الأموات للجلوس بين الأحياء أو أنه مرر بينهم مومياء صغيرة أو أنه أراهم هيكلًا متحركًا من الفضة مثل تمثال تريمالسيون Trimalcion الضخم الجسم . (١١)

وفي كثير من الأحيان كان المدعوون يتبعون نصيحة عازف القيثارة الشجي ، وبجبة إحياء يوم سعيد ، يحدث أن ينقلب الاجتماع العائلي إلى مجلس شراب . وهالك مثل حفلة استقبال لدى باحيري Paheri (١٢) وزوجته . لقد جلس ربا البيت أحدهما بجانب الآخر ، وقد ربط في أحد قوائم المقعد الذي يجلس عليه . باحيري ، قرد ، يتناول التين من أحد السلال ويلتهمه . بينما اجتمع الخدم وقوا في الخلف . وكان والدا باحيري يجلسان على مقاعد جميلة في مواجهة ، أما أعمامه وأبناء عمومته والأصدقاء فقد كانوا يجلسون على الحصر ، وعلى أية حال فلم يقصر أحد في خدمتهم : إذ كان الخدم يرون بينهم حاملين كنوسا ذات زخارف ، بينما اهتم خدم آخرون بالسيدات

المدعوات . وكان يقول أحدهم وهو يقدم كأساً من الخمر : « في صحتك ، في صحة روحك - اشرب حتى تفقد الوعي ، وعش يوماً سعيداً ، واصنع إلى ما تقول شربكتك ، وتقول هذه السيدة للساق : « أعطني ١٨ معياراً من النبيذ أنظر فاني أحبه حتى أفقد الوعي من السكر ، ويقول خادم آخر لا يقل تحريضاً عن سابقه : « لا عليك ، فإني لن أترك إبريق النبيذ ، أما جاريتها التي كانت تنتظر دورها فتدخل وتقول « اشربي ولا تتظاهري بأنك سئمت الشراب . هل تسمحين بأن يقدم لي كأس من النبيذ ؟ .. إنه سيد المشروبات ، وعلى بعد ، نرى اثنتين من المدعوات ، بمن أهملهم السقاة تأنياناً بحركة تعبر عن أنهما ترفضان عرضاً وهمياً . وقد أقيمت هذه الحفلة في منزل باحيري الذي كان يعيش في مدينة نجيت عقب انتهاء حرب التحرير . وكان سرور هؤلاء الريفيين ينطوي على شيء من الخشونة ومع ذلك ففي طيبة كانوا يفضلون الاعتدال . وهي الكلمة التي أوردتها بولوتارك ، ويقصد بها أن يراعى الاعتدال في كل شيء . ولكن ليس من النادر أن نجد ضمن مناظر المآدب أحد المدعوين وقد أفرط في الشراب أو الطعام حتى لعبت الخمر برأسه وغثت نفسه (٢٨) فيلفظ شيئاً كريهاً من فمه ، وجيرانه الذين لا يدهشهم كثيراً ما يحدث ، يسندون رأس المريض أو المريضة ويمددونه على السرير إذا احتاج الأمر ذلك . وفي سرعة خاطفة ترفع البقايا السكرية ويستمر الحفل .

١٠ - الألعاب :

لم تكن حفلات المآدب تقام كل يوم . فعند ما يكون رب البيت وزوجته منفردين ، فإنهما يفضلان الجلوس في الحديقة تحت كشك صغير يشربان ويستنشقان عبير ريح الشمال المنعش ، أو يقومان بجولة في قارب

يجوسان خلال بحيرتهم ، ويتسلان بصيد السمك بالشص . على أن الزوجين كانا يفضلان التسلية بلعبة « الضامة » وكانوا يلعبونها على لوحة مستطيلة الشكل مقسمة إلى ثلاثين مربعا أو إلى ثلاثة وثلاثين مربعا صغيرا . فالأقشاط السوداء والبيضاء التي كانت تستعمل تماثل قطع الشطرنج التي نستعملها اليوم . وكان اللاعبون يجلسون فوق مقاعد قصيرة لا مساند لها وأرجلهم ممتدة فوق وسائل صغيرة ، ويلعب الزوجان غالبا الواحد منهما ضد الآخر ، وكانت الابنة تساعد أباهما في اللعب وهي تلف ذراعها حول رقبتة . وكان بت أوزيريس Petosiris يلعب مع أصدقائه بعد تناول طعام الغداء إلى أن يحين وقت تناول الجمعة في قاعة الشراب . وكان من عادة أهالي طيبة ألا ينتظروا حلول الوقت المناسب لتناول الجمعة بل كانوا يفضلون أن يتناولوها وهم يلعبون . (١٩)

على أننا لا نعرف شيئا عن خطوات سير هذه اللعبة ، ويظهر أنهم كانوا يلعبونها معتمدين على « الزهر » ، وليس كما نلعبها نحن الآن ، وهي طريقة نقل قطع الضامة في حرية .

وكانت الألعاب كثيرة ومتنوعة في العصور القديمة . واللعبة التي كانت مفضلة هي لعبة الثعبان محن Mehen التي كانت تلعب فوق منضدة مستديرة ، رسم على سطحها ثعبان ملتف حول نفسه أو نقش بالحفر ورأسه في الوسط وأجزاء جسمه قد قطعت بخطوط كأنها مربعات . وكان اللاعبون يستعملون فيها ثلاث قطع على شكل أسود ، وثلاث قطع على شكل لبؤات وكرات بيضاء وحمراء . وحينما ينتهي اللعب كانت هذه القطع تجمع وترتب في صندوق من الأبنوس ، وليس ثمة دليل على أن هذه اللعبة كانت تمارس أو لا تمارس

بعد الدولة القديمة (٧٠) ولكن لا يمكن التأكد بأنها قد أهملت ، فقد نشر داخل مقبرتين من عهه الأسرة الأولى على مجموعة رائعة من الأسود والبوابات من العاج وعلى قطع عجيبة من اللعب مصنوعة من العاج ، ويمثل بعض هذه القطع منزلاً مكوناً من ثلاثة أجزاء له سطح مدبب الشكل وبعض قطع أخرى تشبه الملك ، والطاوية ، في لعبة الشطرنج التي نمارسها الآن . والبيادق عبارة عن قطع أسطوانية ، الجزء الأعلى منها مستدير الشكل ينتهى بزرار . ومن العسير التفكير في أن الألعاب المتنوعة التي اخترعها هؤلاء الأجداد الحاذقون قد أهملت أو تركت لتبقى منها لعبة واحدة أو لعبتان فحسب . فقدماء المصريين كانوا مولعين باللعب ، وكان الأزواج والأصدقاء يلعبون تسلية لقتل الوقت وكذلك كان المتخاضمون يلعبون سوياً لحل بعض ما قد يكون بينهم من منازعات (٧١)

وكان الأطفال يلعبون أيضاً ألعاباً لا تحتاج إلى كثير من المال ، فإذا كان عددهم كبيراً انقسموا إلى فريقين ، وفي كل فريق كان كل لاعب يحوط بذراعيه خصر اللاعب الذى يتقدمه ، وكان اللاعبان الأولان فى مقدمة الفريقين يقفان متواجهين وقدم كل منهما أمام قدم خصمه ويثنى ذراعيه فوق صدره ويحاول كل منهما إسقاط الآخر ، ويشجع بقية الفريق اللاعب الذى فى المقدمة قائلين له : « ذراعك أقوى منه بكثير فلا تتخاذل ، ويردد الباقون ، فريقنا أقوى انتصر عليه أيها الرفيق ، .

أما لعبة « الجرى على الأرض » فهى عبارة عن سباق القفز على الحواجز (٧٢) إذ يجلس ولدان على الأرض متقابلين وأيديهم وسيقانهم ممدودة وأصابع الأيدي ممتدة فى انفراج وكعب القدم اليسرى فوق أصابع

القدم اليمنى المستندة على الأرض ، بهذا يتم تكوين الحاجز الذى يتحتم على اللاعبين الآخرين القفز عليه دون أن يمسكوا . والللاعبون الذين يكونون هذا الحاجز يحاولون بطبيعة الحال أن يمسكوا قدم اللاعب الذى يقفز . فإذا أمسك بها انقلب على الأرض وأصبح الجدى على الأرض ، ولا يجوز لمن يقفز أن يأتى بحركات مخادعة بل عليه أن يقفز ويعلن بأعلى صوته قائلا : « إثبت جيداً فأنا آت إليك أيها الرفيق » .

ويتبارى بعض الأولاد الآخرين فى سرعة الجرى ونظراً لأنه من اليسير الجرى على الأقدام ، لذلك كانوا يتبارون بالجرى على ركبهم ويقبضون بأيديهم على أقدامهم من الخلف . وإذا وجد من بين المجموعة واحد كبير فانه يسير على أربع ويركب فوق ظهره ولدان صغيران ، يتماسكان بالأيدي والأرجل ويتأرجحان على ظهره وهو يسير . ويلعبون أيضاً لعبة رمى الحراب على هدف معين مرسوم على الأرض ، ويحمل هذا الهدف اسم سخمو أو سشمو Sechemou ولا ندرى سبب هذه التسمية ، وسخمو هو معبود المعاصر ، وله مكانة كبرى ، وكان من المتوقع أن يسمى الهدف باسم قاتل أوزيريس . وللصراع هواة فإذا نوافر عدد كبير من اللاعبين فإن بعضهم يقف على هيئة برج ويضع كل لاعب ذراعيه على أكتاف جيرانه ، وعلى الباقين أن يقفوا فوق البرج ، عاملين على ألا يمسك بهم الحارس .

وفى بعض الأحيان ينقلب للعب إلى عراك فالولد الآخرق أو المخادع كان يعاقب باللكم بالأيدي وبالركل بالأرجل . وقد كان فى بعض الأحيان يوثق بحبل كجرم حقيقى ويضربه جلادوه بعضى ينتهى طرفها فى شكل يد .

أما الفتيات فيمكن يفضلن الألعاب التي تحتاج إلى مهارة فيمكن يلعبن لعبة رمى السكور في الهواء بسرعة ولقفها تباعا ، وكانت تركب صغارهن ظهور الكبيرات ويتقاذفن السكور ، وكن يتماسكن من الخصور ويتصارعن ، ولكن لعبتهن المفضلة كانت الرقص ، فكل فتاة شابة كان عليها أن تتعلم الرقص ، ولم يكن الأمر مقصوراً فحسب على الفتيات اللاتي كن يردن أن يصبحن راقصات محترفات .

كن يربطن كرة في نهاية ظفائرهن ويمددن أذرعهن إما بالإمساك بمرآة أو بإحدى العصي المنقوشة التي يستعرنها من جيرانهم من الصبيان . وبعد أن تم زينتهن بهذه الكيفية كن يدرن حول أنفسهن ويقفزن ويتمايلن وأقراهن ملتفات حولهن على هيئة دائرة يغنين ويصفقن بالأيدي — وغناؤهن الذي لا نعرفه جيداً — كان عبارة عن توسل إلى حاتحور ربة كل المذات . وهاك لعبة لا تخلو من عامل المفاجأة والإثارة : تقف فتاتان كبيرتان ظهر كل منهما ملتصق بظهر الأخرى ، ويفردن أذرعتهن يميناً وشمالاً ثم تقف أربع فتيات صغيرات إلى جانبهن وأرجلهن متجاورة . ويمسكن بأذرع الفتيات الممتدة ويصنبن أجسامهن تماماً ويرتمين في الهواء ، كأنما هن معلقات ثم يدرن بعد سماع إشارة البدء ثلاث مرات على الأقل ، إلا إذا سقطت إحداهن على الأرض ، فتتوقف حينئذ اللعبة .

وكثيراً ما توجد في غرف الحريم جميع الآلات الموسيقية مثل القانون والقيارة والعود والطبلية .

ولم تكن هذه الآلات موجودة عبثاً ، وإنى أعتقد أنه بعد تناول العشاء

كانت تقام حفلات الغناء والموسيقى والرقص في جو عائلي ، وكذا سرد القصص . فبردية وستكار Westcar المحفوظة في متحف برلين تظهر لنا خرفوساهيا ، ثم مهتما اهتماما شديداً بقصص السحرة التي كان يرويها له أولاده كل بدوره

ونحن على حق تماما حين نعتقد أن هذا اللون من التسلية الملكية كان في متناول أيدي أولئك الذين يرغبون فيها .

الفصل الخامس

الحياة في الريف

١ - الفيلسوف

كان السكّان المصري القديم يعد كافة المهن اليدوية حقيرة ، وأحقرها جميعاً مهنة الزراعة ، فسرعان ما يفنى فيها عمال الزراعة كما تستهلك الأدوات ، وطالما يتعرضون لأذى سادتهم ، ويستغلهم هؤلاء السادة ومحصلو الضرائب على السواء كما يسرقهم جيرانهم وبسطو عليهم اللصوص وتضييقهم تقلبات الجو بالحسرة الشديدة ويأتى على محصولاتهم الجراد والقوارض وغيرها من أعداء الإنسان ، هذه هي حال رجل الحقول : تسجن زوجته ويؤخذ أولاده رهائن .

ولذلك فالرسم الكامل يضاف عليه صورة قائمة للبؤس .^(١)

والىكن الأمر يختلف في نظر الإغريق ، الذين أتوا من بلاد قاحلة حيث لا يمكن الحصول على محصول ضئيل إلا بعد مجهود شاق . يقول المؤرخ هيرودوت : « عندما تبذر الحبوب فما على المزارع إلا أن ينتظر في هدوء موعد الحصاد » . وبذهب المؤرخ ديودور إلى أبعد من ذلك إذ يقرر : « بينما تتطلب الزراعة جهداً شاقاً في بلاد كثيرة ، بصفة عامة ونفقات باهظة وعناية فائقة فإنها في مصر لا تتطلب إلا مالاً قليلاً ومجهوداً محدوداً » .^(٢) ومن بين الشبان المصريين الذين تلقوا العلم في مدارس المدن نجد فئة فضلت العودة إلى الحقول وكان هؤلاء هم المعتمهون الذين رسم لهم الكاتب

هذه الصورة القائمة . أما فلاح وأمة الملح * فلم يصور لنا في صورة رجل بائس فقير ، بل ما أطول قائمة المنتجات الطيبة التي تخرجها أرضه ، تلك المحصولات التي حملتها حميره وذهب لبيعها في نزنسوت Nen Nisout على أمل أن يعود ثانية إلى بيته ومعه أطياب الفطائر لزوجه وأولاده . ولا شك أن رجلاً شريراً رأى هذه القافلة الصغيرة وهي تسير في الطريق فاستولى على الدواب وعلى ما تحمله من بضائع . غير أن السلطات العليا قد اهتمت بأمره . ولو أننا عرفنا تفاصيل نهاية القصة لتأكدنا أن عدالة الملك وقفت في جانبه فأنصفته . والآخ الأكبر في قصة الأخوين ، وهي قصة مشهورة أيضاً لم يكن موضعاً للشفقة إطلاقاً ، فقد كان يملك بيتاً ملكاً خالصاً له كما يملك أرضاً زراعية ووهاشى وآلات زراعية وغلالاً . وعاشت زوجته في البيت كسيدة تقوم بزيتها بينما يعمل زوجها وأخوه في الحقل وتقضى طول اليوم في إدارة شئون بيتها وإعداد طعام العشاء وإضاءة المصباح قبل أن يعود زوجها . وعندما يحضر تقدم له طستاً وإبريقاً ليغتسل .

٢ - رى الحرائق

عندما وصفنا المساكن لاحظنا مدى شغف المصريين بالحدائق ، لقد كانت رغبة كل مالك سواء كان يعيش في المدينة أم في الريف ، أن ينشئ له حديقة ليزرع فيها الفاكهة والخضر . وكان رى الحديقة هو ما يشغل باله . وهذا العمل هو الشيء الوحيد من بين أعمال الحدائق التي لدينا عنها بعض المعلومات . كانت الحديقة المثمرة تقسم إلى مربعات صغيرة بواسطة قنوات تتقاطع في زوايا قائمة . كانت طريقة الرى التقليدية القديمة والتي كان لا يزال يجري العمل بها خلال الدولة الوسطى هي استخدام جرار فخارية مستديرة الشكل يعلق كل اثنين منها في طرفي نير ، وتفرغ محتوياتهما في

أحد الأحواض ، وبهذا يمكن رى الحديقة كلها . وكانت هذه العملية تتطلب وقتا طويلا شاقاً. (٣)

ولا شك أن اختراع الشادوف قد لاقى ترحيباً إذ كان اختراعاً مفيداً. (٤)

والشادوف يتكون من عمود قوى رأسى ، يبلغ طوله ضعف طول الرجل يثبت فى الأرض على حافة المياه . وإذا وجدت شجرة تصلح لذلك فى المكان المناسب نزعنا فروعها ، ثم يثبت عمود طويل أفقياً فوق العمود الرأسى وبذلك يمكن أن تتحرك فى مختلف الاتجاهات ، ويثبت حجر ثقيل فى نهاية العمود الأفقى أما فى الطرف الآخر فيثبت وعاء من الفخار أو من القماش بجبل يبلغ طوله نحو خمس أذرع أو ست . ثم يشد الحبل فيمتلىء الوعاء بالماء ثم يترك الحبل فيرفع الثقل المقابل الوعاء ، وعندما يصل إلى حافة الحوض تصب فيه المياه ثم تكرر العملية . وقد استخدمت أربعة شواذيف فى وقت واحد لرى حديقة أبوى Apouy ، ويتبع كلب البستانى بنظره وعاء الماء وهو يتحرك . وكان الرى بهذه الآلة ، مع كونها بدائية مرضية وفيه الكفاية . والدليل على ذلك الاستمرار فى استخدامها دائماً . ويظهر أنها لم تستعمل فى عصر الإمبراطورية الحديثة إلا فى رى الحدائق ، ولم ترد رسومها فى المناظر التى تمثل الأعمال الزراعية فى الأراضى الواسعة . أما الساقية التى يلازم صربها الريف المصرى حالياً ، فلم تظهر ضمن مستندات العهد الفرعونى ولا نعرف الوقت الذى استعملت فيه بوادى النيل ، على أنه قد اكتشفت آثار جميلة ذات قطر كبير فى جبانة كهنة تحوت فى

هرمبوليس بالقرب من مقبرة بت أوزيريس* وأخرى في مدينة أنطوني** وفي معبد تانيس أيضا. وقد صممت الأولى دون ريب، لتكون بئرا لساقية ولكن تاريخ هذه البئر لا يمكن أن يكون أقدم من مقبرة بت أوزيريس التي يرجع تاريخها، كما هو معتقد إلى عهد بطليموس سوتر.

المهتدين

٣ - جنى العنب

كان بكل حديقة عدد من كروم العنب تمتد على الجدار أو تظلل جانبي الرواق الرئيسى. وكانت فروعها العليا المشتبكة فوق اخشاب التكمية ذات الشكل المستدير، تتدلى منها في أشد أوقات القيظ عناقيد العنب الجميلة ذات الحبات الزرقاء الحلوة المذاق، التي كان يستسيغها أهالى المدينة. وكانت زراعة الكروم في الدلتا متقدمة عن أية جهة أخرى، ولو أن أكثره كان يعد لعمل النبيذ أكثر مما يؤكل فاكهة. وقد عرف النبيذ الكروم المزروعة في حقول (مح) ايميت الواقعة في شمالى فاقوس في كل العصور، وكذلك نبيذ مصايد (حام Ham) في سين بأقليم القلزم Piluse ونبيذ آبش Abesh الذى كان يحفظ في نوع خاص من الجرار تحمىها سلال من البوص، وقد ورد ذكرها في قائمة الأنواع الفاخرة. وحتى قبل عمل هذه القائمة كان نبيذ كروم سباحرختي بت Saba hor Khenti pet يرسل في جرار مختومة إلى مقر الفراغة في طينة*** أما أسرة الرعامسة التي نشأت أصلا في أواريس الواقعة بين ايميت وسين Sin فكانوا خبراء في أنواع النبيذ

* في تونا الجبل غرب ملوى (هرمبوليس ماجنا) .

** شرق النيل قرب ملوى .

*** في الأسرة الأولى منذ حوالى ٣٠٠٠ سنة ق م .

وبذلوا الكثير لتحسين زراعة الكروم وتجارة النبيذ . ومعظم شققات أواني النبيذ التي عثر عليها في الرمسيوم وقنطير وفي مقابر طيبة ، ترجع إلى عهد رمسيس الثاني ، حتى أنه كان في الإمكان عمل خريطة مؤقتة لمواقع الكروم المصرية لو لم تكن معلوماتنا عن جغرافية مملكة الفرعنة لم تنزل في طور الطفولة . (٥) أما رمسيس الثالث فإنه يقول : « لقد زرعت لك كروما في واحات الجنوب والشمال بجانب كثير غيرها في الإقليم الجنوبي ، أما في الدلتا فقد زاد عددها مئات الألوف . وعينت لها بستانين من بين الأسرى الأجانب لملاحظتهما وحفرت لها أحواضا مائية ملئت بنبات النيلوفر . لقد سال الخمر والنبيذ مثل المياه الجارية لتقدم لك في طيبة المنتصرة ، (٦) .

إن الحلقة الوحيدة التي نعرفها عن زراعة الكروم وحياة منتجي النبيذ هي عملية جني العنب . (٧) فنحن نشاهد المقاطفين منتشرين تحت مكعبات الكروم ، يقطفون العناقيد الطيبة ذات الحبات الزرقاء بأصابعهم لا بالمدى ويملاؤون مقاطفهم في حذر شديد حتى لا يفسد العنب ، إذ لم تكن المقاطف من النوع الذي تنسرب منه المياه . ثم ينصرفون وهم يغنون ، حاملين مقاطفهم فوق رؤوسهم ، ليلقوا بما فيها في الدنان الكبيرة ، ثم يعودون بعد ذلك إلى الكروم . ولا علم لي مطلقا أنهم كانوا يستخدمون الحيوان في نقل محصول العنب في أية ناحية من النواحي . على أنه في البلاد التي كانت تزرع فيها الكروم على نطاق واسع ، كان من الأفضل نقل العنب من الكروم إلى مكان التقطير في قوارب لتلافي الإضرار به وضياع هذا العصير الثمين .

كانت الدنان مستديرة وعميقة ، ولا نعرف نوع المادة التي كانت تصنع

منها . على أنها لم تكن من الخشب ، فالمصريون الذين لم يعرفوا صناعة البراميل الخشبية لم يكن في استطاعتهم صناعة دنان من الخشب ، مع أن صناعة قارب من القوارب كانت عسيرة بدورها . وأعتقد أنها كانت تصنع من الحجر ، لأن الجص أو الفخار أو الخزف تترك أثرا للنشع ، ولكن الحجر الصلب مثل الجرانيت أو الشيست كان من الممكن عمل دنان منها فاعمة ملساء لا يتسرب منها العصير كما يسهل صياقتها . كانت هذه الدنان توضع أحيانا فوق قواعد يبلغ ارتفاعها نحو ذراعين أو ثلاث أذرع ، وتزين بالنقوش البارزة ، ويقام عمودان صغيران متقابلان ، أما إذا لم يشأ المالك التمسك بالرفاهية فإنه كان يضع خشبتين متفرعتين يحملان عرقا من الخشب تتدلى منه خمسة أو ستة حبال . وعندما يملأ الدن بالقدر السكافي من العنب فإن قاطني العنب يعتلونه ويمسكون الحبال بأيديهم ، وذلك لأن قاع الدن ربما كان غير مسطح ويطاؤون العنب بأقدامهم في قوة ونشاط . وفي منزل ميراميرا Mera وزير الملك پيبي الأول Pepi I شاهد موسيقيين جالسين على حصيرة يغنيان ويدقان الصنجات الخشبية لتشجيع الرجال على العمل في حماس ووطء العنب في دقات رتيبة . (٨) ولهم هناك سبب لترك مثل هذه العادة النافعة ، ومع ذلك فقد اختفى الموسيقيون في عهد الأمبراطورية الحديثة ، على أن الرجال الذين يقومون بعصر العنب بأقدامهم فوق الدنان ، كان في استطاعتهم أن يغنوا ويرقصوا داخل الدن . وينساب العصير من الدن خلال ثقب واحد أو ثقبين أو ثلاثة ثقوب ليتسرب إلى حوض كبير . وعندما يتم عصر العنب تماما ينقل ثقل العنب المدهوك ويوضع في جوال متين ويثبت قضيب في كل طرف منه ، ويحاول أربعة رجال برمه في اتجاهين مختلفين حتى يتم عصر العنب المدهوك فوق وعاء كبير أعد لهذا الغرض ، على أن هذه الطريقة لم تكن سليمة . فكان

على هؤلاء الرجال الأربعة أن يتحملوا ثقل الجوال كما كان عليهم أيضاً أن يقاوموا برم القضبان، وإذا ما انحرف الجوال قليلاً عن مكانه فإن العصير كان ينسكب على الأرض، ولذلك كان لابد من الاستعانة برجل خامس يتوسطهم ليحافظ على إبقاء الجوال متزنًا في وضعه ويحرك الوعاء حتى يسقط فيه العصير .

وفي عهد الإمبراطورية الحديثة، استخدم عاصرو العنب جهازاً مكوناً من عمودين رأسيين مثبتين في الأرض له ثقبان متاثران في نفس الارتفاع وقد أوج فيهما طرفي الجوال الممتلئ بالعنب، وفي إحدى نهايتي الجوال عروة أعدت ليوضع فيها قضيب، ثم يهرم القضيب بكل ما أوتى العاصرون من قوة، وبهذا لا تفقد نقطة واحدة من النبيذ^(١). ثم يجمع العصير في أوان ذات فتحات واسعة وينقل إلى أوعية ذات قاع مسطح للتخمير . وعندما تتم هذه العملية يوضع في أوان أعدت خصيصاً لنقله في الأسفار، وهي طويلة مدببة ولها أذنان وعنق ضيق، وكانت تختم بالجلص في إحكام شديد . وكانت هذه الأواني تحمل عادة على الكتف ولكنها إذا كانت كبيرة الحجم، ثقيلة الوزن فأنها تعلق في عصا غليظة متينة يحملها رجلان . وكما هي العادة، كان السكاتب يؤدي عمله في جميع هذه الأعمال، فقد قام أولاً بأول بمحصر المقاطف التي أتى بها العاصرون وقد سجل على كل آنية كافة التفاصيل مثل تاريخ العام الذي صنعت فيه والنوع واسم المنتج، وقد سجل هذه البيانات في سجلاته الخاصة . وفي بعض الأحيان كان يصر المالك على أن يشرف بنفسه على جمع العنب وعصره، فيكون حضوره تشریفاً للعالم الذين يرتجلون أغاني لتجيده . فقد جاء في مقبرة بت أوزيريس Petosiris : « تعال أيها السيد وانظر كرومك التي تفرح قلبك بينما يقوم العمال بدهك العنب في حضرك . إن الكروم مثقلة بالعنب ولم يسبق أن كان عصيرها غزيراً في أي عام سبق كما هو عليه هذا العام . اشرب وانتعش وافعل ما تحب، فكل شيء

يسير على ما يرام ووفق ماتشهى . إن سيدة إيميت شاءت أن تمنى كرومك بوفرة لأنها تتمنى لك السعادة .

« إن القاطنين يجمعون العنب ويعاونهم أولادهم في حمله . أنها الآن الساعة الثامنة من النهار ، الساعة التى تطوى ذراعها ، أى الليل ويسقط ندى السماء كشيئا على العنب - فلنسرع لنطأه بالأقدام ولنحضره إلى بيت سيدنا .

« كل شيء يأتينا من عند الله - سيشر به سيدنا عذبا شاكر الله لروحك (كا) ولنقدم سكببة خمر إلى شا Cha (معبودة السكروم) حتى يمنحك محصولا وفيرا من العنب فى عام آخر ، (١٠) .

لم يكن المصريون ناكرين للجميل ، ولكنهم كانوا يتصفون بعبء النظر ، فيتهزون حسن استعداد الآلهة جزاء تقواهم ليطلبوا منهم مزيدا من العطايا . وكثيرا ما نجد إلى جانب الدن ثعبانا ذا رقبة مشرعة قد تحفز للهجوم . وقد يكون بين قرنيه أحيانا قرص مثل حاتحور أو إيزيس ، وقد يستوى على عرش أنيق ، أو يرقد بجوار كومة من البردى . وقد وضع بعض المتدينين من أتباعه بجانبه مائدة صغيرة عليها خبز وحزمة من الخس وباقة من اللوتس ، كما وضع عليها كأسان : وهذا الثعبان ما هو إلا المعبودة رنوت رنوتet آلهة الحصاد وهى التى يعهد إليها أيضاً المحافظة على الشون والملابس والعنب وأقبة الخمر . وكان يحتفل بعيدها فى أول فصل شمو (الصيف) الذى يتفق وافتتاح موسم الحصاد . كما كان يحتفل عمال السكروم بعيدها ، تمجيذا لها بعد أن يفرغوا من عصر العنب .

.. ٤ - المحرت والبذر

ظلت زراعة الحبوب فى عهد الرعامسة الزراعة الأساسية (١١) فكانت

حقول القمح والشعير تمتد دون انقطاع من مستنقعات الدلتا حتى الشلال . وكان الفلاحون المصريون يعدون قبل كل شيء حرثا للأرض . وطالما كانت مياه الفيضان تغطي الأراضي خلال شهور فصل آخيت* الأربعة ، لم يكن لديهم الكثير ليعملوه ، ولكن لا تنكاد المياه تعود إلى مجرى النهر حتى كان عليهم أن ينتهزوا فرصة الأيام التي لا تزال الأرض خلالها لينة من أثر الفيضان فيسهل العمل فيها .

وفي بعض الرسوم التي تمثل حرث الأرض تشاهد في بعض الأماكن برك المياه مما يدل على أن العمل قد بدأ قبل أن تعود المياه تماما إلى مجرى النيل . وفي مثل هذه الحالة فقط ، يمكن الاستغناء عن حرث الأرض حرثاً تمهيدياً على نحو ما يجري في الممالك الأوروبية .

كانت هذه هي اللحظة التي اختارها مؤلف قصة الأخوين ليبدأ فيها قصته ، فالأخ الأكبر يقول لأخيه الأصغر : « هيا بنا لنعد الثيران لحرث الأرض فالمياه قد انحسرت وأصبحت الأرض معدة للحرث ، إذن فاذهب أنت إلى الحقل ومعك الحبوب لتبدأ العمل غداً صباحاً ، ، ولا يكاد الأخ الأصغر يسمع هذا القول حتى يقوم بإعداد كل ما أشار به أخوه الأكبر . ففي صبيحة اليوم التالي حينما انحسرت المياه عن الأرض ، توجها إلى الحقل ومعهما الحبوب ، وأخذا يحرقان الأرض . (١٢)

وتبين لنا الرسوم أن بذر الحبوب وحرث الأرض يسيران جنباً إلى جنب إذ تبذر الحبوب أولاً ثم تحرث الأرض لتغطي تربتها الحبوب التي بذرت ، وذلك بعكس النظام المتبع في الأراضي الأوروبية حيث تحفظ الأرض بالمحراث أولاً ثم تبذر الحبوب . (١٣)

كان الذى يبذر الحب يملأ سلة ذات مقبضين بالحبوب ببلغ ارتفاع السلة نحو ذراع وطولها ذراع أخرى ، وقد حملها على كتفه فى طريقة من القرية إلى الحقل ، وحينما يصل يعلقها حول رقبته بحبل طويل ، بحيث يسمل عليه تناول الحب منها بيده وبذره على سطح الأرض . وكان المحراث لا يزال حتى عهد الرعامسة ، الآلة البدائية التى اخترعها الحراث الأوائل فى العمود العتيقة . وحتى فى العصر المتأخر ظلت كما هى ولم تستبدل بغيرها . والواقع أنها تكاد تصلح فحسب لخدش الأرض الخفيفة التى تخلو من الأحجار والأعشاب الملتفة . ويتكون المحراث من مقودين رأسيين قد ثبتا بأخشاب متقاطعة وتحنى بزواية ينتهى طرفها بسلاح الحرث وهو من المعدن أو ربما كان من الخشب . وبين المقودين دعامة تنتهى عند سلاح الحرث وتثبت بربطها بحبال ، ويثبت نير فى نهاية عمود طويل متصل بالمحراث ويوضع هذا النير فوق رقبتي الدابتين ويربط إلى قرونها .

وكانت الأبقار ، وليست الثيران ، هى التى تستخدم فى جر المحراث ويوحى صغر حجمها بأن العمل لم يكن شاقاً أى أنه لم يكن يتطلب مجهوداً كبيراً . وأنها لحقيقة معروفة أن الأبقار التى تعمل لا تدر إلا قليلاً من اللبن ، وهذا يبين أنه كان هناك عدد وفير من الأبقار بعضها ليدر اللبن الكافى لسد حاجة المستهلكين والبعض الآخر لمواجهة طلبات الحراث . أما الثيران فقد خصصت لجر توابيت الموتى فى الجنائز وفى جر الكتل الثقيلة من الأحجار . واستخدم الأبقار فى الحرث يدل على أنها كانت قادرة على القيام بهذا العمل الذى لم يكن شاقاً عليها ، على أن نقص كمية اللبن . نتيجة عملها فلم يكن إلا شيئاً مؤقتاً لا يترتب عليه العدول عن استخدامها فى أعمال الحرث .

وكان يقوم بالحرث رجلان عادة . وأشد العمل إرهاقا هو ما كان يقوم به الرجل الذى يقبض على يد المحراث ، فعندما يتحرك المحراث ، يكون هذا الرجل منتصباً تماماً وواضعا إحدى يديه على المحراث ، رافعا سوطه بيده الأخرى ليحدث صوتا فى الهواء فتتحرك الماشيتان ، وعندئذ ينثنى الرجل ويمسك المحراث بكلتا يديه ويضغط عليه بكل قواه . أما زميله فعمله هو أن يقود الدواب ويمكن بدلا من أن يتقدمها ووجهه إلى الخلف فإنه يسير إلى جانبها متجها إلى الأمام . وفى بعض الأحيان لا يكون هذا الزميل سوى طفل عار وخصلة شعره تغطى خده الأيمن ، وهو يحمل مقطعا صغيرا جدا ، وهو أصغر من أن يحمل سوطا أو عصا ، وعلى هذا فكانت وسيلته فى السيطرة على المواشى هو أن يصرخ فيها . وكانت زوجة المزارع فى بعض الأحيان هى التى تقوم ببذر البذور على الأرض .

وهذه الأيام الطويلة التى كانت تنقضى فى العمل ، لم تكن تخلو من أحداث . فالأخوان فى القصة كانا قد استنفدا كمية البذور التى كانت معهما وأحدهما بيتاؤو كان عليه أن يعود مسرعا إلى المنزل . وقد وقعت إحدى الأحداث المؤلمة التى تلبأ بها الكاتب الذى لا يحب الزراعة . لقد اصطدمت إحدى البقرات بعائق فسقطت على الأرض . واضطروا إلى كسر عمود المحراث الطويل وسحب البقرة الثانية . وهنا يسرع الرجل الذى يقود المحراث ويفك رباط الدابة التمسعة التى سقطت ويعاونها على النهوض . وبعد قليل يعود المحراث إلى عمله خيرا مما كان . (١١)

وبالرغم من أن الريف المصرى كان ينطوى على شيء من الملل ، فإنه - كما هو الحال اليوم - لم يكن خالياً من الأشجار . فأشجار الجبىز الكبيرة واللبخ والطرفاء والعناب وأشجار كانت تضى الخضرة الجميلة على الأرض

السوداء المحروثة . وكانت هذه الأشجار تمد الفلاح بالأخشاب اللازمة لعمل الأدوات الزراعية . وكان ظلها حبيباً للفلاح ، إذ لا يكاد يصل إلى الحقل حتى يعلق بين أفرع شجرة الجوز الزق الذى كان يذهب إليه بين الفينة والفينة ليرتشف منه ، كما كان يعلق على جزع الشجرة مقطف الطعام ، ويضع على مقربة منه زيراً كبيراً مملوئاً بالماء البارد . والآن يجب أن تستريح البهائم ريتجاذب الفلاحون أطراف الحديث قائلين : « هذا يوم جميل فالجوصحو معتدل ، والبهائم تنجر المحراث على خير ما يرام والسماء تمنحنا ما نطلب . فلنواصل العمل لحساب الأمير » ، لقد حضر الأمير باحيرى Pehiri الآن ليشرف على العمل وينزل من عربته بينما يقبض السائس على أعنة الجياد ويهذى من روع الخيل . ويراها أحد الفلاحين فيخطر زملاءه قائلاً : « هلم أسرع أيها الزميل فى المقدمة ، وأمسك مقود البقر ، وادع الأمير ليرى ما نعمل ، ولما لم يكن لدى الأمير باحيرى العدد الكافى من البقر لتشغيل كافة محارثه ، وكانوا يخشون أن تجف الأرض تماماً لو أنهم انتظروا يوماً أو أكثر ، لذلك كان أربعة رجال يحلون محل البهائم ويشدون أنفسهم إلى النير ويتسلون فى عملهم الشاق بالغناء قائلين : « انظر البنا هانحن أولاء نعمل . لا نخشى أن تجف الأرض فهم أرض طيبة حقاً ، أما سائق المحراث وواضح أنه من الساميين ، وربما كان مثل سائر زملائه من أسرى الحرب ، فكان راضياً عن حاله يجيب ساخراً : « ما أحسن قولك يا بنى . إن السنة تكون طيبة إذا خلت من السكوارث . إن الأعشاب لتنمو كثيفة تحت أقدام العجول . إنها أحسن من أى شئ آخر » (١٥) وعندما يأتى المساء تفك كل البهائم من النير ويقدم لها الطعام وتشجع ببعض الكلمات الطيبة : « هو hoo (البلاغة) ماتتصف به النيران وسيا Sia (الحسكة) ماتتصف به البقر . فلتعط الطعام فوراً » (١٦) وحينما يتجمع القطيع يتجه إلى القرية ، ويحمل الفلاحون المحارث ،

لأنها لو تركت في الحقل لكان أمر العثور عليها مشكوكا فيه . وكما يقول الكاتب : « إنه إن يجد محراثه حيث تركه ، وسوف يستغرق البحث عنه ثلاثة أيام حتى يعثر عليه مدفونا في التراب ، غير أنه إن يجد الجلد الذي كان به لأن الذئب تكون قد مزقته قطعاً صغيرة ، » (١٧) .

سليم يكن المحراث هو الوسيلة الوحيدة التي تستعمل لتغطية البذور في الأرض ، فطبقاً لطبيعة الأرض كان من المستطاع أن يستعمل المدقة والمعول أيضاً وكان المعول بدائياً مثل المحراث فهو يتكون من قطعة طويلة من الخشب فهي تماثل الحرف الكبير A وإحدى ضلعيه طويلة وكثيراً ما يتعرض المعول للاستهلاك أكثر من المحراث ، ولذلك كان الفلاح يضطر إلى أن يقضى في إصلاحه طول الليل ، ولما كانت هذه العملية كانت لا تفقده مرجه ، فيقول أحد العمال : « سوف أعمل أكثر مما يعمله مالك الأرض ، فاسكت إذن ! ، ويرد عليه عامل آخر قائلاً : « أسرع يا صديقي إلى العمل لأنك سوف تطلق سبيلنا في وقت مناسب ، » (١٨)

أما الأراضي التي غمرتها المياه مدة طويلة فكان من المستطاع توفير كل هذه الجهود الشاقة بإحضار قطيع إليها بعد بذر البذور لتطأها أقدام الدواب . كانت الثيران والحمير شديدة الثقل أكثر من المطلوب لهذه الأرض . وفي الأزمنة السالفة ، كانوا يستعينون بقطيع من الأغنام ، فكان الراعي يحمل كمية صغيرة من الطعام في يده ليقدمها تباعاً للنعجة التي في المقدمة التي كانت تتبعه مطيعة له ثم يتبعها بقية القطيع . ولأسباب غير معروفة لنا ، استعانوا في عصر الامبراطورية الحديثة بقطيع من الخنازير .

وقد شاهد هيرودوت قطعاً من الخنازير يعمل في الحقول . (١٩)

وقد أوحى طمر الحبوب في الأرض إلى المصريين بأفكار هامة أو بعبارة أصح بأفكار مقبضة حزينة . فقد لاحظ الإغريق أنهم يقومون في تلك الفترة بمراسيم حفلات تماثل تلك التي تقام عادة في الجنائزات وفي أيام الحداد . وقد رأى البعض في هذه العادات أنها غير معقولة وجنونية ، بينما يقرها البعض الآخر (٢٠) أما المستندات الفرعونية التي في متناول أيدينا والتي استندت إليها في وصف الأعمال التي تجري في فصل پريت فلم تشمل إلا القلة النادرة من هذه الطقوس . كان الرعاة الذين يتوجهون إلى الأرض ومعهم أغنامهم يتغنون بأغاني حزينة ويرددونها ثانية عندما كانت الأغنام تغطأ سنابل القمح ، قائلين :

« إن الراعي في الماء وسط الأسماك . »

« يتحدث مع سمك القرموط . »

« ويتبادل التحيات مع أسماك القنومة . »

أيها الغرب . أين الراعي . راعي الغرب ؟ ، (٢١)

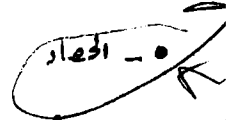
كان ألكسندر موريه Alex. Moret أول من قال بأن هذه الأغنية ليست مجرد دعاية تصدر عن قرويين يأسفون لحال الرعاة الذين كانوا يغوصون في الوحل ، إن الوحل ليس مكانا للأسماك ، ومن باب أولى لم يكن مكانا للأجران الجافة حيث تنشر السنابل . ولم يكن راعي الغرب سوى الغريق الأول ، أوزيريس الذي قطع ست أوصاله إلى قطع صغيرة ألقاها في النيل حيث ابتلعت الأسماك الشلبة والبني والقنومة أعضائه التناسلية . وكانوا وقت بذر الحبوب ودرس الغلال يمجدين ذكرى المعبود الذي جلب النباتات النافعة للإنسان ، والذي كانت حياته تتحد إلى حد كبير مع حياة

النبات حتى أنه كان يمثل أحياناً نبتة غلال أو أشجار قد نبتت فوق جسده المسجى .

وكان هيرودوت يعتقد بسذاجة أن الفلاح لا يعمل شيئاً إطلاقاً بمجرد أن يفرغ من حرث الأرض وبذر الحب ، حتى يحين وقت الحصاد . ولو فعل هذا لقصى على محصوله إذ أن الأمطار ، حتى في الدلتا ليست كافية فتغنى عن رى الحقول . وفي الصعيد بصفة خاصة ، سرعان ما تجف الأرض وتلف الحبوب مثل الشعير الذى تلف في حدائق أوزيريس عندما تركت دون أن تروى . فرى الأرض إذن كان أمراً ضرورياً وهذا ما كان يذكره موسى لشعبه عندما كان يستعرض الخيرات المغرية التى كانت تنتظرهم فى أرض كنعان إذ قال لهم : « لأر البلاد التى تذهبون إليها لتضعوا أيديكم عليها ليست مثل أرض مصر التى خرجتم منها والتى كنتم تلقون البذور فى حقولها وتروونها بأقدامكم كأنها حقول للخضروات ، ولكن الأرض التى تذهبون إليها لتضعوا أيديكم عليها هى جبال وأودية تسقيها مياه أمطار السماء . » (٢٢) .

وقد فسر هذا الكلام على أن المياه كانت ترفع إلى الحقول بواسطة آلات تدار بالأقدام لأنه لو كان النصوص المعروفة والوثائق المرسومة لا تسمح بتأييد وجود مثل هذه الآلات . والتفسير المحتمل أن المهندسين الذين تولوا ضبط سدود بحيرة موريس كانوا يفتحونها عندما يحتاج الزراع إلى المياه ، فكانت القنوات تمتلئ بالمياه . وبواسطة الشادوف ، أو بوسيلة أشق وهى الأواني كانت المياه توزع فى المساقى الصغيرة ، وكانوا يفتحون القنوات أو يغلونها وكانوا ينشئون قنوات جديدة ، ويبنئون سدوداً ، كل

هذا بالأقدام ، إذ أننا نشاهد في رسم من رسوم طيبة أنهم يهاون بأرجلهم
الغرين الذي كانوا يصنعون منه الأواني الفخارية .



عندما تبدأ سنابل القمح في الاصفرار يرى الفلاح في حذر حقوله
يغزوها أعداؤه الطبيعيون وهم سادته - ملاك الأراضي - أو مملوهم ومعهم
عدد كبير من الكتبة والمساحين والموظفين ورجال الشرطة الذين يبدأون
عملهم أولاً بمسح حقله . (٢٣) وبعد ذلك يقدرون كمية الحبوب بالكيل
فيكونون فكرة دقيقة عما يستطيع الفلاح أن يقدم إلى مندوبي الخزينة
أو كبار موظفي دوائر الآلهة مثل آمون الذي كان يملك أجود أراضي
البلاد .

يترك المالك أو مندوبه المنزل مبكراً ويقود عربته قابضاً بيده في شدة
على عنان الجياد . ويتبعه الخدم سيرا على الأقدام حاملين المقاعد والحصر
والأجولة والصناديق المزخرفة وكل ما يحتاجه المساحون لغرض التفتيش
ولأكثر من ذلك . وتقف العربات في ظلال أكمة من الأشجار .

ويفد رجال من حيث لا ندري ، يحلون الخيل من العربات ويربطونها
في جذع شجرة ويأمنونها بالماء والعلف . ثم يقيمون قواعد لثلاثة أزيار
ويفتحون الصناديق ويخرجون منها الخبز والمأكولات المتنوعة ويضعونها في
أطباق وسلال ويعدون حتى أدوات الاغتسال . وتحت ظلال إحدى الأشجار
ينام السائس واثقا من أنه يستطيع أن يرقد عدة ساعات . وها هو ذا السيد
يتوسط المساحين مرتدياً زى الحفلات واضعاً الشعر المستعار فوق رأسه ،
لابساً قميصاً بأكماء قصيرة يتوسطه حزام وإزار وخوذة وعصا وصولجان .

وينتعل في قدميه صندلا ويحمي سيقانه ضد الأعشاب الشوكية (بقلشين) من قماش
ذى أربطة . أما مساعدوه فيكتفون بارتداء الأزار وينتعل بعضهم الصنادل
بينما البعض الآخر يسرون حفاة الأقدام . وفي رسوم مقبره منا Mona
يرتدى المساحون فوق المتزر قمصانا بأكام قصيرة وصديرية قصيرة ذات
ثنيات ، ويتقاسمون أدوات العمل وهى من البردى ولوحات للكتابة
وأكياس صغيرة داخلها المحابر والأقلام ، ولقحات من الجبال وأوتاد يبلغ
طول الوتد الواحد منها ثلاثة أذرع ، وعندما يقومون بالعمل فى ممتلكات
آمون ، أغنى الآلهة المصرية وأشدهم جشعاً ، فإن الحبل يلف على قطعة من
الخشب لها يد على هيئة رأس كبش ، إذ أن الكبش هو الرمز الدينى للمعبود :
وعندما يكتشف رئيس المساحين أحد حدود الحقل ويقيم له أن بقية الحدود
فى مكانها الصحيح ، يدعو قائلاً : « الإله العظيم الموجود فى المساء ، وعندئذ
يدق الصولجان الذى يشبه علامة مقاطعة طيبة . وتمد الجبال فى الوقت الذى
تفلك فيها ، ويأتى الأولاد بمركات كثيرة لإبعاد السمان الذى يحوم حول
السنايل الممتلئة ويخطئه من يظن أن هذه العملية لا تجمع إلا من يجمعهم
الأمم ، فبجانب هؤلاء يجتمع الفضوليون والناصحون . ويرهق العمال القائمون
بالعمل بسرعة مالم تحضر خادمة بعض الأطعمة الخفيفة حتى يتم إعداد
الغذاء الدسم الذى يجمز تحت شجرة الجوز .

وينشغل العمال الزراعيون مدة أسابيع عديدة فى الحصد والدرس ولما
لم يكن عدد السكان العادى كافياً للقيام بالعمل ، فإن دوائر أملاك الدولة
وأملك الآلهة تحتاج دواماً إلى عمال تراحيل يبدأون العمل فى مقاطعات
الجنوب وبعد الانتهاء منها يتجهون إلى الشمال ليجدوا الحقول معدة للحصاد ،
وحينما ينتهى حصاد الحبوب فى الصعيد وفى مصر الوسطى ، يبدأ موسم
الحصاد فى الدلتا ، ووجود هؤلاء العمال الذين رحلون من مكان إلى آخر

وراء الحصاد ، يؤيده مرسوم لسيى الأول إذ كان يستثنى عمال معبده
المسمى ملاين السنين فى أيدوس من هذا الإلزام .

وكان عمال الحصاد يقطعون سنابل القمح بالمنجل ، ذى اليد القصيرة
اللى كانوا يتمكنون بها من الإمساك به .

والسلاح العريض نوعا يبدأ من ناحية المقبض وينتهى بطرف مدبب .
وكانوا لا يحصدون السنابل قريبا من الأرض بل كان العامل ينحن قليلا
ويمسك بيده اليسرى قبضة طيبة من السنابل ثم يقطعها من أسفل السنابل ثم
يضعها على الأرض تاركا أعواد النبات دون رؤوس . ويأتى النساء خلف
الحاصدين ويجمعن السنابل فى مقاطف وينقلنها إلى نهاية الحقل ، ويحمل
بعض هؤلاء النسوة أواني يجمعن فيها الحبوب التى سقطت على الأرض
ولا يمكن أن تؤكد أنهن كن يتركن القش جانبا ، إذ أننا لا نملك دليلا على
ذلك .

وقد ردت رسوم تبين أن الملاك يتولون الحصاد بأنفسهم أحيانا
ويجمعون السنابل ، حتى أن بعضهم لم ينزع عنه الثوب الأبيض الجميل ذا
الثنيات الذى كان يرتديه . ونميل إلى الاعتقاد بأنهم كانوا يفتتحون العمل فى
الحصاد ثم يبادرون بتركه إلى عمال الحصاد الحقيقيين . وفى الواقع كان الرسامون
يمثلون فى رسومهم حلقة من الحياة المقبلة فى حقول يالو Ialou حيث
لا ينقصها شئ . وحيث كان على كل واحد أن يقوم بزراعة حديقته . (٢٠)
وعلى الجملة فقد كان الملاك يكتبون بالحضور أثناء الحصاد . وهكذا فعل منا
Menna وهو جالس على مقعد على هيئة X فى ظل شجرة جيز وطعامه أمامه
فى تناول يده .

وكان العمل يبدأ في الفجر ولا ينتهي إلا في المساء . ويتوقف عمال
الحصاد من وقت لآخر وقت الظهيرة واضعين المنجل تحت أبطهم ، يفرغون
في جوفهم إناء الماء قائلين : « اعط الفلاح كثيرا وأعطني ماء لأطفئ »
ظلمى . . (٢٦)

وفيما مضى كان للناس مطالب صعبة . فيقول أحدهم : « اعط الجعة لمن
يحصد الشعير ، (وشعير بيشا Becha كانت تصنع منه الجعة) . (٢٧) والذين
كانوا يتوقفون كثيرا عن أعمالهم كان الملاحظ لا يتوانى في أن يوجه إليهم
اللوم قائلا : « إن الشمس ساطعة وهذا واضح ! ولأن لم نتسلم شيئا من عمل
يديك . هل جمعت ربطة ؟ لا تتوقف عن العمل ثانية لتشرب في هذا اليوم
قبل أن تعمل شيئا » .

وبينما كان عمال الحصاد يسكدون بقسوة في العمل ، كان بعض الرجال
قاعدين في ظل الأشجار ورؤوسهم فوق ركبهم - فمن هم هؤلاء ؟ هل هم من
العمال الذين خدعوا الملاحظين أو هم من الفضوليين أو من خدم الملاك
الخصوصيين الذين ينتظرون حتى ينتهي التفتيش ؟ ثم يكتشف أيضا رجل
موسيقى قد جلس فوق جوال ينفخ في مزماره المزدوج . إنها معرفة قديمة
فقد وجد مرسوما على جدران مقبرة في الذي عاش في عهد الدولة القديمة
موسيقى ينفخ في مزمار طوله ذراعان ليطرب عمال الحصاد متعباً سيرهم ،
وقد لازمه عامل يصفق يديه دون أن يترك منجل الحصاد ، ويغنى أغنية
للثيران ويتبعها بأغنية أخرى . طلعا : « إن أسير في طريق » . ويبدو
من هذا أن أنفعال الملاحظ كان صوريا أكثر منه حقيقيا . وفي رسوم
مقبرة باحيري لا يوجد زمارون ولكن يرتجل عمال الحصاد نقاشا غنائيا :
« ما أجمل هذا اليوم ، هيا اخرج من الأرض ، إن رياح الشمال تهب ،
وتعمل السماء على إسعادنا . إن عملنا هو الذي نحب » .

ولا ينتظر الذين يلتقطون السنابل التي وقعت على الأرض حتى يتم حصاد الحقل كله بل يتولون المزيد مما التقطوه . وهؤلاء عادة من النساء والأولاد . فتد امرأة يدها وتقرن حركتها بقولها : « اعطنى حفنة واحدة فقط لقد حضرت مساء فلا تسمى معاملتى اليوم كما فعلت معى نهار الأمس » .

وكانت إجابة أحد عمال الحصاد على سؤال من هذا القبيل خشنة إلى حد ما : « اخرج ومعك مايدريك - اعلم أن بعضهم قد طرد لنفس هذا السبب » . وفى الأزمان الغابرة جرت العادة على أن يترك للعالم مقدار الشعير أو الغلة التي يمكن حصدها فى يوم واحد . وقد استمرت هذه العادة متبعة طوال عهد الفراعنة .

وعند بت أوزيريس Petosiris يقول عمال الحصاد الذين كانوا يعملون فى خدمته : « أنا المزارع الطيب الذى يجلب الحبوب ويملا لسيده بمجهود ساعديه الشونتين فى السنين العجاف ، ويأتى بكل ما تجود به الحقول إلى أن يجىء فصل آخيت ، والآن يأتى دورهم ، فيقولون « ليسعد سعادة مضاعفة من يحسن العمل فى الحقل فى هذا اليوم ، وإن الفلاحين يتركون ما عملوه » ويصرح فوج آخر من العمال بأن الأجور ضئيلة ولاسكنها مع ذلك جديرة بأن يحصل عليها ولو اقتصر الأمر على حزمة صغيرة فإننى أشتغل لأحصل عليها ، وإذا ما بذلت أى مجهود فى الحصاد من أجل ربطة فإن أشعة الشمس مستطع علينا لتغمر عملنا ، (٢٨)

وخوفا من اللصوص ومن أن تلتهم الطيور جزءا كبيرا من المحصول ، فإنهم يجمعونه أولا بأول بمجرد أن يفرغ العمال من حصد جزء من الحقل . وفى إقليم منف كان يتم النقل على ظهور الخير . ويقود الحمارة الخير الكثيرة

العدد التى تجرى مثيرة سحبا من الغبار . وتوضع الربطات داخل أخراج مصنوعة من الحبال وعند ما يمتلى جانبها الخرج ، أضافوا حزما أخرى تربط بالحبال وتسير الخير محملة وتمرح أمامها جمحاش صغيرة تجرى فى جميع الاتجاهات دون أن يهتم أحد بأمرها . ويتبع الحمامة حميرهم وهم يمزحون أو يتعانون وهم يلعبون بالعصى : « لقد أحضرت أربعة أوان من الجمعة ، أما أنا فقد نقلت بحميرى اثنين ومائتى جوال بينما كنت أنت قاعدا لا تعمل شيئا . » (٢٩) وفى الصعيد كان من الممكن الانتفاع بالخير فى نقل المحاصيل. (٣٠) ولكن فى أغلب الأحيان كان الرجال يقومون بنقلها ، وربما كان هذا لأجل وضع حد لمد أجل العمل فى جمع المحصول إذ اعتاد عمال الحصاد ، جنى السنابل من أعلى تاركين عيدان القش فى الأرض ويستعمل الحمالون أكياسا من الشباك ذات إطار خشبى ومزودة بحلقتين تعلق منهما .

وعند ما يمتلىء الكيس إلى حد لا يمكن معه إضافة أى حفنة أخرى من السنابل إليه فانهم كانوا يدخلون فى الحلقة عمودا من الخشب يتراوح طوله بين أربع وخمس أذرع . ويربط الكيس بأنشوطة ، ثم يحمله رجلان يضعان طرفى عمود الخشب فوق أكتافهما ويتجهان إلى مكان درس الحبوب وهما يغنيان كما لو كانا يريدان أن يظهرا للكاتب أن حظه لا يقل عن حظه ، قائلين : « إن الشمس تحرقنا من الخلف وسوف يعطى شو سمكنا ثمنا لا شعير ، ويتظاهر أحد المسئولين بأنه يعتقد أن مياه سوف تلحق الحماين إذا لم يسرعوا فى سيرهم أكثر مما يفعلون . اسرعوا هيا ميروا حنينا فالمياه آتية . وقد بلغت موضع حزم القمح .

وهذا المسئول يبالغ لأن بشارت مياه الفيضان لا يمكن أن تصل إلا بعد

شهرين (٢١) وبمجرد انصراف الرجلين اللذين يحملان عرق الخشب على أكتافهما فإن اثنين آخرين يحملان محلما . ويرفع أحد الحمالين الجوال بينما يعنى الآخر بأمر عرق الخشب ، ويظهر أنه كان يتهاون في العمل . إذ أنه يقول : : إن عرق الخشب لا يكاد يستمر على كسفى فما أقساه ، آه يا قلبى .

ثم تنشر السنايل فوق أرض قد دكت فى عناية كبيرة . وعند ما تتكاثف طبقة السنايل يقتحم الرجال ومعهم الثيران المسكان ويحمل بعضهم سباطا ويحمل آخرون مذارى . وبعد أن تطأ الثيران سنايل القمح لا يكف الرجال عن تقلبها بالمذارى ، وتصبح هذه العملية شاقة بسبب حرارة الجو وكثرة الأتربة . ومع ذلك فإن الراعى يحرض الثيران على العمل قائلا : : إدرسى إن هذا لك ، ادرسى ، فهذا لك — إن التبن هو غذاؤك أما الحبوب فهى لسادتلك . لا تتوقفى عن العمل فإن الطقس جميل ، ومن وقت لآخر كان أحد الثيران ينكس رأسه الضخم ويملاّفه بما يجده على الأرض من قش . وحبوب دون أن يردعه أحد فيما يفعل . (٢٢)

وحيثما يبعدون الثيران عن مكان الدراس يفصل العمال الحبوب عن القش بذاريهم . وتتراكم القشور والتبن فوق الحبوب ، وبواسطة مكنسة صغيرة يمكن إزالة الجزء الأكبر من هذه القاذورات . ولأجل تنقية الحبوب يستعمل الغربال وهو أداة تشبه المصفاة ، فيمسك العامل بالغربال المملوء بالحبوب من جانبيه ، ويقف منتصبا على أطراف أصابع قدميه . ويرفع ذراعيه بالغربال إلى أعلى بالقدر الذى يستطيعه ويحرك الغربال فتسقط الحبوب على الأرض أما القش والأتربة فتدروها الرياح . (٢٣) وبذلك تصبح الحبوب نظيفة . وهنا يأتى دور الكتبة فيحضرون ومعهم ما يلزمهم

ومعهم ما يلزمهم من أدوات الكتابة والكيالون ومعهم أدوات الكيل ،
وويل للفلاح الذى يخفى جزءا من محصوله أو الذى لا يستطيع تسليم رجاله
السلطة الرسميين كمية المحصول التى أظهرت عملية المساحة قدرة حقله على
تقديمها ، حتى ولو كان الفلاح أمينا ، حسن النية . عندئذ يلقى أرضا ويضربه
ضربات متوالية بالعصا وقد تنتظره مصائب أشد وأسى .

ويترك عمال السخرة الجرن حاملين معهم مكاييلهم ملأى بالحبوب .
ويمرون أمام المكتبة ويدخلون فناء محاطا بأسوار عالية حيث توجد صوامع
حفظ الحبوب ذات ارتفاع يبلغ عنان السماء ، وهى عبارة عن بناء على شكل
أقاع السكر مدهونة بعناية من الداخل وباللون الأبيض من الخارج . وتوجد
درجات تؤدى إلى فتحة حيث يقوم كل رجل من الذين يحملون المكاييل
المليئة بالحبوب بتفريغها فى الفتحات ، وإذا أريد سحب حبوب فيما بعد
فيكون ذلك عن طريق باب صغير فى مستوى الأرض .

وجملة القول فإن هذه الأعمال الشاقة كانت تتم فى مرح . فسرعان ما تنسى
بعض ضربات العصي ، والفلاح قد اعتاد عليها ويعزى نفسه اعتقاده أن
العصا لم تستثن أحدا فى بلده وأنها كثيرا ما وقعت على أكتاف أقل
تحملا من أكتافه ، وينطبق على المصريين ما قاله مرنم المزامير * :
« الذين يزرعون بالدموع يحصدون بالابتهاج . الذاهب ذهابا بالبكاء
حاملا مبذر الزرع مجيئا يجيئ بالترنم حاملا حزمه . » (٢٤) لقد انتحبوا
على الراعى المقدس عندما كانوا يضعون البذر فى الأرض والآن قد آن لهم
أن يفرحوا ولكن ينبغى لهم أن يقدموا للآلهة نصيبهم . فعندما يذرون
الحبوب يضعون أنفسهم تحت رعاية صنم غريب الشكل على هيئة هلال

غليظ الوسط . (٢٥) وفي أيامنا هذه لا يزال فلاحو الفيوم يزخرفون خدرة بيوتهم أو يعلقون على أبوابها وقت الدراس تمثالا مصنوعا من سنابل القمح يطلقون عليه « عروس القمح » ، ويقدمون لها كوبا من الشراب وييضوا وخبزا .

وكانوا يعتقدون ، وهم على حق في اعتقادهم ، أن الهنم الذي كان على هيئة هلال منتفخ كان هو أيضاً عروسا ، ولكن كان هذا لا يحول دون أن يقدم ملاك الأراضي ، للمعبودة الثعبان رنوت التي سبق أن رأيناها موضع إجلال من زراع الكروم ، مجموعة أشد روعة . وهي عبارة عن حزم من القمح ودراجن وخيار وبطيخ وخبز وأنواع أخرى من الفاكهة . وفي أسيوط يقدم كل شريك في الزراعة للمعبود المحلي أوب واوات بشائر محصوله . وما لا ريب فيه ، أن المعبود المحلي في كل جهة كان يتلقى مثل هذا القربان وكان الملك نفسه يقدم حزمة من القمح للمعبود مين Min إله الخصوبة أمام حشد كبير من الأهالي في حفل يقام في الشهر الأول من موسم شمو . (٢٦) وكان الجميع كبيراً وصغيراً يقدم شكره للمعبودات سادة كل الأشياء ، وينتظرون في ثقة الفيضان الجديد الذي تبدأ به دورة الأعمال الزراعية .

٦ - الكتمان

ينبت الكتان عاليا وكثيفا ، وكان يقتلع عادة وهو لا يزال مزهرا . قد ورد ضمن الرسوم الملونة على جدران مقبرة إيوى Apouy وبت وزيريس أن السيقان تنهى بلطع صغيرة زرقاء ، كما تنمو زهور زرقاء على نبات الكتان . (٢٧)

ولقطع السكتان تعزل من نباته مقدار قبضة يد ثم تمسك باليدين من أعلا وتبذل العناية الضرورية حتى لا تكسر الألياف ثم تحرك من أعلا إلى أسفل لإزالة ما علق بها من طين، ثم تسوى سيقان النبات من أسفل وتوضع على الأرض في ربطات متعارضة وبذلك تنتهى الربطات من جانبيها بالزهور، ويربط وسطها بحبل يصنع في التو من بعض سيقان نبات يضحي بها لهذا الغرض. ومن المعلوم أن ألياف النبات تكون أجمل وأشد احتمالا إذا تم خلع السكتان قبل إتمام نضجه وقد ورد في أحد النصوص ما يؤيد هذه الحقيقة، ولكن كان ينبغي الإبقاء على جزء من النبات ليمت نضجه للحصول على بذور تستخدم لا في التقاوى فحسب ولكن لأجل الصيادلة أيضا.

وكان الرجال يحملون ربطات السكتان فوق أكتافهم، أما الأولاد فيحملونها على رؤوسهم. والسعداء هم أولئك الذين يملكون حميرا يملأون الأكياس (الأشتاف) ويوصون الحمار في حزم، أن يرعى الحمولة حتى لا يسقط منها شيء في الطريق. وفي نهاية المطاف كان الحمالون يجدون رجلا يجلس في الظل ويضرب تلك القبضات من السكتان على قطعة مائلة من الخشب، فيصرخون في وجهه قائلين: «اسرع أيها العجوز»، ولا تتكلم كثيرا فإن الرجال قادمون سريعا من الحقل، فيرد العجوز عليهم: «إن أحضرت لي ١١-٩ ربطة فأنا كفيل بتمشيطةا».

وكانت خادمة روديديت - ومن الجلي أن أحد الخبثاء كان قد حرصها على ذلك - قد أتت إلى أخيها في الوقت الذي كان منهمكا فيه بهذا العمل فتطلعه على أسرار سيدتها فأدبها الشاب بقسوة إذ كان بين يديه وقتذاك ما يلزم لردع من لا يكتف السر. (٣٨)

٧ - أعراء الزراعة

علينا ما سبق أن المحصولات الزراعية كانت مهددة بأعداء كثيرين .
فما كاد يتم نضج الشعير في سنابله ويزدهر السكتان حتى يزجر الرعد وتمطر
السماء ثلجا في كل جهات مصر وتصيب جميع من في الحقول من بشر
ودواب .

كانت هذه هي الضربة السابعة . ولما ظل قلب فرعون غليظا لأن الخطة
والقطاني لم تصب بسبب تأخرها في النضوج ، فقد حملت ريح الشرق معها غيوما
من الجراد أتت على ما أبقى عليه الرعد والبرد وجردت الأشجار وأعشاب
الحقل من كل خضرة . وإزاء هذا كله ، لم يسع الفلاح إلا أن يتوسل
إلى آلهته ، وخاصة إله الجراد لحمايته من مثل أولئك الأعداء . ولكنه
كان يستطيع أن يحمي نفسه تماما من اثنين من الضيوف غير المرغوب
فيهم كانا يزوران الحدائق في الربيع والخريف وهما عصفور الصفارية
جنو Genou والعصفور الدوري سوروت Sourout (٢٩) وهذان العصفوران
النافعان كانا يلتهمان الكثير من الحشرات إلا أنه كان يحشاهما أيضا لأنهما
كانا يلتهمان الفاكهة بشراهة . وقد رسمهما الفنانون وهما يحويان حول
أشجار الفاكهة . وكان الصيادون يصطادون الكثير منها بنشر شبكة كبيرة
فوق قمم الأشجار تثبت أطرافها بأوتاد ، ولم تمنع هذه الشباك العصافير من
الهبوط على الأشجار ، وكان كلما تجمع عدد كبير منها ، كان الأولاد
يتقدمون مقسلاين ويسقطون الأوتاد ، فتهاوى الشبكة على الشجرة
والعصافير . وكان الصيادون يتسللون داخل هذا السجن الخفيف ويقبضون
على العصافير كما لو كانوا يقطفون فاكهة ثم يضعونها في أقفاص . غير أن

هذه الطريقة لم تكن تحول دون استعمال المصايد ذات الزنبرك التي كانت معروفة منذ العصور العتيقة ويفضلون استعمالها دائماً . (١٠)

ويأتى السمان فى موسم هجرته إلى مصر فى أفواج كثيفة وتكون قد أنهكت تعباً حتى أنها تسقط على الأرض إعياء . وكان من المستحسن ، دون شك ، إمساكها وهى على قيد الحياة . وفى متحف برلين لوحة رسم عليها ستة من الصيادين يستعملون شبكة ذات ثقب ضيقة تستند على إطار مستطيل الشكل ، ويستترعون زى الصيادين انتباهنا : إذ كانوا يحتذون النعال حتى لا تؤذى أقدامهم جذور سيقان القمح ، وقد التفت أجسادهم بأوشحة بيضاء . وعندما يطير السمان فى جماعات كبيرة فوق الحقل الذى تم حصاده يظهر الصيادون فجأة ويلوحون بأحزمهم فينتاب الطيور الرعب وتتوقف عن الطيران وتسقط فى الشباك ، وتنعقد أرجل السمان فى ثقب الشباك . ولازدحام جموعها لا تستطيع الإفلات منها فى الوقت المناسب ، فيرفع أربعة من الصيادين الشباك ويمسك الاثنان الآخران من السمان بقدر ما يريدون . (١١) وكانت أسرة الفلاح تقدر بكل تأكيد أهمية السمان ولم تأنف الآلهة من السمان ، فقد كان من نصيب آمون ، فى عهد رمسيس الثالث ٢١٧٠٠ سمانة (١٢) ، وهذا الرقم يعادل تقريباً سدس عدد الطيور المختلفة التى قدمت فى نفس الوقت لهذا المعبود .

٨ - تربية الماشية

حاول المصريون القدماء ، منذ عهد سحيق ، محاولات طويلة قبل أن يكتشفوا أنواع الحيوانات التى كان من مصلحتهم استئناسها . وقد زامل السكاب الإنسان فى الصيد ، كما عرفت فائدة الثور والحمار كوسيلة للنقل ،

وكان البدو يقدرّون قيمة صوف الأغنام ، بينما كان يخشى المصريون استعمالها لموتاهم وللأحياء على السواء . وكانوا يفضلون الماعز على الخراف . وبجانب هذه الحيوانات التي تمكنوا من استئناسها بسرعة ومن بينها الخنزير أيضا . فقد كان المصريون يصطادون الغزال والأياثل والماعز البرى والتيس والوعل وكذلك الضبع المتوحش ، ويربونها جميعا في حظائر . (١٣)

ومنذ عهد الدولة الوسطى ، كان محافظ مقاطعة « الماعز البرى » يربى في حظائره بعض أنواع تلك الحيوانات التي اشتق من اسمها اسم مقاطعته . وفي عهد الإمبراطورية الحديثة توقفوا عن هذه المحاولات . وورد على لسان أحد التلاميذ : « أنت أردأ من وعل الصحراء الذي يعيش دون أن يستقر له قرار ، لا يعرف كيف يحرق الأرض ولا كيف يطاء أرض الأجران بانتظام ويسكن في بآن يعيش على مخلفات الثيران ولو أنه ليس من فصيلتهم » . (١٤)

ويتمسك مربي الحيوانات العادى بأصدقاء الإنسان الحقيقيين مثل الحصان والثور والحمار والماعز والخراف والخنزير والأوز والبط . (١٥) أما الجمل فقد عرفه أهل الدلتا الشرقية فحسب ، ولم يظهر الديك إلا بعد ذلك ، وتوجد حيوانات أخرى كانت موضع عناية خاصة بل عناية فائقة في المقابر بسبب عوامل دينية . ونحن لا نتناول الحديث هنا إلا عن تربية المواشى للزراعة . ولم يعرف الحصان في مصر إلا قبيل عصر الرعامسة . وبالرغم من الغرامات الحربية التي فرضت على الشعوب الآسيوية فلم يكن الحصان وقتذاك كثير الانتشار . (١٦)

وكان هوى يمتلك حظيرة للخيول منفصلة عن حظيرة الثيران ومكان

الحمير ، غير أن هوى كان ابنا ملكيا لـكوش ، وكانت له مكانته في الدولة (١٧) . ولأنه أحد أفراد الطبقة الممتازة كان يركب العربا إذا دعى إلى القصر أو ذهب للتريض أو لزيارة أملاكه .

وكان أصحاب الخيول لا يخاطرون بركوبها ، وقد رسم الفنان المصري رجلا راكبا حصانا حسب ما نعلم مرتين أو ثلاث مرات فقط . (١٨) أما البدو فكانوا أكثر جرأة ، ففي أثناء الحرب عندما تتوقف العربات عن السير كانوا يفكون الخيل ويعتلون ظهورها وينطلقون بها مسرعين . وفي المراعى كانت الخيول ترعى منفصلة عن بقية الحيوانات .

أما حظيرة الثيران فكانت تقع داخل الأسوار غير بعيدة عن منزل السيد وعن مخازن الغلال . وكان الخدم يعيشون داخل الأسوار لحماية المواشى ضد اللصوص وليكونوا في الصباح على أهبة الاستعداد . وفي مثل هذه البيوت المتواضعة المصنوعة من الطين ، والقائمة اللون من الداخل ومن الخارج ، يتخذون ركنا لإعداد طعام العشاء وحفظ مئותهم . وكانوا يسرون وهم ينوون تحت أثقل الأحمال إما على رأس القطيع أو خلفه . ولتيسير حركاتهم كانوا يقسمون هذا الحمل الثقيل إلى قسمين متساويين توضع إما في جرار أو في مقاطف أو في زناويل تعلق على طرفي عصا ويحملونها على الأكتاف . وإذا كان الحمل واحداً فإنهم يحملونه على ظهورهم مربوطاً إلى عصا . وهذا ما كان يفعله بيتاؤو أثناء حياته ، ولكن بيتاؤو هذا كان قويا صلب البنية ، موضع الرضا من النساء . ولكن أغلب الرعاة كانوا من الفقراء البائسين الذين أثقلتهم متاعب الحياة ، فتراهم صلع الرؤس ، ذرى ذقون كثيفة الشعر وأحيانا ذوى بطون منتفخة ، وأحيانا أخرى كانوا على درجة كبيرة من

الحنافة كأنهم من ذوى العاهات. وفى إحدى مقابر مير Meir رسمهم رسام غير رحيم على حقيقة قبحهم . (١٩)

ولم تكن هذه الحياة تسير على وتيرة واحدة ، فعندما كان الراعى يحب مواشيه ، كان لا يكف عن التحدث إليها ، كما كان يعرف الأماكن التى تنبت فيها الحشائش التى تحبها هذه المواشى فيقودها إليها . كانت هذه بدورها نظير هذا العطف تطيعه . تسكبر وتسمن وتعطيه عجولا كثيرة ، وفى بعض المناسبات كانت تعرف كيف تقدم له الخدمات الصغيرة .

وكان عبور المستنقعات دائما أمرا شاقا . فحيث يستطيع الإنسان أو الحيوانات الكبيرة أن تعبرها فإن العجل الصغير كان من المحتمل أن يغرق ، وكان على الراعى أن يحمله على ظهره قابضا بيديه على أرجل العجل ويعبر به الماء فى شجاعة ، أما البقرة فتسير خلفه ، وهى تخور وقد جعظت عنائها من القلق على ولدها ، وتلازمها بقية الأبقار ، أما الثيران الهادئة فإنها تتقدم فى انتظام محوطة برعاة آخرين . وإذا كان الماء عميقا على مقربة من النباتات المائية وأشجار البردى فقد كان يحشى دائما من التمساح . ويعرف الرعاة منذ أقدم العصور مايقولونه لأجل تحويل هذا العدو الرهيب إلى نبات لا ضرر منه ، أو ليطمسوا عنهم بصره . (٢٠) وأعتقد أن هذا العلم لم يفقد ، ولكن الوثائق الحديثة لم تذكر عنه شيئا ، واحتفظت لنا إحدى مقابر البرشا بأغنية لراع اجتاز أقطارا كثيرة ، قال : ولقد سقطتم الثيران فى جميع الطرق ونجوتهم فوق الرمال والآن تطاؤون الأعشاب فتأكلون النباتات الكشيغة ، رها أنتم أولاء قد شبعتم ، إن فيه خيرا لأجسامكم ، (٢١)

وفى مقبرة بت أوزيريس يطلق الراعى أسماء شاعرية على أبقاره مثل :

الذهبية ، البراقة ، الجميلة - كما لو كانت روح المعبودة حانحور قد تقمصتها -
لأن روح حانحور هي التي تطلق عليها هذه الصفات . (٥٢)

فالخدمة الصباحية وولادة العجل وعراك الثيران ، بالإضافة إلى
الانتقالات هي المناسبات الهامة التي يظهر فيها الراعى مدى معرفته وإخلاصه ،
وإذا فشل في مهمته فهو الجاني على نفسه . وإذا اختطف تمساح عجلا ، أو
سرق لص ثورا ، أو اجتاح الوباء قطيعا ، فإن أى عذر يعد مرفوضا . وعندئذ
يطرح المذنب أرضا ويضرب بالعصا . (٥٣)

وتوجد طريقة مثلى تتقى بها السرقة ، وهي وضع علامات على الحيوانات
وكان معمولا بها بصفة خاصة في أملاك آمون وكبار الآلهة وفي أملاك
فرعون فتجتمع الأبقار والعجول في ركن من المرعى ويمسك كل حيوان
بجمل ثم يقيد من أرجله ويقلب على ظهره كما لو كان يعد الذبح ، ثم يأتي
العمال ويحمون قطعة من الحديد على النار ويكوون بها كتفه الأيمن . ويكون
الكتاب حاضرين بطبيعة الحال ومعهم أدواتهم ويقبل الرعاة الأرض في
احترام بن يدي هؤلاء الذين يمثلون السلطان . (٥٤) وتأتي الماعز لتغزو
الغياض التي تكون الأشجار فيها معدة للإزالة ، وفي أقل من لمح البصر تزول
عن تلك الأشجار خضرتها . (٥٥) وحسنا تفعل لأن الخطاب قد وصل قبلها
وحين يضرب بفأسه أول ضربة لم تفكر الماعز في ترك الميدان ، أما العنز
الصغيرة فتقفز هنا وهناك . أما التيوس فلا تضيع وقتها . واسكن راعي الماعز
الذي يقبض في تيه على عصاه التي تماثل صولجان طيبة فكان يجمع قطيعه .
وقد علق كيسا كبيرا على طرف عود من الخشب ، ولكي يحفظ توازنه
كان يعلق في الطرف الثاني عنزة صغيرة ، ويحمل معه أيضا مزمارا ولكنه لم

يتغن ثيوكريت Theocrite ولا فرجيل Vergile على ضفاف النيل الأغاني
الغرامية لرعاة الأبقار ورعاة الماعز .

أما تربية الدواجن فكانت تتم في أماكن خاصة ، لم يتغير شكلها منذ
الدولة القديمة حتى الأمبراطورية الحديثة . فالإنسان يدخل فناء مزيّننا بعمود
على شكل مسلة وبتمائيل لرنوتيت . وبوجد في ناحية مخزن مليء بالجرار
والحزم وميزان لوزن الحبوب ، وفي الناحية الأخرى أرض مسورة
توجد في وسطها بركة ماء ، ويسبح الأوز والبط فيها أو يمرح على ضفافها .
حين يأتى الخادم لها بنصيبها من الحبوب . (٥٦)

٩ - سائر المستنقعات

تشمل المستنقعات جزءا كبيرا من وادى النيل . وعندما تعود مياه النيل
إلى مجراها بعد الفيضان تترك كل عام ، على حدود الأراضي الزراعية
مساحات واسعة تحتفظ بالمياه إلى أن ينتهى موسم شمو (الفيضان) . وتنبت
في مياه هذه المستنقعات زهور مائية عريضة الأوراق ، وعلى أطراف
المستنقعات تنمو الورود وأشجار البردى وبعض النباتات المائية الأخرى .
وقد تكون نباتات البردى كثيفة إلى درجة لا تمكن أشعة الشمس من أن
تخترقها فأغصانها عالية إلى حد أن العصافير التى كانت تتخذ أعشاشها بين
الأزهار تعتقد أنها فى أمان . وتقوم العصافير ذات الصوت الموسيقى
بتمرينات بهلوانية فى الهواء ، بينما تضع أنثاها البيض ، وتترقب بومة ، تظل
رابضة دون حراك ، سقوط الليل . بينما تعتلى أعداء العصافير مثل قط الزباد
والقط الوحشى ، سيقان النبات حتى تصل إلى أعشاش العصافير . عندئذ
نجد أن العصفور الذكر واثنا يقاتلان بشجاعة ضد المعتدى بينما تستنجد

صغار العصافير في يأس محرقة أجنحتها التي لا تزال خالية من الزغب. وتقوم أسماك رشيقه بين جذور النباتات المائية، ونلاحظ من بين هذه الأسماك بصفة خاصة البورى والشال والبني وقشر البياض والبلطى الأقل ضخامة والفهاة التي خلقتها الطبيعة وهي مرحلة « على حد تعبير ماسيرو » . أما سمك البطن السوداء ، فيعوم على ظهره ، وهو طالما اتخذ هذا الوضع ، حتى ابيض ظهره بينما اسود بطنه . واتخذت أنثى عجل البحر ركنًا هادئًا لتضع فيه مولودها ، بينما ترصد تمساح خيث ، ليزدرد في الوقت المناسب المولود إلا إذا أنى عجل البحر الذكر قبل ذلك . فحينئذ تقوم حرب لا رحمة فيها ولا يكون للتمساح حظ التفوق في مثل تلك المعركة ، فيمسكه عجل البحر بأنبابه القوية ويحاول التمساح عضه في ساقه عبثاً . فيفقد توازنه ويشطر عجل البحر جسم التمساح شطرين (٥٧) .

وكما اتجهنا شمالا اتسعت رقعة المستنقعات واشتدت كثافة نباتات البردى . واسم الدلتا بالمصرية القديمة Mebit يعنى به أيضا مستنقع تنبت على حافته نباتات البردى . وهذه اللغة الغنية بالمرادفات لتعنى كل ما يوجد في الطبيعة ، كان لها مرادفات أخرى تعنى مستنقعات مكسوة بالزهور العريضة المائية شا Cha ، وتلك التي تنبت فيها الورود سخت Sekbet ، والتي ترتادها الطيور تسمى ايون loun ومساحات المياه عقب انتهاء الفيضان بهو Pehou .

كانت هذه المستنقعات بمثابة فردوس صيادى الطيور وصائدى الأسماك وكان كل المصرين ينتهزون الفرصة لصيد الأسماك والطيور في المستنقعات كذلك كتاب المستقبل ، وكانت السيدات والفتيات يصفقن للضربات الصائبة ، سعيدات عندما يعدن إلى المنزل وهن يحملن عصفورا جميلا حياً .

أما الأولاد فكانوا ماهرين جداً في الصيد بعضا الرماية والحراب ، وكان يعد هذا مسلاة للهواة . ولكن الأهل في الشمال كانوا يعتمدون في معيشتهم على المستنقعات . فكانوا يستمدون منها ما يلزمهم لمساكنهم وبعض الصناعات ، وكانوا يقتلعون الكثير من نبات البردى ويربطونها حزماً ويحمل كل منهم بعضها ويعود إلى القرية مثقلاً بخطى بهيئة وهو يكاد يسقط إعياء من فرط ثقل الحمل ، وكانوا يعرضون حزم البردى وينتقون منها ما يصلح لإقامة الأكواخ . ويستبدلون هنا البيوت المبنية بالآجر بأكواخ مقامة من سيقان البردى تغطي بطبقة من الطمي وجدرانها رقيقة ، وفي أغلب الأحيان كان الطمي يتساقط ، ولكن كان من اليسير سد مثل تلك الشقوق .

وتصنع من ألياف النبات حبال من كافة الأحجام وحصر وكراسي وأفصاص كانوا يبيعونها لملاك الأراضي . وبوساطة هذه الحبال وسيقان البردى كانوا يصنعون المراكب الجميلة السهلة الاستعمال والتي بغيرها لا يمكن صيد الطيور أو الأسماك . ولكن قبل الانطلاق وراء الفريسة ، كان ينبغي لهم اختبار الأدوات الجديدة . ويركب كل الناس مراكبهم ورؤوسهم متوجة بالزهور وتبدل من أعناقهم الزهور المائبة الزرقاء . ولتسير المركب كانوا يستعينون بمدار طويلة مدببة على هيئة الأشواك . ويبدأ القتال بشتائم تكون في أغلب الأحيان نابية وتتوالى التهديدات والشتائم كالملح ويخيل للسامع أن هذه الاشتباكات سوف تنتهي إلى نتيجة سيئة ، ولكن كان اهتمام كل منهم منحصراً في الإيقاع بخضمه في الماء وإعادة المركب إلى الشاطئ . وتنتهي الحفلة عندما يبقى واحد فقط في مركبه . ويعود المنتصرون والمنهزمون إلى القرية ويتسلون أعمالهم بعد أن يتصلحوا عادين إلى حرفهم التي قال السائح المصري عنها إنها من أشق الحرف . (٥٨)

أما صيادو الأسماك الذين يرغبون الانتقال إلى مسافات بعيدة فإنهم

كانوا يتخذون قارباً من الخشب له صار . وتمتد الحبال بين أسلاك الصارى ،
لأجل تخفيف الأسماك المشقوقة ، وأحياناً يرتكز أحد الطيور الجارحة
فوق الصارى (٤٩) .

وكانت هناك عدة طرق لصيد الأسماك :

فالصياد إذا كان وحده أخذ قارباً صغيراً بعد أن يتزود بالمشوة
الكافية ، وعندما يعثر على مكان هادئ يلقى غابته في الماء ، وعندما تأتى
سمكة القرموط الجميلة وتعض السنارة ، يقوم الصياد برفع الغابة في هدوء
تام ويضربها ضربة مميتة بقطعة من الخشب .

أما فى المسفقتعات الضحلة فيضعون فى الماء مصائد من أقفاص على هيئة
الزجاجة أو مصائد من أقفاص مزدوجة ، وعندما يأتى سمك البورى وقد
جذبه الطعم الموضوع فى مدخل المصيدة فإنه يدخل بسهولة ولكن يصعب
عليه الخروج . وتبقى هذه الأقفاص الحياة الأسماك التى بداخلها . وصياد
السمك الذى لا يشك فى نجاحه فى الصيد كان كل ما يتحاشاه أن يراقبه جاره
ويسبقه إلى المكان ، فيخلى مصائده من الأسماك . أما الصيد بواسطة شبكة
اليد وهى عبارة عن بوصة طويلة وبها شبكة على هيئة سلة فإنها تحتاج إلى صبر
وأناة ويدقوية متمرنة . فالصياد يقف فى مكان تتوافر فيه الأسماك ويدلى
بشبكته تحت الماء ويفتظر منذرأ بالصبر . وحينما تدخل الأسماك بشباعن
ماوى ، كان عليه أن يرفع الشبكة بسرعة فى غير عنف وإلا فتصبح الشبكة
خالية . أما الصيد بطريقة الشباك المقوسة فإنه يحتاج إلى عشرة رجال
وقارين على الأقل وبشباك كبيرة مربعة ، مزودة بعوامات من الفلين من
ناحية وبثقل من الأحجار من الناحية المقابلة ، ويلقون بهذه الشباك فى البحيرة
حيث تتجمع الأسماك ، وبعد ذلك يحجرون إلى الشاطئ فى هدوء الشباك

والأسماك ، وإخراج الأسماك من الشباك إلى البر أمر دقيق ، فسمك الشيلان ،
وهى نوع قوى كثير الحركة ، يحاول أن يقفز خارج الشباك إلى الماء ، ولذلك
كان على الصياد أن يمسكه وهو يقفز فى الهواء . (٦٠)

أما السمك البياض الكبير الحجم - الذى يكسب ذيله الأرض لضخامة
حجمه ، إذا ما حمله اثنان من الصيادين على مجدف - فأفضل طريقة
لاصطياده هى الحراب (٦١) . وكانت الحربة تستعمل أيضا لاصطياد
عجل البحر . ولكن حراب الصياد العادية تنكسر كعبدان الكبريت
فوق جلد هذا الوحش ، فيجب أن يستعمل إذن سلاح أقوى يتكون من
كلاية من الحديد مثبتة فى يد من الخشب ربط إليها حبل به عوامات ،
وعندما نصيب الحربة مرماها وتغرز الكلاية الحديد فى جسم الوحش
الذى يحاول الهرب ، يشد الصيادون حبال العوامات لتقصير المسافة ، فيتجه
عجل البحر الذى أصيب بالحربة صوب الصيادين ويكشف عن أسنانه
الكافيلة بشطر أى قارب واسكنهم يجهزون عليه بالحراب . (٦٢)

أما الصيد بعصا الرماية فكان رياضة الأثرياء ، ولم يكن من أعمال
البحارة . ويحكى أن أبوى كان له قارب فاخر على هيئة بطة عظيمة ، على
أن أكثر الصيادين كانوا يقنعون بقارب مصنوع من نباتات البردى من
النوع المألوف . ومن الأفضل أن يكون على ظهر القارب أوزة نيلية دربت
على المنادة ، ويرمى الصياد عصا الرماية التى تنتهى ببيئة رأس ثعبان . فتسقط
كل من العصا والضحية فى نقطة الابتداء ، فيسرع رفقاء الصياد وهم زوجه
وأولاده إلى الإمساك بالصيد . ويقول طفل فرح لوالده : أيها الأمير لقد
أمسكت عصفورا واسكن . قطا برىا أمسك وحده ثلاثة منها ، (٦٣)

أما الصيد بالشباك فيمكن اصطياد عدد كبير من العصافير الحية فى المرة

الواحدة وكانت هذه رياضة جماعية ، لا يأنف الأمراء والأشخاص من ذرى المكانة من الاشتراك في مثل هذه الحفلات ك رؤساء أو كمرافقين . وكانوا يختارون بركة مربعة أو بيضاوية في أرض منبسطة ، لا يزيد طولها عن بضعة أمتار وينشرون شبكتين مربعةتين من جانبي البركة المتقابلين حتى إذا ضمتا لهما ضمتا كانتا تكفيان لتغطية البركة كلها . وكان ينبغي إلقاء هاتين الشبكتين بطريقة مفاجئة فوق سطح البركة حتى يمكن أسر كل العصافير التي بها . لذلك كانت تثبت على الأرض أربعة أوتاد ، اثنان على يمين البركة ، واثنان على يسارها وتربط أطراف الشبكة بحيث تكون الزاويتان الخارجيتان مضمومتين ، يربط اثنان منهما إلى وتد كبير ثبت على بعد قليل من محور البركة ويربط الاثنان الآخران بجبل مناورة يبلغ طوله ٢٠ متراً أو أكثر . وكان هذا الجهاز معداً للعمل — ويحتجى أحد المراقبين بين الأشجار على مسافة قريبة وأقدامه في الماء أو يجلس وراء حجاب ذى ثقوب ، ثم يأتون بعصافير مدربة للتنزه على شاطئ البركة ، وبعد ذلك يأتي عدد وفير من البط ويحيط في البركة . ويمسك الصيادون وعددهم ثلاثة أو أربعة بجبل المناورة على أهبة الاستعداد . ويحتفون على بعد كاف من البركة حتى لا تنزع العصافير التي تطير عند سماع أقل صوت .

ويرفع الصياد المراقب ذراعه أو يفرد شاله ، وبهذه الإشارة تشد الحبال ويتجه الصيادون سراعاً لتشغيل الفخ ، فترفع الشبكتان وتبسطان على العصافير والطيور فيأسرونها جميعاً . وعبثاً تحاول العصافير القوية الضرب بأجنحتها للتخلص من الشبكة والهروب .

والصيادون الذين سقطوا على الأرض نتيجة لمجهودهم المفاجئ يقومون ويجرون ومعهم الأقفاس في اتجاه العصافير دون أن يملأوها الوقت الكافي

فتنجح في الفرار . وبعد أن تمتلئ الأقفاس فإن ما يبقى من عصافير داخل الشباك تلوى أجنحتها ويتداخل الريش بعضه في بعض ، ويكفى هذا للاحتفاظ بها لحين العودة إلى القرية . (٦٤)

ويتطلب كل هذا مزيداً من الانتباه والصبر ، والجرأة في بعض الأحيان . ولكن هذه الصفات لا يمكن أن يتسم بها الصيادون إلا إذا كانوا في رعاية معبودة تسمى سخت Sekhet أى البرية . وكانت هذه المعبودة على هيئة فلاحه ترتدى ثوبا (على شكل غمد) شعرها طويل يتدلى على كتفها . وكانت الشبكة ذاتها هبة من معبود خاص اسمه المعبود الشبكة وهو ابن المعبودة البرارى .

والأعمال التي قننا بوصفها الآن هي من أعمال المعبودة البرارى . والأسماك والطيور هما خيراتها ، غير أن هذه المعبودة لم تكن بخيلة ، فقد كانت توزعها عن طيب خاطر على صيادى الطيور وصائدى الأسماك وهم شركاؤها وأصدقائها . (٦٥)

١٠ — الصيد في الصحراء

كان الصيد في الصحراء مجرد تسلية للنبلاء والأمراء ، كما كان حرفة أيضا ، ولا توجد مقبرة ذات نقوش لم يرسم فيها صياد وهو يطلق سهامه التي لا تخطئ ، على الغزلان والأياكل المجتمعة كما لو كانت في حديقة نباتات في أرض مسورة ، كما أن حامل الحربة الذي يؤدي مهمة شرطة الصحراء المنوط بهم حراسة جبل ذهب فقط كان يلزمهم خبير للصيد ، عندما كانوا يذهبون إلى كبير كهنة آمون : من خبر رع سنب

تقديم تقرير عن مأموريتهم وتتضمن غنيسة نخمة تتكون من : بيض وريش نعام ونعام وغزلان أحياء ، وحيوانات مذبوحة . (٦٦)

وقد كون رمسيس الثالث فرق شرطة من حملة الحراب وفرق صيادين محترفين يكلفون في نفس الوقت بمرافقة جامعي العسل البرى والشمع ويعودون بالماعز البرى لتقديمها إلى روح المعبودرع في جميع حفلاته ، لأن تقديم حيوانات الصحارى كذبيحة كان في جميع العصور التاريخية ، وفي العصور التي كان يعيش الإنسان فيها على الصيد ، كان أمرا محببا لدى الآلهة . (٦٧)

وكان الصيادون الهواة والمحترفون يتحاشون الاستمرار في مطاردة الفريسة إلى أبعد مدى ، لأن الفريسة قد سلمحتها الطبيعة بأرجل قوية ، وإذا استمر الصيادون في مطاردتها ضلوا الطريق في الصحراء وأصبحوا بدورهم فريسة للحيرانات المتوحشة كالضباع والطيور الكاسرة .

ولما كانوا على علم بطبائع الحيوانات والأماكن التي ترتادها للشرب فهم يعملون على جذب عدد كبير منها إلى أرض قد أعدت من قبل حتى يمكنهم صيد أكبر عدد منها على قيد الحياة أو قتلها وفقا لرغبتهم . وكانوا يختارون سفح واد حيث توجد رطوبة في الأرض تسمح بإنبات بعض الأعشاب على أن تكون جوانبه منحدره انحدارا كبيرا فيصعب على الحيوان الهروب سواء من ناحية اليمين أو من ناحية اليسار . وكانوا يثبتون على أوتاد شبكتين منفصلتين بينهما مسافة بعيدة وفقا لما لديهم من خبرة ، ولا يمكننا تقدير بعد المسافة استنادا على الرسوم التي وردت فيها . فالشبكة البعيدة محبوكه تماما وتمتد مسافة طويلة ، وبذلك تحول دون هروب أى حيوان . وفي الشبكة المقابلة ، أعدت فجوة لمرور الحيوانات والصيادين ، وبوضع (م ١٢ - المياه في مصر)

في داخلها ماء وطعام . (٦٨) وفي زمن وجيز يمتلي هذا الممر المسور بالحيوانات فيعميها الطعام المهيأ لها ، كما لو كانت لحظات حياتها غير معدودة . ويرى الجاموس البرى يقفز متجولا في جميع الجهات والنعام ترقص تحية للشمس المشرقة وغزال ترضع صغيرها ، ويمد حمار وحشى رقبتة استعداداً للنوم ، ويربض أرنب برى فوق تل صغير ليستشق الهواء . (٦٩)

وكان الصيادون فيما مضى يذهبون إلى الصيد سيرا على الأقدام ، ويسير السيد خالى اليدين ، بينما يتقاسم الحرس حمل الطعام والأقواس والسهم والاقفاص والحبال وزنايل الصيد .

وبجر خادم مقاود ربط فيها كلاب الصيد والضباع التى أطعمت طعاماً كثيراً من قبل ودربت على الصيد .

ومنذ عرف استعمال العربى كان السيد يذهب للصيد بمنطليا العربى كأنه ذاهب إلى ميدان القتال ومعه القوس والسهم ، أما الأتباع فيسيرون خلفه على الأقدام يحملون بوساطة عصى غليظة جرارا وقربا ملئت بالمياه ، ومقاطف وأكياسا وحبالا . وعندما تصل هذه القافلة الصغيرة إلى الجهة المقصودة يترك السيد عربته ومعه أسلحته ويمسك أحد الخدم مقاود كلاب الصيد . (٧٠) ومنذ عهد بعيد استغنى عن الضباع التى تمكن صيادو الدولة القديمة من تدريبها على الصيد .

وتفاجأ الطريدة حين تؤخذ على غرة بسيل من السهام تسلط عليها وبهجوم مفاجئ من جانب كلاب الصيد المقرسة . وعبثا تبحث هذه الحيوانات النعسة عن مخرج لها ، فالصخور المنحدرة انحدارا شديداً والعوائق تعجزها في مكان المذبحة . وتصاب وعول وثيران وحشية . وتدافع نعاماً عن

نفسها بمنقارها ضد كلب صيد يهاجمها وأنثى حيوان تلد وهي تقفز وأرانب برى ويخفق كلب صيد صغيرها الذى ولد حديثا وغزال يقفز فى يأس ولكن سرعان ما يقع تماما فى فم عدوه ، و كلب صيد قد طرح غزاله على الأرض ثم افترسها . ويتضح من رسوم وجدت على مقبرة شخص يدعى أوزير أنهم كانوا يضعون نخاعا داخل السور ولكن الرسوم غير واضحة تماما حتى أنه يصعب علينا وصف طريقة عمل هذه الفخاخ .

ولكن وجود هذه المصائد أمر مؤكد ، وإلا فكيف يستطيع الصياد الذى لا يملك سوى الأسهم والكلاب أن يعود بعدد كبير من الحيوانات الحية كما كان يفعل أوزير امنمحات . (٧١) كان الصيادون يعودون ومعهم تيس وغزال وماعز برى ونعامه ربط كل منها بحبل فى رجله وكلها سليمة قادرة على السير ويحمل أحد الأتباع غزالا صغيرا فوق أكتافه ، ويمسك آخرون أرانب برية من أذانها تبدو أنها مذبوحة . وقد علق ضبع من أرجله على لوح من الخشب وقد تدلى رأسه مما يقطع بأنه ميت . ولم يضع هؤلاء الصيادون وقتهم سدى ، ولكن طائفة أخرى من الصيادين لم تقنع بهذه الغنيمة ، أو أنهم من الباحثين عن المتاعب فكانوا لا يألون جهدا فى مطاردة الغزلان بعرباتهم السريعة مثل البرق . هكذا كان دأب الأمير امنمحتب الذى لا يكل . وكان أوزيرحات يتوغل فى الصحراء الشاسعة وهو يقود عربته بنفسه مصوبا السهام بيديه وسائقا أمامه قطيعا من الغزلان تجر وراءها أرانب برية وضبعا وذئبا ، ثم يعود مزودا بالغنائم . (٧٢)

الفصل السادس

الحرف والفنون

لم تقتصر الأمة المصرية على أن تغنى في أرضها مزارعين وكتبة فحسب، ولو كان الأمر كذلك ما وجدت الأهرام ولا المعابد والمدافن، وما كان للأميرة خنوميت Khnoumit (حثشبوت) أن تزين شعرها الأسود بتاج في منتهى الروعة ودقة الصنع، وما كانوا قد انتزهوا من المحاجر عموداً من الجرانيت يبلغ طوله أكثر من ثلاثين متراً ونقلوه من أسوان إلى طيبة وشكلوه على هيئة مسلة نقشوها بالكتابة الهيروغليفية الدقيقة، ثم أقاموها على قاعدتها. ولم يستغرق كل هذا العمل سوى سبعة شهور، مما يدل على ما يتسم به المصريون من صفات استثنائية، وخاصة أن هذه العملية قد تكررت عدة مرات خلال كل حكم في عهد الدولة الحديثة. ولم يقدر الكتاب هؤلاء الصناع المهرة حق قدرهم وعدرم أقل منهم مرتبة، ولنحاول أن نكون فكرة عن أعمالهم ونوع الحياة التي كانوا يحيونها.

١ - عمال الحجار

يوجد في مصر في الصحراوين الشرقية والغربية على حافى الوادى، صخور كبيرة القيمة وكانت خامات يستغلها المعمارىون والمثالون والصياغ فى أعمالهم الكبرى ودقائق الفن على السواء.

فالحجر الجيري يوجد على طول الوادى بين منف وارمنت
جنوبى طيبه .

وأجمل هذه الأحجار وأنصعها بياضاً كانت تستخرج من محاجر طره
روايو Reiaou - بالقرب من عين - ملوان ، والحجر الجيري الذى يوجد
فى تلال طيبه هو بدوره من النوع الجيد .

أما حجر الصوان الأحمر الذى يشبه خشب الأرز ، Merz ، فكان
يجلب من الجبل الأحمر أحد ممتلكات حاكمور الخاصة شمال شرقى أون
(عين شمس) وكان هذا الحجر يستغل على نطاق واسع خلال الأسرة
الثانية عشرة . وقد استطاع سنوحى الحرب من مصر باختفائه وسط العمال
القادمين من قرام ليعملوا فى الحجر .

وقد بلغ استغلال هذا الحجر أوجهه فى عهد رمسيس الثانى ، وقد
اكتشفت فى أحد الأيام كتلة ضخمة أكبر من أية مسلة من الجرانيت ،
ولم يكن لها نظير منذ عهد الآلهة (لجر التاريخ) . وكان اكتشافها فى صحراء
أون بحضور جلالته الذى ذهب بنفسه إلى الصحراء فى دائرة أملاك رع .

وقد اعتقد الجميع أن جلالة الملك هو الذى أوجدها بنفسه بطلعته
البيهة . وقد أمر جلالته أن يتولى العمل فيها نخبة من أمهر العمال . وتم
تشكيل هذه الكتلة فى عام واحد على هيئة تمثال ضخيم أطلق عليه اسم
« رمسيس المعبود » .

وقد كوفىء رئيس الأعمال بمنح من الذهب والفضة . كما نال كل من ساهم
من العمال فيه نصيباً من هبات الملك .

وكان جلالته يشرف على العمال يومياً وهذا ما حثهم على مضاعفة الجهد والعمل بنشاط عظيم .

وقد عثر على حجر آخر يحاور المحجر الأول ، وقد استخرجت منه أحجار ضخمة لمعبد يتاح في منف ومعابد يتاح وأمون التي أقامها رمسيس (١) .

وتوجد بكثرة أحجار رملية أقل جودة من أحجار الجبل الأحمر على جانبي الأقاليم الجنوبية الثلاثة ، واسكنها أحجار لها قيمتها بدورها .

وأسوان هي لإقليم محاجر الجرانيت .. ومن أطرافها المجاورة يمكن الحصول على أنواع الجرانيت الثلاثة الوردى والأشهب والأسود ، وكذلك من محاجر جزر أبو Abou (الفنتين) وساتيت Satit وسنموت . Seamout

ولا تزال توجد مسلة وتابوت وتمثال ضخمة لأوزيريس في الأماكن التي كانت تستغل فيها المحاجر القديمة تثبت نشاط الحجارين الأوائل ، كما ترى في كل مكان الأعمال التمهيدية لقطع الأحجار ، وتمتد محاجر الجرانيت صوب الجنوب لمسافة طويلة .

وتقع محاجر الصخور الطافية : البيضاء والخضراء في المكان المسمى ايداحيت Idahet ، التي تبعد نحو الغرب بمقدار مسيرة ثلاثة أيام . وقد تركت هذه المحاجر منذ أيام الدولة الوسطى .

ولم يكن العمل في هذا المحجر ممكناً لبعده ولما يتطلبه من جهد وتضحيات كبيرة ، ومع أن ملوك الرعامسة لم يكونوا يترفقون بأسرى الحرب إلا أنهم لم يحاولوا استئناف العمل في محاجر هذا الإقليم (٢) .

أما في مصر الوسطى فتوجد محاجر من النوع الجيد ويمكن استغلالها بتكاليف أقل وهي محاجر المرمر في حات نوب Hatnoub التي تبعد ساعات قليلة عن عاصمة أختانون (أختيتانون) المهجورة ، كما توجد جنوباً ، محاجر وادى الحمامات Rohanou على بعد ثلاثة أيام من قفط (Coptos) وكذلك محاجر الشست الأسود المحبب ذى اللعمان الجميل في بنج (Bekhen) ومحاجر الرخام الأخضر والرخام السماقى .

وفي الواقع توجد نقوش كثيرة في مواقع المحاجر القديمة كلها تقريباً . ويمكن تمتاز النقوش المدونة في محاجر وادى الحمامات بوفرة الوقائع الطريفة المدونة بالتفصيل (٢) بدلا من تلك الأسماء الكثيرة والألقاب الواردة في المحاجر الأخرى .

لم تكن المحاجر تستغل بصفة دائمة أو منتظمة ، فاذا احتاج فرعون إلى أحجار بنج أرسل حملة تتكون من عدة آلاف من العمال ويعتبر هذا حدثاً هاماً في عهده .

وقد تفوق رمسيس الرابع على كل من سبقه بإرساله حملة مكونة من ٩٣٦٨ عاملاً . وقبل إرسالها أعدّها الملك في تأن شديد إذ قام بالرجوع إلى كتب بيت الحياة وبعث حملة استطلاعية .

أما القيادة العامة فكانت تحتوى على ١٣ شخصية كبرى منها الرئيس الأعلى لكمة أمون ومعه ثقائه . ثم عشرون خبيراً من هيئة الجيش . وهؤلاء الخبراء كانوا يعارنون في حل المشاكل التي تعترض المهندسين مثل إقامة مسلة أو تشكيل تمثال ضخم يبلغ طوله ثلاثين ذراعاً أو تشييد سور مائل من اللبن أو القيام بالأعمال الإدارية مثل إعداد حملة حربية إلى سوريا .

وكانت تحتوى الحملة على ٩١ من رؤساء الاسطبلات ومن الفرسان والسياس وخمسين من رجال الشرطة بمختلف رتبهم وخمسين موظفاً من مختلف الدرجات . وما يثير الدهشة وجود مائتين من رؤساء فرق صيد الاسماك ضمن الحملة ، وهذا يبين دون شك أن موسم الفيضان (شمو) فى الوقت الذى قامت فيه الحملة لم يكن ملائماً للصيد .

وكان عماد الحملة مكوناً من ٥٠٠٠ جندياً و ٢٠٠٠ من خدام المعابد و ٨٠٠ من الأجانب المرتزقة (Aperou) ، ٩٠٠ من موظفى الحكومة المركزية يذكرون ضمن هذه الحملة ولـكـنـهم كانوا لا يصحبونها عن قرب . وكان مع الحملة عربات تجرها ثيران كثيرة العدد كما لو كانت جيشاً حقيقياً .

أما الخبراء العاملون فهم :

رئيس هيئة الفنانين ، ثلاثة رؤساء لعمال المحاجر و ١٢٠ من الحجارين والنحاتين ورسامان وأربعة حفارين ، وهو عدد ضئيل بالنسبة لمن فى الحملة من عمال .

أما القسم الأكبر من العمال فكان يعمل إما فى جرا الأحجار على زحافات أو فى إحضار الطعام لهم .

وكانت المشكلة الكبرى التى تواجه الرؤساء هى إطعام آلاف الرجال فى وسط الصحراء وتوزيع القليل من المياه على كل منهم - والقليل من الجمرة والكسرة من الخبز - أما الرؤساء والخبراء فكانت تقدم إليهم كيات أوفر وأخيراً القيام بواجب الشكر لمعبودات جبل بنجن (وادى اخمامات) وفى مقدمتهم مين وهورس وإيزيس الذين لولا

رعايتهم لباءات الحملة بالفشل . لهذا فقد اعتبر المصريون هذه الأعمال بمثابة
تعمير الصحراء وتحويل الطريق إلى قناة . وكان موضع غفرهم أن يسجلوا
على لوحة مكتوبة أنه لم ينفق حمار على جانب الطريق ولم يشعر أى إنسان
بالظلم . ولم يفقد أى امرئ عزمه ساعة واحدة . كذلك لم يتذمر الرجال
الذين كلفوا بنقل الخبز والجمعة وما كان لهم أن يتذمروا بل كانوا يؤدون
عملهم وهم مغتبطون كأنهم فى أيام الأعياد .

وكانت وسائل العمل فى المحاجر بدائية إلى أبعد الحدود . ولم يحاولوا
استخلاص الأحجار من صميم الحجر وكسرها إلى أحجار ذات أحجام
متماثلة بل كانوا يختارون الشقوق التى قد توجد فى الحجر والتى يسهل كسر
أحجارها التى تصلح لتشكيل التوابيت أو أغطيتها أو لمجموعة تماثيل أو
لمجرد تماثيل .

وكان العمال الذين يصلون قبل زملائهم ، يرفعون الأحجار الموجودة
فوق الطريق ، ومن يأتون بعدهم كان عليهم أن يتسلقوا المنحدرات ليدحرجوا
الكتل الضخمة من أعلى إلى أسفل . وكثيراً ما كانت تلك الكتل تنقسم
إلى قطع صغيرة . ولهذا فإن مري Mery الذى كان رئيساً للعمل ، فكّر فى
تنفيذ فكرة صائبة حقاً وهى عمل طريق منحدر على حافة الجبل تنزلق منه
الكتل الحجرية إلى حافة الطريق . وقد نجح هذا الاختراع نجاحاً باهراً ،
وكان من نصيب هذا المهندس الموهوب عشرة تماثيل يبلغ طول كل منها
خمس أذرع ولم تكن تلك الطريقة قد استعملت من قبل . وهذا ما لم يستطع
أحد عمله قبل ذلك بألف عام . (٥)

وكان المصريون - على مهارتهم ومخاطرتهم فى ارتياد الصحراء -

يترصدون كل ظاهرة ، مهما كانت تافهة ، فينسبونها إلى عناية الآلهة ويبالغون في أهميتها حتى تصبح في مصاف المعجزات . فبينما كان عمال محاجر بجن يبحثون عن غطاء جاهز لتابوت الملك نب تاوى رع منتوحتب ظهرت غزالة ، لا شك أن المعبود ساقها ، لترشدهم إلى الطريق الصحيح . وكانت الغزالة تحمل جنيناً بين أحشائها . قابلتهم وجها لوجه ، ثم حملت في وجوههم ، وانجملت صوب قمة الجبل المقدس حيث وجدوا غطاء التابوت فرقدت عليه ووضعت جنينها . لقد ذبحها جنود الملك الذين شاهدوا هذه الظاهرة وقدموها قرباناً للمعبود وعادوا من الجبل بسلام .

ولا شك أن هذا الإله الكبير ، سيد الصحراء ، وهو الذى منح ابنه نب تاوى رع الحياة إلى الأبد - ليدخل السرور إلى قلبه ، ويعتلى العرش دائما ويحتفل بأعياد تذكارية لا حصر لها ، (٦) وعندما يكسرون قطعة ضخمة من الحجر ، وتحمل إلى الطريق وتوضع على زحافة تمهيدا لنقلها لا تعطى الرؤساء إشارة بالتحرك إلا بعد أن يقيموا تذكارا جديرا بمعبودات بجن وأشهرها مين معبود فقط وإيپو (Ipou) .

وأهم ما في هذا الشأن أن معجزة الغزالة سرعان ما تلتها معجزة ثانية ، فقد اكتشفت بئر مربعة يبلغ طول ضلعها عشر أقدام في وسط الوادى علوة بالماء حتى حافتها .

وبعد اتخذت الاحتياطات لمنع الوعول من تلويث مياهها وإخفائها عن البدو الرحل .

ومنذ العمود الساقفة كان جنود الملك السابقين يبرون بجوارها دائما ومع ذلك لم ترها عين إنسان ولم يلمحها أحد ، ولمكنها لم تكشف عن نفسها

إلا لجلالته ، وحين يعلم بذلك شعب رخيت الذى يعيش فى نوميرى Tomery
فى أرض مصر ، فى الشمال والجنوب على السواء فإنهم سيسجدون على الأرض
وشهدون دائما بكمال جلالته . (٧)

وبناء على أمر جلالته ، أقيمت هذه اللوحة لوالده مين ، سيد الصحارى
فوق هذا الجبل المقدس الأزلئ ، وكانت موضوعة قبل ذلك فوق أرض
الشمس المشرقة فى القصر المقدس الذى كرس لحياة هورس ، الوكر المقدس
الذى يسعد فيه هذا المعبود ، مقره الذى يشع بهجة فى فيانى الأرض المقدسة
حتى ترضى روحه (السكا) ويسر قلبه وهو يدوس الأمور معتليا العرش
العظيم الذى يفوق كل العروش ، وحتى تقام النصب للإله السكامل ، معبود
البهجة ، الذى يخشاه الجميع ، ويحبه الجميع ، وريث هورس فى الأرضين ،
الذى رب إيزيس ، أم مين المقدسة ، الساحرة الكبرى بتربيته ليعتلى عرش
هورس الممتد بين شاطئى النهر ملك الجنوب والشمال فبناوى رع له
الحياة الأبدية مثل رع ، ثم يقول : أرسلت جلالتي أمنمحات Amenemhat
الأمير والوزير ومدير الأعمال الذى اصطفاه قلب الملك ومعه جيش قوامه
١٠٠٠٠ رجل من أبناء الأقاليم الجنوبية ابتداء من وابوت Oubout
(البهنسا) لأجل إحضار كتلة عظيمة من الحجر ، أفضل ما فى هذا الجبل
وأشدها متانة بفضل مين ، ليصنع منها تابوت ، رمز للأبدية وأفضل النصب
فى معابد مصر العليا — فى حملة ملكية نظمها فرعون سيد الأرضين لتجلب
من صحارى والده (مين) ما يتمناه قلبه . (٨)

وأخيرا بعد أن بقيت الحملة اثنين وعشرين يوما منذ وصولها ، عادت
إلى مصر ومعها هذه الكتلة الحجرية الرائعة التى يبلغ طولها ثمانى أذرع

وعرضها أربع أذرع وسمكها ذراعان بعد أن قدمت للإله الرحيم ذبائح من العجول والغزلان وأحرقت البخور والزيت العطرية .

ولم يكره المصريون العمل الهين إذا كان ذلك مستطاعا ، فإذا أمكن إحضار كتل من الأحجار بهذه الطريقة اليسيرة قاموا بها . وكان لهم بعض العذر ، إذا ما وجدوا كتلة من الحجر الرملى أطول من المسافة في محاجر الجبل الأحمر واعتقدوا أنها كانت هبة من حانحور ، ولسكنهم على أهبة الاستعداد ، إذا ما استدعاهم الأمر ، عمل بمرات في الصخور أو قطع أحجار كبيرة منه . (٩)

وتتضمن عملية كسر الأحجار في جبال طيبة غرضين — الأول عمل مقابر منحوتة داخل الصخر لتكون (منازل أبدية) للموتى وأحجار من كافة الأشكال والأحجام لينتفع بها الأحياء .

كان الكثير من عمال المحاجر من أسرى الحرب أو من المحكوم عليهم ولكن كان الكثيرون من المصريين يمارسون أيضا هذا العمل .

على أنه في عهد حكم آخر الرعامسة ، عندما انقسمت البلاد إلى فريقين واندلعت بينهما الحروب الأهلية ، كسروا القيود وانضموا إلى أهواء أمون وانتشروا في أنحاء البلاد وارتكبوا الكثير من الجرائم الوحشية ودنسوا المقدسات ، وهذا يدل على أنهم كانوا ساخطين على الحال التى كانوا عليها من قبل .

٢ — عمال الناجم :

كان معدن الذهب موجودا بكثرة كبيرة في أماكن متعددة في الصحراء

بين النيل والبحر الأحمر ، على أن هناك ثلاث نقاط يجب ملاحظتها: فكثيرا ما تشير النصوص وبردية هاريس Harris إلى ذهب فقط (١٠) الذى يوجد فى جبل بخن Bekhen وكان من حسن المصادفة وجود مناجم الذهب والمحاجر التى تستخرج منها الأحجار التى لها قيمتها لدى المثالين ، فى ملتقى الكثير من الطرق الصحراوية عند بئر فى منتصف المسافة بين شاطئ النيل وساحل البحر الأحمر .

وكانت هذه المنطقة كثيرا ما يرتادها العاملون فى مناجم ذهب فقط ، وكبار الصيادين الذين يتعمقون النعام والأرانب والغزلان ، ورجال الشرطة بتفط المشرفين على تأمين حياة عابرى هذا الطريق ، وسلامتهم عن يحملون هذا المعدن الثمين .

وقد كانت ثمة مناجم أخرى للذهب ولكن لم تكن غنية بالذهب مثل مناجم جبال بخن . وذات يوم أراد الملك سبتى الأول أن يزور المناجم الثابتة التى يستخرج منها معدن الذهب (١١) إذ كان مهتما بمشكلة توغلهاداخل الصحراء ، فبعد أن غادر مدينة إدفو وشاهد قنوات المياه التى تخترق المنطقة ، توقف جلالاته وعبر عن مشاعره فى الكلمات الآتية : « ما أشق الطريق الذى يخلو من الماء ! كيف يستطيع الإنسان السير وحلقه جاف ؟ كيف يطفىء ظمأه ؟ إن أرض الوادى بعيدة وفيافى الصحراء شاسعة . إن الرجل الظمآن وسط الصحراء يندب حظه - كيف أنظم شئونهم كما ينبغي ؟ سوف أدبر لهم الوسيلة ليعيشوا ويشكروا الله باسمى خلال السنوات الطويلة المقبلة .

إن الأجيال القادمة ستنتال مجدا مستمدا منى بسبب نشاطى ، لأنى فى بعد نظرى أحنو على المسافر . ،

وحينما اقتنع جلالته بما يعتمل في نفسه من هذه المعاني ، اتجه إلى الصحراء باحثاً عن مكان يحفر فيه بئراً . فسدد الله خطواته وقاده إلى تحقيق ما يريد . وتلقى الحجارون الأمر بحفر بئر في الجبل ، تخفف متاعب المجملدين وإعياء أولئك الذين أحرقتهم حرارة الصيف . وقد نجحت تلك المحاولة نجاحاً باهراً ، إلى حد أن كتب الملك يقول : « لقد حقق الله رجائي وأجرى لي الماء في الجبل . وأصبح ذلك الطريق ، الذي كان وعراً وخيفاً منذ أقدم العصور ، سهلاً ممتعاً في عهدي . »

ومع ذلك فلم يكن هذا إلا بداية : لقد اعتزم الملك أن يشيد مدينة حقيقية باسم « مين معات رع » ، تنساب منها المياه بوفرة كما تنساب من فرعي مغارة أبو * . وبما أنه لا توجد مدينة دون معبد ، فقد كلف مدير الأعمال الملكية بتشيينه .

وقد تدفق عمال محاجر الجبانات وسرعان ما أقبلوا على العمل فشيّدوا معبداً في سفح الجبل ، ومع أنه كان صغير الحجم إلا أنه كان ينافس أى معبد آخر يرجع إلى ذلك العصر في دقة نقوشه ورسومه الجميلة . وقد زينت جدرانه برسوم الكثير من المعبودات مثل أمون ورع وأوزيريس وحورس والمعبودات الذمسة في هذا المعبد ومن بينهم الملك نفسه - وكلها كانت تعبد في هذا المعبد .

وقد افتتحه سبتي الأول بنفسه وخاطب آباءه الآلهة قائلاً : « لك التمجيد

* اعتقد المصريون القدماء أن النيل ينبع من صخور جزيرة الفنتين أبو . وقد رسموا له النيل حائياً يصب المياه من آيين وهو داخل مغارة .

أيتها الآلهة العظيمة التي تكونت السموات والأرض بناء على مشورتك وأكرمتني على مدى الدهور وخلدت اسمي إلى الأبد ، ذلك لأنى رهين اشارتك أفعل كل ما فيه مرضاتك . إنه لسعيد هذا الذى يطيع أوامر الآلهة فكل طلباته تجاب . . فليستجب كل انسان لرغباتك لأنكم انتم السادة الذين نطاع أوامرهم . لقد أمضيت حياتى وخصصت قوتى لأجلكم لأستمد سعادتي منكم . لنكن مشيئتك أن تظل تماثلى باقية ويبقى اسمى خالدا عليها . »

ولم يكف العمال المعترفون بالجميل من ناحيتهم عن تقديم الصلوات للآلهة لأجل شكر الملك الذى شيد لهم خزانة المياه وأقام معبدا يمجّدونه فيه ، لقد حقق عملا ليس له نظير . . وكان كل منهم يقول للآخر : « فليمنحه آمون حياة أبدية . . ويبقى حتى الأزل ايها الآلهة التي تحيا فى ينبوع امنجيه الحياة الأبدية مثلك ، فإنه فتح لنا طريقا معبدا وكان من قبل موصدا فى وجوهنا حتى نستطيع الآن أن نرتاده ونحن آمنون . وبعد أن نهصل إليه نجد فيه الحياة .

أصبح الطريق الذى كان غير ممد ، طريقا مستقيما وبفضل الملك أصبح الطريق المؤدى إلى الذهب قريب المنال مثل طير العقاب ، .

وكانت المناجم من ضمن أملاك المعبد . وكان الذهب المستغل من الجبل ينقل إليه قبل أن يزيد رصيد المخصصات الملكية . وقد كف قائد وفرقة من حملة السهام بحراسة المعبد والعمال الذين يعملون فيه . ولم يكن ليجرو أحد من عمال المناجم الذهب الذين كانوا يخترقون الصحراء أو حملة السهام أو الحراس أن يغيروا شيئا من الترتيبات التي أمر الملك بوضعها . ولم يكن يسمح لأى إنسان أن يكلف بأى شيء العمال الذين يستخلصون الذهب لحساب المعبد أو أخذ أى شيء من الذهب ، الذى يعتبر جسد الآلهة ، .

والملوك الذين سوف يهتلون العرش ويلبون رغبات سيقى سيشد
أزهرهم آمون وحر آخى وبتاح تاتن ، وسوف يوقعون في حكمهم
، وسيطرون على الصحارى وعلى أرض القوس - وسوف تخلد أرواحهم
ويعم الرخاء أولئك الذين يحكمونهم على الأرض ، ولكن الويل لأولئك
الذين يصمون آذانهم عن سماع كلماتي ، سواء أكانوا ملوكا أم أفرادا سوف
يتعقبهم أوزيريس ، وتزعج أيزيس زوجاتهم وهورس أبناءهم بمعاونة كل
أمرأ تودجوسر * Todjouser ، *

وكان حال عمال المناجم الذين بعث بهم الملك إلى بلاد النوبة أسوأ من
ذلك (١٢) فقد ذكر «أن الذهب يوجد بكيات وفيرة في بلاد ايكايكا Ikaita —
شرق الشلال الثاني — ولكن الطريق كان شاقا للغاية بسبب عدم وفرة الماء .
فعندما توجه رؤساء العمال الذين يستخرجون الذهب ، لم يصل إلا نصفهم .
فحسب ، بينما مات النصف الآخر من الظما على قارعة الطريق كما نفقت
الخمير التي كانوا يسوقونها أمامهم ، لأنهم لم يجدوا كفايتهم من ماء القرب .
لإطفاء ظمأهم سواء في الذهاب أو في العودة . ولذلك لم يتيسر لهم نقل
الذهب من هذه البلاد بسبب نقص الماء . . .

وقد جاء في تقرير أحد حكام كوش أن الملوك الأقدمين حاولوا
حفار آبار ولكنهم لم يوفقوا . . ولم يكن والد رمسيس الملك من مآت رع
(الملك سيقى) الذى وفق في حفر بئر شرقى ادفو ، بأسعد منهم حظا — فقد
أراد أن يحفر بئرا وتعمق إلى مائة وعشرين ذراعا ولكنه ترك العمل قبل أن
تنبثق المياه . ولم يش هذا الفشل عزيمة المهندسين الذين أعادوا المحاولة في

* تودجوسر هى الجبانة والمعنى أن أمراء الجبانة هم الذين يتولون تنفيذ العقوبة

عهد رمسيس الثانى معتمدين على معاونة حانى ، والد الآلهة ، التى أسبغها على ابنه المحبوب ، فكان التوفيق حليفهم فى تلك المرة .

إذ استجابت الملك المياه التى كانت فى دوات Douai (العالم السفلى) .
وملاّت الآبار .

ولم يعد عمال المناجم يموتون على قارعة الطريق ولكن العمل ظل شاقا فى المناجم ذاتها .

ولعدم وجود نصوص أقدم من التى قدمها ديودور (١٢) فإننا مضطرون إلى أن نشير إلى ما ذكره (ديودور) فى هذا الصدد إذ يقول : « ولتكسير الصخور كان يحتم بالنار ثم يطرقونه بالمطارق المعدنية فى اتجاه عروق المعدن . وتنقل القطع المكسورة إلى خارج المنجم حيث تصحن وتغسل إلى أن تصبح ذرات المعدن نقية ولا معة ، ثم يعالج الخام كيماويا حتى يصبح الذهب نقياً جداً .

والواقع أن ذهب الحلى المصرية تختلط به فى أغلب الأحيان الفضة أو النحاس أو شوائب أخرى (١٤)

وجد المصريون ، فى شبه جزيرة سيناء ، حجر الفيروز الكريمة « مافاكت » Mafaket (١٥) الذى كثيراً ما يستعمله الصياغ وكذلك مركبات النحاس مثل الملايكت (الزنجار . كربونات النحاس) سحمت Sechmet . (١٦) وقد بدأ استغلال المناجم فى عهد الملك القديم سمنت* ولكن العمل فيها قد ازدهر فى عهد الرعامسة ازدهاراً منقطع النظير ، ولم يعد العمل يتعسر

* الملك سمنت حكم فى منتصف القرن الثامن والعشرين قبل الميلاد .

بسبب نقص المياه . أما البدر الذين كانوا يهاجمون دوا ما عمال المناجم أو حراسهم فقد التزموا جادة العقل أو غلبوا على أمرهم .

وكانت توجد دائما متاعب من نفس النوع الذى أشار اليه مهندس يسمى حرأوررع عاش زمن الأسرة الثانية عشرة ، اذ أن الظروف الطبيعية واحدة ، كان هذا المهندس مكلفا بالقيام بأبحاث فى المنجم ، إلا أنه وصل إلى مقر العمل فى الشهر الثالث من برت ، ولم يكن هذا الوقت ملائما تماما لحضوره إلى المنجم ، ومنذ غداة وصوله تباحث مع العمال الفنين ذرى التجارب ، فقالوا له يا جماع الآراء : « توجد فى المنجم كميات من الفيروز لا حصر لها ، ولكن العبرة فى هذا الوقت هى فى لونه ، نحن نعلم أن لون الفيروز يكون فى هذا الفصل رائعا ولكن يبهت لونه فى موسم شمو المكفهر ، ثم يستطرد حرأوررع :

« فى فصل شمو تلتهب حرارة الصحراء كاللظى ، وتصبح الجبال مثل المعادن المنصهرة ولا يصفو لون أحجار الفيروز .

والواقع أن المهندس حرأوررع عندما باشر العمل كان فى نهاية فصل الشتاء ، ولم تكن الحرارة الشديدة قد بدأت بعد — ولكنها كانت تقترب . وربما شعروا بوطأة الحرارة عندما كان العمل على أشده . ولكن رغبته فى تأدية خدمات لمليكة بإخلاص وتفان قد رفعت من روحه المعنوية ، ولقرط إيمانه فى حاتمور سيدة السماء التى كانت أيضا سيدة الفيروز وحامية عمال مناجمه من جهة أخرى . وقد وصل كل عمال حرأوررع دون أن تقع لهم حوادث وقد زيلهم القلق بعد أرل إنتاج واستمر العمل بكل توفيق حتى أتمه فى الشهر الأول من فصل شمو قبل أن يتعرض للحرارة الشديدة التى تفسد لون الفيروز .

وفي مزيد من السرور ينهى حديثه قائلاً : « لقد جمعت هذه الأحجار
الكريمة . . ولازمى التوفيق أكثر من أى شخص قبلى . . بل قت بعمل
أكثر مما طلب منى . وبالتأكيد لم أكن أتوقع شيئاً أفضل من ذلك .

كان لون الفيروز رائعا ، ويسر مرآة العيون — ونوع الحجر أكثر
جمالاً منه فى الموسم العادى . . فاعتمد إذن على المعبودة حانحور فإن
فعلت . . فخيرأ تفعل ، ولسوف يحالفك التوفيق أكثر منى ، فحظاً
سعيداً . . (١٧)

وهكذا بفضل نشاط المهندسين ومثابرة العمال الماهرة ذوى المران
وبفضل غيره التجار الذين سوف نتحدث عنهم فى فصل آخر ، امتلأت
خزائن مصر بكيات وافرة من المواد التى تستخدم فى الصناعة من الأحجار
والمعادن والأخشاب . والآن فلنشاهد العمال وهم يقومون بالعمل فى المصانع .

٣ — العمل فى المصانع

إذا راجعنا الرسوم الكثيرة المدونة فوق جدران مقابر الدولة الحديثة ،
تلك التى تبين الأعمال التى تجرى فى المصانع والنصوص الموضحة لها .
فإنها تغرى بالاعتقاد أنهم كانوا يقومون بمختلف أنواع الحرف فى مكان
واحد : كالنقاشين على الحجر والحفارين على الأخشاب وصانعى الأواني
من الأحجار والصباغ وعمال الجواهر وقاطعى الأحجار الثمينة وصانعى
الأواني المعدنية ، والدروع والتجارين وصانعى العربات ، وقد يكون هذا
مجرد تصوير اتفاقي .

و يشرف على هذه الأعمال المختلفة كلها بعين ساهرة ، رئيس عام ، قد

رسم في هيئة عملاق بينما رسم العمال المكادحون في هيئة أقزام ، وتحت رسمه نص بالكتابة الهيروغليفية يحدد أعماله ، فعلى سبيل المثال ، جاء تحت رسم دوا أو نجح Douanunehي المشرف على أملاك آمون : وحضر للتفتيش على الورش ولافتتاح بيتي الذهب والفضة ولتنظيم جميع الأعمال وليقبض على زمام الأعمال التي يتولاها المشرف . . . الخ ، (١٨) وربما جمعت معا على طول طريق واحد كافة الورش المخصصة لنوع واحد من العمل ، كما يحدث الآن في أحد شوارع الأسواق بمدينة القاهرة أو في دمشق ، وكان المدير يتولى التفتيش عليها بالتوالى . على أنه من الملاحظ أن التماثيل المصنوعة من الخشب ، وحتى المصنوعة من الحجر كانت تحلى بالتطعيم حتى أن بعض أجزاء العربات والأثاث والأسلحة كانت تنقش وتجميل بالذهب وتزين بالفيروز ، واللازورد . وربما كان يتولى هذه الأعمال صانع ماهر في ممارسة مختلف هذه الحرف أو عدد من المتخصصين كانوا يعملون جنبا إلى جنب ويتنقل ما يصنعونه بين أيديهم حتى ينتهى العمل فيه .

٦ ٤ - النفاسون

كان حفارو الأحجار في ذلك الحين يفضلون أن يعملوا على انفراد . فتراهم عند دواو نجح الذى سبق ذكره وهم يهثون بابا من قطعة واحدة من الحجر مكونا من صدغين ومن العتبة العليا وإفريز ، وواجهة مبنى مفرغ كالديانتيل ، وعمود من قطعة واحدة من الحجر له تاج على هيئة النخلة ويتأهل الأعمدة التي في تانيس وأهناسيا . ويعمل بعض العمال بالمطارق بينما يعمل لبعض الآخر بالأزاميل ، ويشتغل آخرون بأدوات الصقل ، يعملون وهم يقفون أو جالسون على مقاعد بدون مساند ، أو على قطعة الجرانيت ذاتها . بدون الانتظار حتى ينجزوا عملهم يقوم الرسامون وهم قابضون على

قلم من الغاب في يد ومجبرة في اليد الأخرى بتخطيط الكتابة بالهيروغليفية التي سوف تنقش على الحجر وتلون فيما بعد بالأزرق أو بالأخضر . وفي مصنع رخ مارع Rekhamaré الذى يتبع أيضا أملاك آمون (١٩) نجد تمثالا ضخما يمثل الملك جالساً على أريكة مربعة ذات مسند للظهر غير مرتفع وتمثالا ضخماً آخر ، منتصب القامة يستند إلى عمود ، وأباً الهول ، ومائدة قرابين ، كاد العمل فيها كلها أن يتم ويجلس النحاتون جلسة مريحة سواء فوق مقدمة أبو الهول ، أو فوق ظهره أو على مائدة القرابين أو فوق سفالة خشبية متحركة حتى يمكنهم مباشرة العمل في وجوه التماثيل الضخمة أو في رؤوسها .

ويستخدم بعض العمال مطرقة خشبية ومقراضاً بينما ينهك البعض الآخر في صقل سطح الجرانيت — ويخطط الرسام ، في هدوء ، بقلبه الكتابة الهيروغليفية على العمود الخلفي للتمثال بينما يخمس النقاش فرشاته في إناء استعداداً للتلوين . ولا يسع الإنسان إلا أن يتساءل هل يمكن إتمام كل هذه الخطوات المتعددة في وقت واحد ؟ وحقيقة الأمر أن النقاش الذى يحفر بعض تفاصيل الوجه والحفار الذى يعمق الكتابة الهيروغليفية على عمود التمثال وقاعدته لا يعترض عمل أحدهما الآخر . ولكن عملية الصقل لا يمكن أن تتم إلا بعد أن ينتهى كل من النقاش والحفار من عملهما ، ثم تاتى في النهاية عملية التلوين .

يتضح من هذا أن الفنان المكلف بإتمام عملية التمثال ، يجمع في مصنعه عدداً من ذوى المهن المختلفة يقومون بعملهم مترابطين ، جماعة وراء الأخرى ، وسوف نجد أن هذه الطريقة نفسها متبعة في أعمال أخرى ، ولا شك أن المصريين كانوا لا يكرهون بدء عملية ما من جملة نواحٍ منها ، وقد يحدث في بعض الأحيان أن يصطدم المصقل بالمطرقة أو بالمنقاش ،

وعندئذ تعلقو صرخة يتلوها سب بوجهه العامل المصاب إلى زميله المخطئ .
وقد يكون رده دعاية .

وعندما ينتهى العمل فى التمثال فى الموعد الذى حدد له ، يصبح معداً للنقل
إلى المعبد أو إلى القصر ليكون شاهداً أمام الحشود المعجبة عن مدى العطف
الذى أسبغته الملك على خادمه الأمين أو عن مدى الحب الذى يكنه الإله لفرعون .

إن نقل التمثال إلى المعبد يعد مناسبة لإقامة احتفال كبير ، وخاصة
عندما يكون التمثال ضخماً والطريق وعراً فيعتبر هذا العمل انتصاراً رائعاً
من الناحيتين الفنية والإدارية . وكان عليهم أن ينقلوا تمثالا من المرمر
ارتفاعه ثلاث عشرة ذراعاً من مصنع يقع فى ضاحية خارج المدينة على
الطريق المؤدى إلى محاجر الرخام الأبيض ، إلى مبنى يطلق عليه اسم مشيده
« إن حب تحوتى حتب باق فى إقليم أونيت أونيت * (٢٠) لقد كان عملاً
ينطوى على تعطف ملكى لم يسبق له نظير من قبل ، إذ سمح بأن يطلق اسم
فرد عادى على هذا المبنى وأن يصنع تمثال بهذا الحجم ثم ينقل إلى موضعه
بمثل هذا الاحتفال العظيم . ويبدأ بوضع التمثال على زحافة قوية تتكون
من لوحين سميكين من خشب البلوط مرتفعين فى أحد الجوانب ، وقد شدا
بعوارض قوية متقاطعة ويثبت التمثال بحبال . ولما كان المرمر حجراً هشاً
لذلك فإن الأماكن المعرضة لاحتكاك الحبال وضعت عليها وسائد لحمايتها
من أى ضرر يلحق بها ، وذلك على سبيل الاحتياط . وقد ربطت أربعة حبال
طويلة جداً بهذه الزحافة التى يبلغ وزن حمولتها خمسة أطنان أو ستة ، لشدها
بواسطة أربع جماعات من الحمالين ورجال من غربى المقاطعة وآخرين من
شرقيها وجنود من المشاة وبعض خدم المعبد .

ولم يتردد رجلان في إضافة ثقلهما إلى ثقل التمثال - ركع أحدهما ركبة واحدة موجهة نحو وجه التمثال ليعطره بدخان عطر التريفتينا ، بينما أخذ الثاني يرش الماء من أبريقه نقطة نقطة كما اعتاد أن يفعل في المعبد أيام تمائيل الإله ، وكان حملة الماء يقفون قريباً من التمثال يسكبون مياههم على الأرض ليسهل الانزلاق عليها ، بينما حمل آخرون لوحاً ضخمًا من خشب البلوطنجيل إلينا أنه كان بمثابة أداة تعين في دفع التمثال ، ولكننا لانعلم تماماً كيف كان يستخدم .

صدر الأمر بالتحرك ، وكان يشرف على هذه العملية رئيس الأعمال الذي أشرف على صنع التمثال ، يعاونه مساعده وهما اللذان كانا يصدران الأوامر إلى عدد من الرجال الذين يحسنون الكلام أو بعبارة أصح يجيدون إثارة روح الاهتمام ، في هذا الجيش من الحمالين وإثارة حماسهم بنشيد يشتركون فيه وينتهي بصيحة « هايا » ، تلك الصيحة التي لانقاوم يتحرك التمثال ثم يصبح الآن في عرض الطريق بعد أن رفع عمال المحاجر من الطريق ما قد يعترضه من الأحجار . كان الطريق ممتلئاً بالجنود المصطفة وبحشود الأهالي المتشوقين لمشاهدة هذا الحفل ، بينما كانت القوارب تتحرك في القناة في موازاة سير الموكب وكانت أصوات البحارة والمسافرين تختلط بأصوات الجمهور من رجال الموكب وقد أقيمت استراحات على الشاطئ يتوافر فيها الطعام يتناوله كل من العمال الكادحين والأهالي الذين اكتفوا بالصياح والتهليل ليستعيدوا قواهم . وكان أهم ما في هذا الموكب كله ، شخصية تحوى حتب نفسه الذي حضر محمولا فوق محفة على أكتاف حمالين ، يصحبه أولاده وجنوده وخدم يحملون مراوح من الريش وحصر ليزيد في روعة هذا الاحتفال المهيّب ، وكان يعتقد أنه لم يحدث في مقاطعته إطلاقاً في الزمن السابق موكب مماثل

(*) يماثل هذا ما يقوله العمال اليوم « هيلاموب » .

هذا الموكب، اذ يقول: « إن الأمراء الذين عاشوا وعملوا منذ أقدم العهود ، والإداريين الذين بذلوا جهدهم في سبيل الخلود لم يكن ليخطر ببالهم ما عملته لنفسى في هذه المدينة وما سأعمله فقد أقمت هياكل على شاطئ النهر . ها أنذا قد أتممت ما عملته في سبيل الخلود ، بعد أن أقمت لى مقبرة خالدة إلى الأبد .»

لقد جرت أحداث هذا الموكب في زمن الدولة المتوسطة، ولكنه لم يكن فريدا إلى الحد الذى تصوره حاكم مقاطعة الأرنب، فقد أقيمت مواكب مماثلة كلما سمح الملك بنقل تماثيل أحد الأفراد إلى المعبد، كذلك عندما كانت تنقل التماثيل الماسكية، وكان المصريون يحبون حقاً هذه المناسبات والاحتفالات الحاشدة وما يصحبها من صخب وتهليل وإفراط فى الشراب، كان يكتمل لكل فرد بأن يعود إلى بيته سعيداً بقضاء يومه . وقد نال أحد الأفراد اسمه قن آمون تقديراً ملكياً كبيراً إذ نقل فى موكب ثلاث تماثيل (٢١) وكان يرافقه الموكب حشد عظيم من الأهالى يصيحون ويترنحون بين سخب من بخور زيت الترفنتين العطرى . وقد حمل الرجال أكاليل من زهور البردى بينما كانت كاهنات حانحور ، سيدة طيبة ، يحملن المزهرة والصاجات . أما الرافصات وأصحاب الألغاب الهنوانية فكانوا بدورهم يفعلون الكثير .

٥ - الصباغ وتجارة الحلى والجواهر

إن صناعة الآنية من الأحجار التى بلغت درجة عالية من الدقة منذ عهد الأسرة الأولى كانت لا تزال مزدهرة دائماً فى عهد الرعامسة .

وكانت الجرار والدلاء والآوانى والكؤوس والأقداح والقصاص تصنع من أحجار المرمر والشست والحجر الساقى ، وكانت تزين أحياناً برسوم بشرية أو حيوانية .

وكانت الأدوات المستخدمة في الصناعة في منتهى البساطة وأهمها منقاب له مقبض من الخشب مكسو في نهايته العليا بالجلد ، ويمسك الصانع المنقاب بين يديه ويلفه على قطعة الحجر التي يضغطها بين ركبتيه .

وقد يحدث أحيانا أن تقع أخطاء ، إذ قد تؤدي عملية النقب إلى شذخ جدار الإناء ، غير أن مثل هذا الخطأ يمكن إصلاحه . بنزع الجزء المعطوب بعناية ووضع قطعة حجرية أخرى مكانه .

وقد أمدتنا مقبرة توت عنخ آمون بمجموعة أوان من المرمر تمثل فيها مهارة الصناعة أكثر من توافر الذوق الفني ، ولسوف يفضل الكثيرون عليها القنينة الرائعة المرسومة على جدران مقبرة بوى أم رع Pouyoume (٢٢) وكل حليتهما مجرد نقش بسيط من الحروف الهيروغليفية .

ويتطلب الاشتغال بالمعادن عددا كبيرا من العمال ، فكانت بوسط ومفرداته من الأواني الذهبية والفضية والكثوس الدينية والأقراط والأساور وحلى مقبرة سبتاح Sipteh وحلى السرايوم وهي الآن من مقتنيات متحف اللوفر ، وتكون مجموعة تنتمي إلى عهد الرعامسة ، ولكنها أقل فخامة وتنوعا من المجموعة الرائعة التي وجدت في مقبرة توت عنخ آمون أو مقبرة بسوسنس ، وإذا راجعنا بردية هاريس Harris الكبرى التي أشارت تفصيلا إلى هبات رمسيس الثالث السخية للآلهة نجد أنها تشير إلى مصنوعات من الذهب والفضة والنحاس واللازورد والفيروز الحقيقي . وكانت أبواب المحراب بمعابد طيبة إما من الذهب أو من النحاس الذي له بريق الذهب . وكانت النماثيل مكسوة بالذهب ، والكثير من موائد القرايين وأواني ألمياه المقدسة كانت من الفضة ، أما المراسيم الملكية التي تصور لصالح

أمون فكانت تنقش على لوحات كبيرة من الذهب أو الفضة أو النحاس .
وكانت فخامة البيت الكبير ومركب أمون المقدسة تفوق كل وصف .

٦ وكان بمعبد أنوم Toutou في مدينة أون ميزان من الذهب ، كان فريداً في نوعه لا مثيل له منذ عهد الآلهة ، وكان يعلو الميزان نسناس (على هيئة كلب Cynocéphale) وزين ، من الذهب الصب ، يرقب عملية الوزن . وقد أشير إلى أن تماثيل النيل صنعت من مواد مختلفة يقرب عددها من واحد وعشرين معدناً . أما التماثيل المصنوعة من اللازورد الحقيقي والفيروز فكان عددها ٥٦٨ ر ١٣ وإن كانت التماثيل التي صنعت من الذهب أو من المعادن الأخرى لا يبلغ عددها إلا نصف هذا الرقم ، فإنه عدد لا بأس به . ولم يكن ثمة معبد إلا وله ثروته . وإذا أردنا أن نكون فكرة شاملة عن نشاط العمال المشغولين في أعمال المعادن ، فإنه ينبغي أن نشير إلى كافة ما كان في حوزة الملوك والخاصة سواء ما كانوا يتحلون أو يحتفظون به لديهم .

وكان يبدأ العمل بوزن الذهب والفضة في المصانع قبل تسليمهما لمن يقوم بصياغتهما (٢٣) لأجل هذا الغرض كان يستعمل الميزان على الأرض ، أما في العالم الآخر فكان الإله تحوت يستعمل ميزاناً تماثلاً في وزن الروح أثناء المحاكمة أمام الإله أوزيريس وآلهة امنتيث Amentit (آلهة الغرب — آلهة الموتى) .

أما الغلال فكانت تقدر كيلاً بالمد . وكانت تعد سبائك النحاس الآسيوية الأصل ، دون الاهتمام بوزنها . كان الميزان مكوناً من عمود ينتهي برأس معات ، إلهة الحق ، وذراع معدنية تتوسطها سكين في الوسط ويحمل عند طرفيه كفتي ميزان علقت كل منهما بثلاثة حبال . وعند إجراء عملية الوزن توضع ذراع الميزان بكل ملحقاته على السكين ويجرى الوزن

اختبارات حتى يتم توازن الكفتين . كانت أنقال الوزن على هيئة عجل جاث ، أما المعدن الذى يقدم ليوزن فكان على شكل حلقات .

كان على الوزن — قبل أن يقوم بعمله — أن يوقف بيديه ذبذبة كفتى الميزان وكان عليه أن يتحقق من أن الإبرة التى تتوسط الذراع ، فى وضع قائم . والكاتب وقد نزع من المقلبة ، اللوح والقلم ، يسجل نتيجة الوزن بحضور رئيس عمال المعبد الذى يتسلم منه الذهب الموزون ، ويسلمه بدوره إلى المهرة من العمال .

وسوف يحتاج هؤلاء العمال لأسلاك للسلاسل ، ولرفائق من الألواح وشرائط للحلى ذات الحواف ولألواح كبيرة من المعدن للأواني والكشور ، ولأنايب تصنع من شرائحها الأساور ، ولسبائك معدنية^(٢٤) وقبل كل شيء كان يجب أن يصهر المعدن للحصول على هذه الأشكال المختلفة ولذلك كان المعدن يوضع فى قوالب ثم تترك فوق الموقد .

كان المصريون يصهرون الذهب والفضة على نيران موقد فى العراء ، ويصطف حول الموقد فى شكل دائرى ستة أشخاص كانوا ينفخون فى أنايب طويلة تنهى بمقبض من الفخار به ثقب صغيرة ليشتد هيب النيران . ولما كان هذا العمل شاقا مرهقا فقد كان من الطبيعى أن يمزحوا وهم يعملون طلبا للتساية .

وقد توارثوا هذه الطريقة التى كانت مستعملة منذ الأزمان السالفة غير أنه قد أدخلت عليها تحسينات منذ بداية عهد الامبراطورية الحديثة :

فصارت الأنايب التي يجرى فيها الهواء تركب بإحكام على فتحة قرب من الجلد تثبت على الأرض ، وبها حبل متصل بالقربة يتحكم في فتح أو إغلاق الفتحة العليا للقربة — وكان العامل يقف برجليه على قربتين متماثلتين وبمسك حبلا بكل يد من يديه ، ويضغط بقدميه على القربتين بالتناوب ويشد الحبل الذي يتحكم في القربة التي يرفع عنها الضغط ، ويرخي الحبل عندما يضغط على القربة فيندفع الهواء في الأنبوبة ، وبذلك كان عاملان فحسب يقومان بعمل ستة عمال ولا يبدلان إلا بمجهوداً ضئيلاً (٢٥) . وحينما ينصهر المعدن يقوم عاملان ، لابخشيان شدة الحرارة ولا تكاثف الدخان فيتناولان البوتقة بملاقط معدني ذى ذراعين ويكسران زاويتيها فيسيل المعدن المنصهر في قوالب صفت على مائدة ، وبهذا تتحول إلى مكعبات تسلم إلى العمال الذين يضعونها على حجر كبير يقوم مقام السندان ، ويستعملون حجر أصغير آيسير الاستعمال كطرفة يدوية . بهذه الأدوات البدائية ، كانوا يشكلون المعدن إلى أسلاك وقضبان أو ألواح رقيقة . وكان طرق المعدن يعطيه صلابة ، مهما كان نقياً ، لذلك كان يوضع على النار ليستعيد ليونته ، وكان العامل يتناول رقائق الذهب بالملاقط ويقربها إلى الموقة فيشتد لهيبه لأن العامل ينفخ ناره بوساطة أنبوبة يضعها في فمه . أما الأسلاك فكانت تمر في مسجبة ضيقة الثقوب لتصبح دقيقة الحجم . وبهذه الوسائل البسيطة ، تمكن الصائغ من تشكيل كافة ما يحتاج إليه ، ولا يبق له بعد ذلك إلا قصها وتجميعها . فالعامل الذي يريد صناعة كأس من الذهب أو الفضة كان يجلس على مقعد أمام كتلة تثبت تماماً في الأرض ثم يستخدم المطرقة بطريقة فنية فيستطيع تحويل اللوحة المعدنية إلى الشكل المطلوب ، وعندما يتم تشكيل هيكل الآنية يبدأ في زخرفتها .

كانت قائمة الأشكال الزخرفية التي عرفها المصريون مادة غزيرة إلى أبعد الحدود، فكان من المستطاع أن يزخرف كأس أو قنينة برسوم هندسية أو برسوم أزهار تضم إطاراً لمنظر مألوف أو لمنظر ديني أو كان يكتب بنقش عبارة هيروغليفية قصيرة في دقة كبيرة على أناء أنيق في شكله. وبعد الانتهاء من اللمسات الأخيرة والفراغ من تلميعها تصبح الآنية مهداة للعرض على رف قد يمتلىء آخر النهار بأشياء مختلفة الأنواع.

٦ - صناعة الأثاث

تتكون الأنواع المختلفة من الأخشاب التي استعملها النجار من أشجار اللبخ والسنت والشرين وأنواع أخرى من الأخشاب المحلية التي لم نستدل بعد على كنهها، وذلك بالإضافة إلى الأبنوس الذي استورد من الجنوب وخشب الصنوبر آش Ash والأرز مر Mr المستوردين من سوريا والمذنب يمانلان في اللون حجر اللعل المستخرج من الجبل الأحمر. ونشر جذوع الأشجار إلى ألواح وأجزاء بالمنشار اليدوي. أما الكتل الخشبية فكان النجارون يحصلون عليها بوساطة بلط ذات أيد طويلة. أما القدم فهو قاطع معدن مثبت بزوايا قائمة في طرف يد خشبية يتراوح طولها بين طول قبضة اليد إلى طول الذراع، وكانت تؤدي نفس الأغراض التي تؤديها الفارة الحديثة أو الماكشطة. وكانت الثقوب المستديرة تنقب بوساطة وتر القوس. أما الفواصل الخشبية فكانت تعمل بالمطرقة والمنقب اللذين كانا يستخدمان أيضا في عمليات تشييق الخشب. ولم يكن بنك النجار قد اخترع بعد. وعندما يراد نشر لوح من الخشب طوليا، كان يربط إلى قائم ثبت جيدا في الأرض، ولما كانت حركة المنشار تؤدي أحيانا إلى انزلاق الخشب وبالتالي إلى شجه، فقد أمكن التغلب على هذه الصعوبة بربط اللوح إلى القائم

الخشبى من أعلى ووضع وتد ثقيل الوزن بينهما ، وإذا لم يكن لوح الخشب كبير الحجم فقد كان النجار يثبتته على الأرض بيد ، وينشر باليد الأخرى . ويعمل نفس الشيء عندما يستعمل البلطة مستعيناً بقدمه أو يده لتثبيت الخشب - واطم الخشب بعضه إلى بعض كانوا يستخدمون طريقة التعشيق والخواير الخشبية والصموغ وكانوا يفضلونها على المسامير المعدنية التى كانت تستعمل فى العادة لتثبيت الأجزاء المعدنية إلى الخشب . وتستعمل الفارة فى مسح العيوب الصغيرة .

والتلميع هو الخطوة النهائية ، وفى العادة كانت تسلم قطعة الأثاث أو الصندوق بعد الفراغ من صنعه ، إلى رسام يتولى زخرفته (٢٦) .

والهيكلان الخشبيان الذى أمر أبوى بعملهما للمعبود الملك الراحل امنحتب الأول يوضحان لنا مدى روعة النقوش وكيف قام العمال بخطوات تنفيذ العمل . (٢٧) يبلغ طول هاتين القطعتين ١٢ قدماً طولاً وترتفع أحدهما أكثر بإضافة قاعدة توصل إليها خمس درجات من السلم . وتسند أعمدة على هيئة ساق البردى إفريز مزخرف برؤوس ثعبان السكويرا (رمز معبودة بوتو) أما السقف فهو على هيئة الشكل المقعّب المألوف ، وفى الواجهة الأمامية يرى رسم للمعبودين هورس وست يربطان النبات الذى يرمز إلى الجنوب والشمال ، حول الملك الراحل . ويتكون الهيكل الآخر من ثلاث طبقات يحمل كل منها على صف من أعمدة صغيرة وترك أسفلها وهو الأرضى فارغاً ليوضع فيه الفراش والوسادة ومقعد ومائدة ومرآة والجزء الأعلى مملوء بالنقوب والرسوم المحفورة ، ومن بين النقوش يشاهد رمز حانخور وعدة إطارات ملكية . وعلامات إيزيس وأوزيريس والصقور المتوجة ، والمعبود بس وهو يضرب على الدف وتا أوريس

تقبض على تميمتها ، ومن الواضح أن العمال الذين يقومون بالعمل في هذين الميكانيك من ممارسة الرياضة الموهوبين . ولم يكن ثمة حاجة للعمال الذين تولوا حفر الكتابة الميروغلييفية على العمودين الكبيرين أن يتركوا مستوى الأرض ، ولكن العاملين الآخرين اللذين يعملان على الإفريز قد تسلقوا أعلى العمود وهما يحملان أمتعهما ، ويضع أحدهما قدمه مستندا على مجرى الحز تحت تاج العمود ، ويستند الآخر على العمود ذاته وكلاهما يرتكزان على ثعبان على الإفريز بيد ويطلق المعدن بمطرقة خشبية بيده الأخرى .

أما عند الهيكل الآخر فإن وصول أحد رؤساء العمال قد أذهل العمال أنفسهم حين أخذهم على غرة ، فعلى القاعدة يرى عامل يجلس على أعلى درجات السلم دون أن يبدي اهتماماً باستعمال أدواته ، بينما يتسلق عامل آخر الأعمدة الصغيرة هارباً بسرعة من مثل السلطة وفي الجانب الآخر يرفه رسام عن نفسه بتلطّيح وجه زميله الذي يبدو عليه الرضا ، ويمر رئيس العمال دون أن يلحظهما إذ كان كل اهتمامه موجهاً إلى عامل قد تمدد على الأرض وراح في سبات عميق بجانب عمله الذي لم ينجزه بعد ، فيصبح فيه رئيس العمال صيحة تزعج أحد العمال المعلقين بالدور الثاني فيفقد توازنه . وعلى السطح يسرع رجلان باستعمال أدواتهم ، فيثقب أحدهما ثقباً ويطلق الآخر الخشب ، بينما يهز رجل ثالث العامل النائم ليوقظه . وفي مصر قديماً كما هو حادث الآن ، كان العمال يفضلون العمل الجماعي عن العمل الفردي ، وللاصول إلى نتائج طيبة يستوجب الحال استخدام عدد كبير من رؤساء العمال ذوي البصر الحاد ، بالإضافة إلى استعمال مجموعة كبيرة من ألفاظ الشتائم وليس ثمة مانع من استعمال العصا ، واستخدام عدد آخر من رؤساء العمال للإشراف على هؤلاء الآخرين .

ومنذ أول عهد الإمبراطوية الحديثة راجت تجارة جديدة هي صناعة

العربات وأصبحت واسعة الانتشار وكانت في الواقع مجرد تخصص فرعي في فن النجارة (٢٨) وكانت هذه العربات تصنع عادة من الخشب ، ولم تصنع إطارات معدنية للعجلات مطلقاً وإن استعانوا بألواح من المعدن في هيكل العربات التي كانت تتألف من عدد كبير من القطع الصغيرة ، ولدينا قصيدة شعرية تعدد أسماء نحو خمسين قطعة دون إكمالها . ويصنع محور العجلة بضم عدة أجزاء دائرية نشرت من خشب سميك . وكانت المشككة الكبرى ، هي حل العجلة التي كانت تتكون من أربعة أوستة أجزاء مستديرة تماماً .

وثمة نوع آخر من التخصص في صناعة النجارة هي صناعة الأقواس والسهام والنبال والعصى والصولجانات من كافة الأنواع ، ليستعملها فرعون وكبار رجال الدين وعلية القوم من المدنيين والعسكريين والأدوات الموسيقية . (٢٩) وقد يحتاج الأمر تارة إلى عمل أعواد مستقيمة تماماً للرمح وقد تكون تلك الأعواد منحنية انحناء خفيفاً دائماً . وفي مصنع من خبير رع سنـب Menkheperresaneb رجل يختبر قوساً بينما يحاول زميله أن يزن سهماً ويتحقق من أنه مستقيم تماماً . ولأجل ثنى أفرع الأشجار كانت تسخن على النيران قبل أن تنزع قشورها وكانت تثبت فوق منضدة بدائية ، هي عبارة عن جذع شجرة ذى فرعين مغروس في الأرض ، وله ذراعان شدا إلى بعضهما بإحكام ، وبعد تسخين فرع الشجر الذي يراد ثنيه يوضع في كلابة بدائية حيث يمكن ثنيه بمعاونة قضيب إضافي . (٣٠) وكانت العصي والصولجانات والآلات الموسيقية تزخرف في معظم الأحوال على غرار قطع الأثاث ذاتها إما بالتطعيم أو بتكسيثها بقشرة أو بإضافة رؤوس نحمت من خشب . ويوجد في متحف اللوفر حالياً تمثال من الخشب لرأس أنثى — كان يزين فيها سبق أعلا قبثار (٣١) وبمجموعة عصي الملك توت عنخ أون ذات

مقابض من العاج أو الأبنوس وتنتهى برؤوس زنوج أو أسويين .

٩٢ صناعة الجلود

ازدهرت صناعة الجلود منذ عهد الدولة القديمة . وكان أوتاتا Outa وهو أحد رجال هذه الصناعة في ذلك العهد ، يصنع النعال ويحافظ المخطوطات وصحائف من جلد يستعملها أحد الموظفين وفي يده برنامج وهو يقود حفلات دينية أو دنيوية . وبالإضافة إلى ذلك كانوا يصنعون أشياء كثيرة منها خوذات الجنود وبعض حاجياتهم وجهاب السهام وتروس ودروع من جلد قد شد بالمسامير ولوحات من المعدن لتقويته. وعرف المصريون كيف يطرئون الجلود ويخرفون الجماب والتروس وينقشونها برسوم اقتبست من قائمة الزخارف السورية ولكنها صنعت بحذق واتقان حتى أنها فاقت زخارف بلادها الأصلية . (٣٢) ومع ذلك ، فقد كان المصريون لا يتبعون دائماً سوى طريقة دبغ الجلود بالزيت وهي المعروفة الآن في فرنسا بدباغة جلد الشاموا فكانوا يشدون الجلود من أطرافها ثم تخمس في أوان ملئت بالزيت وتسحب منها بعد ذلك وقبل أن تجف تماماً كانت تطرق حتى يتم تشبعها بالزيت . وبهذا يكتسب الجلد الخام صفات الجلد المدبوغ من حيث الليونة وعدم قابلية امتصاص المياه ، دون أن يتعفن .

٨ - مانه الفنانين والصناع

كانت القاعدة العامة المتبعة في كافة المصانع أن تعرض الأشياء التي تمت صناعتها إما على موائد أو ترص فوق رفوف ، ويقوم مدير الأعمال بالتحقق من دقة صناعتها واتقانها وأنها صالحة لأن توضع ضمن مقتنيات الإله أو الملك . وكانت توجد معارض عامة تضم كافة منتجات الصناعة المصرية .

وتحتوى مقبرة قن آمون Qenamun على شبه قائمة عملاء بصور الهدايا التي قدمت للملك بمناسبة عيد رأس السنة (٣٢) وفي معبد الكرنك نقش رائع يوضح كافة الأشياء التي أهداها الملك للإله آمون. (٣١) أما فن نحت التماثيل فهو جد غنى بمجموعة التماثيل المنسوبة المصنوعة في التواييت والمرسومة على سفينة من طراز عتيق ، وتماثيل واقفة أو جالسة أو راكعة لرجال أو سيدات وتماثيل أبو الهول برأس آدمية أو برأس صقر ، يعلوها تاج أو تصور دون تاج ، وتماثيل الحيوانات التي قد صورت الغزال والوعل والماعز البرى .

أما الأواني الحجرية التي تذكرنا بالعهد القديم فقد أضيفت إليها مجموعة من الزلع ذات الهيكل المستدير ولها دعائم صغيرة في أسفلها تستند عليها . ولا زلنا نعجب كثيرا بتلك الأقداح والسكرتوس ذات القواعد المزخرفة الجوانب فوق أكراسها والمشملة من الداخل على حديقة صناعية صغيرة ترى فيها زهر اللوتس والبردى والأقحوان وأشجار الرمان تحيط كلها بضفدع جثم فوق قاعدة . وبعض أواني التوابل قد صنعت على هيئة طيور . وقد تكون مقابض تلك الأواني أحيانا على هيئة رأس بطة متجهة إلى الداخل ، إما لأن ما بداخلها يفتح الشبهة للطعام أو لأن بطة صغيرة تعوم فيها .

وما يثير الدهشة أيضا تلك الزلع الضخمة التي تستخدم قاعدة لقلعة سورية وقد رسمت عليها حاميتها ، أو صور عليها بناء تهاجمه فهود لتقتنص طائر أجميلا حط فوق سقفه . وكانت الصناديق والمقاعد ذات المساند والمقاعد المنخفضة التي لا ظهر لها هي أهم أدوات الأثاث . وغرض الصياغ عقود اللزينة ذات صفوف متفاوتة ومشابك على هيئة نباتات ذات زهور . أما صانعو

الدروع والعربات فقد بعثوا إلى تلك المعارض بعربات مجهزة بكل أدواتها: أطقم الخيل والسرّج والأقواس والحراب والسباط والسيوف والدروع ذات الزرد وأجربة السهام وجرب الأقواس وجعاب البلط والخناجر والتخوذات. وتتمثل الأدوات المنزلية في المرايا والمظلات المصنوعة من ريش النعام ذات الأيدي الأبنوسية المطعمة بالذهب، وبعض أدوات أخرى مثل رؤوس طيور ذات مناقير طويلة ورقاب أكثر طولاً. ولم يتوصل بعد إلى الكشف عن مهمة تلك الأدوات، وبما لا ريب فيه أنها لم تكن تؤدي غرضاً معيناً. وقد أخذ الأقبال يزداد شيئاً فشيئاً على نوع من الآثات والأدوات انغذت لمجرد الزينة فحسب، تعلوها رسوم من أشجار النخيل المحملة بالثمار وجماعات من القرود تقفز على فروعها. والحق أنه معرض جميل. وأن الصانع في مصانع الملك وآمون لجديرون بكل ثناء من سيدهم الإنسان أو من مولاهم الإله.

وهنا يتبادر سؤال للمعرفة ما إذا كان هؤلاء الصانع البارعون، ومن بينهم الكهنة من الفنانين، يجازون بما يتفق ومواهبهم!

عندما تفقد پويم رع Pouyemrê الكاهن الثاني لآمون ومدير عام أعمال معبد الإله، الأشغال التي تمت في المصانع وقابل رئيس الفنانين ورئيس العمال، توجه بها بالكلام إليه قائلاً: «تفرح كل القلوب لهناك». ولكن پويم رع لم يفهم بكلمة شكر لهما. فقد كان ينظر إلى تلك المعجزات المنطوية على المهارة الشديدة وبراعة الفن كما ينظر إلى سلال القرايين والعينات والمعادن الخام ومواد الطعام التي يجمعها رجال الضرائب (٢٠) وليس هناك ما يؤكد أنه نطق مرة بكلمة طيبة أو بعبارة تهنئة وجهها لأمر عماله. وقد أظهر لنا رخمارع جلياً أنه عندما زار مصانع معبد آمون كانت

مسئوليته كمدير أعمال أن يحدد لكل رجل طريقة في العمل ، ومع أنه لم ينس أن يسرد لنا كل ألقابه ورتبه فإنه لم يشر إطلاقاً إلى أولئك الذين امتازوا في عملهم من العمال .

كان المشرف على العمل يخاطب الصناع الفنانين كما لو كان يتحدث إلى عمال عاديين ، قائلاً : « هيا أيها الرفاق ، حركوا سواعدكم . لنعمل ما يستوجب الثناء على هذا الحاكم فتكمل الصروح لسيد في أملاك والده آمون الذى سيخلد اسمه ما نشيده ويكتب الخلود لأعمالنا هذه طوال السنين المقبلة » . (٢٦) كان عمال كل مصنع يشتغلون متكئين لتمجيد الإله آمون أو تخليد الملك ، والوزير أو كبير الكهنة بجد مشترك ، ولم يدون لنا التاريخ أسماء الذين أنموا هذه الأعمال المجيدة ، بل ظل للإنتاج الفنى مجهول الأصل . ولم يطرأ على ذهن أحد من الناس أن النحات العظيم هو هبة الإله . ومع ذلك فى العام الثامن من حكم الملك رمسيس الثانى ، بمناسبة اكتشاف كتلة ضخمة أثناء زيارته لمحاجر الجبل الأحمر أقام لوحة تذكارية فى معبد أون أعرب فيها ، بصفة خاصة - عن عنايته بكل أولئك الذين ساهموا فى صناعة تماثيل أبو الهول والتماثيل الواقفة أو الجالسة أو الراكعة التى ملأت معابد مصر .

« أنصتوا إلى كلماتى - ها هى ذى الثروات التى تملكونها . الحقيقة تؤيد أقوالى . إني أنا رمسيس الذى أخلق وأهب الحياة للأجبال - إن أمامكم الطعام والشراب وكل ما تشتهيهِ الأنفس . . . إني أدعم مركزكم ليقولوا بأن حبكم لى هو الذى يدفعكم إلى العمل من أجلى . . إن تحياتكم لى تشدمن أزرى . لقد عملت على توفير كميات عظيمة من الطعام قد احتجرت لكم ، على أمل أن تعيشوا لتتموا عملكم . . إن المخازن ملأى بالحبوب ، حتى لا يأتى يوم واحد تجوعون فيه . لقد دفع لكل منكم أجره لمدة شهر . . . »

« لقد ملات لكم المخازن بكل الأنواع من الفطائر واللحوم والسمك لكي تأكلوها ، وأنواع العطور المختلفة لتعطروا رؤوسكم كل عشرة أيام ، وصنادل لتتنعلوها كل يوم ، وملابس لترتدوها طوال العام . لقد جعلت كل هذه الأشياء لكم حتى لا يفتنى أحدكم ليله خائفاً ترقباً ذل الحاجة والشقاء . لقد عينت رجالاً كثيرين من مختلف الطبقات لإطعامكم حتى في سنوات المجاعة ، وعينت رجالاً من سكان المستنقعات ليحضروا لكم الطيور والأسماك وآخرين من عمال البساتين ليحصوا ما هو مستحق لَكُمْ . لقد أمرت بتشييد فاخورة لتصنع فيها الأصوات الفخارية ليظل ماؤكم سلسيلاً في فصل الصيف (شمو) ولأجل مصلحتكم تطلع المراكب دواما من الجنوب إلى الشمال ومن الشمال إلى الجنوب محملة بالشعير والحبوب والقمح والملح والخبز . إنى أعمل كل هذا مردداً القول : « طالما كنتم على قيد الحياة فإنكم تعملون من أجلى رجلاً واحداً » . (٣٧)

لا شك أنه شيء حميد للغاية أن يحرص الملك حرصاً شديداً على أن يخلد اسمه على الآثار التي سوف تفوق الأبدية في دوامها ، كما نراه يحرص على حسن تغذية عماله وكسوتهم ليشعروا بالسعادة وهم يعملون لحساب حاكم كريم . وقد منح لويس الرابع عشر مناصب ومعايشات لعماله . وما فعله فرعون وحققه رمسيس فعلاً هو إنشاء ضيعة واسعة يشرف على إدارتها أشخاص عديدون ، وقد خصصت إيراداتها لمعيشة الفنانين في مصنع يماثل ذلك الذي أقيم في مدينة اون .. على أننا كنا نعترف بمزيد من الفضل لأعظم الفراعنة لو أنه كان قديم فنانا قد برا من بين هذه الجماعة العديدة من العمال الأكفاء واطهره وهو يتناول مكافأة من تلك المكافآت التي كانت توزع دائماً إما على موظف كبير أو رجل من رجال البلاط أو على كبير من الكهنة

ولعل الكاتب كان على صواب حين قال : ولم أر نحاتاً أبداً يوفد على رأس بعثة أو عامل مسبك برونز يقود حملة ولاكنى رأيت الحداد يشتغل أمام فم الآتون وأصابه أصبحت بمثابة مخالب التمساح، وتفوق نتائجه أحشاء السمك !» (٢٨)

على أننا نعثر على بعض الشواهد التي تبين مدى التقدير الذي حظى به الفنانون الذين كانوا على درجة عالية من الكفاءة فقد جاء في نص كتبه أحدهم يعود إلى عهد الدولة الوسطى على لوحة تذكارية ، يطالعنا فيه على مدى تقديره لنفسه ، قال : «إني أعرف سر الكلمات المقدسة وإدارة الحفلات ، لقد ما رست كل أنواع السحر دون أن أنرك منها شيئاً وليس ثمة سر يتعلق بهذه الأشياء ويخفى على . إني سيد الأسرار ، قدبر على أن أشاهد رع في موكبه . » (٢٩)

وكان يتحتم على الفنان أن يكون على علم تام بمراسيم الطقوس الدينية والأساطير ، وصفات الملوك والمعبودات ، ولم يكن ذلك كله بالامر الهين . والفنيقيون الذين كانوا شديدي الحرص على تقليد النماذج المصرية في مهارة فائقة ، قد ارتكبوا سلسلة من الأخطاء في هذا المجال كانت تثير دون شك الرأي العام المصري . ويمتدح الفنان بعد ذلك مهارته في العمل قائلاً : «وبالإضافة إلى أنني فنان موهوب في فني ، فإنني على قدر من العلم يفوق المستوى المألوف ، إني أعرف تماماً الأوضاع الدقيقة لثقال الرجل ، ووقفه المرأة ، وقد ... وكيف يتهبأ الرجل ليطعن بالحربة ، إني على علم بنظرة العين الخاطفة ، بالدهشة الطارئة التي تعترى الشخص الذي يستيقظ من نومه ، بحركة ذراع رامي الرمح وهو يرفع ذراعه ، مدى ميل جسم إنسان يجري ، أعرف سر تركيبات لا تقوى النيران على حرقها . . . ولأنه طميع المياه إذا ابتها . »

« لا يوجد أحد يشتر بهذا كله سوى وسوى ابني الأكبر . وعندما يشاء

أنه أن يعمل ، فإنه سيقوم بالعمل ويتمه في جدارة وثقة . لقد شاهدت براعته في أشغاله كمدبر أعمال في كافة أنواع الأحجار الكريمة ، من الذهب والفضة إلى العاج والابنوس . . . (٢٩)

ولابسنا إلا أن نرجو أن تكون هذه الصفات العظيمة موضع تقدير الآخرين ، لا أن يتغنى بها حائزها وحده . وتحتوى مقبرة في طيبة لأمنمحات - وهو واحد من كثيرين يحملون هذا الاسم - على لوحة عجيبة لا نظير لها في القائمة المعروفة لنا . تمثل هذه اللوحة أمنمحات وهو يدعو أربعة رجال يجلسون أمامه على حصير ليشاركوه القرايين العظيمة الموضوعية بجوارهم : أرغفة من الخبز ولحوم وطيور وخضروات وفاكهة ومشروبات وعطور . وأحد هؤلاء الرجال الأربعة هو الرسام أحوزا Abmosé . أما ثانيهما فنحات تماثيل لا نعرف اسمه . ورسم هذه المأدبة يعد أرفع جائزة تقدم إلى الفنانين الذين تولوا زخرفة المقبرة . ولا شك أنهم نالوا منها ما قاله أمنمحات من تلك الخيرات التي شوهدت معروضة . وأقدم من هذا ، في العهد الذي بنيت فيه الأهرام افتخر أحد رؤساء الخدم المدعو منا Menna بأنه قد كافأ في سخاء كل من ساعد في بناء مقبرته وزخرفتها . قال : « إن يقدم أبداً أى واحد قد ساهم في بنائها ، سواء كان فناناً أم قاطع أحجار ، لقد أعطيت كل واحد مكافأته » . (٣١) وفي زمن رمسيس التاسع عهد سيتاو Setaou كبير كهنة المعبودة نخبيت Nekhabit بزخرفة مقبرته إلى مري Ré Mery الفنان المشهور - وقد أشار إلى أصله وفضله قائلاً : « بيديه حفر نقوش المقبرة عندما كلف بعمل نقوش مقبرة سيتاو . . . أما بخصوص مري رع كاتب الكتب المقدسة فهو ليس مجرد ناسخ ، إن الوحي يوانيه من قلبه ، لا يقدم إليه معلم ما نموذجاً لينسخه ، ذلك لأنه كاتب ذو أصابع ماهرة ، شديد الذكاء واسع المعرفة . . (٣٢)

وعلى هذا ، نستطيع أن نؤكد أن الملوك والأمراء والسكينة وعامة الشعب أيضاً ، كانوا يقدرون أولئك الذين عملوا وضخوا كثيراً لأجل تحقيق مجدهم . لقد دفعوا لهم المال وقدموا لهم الشكر وفقاً لآراء عصرهم وتبعاً لوسائل زمنهم . فأحد الفنانين الذين عاشوا في عهد رمسيس الثالث ورمسيس الرابع والذي كان مـكـلفاً بزخرفة مقبرة عظيمة في دير المدينة (غرب الأقصر) صور نفسه منهمكاً في تلوين تماثيل الملك أمنحتب الأول وتماثيل والدته . (١٢) لقد أهمل التقليد الذي كان متبعاً عندما كان يؤدي مهمته فرسم نفسه في وضع طبيعي جداً وهو جالس القرفصاء على أريكة وقدمه اليسرى عارية وضعت فوق اليمنى وشعره طويل منسدل فوق كتفيه وفي إحدى يديه فرشاة وفي الأخرى لوحة أفلام . وقد استرعت هذه الصورة بعض الاهتمام ، ولدينا نسخة رسمها تليزيد إحدى المدارس على قطعة من الحجر الرملي . (١١) ومع أن قيمتها الفنية لا تنسب إلى الأصل ولكنها مهمة للغاية إذ أنها لا تحوى فقط اسم الفنان بل تعطى أيضاً لقبين خلعا عليه وهما : « الأمير » ، و « الكاتب » ، وتحتسمس Thutmose وهوى Houy فنانان عاشا في عهد اخناتون ، وكانا على درجة كبيرة من الثراء والمكانة الاجتماعية . بينما نجد في نهاية عهد الرعامسة ساما كان رفيع القدر حتى أنه كان يعدل في مستواه مركز محافظ إقليم .

٩ - البناء ووزن الحرف الصغيرة

ولنعد الآن إلى بعض الأعمال الشاقة نوعاً ما تلك التي لا يمكن ممارستها من حمل لقب « أمير » ، والتي كان يقوم بها عادة الأجانب سواء كانوا من أسرى الحرب أم من الأحرار .

كان أهم عمل يشغل البناء هو عمل قوالب الطوب ورصها ، وكانت كل

مدينة مصرية تحيط بها أسوار من الطوب يبلغ عرضها حوالى خمسة عشر مترا وارتفاعها عشرين مترا والأبواب وحدها كانت تعمل من الحجر . أما الجدران فكانت من الطوب . وكانت المباني الأميرية والبيوت الخاصة والأسوار التى تحيط بها تحتوى على كميات من الطوب تفوق الحجر . وعند ما أراد رمسيس الثانى بناء مدينته المفضلة (ويطلق عليها المهريون عادة اسم بي رامسو Pi-Ramessu) ومخازن پيثوم ، جمع الاسرائيليين وعين عليهم رؤساء عمال واضطروهم تحت ضغط شديد ، إلى عمل قوالب الطوب . (٥٠) وكان العمل مرهقا ولكنه لم يكن عسيرا إطلاقا ، كان طمى النيل يخلط بالرمل والتبن . وللحصول على طين جيد ، كانت تلك المواد تبلل بالماء وتوطأ بالأقدام مدة طويلة ثم تحرك بمعدل من آن لآخر . وكان على العامل أن يملأ القالب القريب منه بهذا الخليط المبلل ثم يستبعد كل زيادة بواسطة مكشطة من الخشب ويرفع القالب الخشبي فى حذر ومهارة حتى لا تنكسر الطوبة . ويظل الطوب معرضا للشمس ثمانية أيام يصبح بعدها جافا صالحا للبناء .

وكان صناع الطوب يفضلون أن يعملوا على مقربة من حوض ماء . وكان السقاة من يحملون لهم المياه ويتوجه عمال اخرون إلى الحقول بعد حصادها ليجمعوا سيقان الحنطة لإعداد التبن . وحينما كان فرعون يصدر أمره لأبناء إسرائيل بالذهاب إلى الحقول والبحث عن التبن دون أن يقللوا الكميات المطلوبة منهم يوميا من قوالب الطوب ، كان ذلك بعد مجيئهم إصافيا . غير أن احتجاجهم على هذا الأمر لا يقابل إلا بالضرب بالعصا فوق

ظهورهم من رؤساء السخرة . وكان الطوب يحمل على لوحين مسطحين من الخشب متماثلين تماما وقد شدا سويا إلى خشبة غليظة .

وكلمة إكدو Iqdou كانت تستعمل للتعبير عن حرفتين يبدو للوهلة الأولى أنهما مختلفتان تماما : الأولى البناء والثانية صانع الفخار . على أن الأول كان يعرف باسم أكدوانبو أى بناء الجدران والآخر هو أكدو نيچسيت أى بناء صغير ، والواقع أن كلا منهما كان يستخدم طمى النيل ، على أن السبب الحقيقي يرجع إلى اللغة المصرية : فالقطع «كد» ، يعنى «مستدير» ، والشكل البدائى للمنزل كان مستديرا مثل القدر ، ولم تكن المنازل سوى قدور كبيرة . كان الفخراى يعجن مادته بقدميه ويحولها إلى صلصال ثم يقطع جزءا منه ويضعه فوق اسطوانة مستديرة مسطحة من الخشب تتحرك على محور رأسى . وبفضل مهارة أصابع العامل المرنة تتخذ الكتلة هيئة جرة مستديرة الشكل أو قرح أو أبريق أو كأس أو طشت أو إبريق كبير له قاعدة مدببة يستعمل فى حفظ الخمر أو الجعة أو أباريق كبيرة ذات قواعد مستديرة على هيئة الغرارات (١٧) وإذا كان الدولاب لا يستطيع تشكيل قطعة صلصال أكثر من ذلك ، فإن العامل يستخدم أصابعه لتتخذ شكلها النهائى . وبعد أن يتم عمل الأواني الفخارية تنقل إلى الفرن وهو عبارة عن بناء اسطوانى يبلغ ارتفاعه ضعف قامة الرجل وقطر دائرته إذا ما كانت الصور يمكن الاعتماد عليها - نحو ذراعين على الأقل ، ولكن ينبغى لنا أن ننبه إلى أن الرسامين المصريين كانوا لا يراعون فى دقة النسب المتعلقة بالناس والأشياء . وفى عهد الامبراطورية الحديثة أصبح صانع الفخار ذا تعلقات تقدمية فلم يكسّف بصناعة فخار ذى لون واحد يعتمد فى جماله على أناقة الشكل فحسب ، بل أصبح ينزع إلى طلاء منتجاته بأشكال

مستعارة من فن النماشين أو موحى بها من قائمة الأشكال الزخرفية أو بإضافة أطراف هندسية أو نماذج نباتية كنفروع كرمة أو أشكال نباتية أو طائر يغوص في الماء ليصطاد سمكة أو ثور منطلق (١٨) وحتى الانسان الفقير الذي كان لا يستطيع الحصول على أطباق معدنية كان في مقدوره أن يمتلك أواني فخارية لا تخلو من جمال .

وكان الحلاق ينتقل بدوره من حى إلى آخر ، يقف في معترك الطرق في مكان ظليل لا يلبث الزبائن أن يقصدوه سراعا. (١٩) وعندما يطول الانتظار فإن أغنيته أو سرد حكايته تساعد على قضاء الوقت سريعا . وقد يشب نزاع يكون إحدى الوسائل المجدية لقطع الوقت وهذا ما يعمله رجلان يجلسان على مقعد يستند ظهر كل منهما إلى الآخر ولكنهما ليسا متساويين في جلسة مريحة فبينما يجلس أحدهما جلسة مريحة نسبيا نجد الآخر يجلس على حافة المقعد يكاد يقع على الأرض لودفع دفعة خفيفة . على أن هناك زبائن آخرين يؤثرون أن يناموا وذقونهم مستندة إلى ركبهم ورؤوسهم تلفها أذرعهم .

وينجيه الزبائن أحدهم تلو الآخر ويجلسون على المقعد ذى الأرجل الثلاثة في هدوء ، وأيديهم فوق ركبهم، يحنون رؤوسهم للحلاق ليص شعورهم ويحلق ذقونهم . ويمحوى إناء محمول على أرجل الماء المذاب فيه الصابون . أما الموسى فهو فصل أقل طولا من قبضة اليد ذو شكل غير منتظم ومزود بحافظة . أما الحلاقون الذين كانوا يترددون على الطبقة الخاصة الغنية فلديهم مجموعات مختلفة من المسلات (المآبر) والملاقط والمقصات والامواس يضعونها في حقائب من الجلد ويحفظونها في صناديق فاخرة من الالبونس . وكانوا يمارسون عملهم في المنازل ويستمتعون برعاية ملحوظة . وكان

بعضهم يمارس الطب . وضمن بلاط الآلهة كان يوجد معبود حلاق . ولكن
الحلاق الذى كان يخلق لعامة الشعب كان موضع عطف لا حسد . (٥٠)

أصحاب العمل والأعمال

يستحق رومى - روى Romé-Roy كبير كهنة آمون أن يعتبر مثلاً
لرب العمل المصرى ، الطيب القلب ، فقد قال : دأبها للكهنة وكنية بيت
آمون وخدم القرايين المقدسة الماهرة ، أيها الخبازون وصانعى الجمعة والخلوى
الذين سوف تدخلون هذا المصنع فى بيت آمون ، اذكروا اسمى كل يوم
بالحخير ، ومجدونى لأعمالى الطيبة لأنى كنت رجلاً خيراً . لقد وجدت هذا
المكان متهدماً تماماً فجدرانه متداعية تداعياً شديداً وأخشابها متعفنة
وإطارات الأبواب الخشبية قد ضاعت وطمست النقوش التى عليها . لقد
أعدتها إلى ما كانت عليه . أفسح مما كانت وأعرض ، وصنعت إطارات
أبوابها من الحجر الرملى وزودتها بأبواب من خشب الصنوبر الحقيقى . لقد
شيدت فيه مصنعا يعمل فيه الخبازون اليوم وصانعوا الجمعة على السواء فى
راحة تامة . قمت بعمل كل هذه التحسينات لحماية لخدم معبودى آمون رع
سوتير Amonrasoter (٥١)

ويبدو أن باكن خونسو Bakonkhonso أخذ كبار كهنة آمون قد
استحق نفس الثناء - إذ قال : كنت أبا باراً بمرؤسى . كنت أعلم أولادهم
الصغار وأمد يد المعونة إلى المحتاجين منهم وأكفل الحياة للمعوزين وأقوم
بأعمال نافعة فى معبده بصفتى كبير مديرى الأعمال فى طيبة وذلك من أجل
... رمسيس الثانى . (٥٢) ونأمل ألا يكذبهم المرؤوسون إذا ما سئلوا عما
ينطوى عليه هذا الكلام من حقيقة . كانت المبادئ الأخلاقية السائدة

وقتذاك تحول دون إجبار العمال والخدم على العمل أكثر من المعقول. (٥٣) وعلى هذا فقد كانت الحقيقة الواقعة أن جماعات العمال كانوا يتظلمون كثيرا من جراء هذا الشأن حتى أن بعض تقاعسهم كادت تصل إلى ما يقرب من الثورة. كان العمال يتفاوضون تموينهم من مأكل وملبس إما مرة واحدة أو مرتين أو أربع مرات في الشهر ولكن أولئك الذين يتصفون بعدم التبصر بالأمور - وعلى الأرجح لم يكونوا مغالين في التبذير - كانوا يستنفدون تموينهم قبل التوزيع الجديد وكانوا يصبحون : « نحن نموت جوعا ولا يزال أمامنا ثمانية عشر يوما حتى الشهر القادم ، (٥٤) ويجتمع بعض العمال في أحد الميادين على مقربة من أحد الصروح ويصبحون قائلين : « لن نعود إلى أعمالنا أبغوا هذا الرؤساءكم المجتمعين هناك ، .

أراد أحد الموظفين أن يكشف عن موقف العمال ، فعاد يقول : « ذهبنا لنستمع إلى طلباتهم فقالوا لنا قرائع حقيقية ، توجه الجائعون جماعات كبيرة نحو الحوانيت ولكنهم لم يحاولوا اقتحامها . وقام أحد خيطيا : « لقد جئنا يدفعنا الجوع والعطش ولم يعد لدينا ملابس نرتديها لم يبق لدينا زيت ولا سمن ولا خضر ، أرسلوا سيدنا فرعون أرسلوا للمليكننا وسيدنا حتى يعطونا ما نكفينا من الحياة ، رفعت هذه الشكوى لأحد الحكام ولكن خشى زملاء الخطيب أن يصيبه ضرر فأبدوا استعدادهم ليقروا أن كل شيء على ما يرام ، وأنهم في خير حال . على أن حشدا آخر رفض أن ينصرف ما لم يتم توزيع التموين عليهم فورا . وقد أذعن الحكام فدعوا أحد كتبة الحسابات وأصدروا إليه الأمر الثاني : « خذ الحبوب التي تسلمتها وأعط منها لعمال الجبابة ، فأحضرت موانئ نبيات Pe-Monton-Nebiat ووزعت علينا أنفسنا من الحبوب يوميا ،

وبهذا زال خطر التهديد بالإضراب ولم يكن حال العمال سيئاً مادام
سادتهم كانوا يقيمون لهم المساكن والمصانع النظيفة ذات التهوية المزودة بكافة
وسائل الراحة على نحو ما فعل باكن خنسو ورومي - روى وكذلك كان
يوزع عليهم النقود من ما كل وملبس بانتظام مع تزويدهم أحياناً بقدر إضافي
ليرضوا المبذرين منهم . كانت الأجازات وعطلات الأعياد كثيرة . ولم يكن
من العسير أن يصل أكثر العمال رزاقه ومهارة إلى درجة مراقبين أو رؤساء
أعمال ، وأن يجمعوا من المال ما يضمن أن يكونوا في أيامهم الأخيرة ملاكاً
صغاراً أو أرباب أعمال . وعند حدوث منازعات بين آمون وست فسرعان
ما تسوّه حالة العمال أكثر من سواهم مما يدفعهم إلى العمل على إضراب عناصر
القوضى بين طبقات الشعب .

١١ - التجارة والنقود

في دوائر الحكومة وأملاك كبار الآلهة كانت حسابات على درجة كبيرة
من الدقة تفيد ما يرد يومياً من غلات ومحصولات وما يستهلكه المستخدمون
وعلى هذا فقد كان نطاق الأعمال محدوداً . وبالرغم من أن هذه الحوائث
والمخازن كانت مليئة بالسلع إلا أنها كانت مخصصة لاستهلاك فئة محدودة من
الشعب . وعند إشباع حاجة هذه الفئة كان الفائض من السلع عندئذ يمكن
أن يستخدم في التجارة . وفي بعض الأحيان كانت دوائر تان تتبادلان منتجاتهما
مباشرة أو تباع منتجات إحدى الدوائر إلى التجار ، وهؤلاء يوزعونها
بدورهم وعلى مسئوليتهم .

وبجانب الدوائر الكبرى ، كان يوجد أيضاً عدد كبير من الملاك من
أفراد الشعب أو كبار الملاك . منهم المتوسطون أو صغار الملاك الذين يربون

الطيور والماشي أو يزرعون الحبوب والفاكهة والخضر وعندما يحتاجون إلى اقتناء اللبس أو الأثاث ومواد الزينة والكعاليات فكانوا لا يستطيعون الحصول عليها إلا إذا باعوا ما يفيض من زراعتهم أو من تربية الماشية أو الطيور . وكان ثمة صناع أحرار يستغلون مصنعا يملكونه ويعتمدون فيه معيشتهم على ما ينتجون . ويوجد أخيراً تجار لا ينتجون شيئاً ويكتفون بشراء وبيع السلع المتداولة في أنحاء البلاد ، وكان كل هؤلاء المشقرون أو البائعون أو التجار الوسطاء يتلاقون في الأسواق . وفي قصة الفلاح أنه حمل حميره بكل المنتجات الطبية لواحة الملح ، ولولا أنه سرق في الطريق لا استطاع الوصول إلى مدينة نن نسوت N-n Nisout الطبية ومعه بضاعته ولعرض في السوق النظرون والطيور المائية والسمك المجفف ولا استطاع أن يستبدلها بالحلوى والأقمشة والثياب . ولكنه كان سيء الحظ إلى درجة بعيدة ، فعندما كان رجال الشرطة يقومون بواجبهم كان كل مسافر يصل إلى بلده دون أى عائق . وفي مقبرة خا إم حات Khaemhat رسم الفنان تجاراً يعرضون غراراً وسلالاً . وهم يصيحون في صخب شديد قاعدين أو قائمين . وهؤلاء التجار ذوو سحنة خاصة فرؤوسهم ضخمة وشعرهم كثيف غير مرسل ، والعملاء المقبلون للتعامل معهم يعلقون غراراً فوق أكتافهم بكثرون من حركاتهم ويبدو دون شك أن المفردات اللغوية لهؤلاء العملاء لم تكن أقل ضراوة أو أدنى غزارة من لغة التجار ، ووصول سفينة أجنبية قادمة إما من أعلى النيل أو من سوريا كانت تجتذب لا الفضوليين الذين يعجبون برؤية الأجانب ذوي الملابس المتعددة الألوان أو بما كانوا يحملونه معهم من سلع بل كانت تجتذب أيضاً التجار الذين كانوا يقيمون حوانيت لبيع الطعام للفينقيين الذين كانوا يعطونهم مقابل ذلك قرناً مزخرفاً

أو رأساً ثبت على سن فيل (٥٦) ، وما كان ييسر عملية تبادل السلع أنه كان متبعاً في الأزمان السابقة تقدير قيم السلع والمنتجات المصنوعة على أساس وحدة تسمى شات Chat وقد ورد ضمن مستندات تنتمي إلى عهد الأسرة الرابعة بأن منزلاً قدر ثمنه بالاشات. (٥٧)

وفي إحدى برديات الأسرة الثامنة عشرة أن ثمن أمة وقيمة خدمتها قدرت في مدة معينة بنفس الوسيلة. (٥٨)

ولكن التعامل بهذه الوحدة لم يكن إلا تعاملاً مثالياً فلم يطرق على بال أحد من أعضاء الهيئات الرسمية أن يسك قطعاً معدنية ذات وزن معين متماثل إلا أن التجار ومعظم الشعب كانوا يعلمون تماماً قيمة وزن الذهب أو الفضة أو النحاس التي توازي قيمة الشات ولذلك لم يكن ميسوراً تبادل السلع بقطع من العملة . وعلى ذلك فمن كان يرغب في بيع منزل ولم يتفق المشتري على تحديد قيمته على أساس الشات كان يقبل نظائر ذلك أن يتسلم مواشى أو حبواً بنفس القيمة وهذه الحالة بسيطة في ذاتها ، فإذا كان المطلوب مبادلة حيوانات أو مواد لم تكن قيمتها متساوية كان ينبغي تقدير الفرق بالاشات أو بعدد من الشات وأن يسهوا إلى وجود سلع يكون في استطاعة أحد الطرفين أن يقدمها ويقبل الآخر أن يتسلمها ، وإن يتم هذا دون مناقشات ، ويبدو أن الشات أهمل استعمالها في عهد الرعامسة لأنها لم تكن تسهل المعاملات . ولم يذكر عنها شيء في بردية هاريس الكبيرة ، ولكن ورد فيها بدقة ذكر الدين Deben بوزن ٩٠ جراماً والقيط Qite بوزن ٩ جرامات للذهب والفضة والنحاس والأحجار الكريمة دون الإشارة إلى قيمتها بأية كيفية كانت . وقد ورد في نفس هذا المستند وكذلك في تقويم مدينة حابو أن الحبوب كانت تكيل بمكايل خشبية والفاكهة بالسلال ومنتجات

(م ١٥ - الحياة في مصر)

أخرى بالغرار أو المفادف المختلفة الأحجام . أما الحيوانات والأشجار فكانت تعد بالوحدة وفقاً لأنواعها وعندما نجد ذكر عدد العجول أو العجول البرية أو الماعز البرى والوعول والغزلان فكان عددها يجمع ويذكر عدد رؤوس المواشى جملة . وهكذا كان الحال بالنسبة لظهور دون أن يحددوا قيمتها بكيفية ما . وإذا ما أريد تقدير قيمتها كانوا يبرون عن هذه القيمة حسب ما يقابلها بوزن الذهب أو الفضة أو النحاس ، فمثلاً ثمن العجول يتراوح ما بين ٣٠ و ١٣٠ دين من النحاس وجوال الذرة يوازي دين واحد من النحاس (٥١) . ولكن لم يكن في استطاعة المشتري - بصفة عامة - أن يقدم كمية ما من النحاس فضلاً عن تمكنه من تقديم الفضة أو الذهب .

والمعاملة بقبائل المعادن الثمينة لم تظهر إلا في نهاية عهد الرعامسة عندما حدثت نهب المعابد والمقابر وعلى أثر ذلك أعيد إلى التداول كميات كبيرة من المعادن الثلاثة المذكورة التي كانت مدفونة منذ أجيال أو قرون عديدة في المقابر أو محفوظة في المعابد . خصص أحدصوص دين من الفضة وخمسة قيط من الذهب لاقتناء قطعة من الأرض وخصص آخر دينين من الفضة لشراء عجلين . وقد دفع لشراء العبد دجماً دينين من الفضة وستين ديناً من النحاس ، ودفع خمسة قيط من الذهب ثمناً لعجل واحد (٥٢) . وقبل عهد هذه الفوضى في المعاملة كان المشترون يدفعون ما عليهم من ثمن بتوريد مقادير من السلع التي يقابلها البائع وكانت تقدر بدورها على أساس مقادير من الذهب أو الفضة أو النحاس ، ذلك دون أن تقدم المعادن ذاتها . فقد باع المكاتب پناوقيت Petaoquit عجلاً قدر ثمنه ١٣٠ دين من النحاس فسلم قيمساً من المكاتبان يساوى ٦٠ دين و ١٠ غرار و ٣ كيلات ونصف كيلة تساوى ٢٠ ديناً وعقد من الخرز يساوى ٣٠ ديناً وأخيراً قيمتين قيمة وكل منهما ١٠ دين (٥٣) . وإحدى سيدات طيبة اقتنت أمة بقيمة ٤١ ديناً من

الفضة ، وذكرت أمام القضاة عدة وقائع منها أنها أعطت قطعة قماش للتاجر الذى باع لها الأمة وأشياء أخرى مصنوعة من برونز ونحاس كلفت أناساً آخرين بتسليمها للتاجر ، كل ذلك سداداً لثمن الأمة. (١٢)

ولم يكن أمام الحكومة ذاتها وسيلة أخرى للتعامل فذكر أن أونامون Ounamon عندما أراد أن يشتري كمية ما من زكر بعل Zek-rrbaal ملك جبيل تسلم فى الحال سبع قطع من الخشب وترك نظير ذلك ، سفينته ضماناً للثمن . ثم طالب أن ترسل إليه من مدينة تانيس جرار وأطباق من ذهب وخمسة جرار من الفضة و ١٠ قطع من السكتان المملوكى و ٥٠٠ لغة من ورق البردى ، و ٥٠٠ قطعة من جلد الحور و ٥٢٠ جوالا من العدس و ٣٠ قفة من السمك المجفف . ثم تسلم فى مرة شحنة أخرى ٥ أثواب من قماش السكتان المملوكى ، و غراراً من العدس وخمس قفف من السمك المجفف. (١٣) فما قيمة كل هذه السلع مقدرة بالذهب أو الفضة ؟ . هذا ما لم يذكره لنا التاريخ

ويبدو فى الواقع أن ملك جبيل لم يهتم بأمره فأمر بقطع الأشجار وجرها إلى الشاطئ ، وقبل أن يسلم كل هذا إلى مندوب آمون أنار رعبه . ويمكن الاعتقاد أن كلا من المتعاملين المصرى والسورى كانا قد اتفقا على تقدير السلع بما يعادل قيمتها من ذهب وفضة ولكن عدم وجود عمله حقيقية قد جعل أمر التعامل شاقاً . ويفسر هذا ما يبدو من ملاح على وجوه البائعين المرسومين على جدران مقبرة خامحات والمنافشات الكثيرة التى كان يبدو أنها تدور بين الناس دون نهاية لها ، والتى اقترنت بإتمام الاتفاق على تبادل الصفقات بين ملك جبيل والمشتري المصرى .

الفصل السابع

الأسفار

١ - التفتت داخل القطار.

كان المصريون القدماء كثيرى الأسفار ، على عكس الفكرة العامة السائدة عنهم . وكان ذهابهم وإيابهم مستمرين بين القرى وعواصم الاقاليم وبين تلك العواصم وقاعدة الحكم . وكانت الأعياد الدينية الكبرى تجمع الحجاج من كافة أنحاء مصر ، وكانت بعض المدن الكبرى مثل قفط وسيلا وسونو* وى روميس ومنف تغص طول العام بالزاهدين إلى المناجم والمحاجر وبالمسافرين إلى الواحات أو إلى بلاد آسيا وبلاد النوبة ، ثم يعودون منها محملين بكل خيرات البلاد الأجنبية . وكان السفن المحدود الدخول لا يعرفون غير طريقة السفر الوحيدة التى يعدها جان جاك روسو أفضل الطرق جميعا ، وهى السير على الأقدام . وكان متاع السفر معها يسيرا لا يتطلب إلا عكازا وإزارا ونعلا^(١) . ولم يلجأ سنوحى إلى أكثر من ذلك ، عندما ظن أن حياته مهددة بالخطر ، فاخترق الدلتا من الغرب إلى الشرق متخذة عدة طرق ملتوية فى السير ليصل إلى البحيرات المرة . وقد لبى أنوبو دعوة أخيه وترك قريته وليس معه سوى عكازه ونعله وثوبه وبعض الأسلحة قاصدا وادى الشجرة (أش Ach) القريبة من

• أسوان الحالية

جبيل^(٢)، وقد سار فلاح واحة الملح وكان ذاهبا إلى نينيسوت Men nisout على قدميه خلف حميره المحملة بكل أنواع المنتجات . وكان في استطاعته أن يركب حمارا من حميره بطريقة عكسية وينحمل سخرية المارة به ، مثله في هذا مثل طحان قصة الشاعر لافونتين La Fontaine والواقع أن هذا الفلاح قد تعرض لما هو أشد من ذلك خطرا ، إذ أن رجلا كان يعيش في بقعة منعزلة ، ولم يكن حديث عهد بممنته ، قد سرق خفية كل ما كان معه في غمضة عين . وكان الجنود مصدر رعب دائم للمسافرين كانوا إذا عثروا على شخص غير مسلح يحمل كيسا من الدقيق رفعاله بين يديه ، يجدون هذا مبررا كافيا لمهاجمته وتركه عاريا في الطريق* . وقد اتخذ أوني Ouni من الإجراءات ما كان كفيلا بمنع مثل هذه الفوضى^(٣) .

ويؤكد أحد حكام أسيوط أن المسافرين في عهده إذا جن عليه الليل ، كان يستطيع أن ينام آمنا على جانب الطريق تاركا بجانبه زاده وعنزه . والخوف الذي تضفيه سطوة رجال الأمن المحليين كان كفيلا بحماية المسافرين وبودنا أن نؤمن بصحة هذا القول ولكن الاحتياطات التي اتخذها بعض الحكام لتعد دليلا واضحا على وجود قطاع الطرق وعلى الأخطار التي كانت تحيق بالأسفار .

كانت الطرق متعددة بتعدد القنوات المائية : فعندما تحفر قناة كوم الطين وعمل منه جسر من الأرض يكون مرتفعا بعض الشيء حتى لا تغمر مياه الفيضان القناة المحفورة . وكانت القنوات والطرق تصان في آن واحد فعندما تظهر القنوات يؤخذ الردم الناتج منها لتسد به حفر الأرض .

* لم يذكر المؤلف أي مستند يؤيد هذا القول .

كانت هذه الجسور تستعمل لمر المارة والماشية في ذهابها وإيابها كما كانوا يعبرون فوقها لسحب القوارب . ونحن لا نعرف أية كلمة مصرية قديمة تدل على « الجسر » ، ولا يمكن يوجد رسم لجسر ورد في النقوش البارزة التي تمثل عودة سيتي الأول منتصرا من حملة فلسطين . وقد أفيم هذا الجسر على بحيرة امتلأت شواطئها بالغاب وكانت مأهولة بانغاسيح ، ويصل هذا الجسر سفينتين حرييتين إحداهما على الشاطئ الأسيدي والأخرى على الشاطئ الأقربى . (٥) ولا بد أنه قد شيد على أعمدة قائمة متقاطعة . وما لاشك فيه أنه لم توجد جسور على نهر النيل ولا على فروعه الثانوية في الدلتا . ولم تكن الجسور الخشبية أو الحجرية عديدة فوق القنوات وإذا اقتضى الأمر عبور قناة أو مستنقع قليل الغور فإن الناس والحيوان كانوا لا يترددون في اقتحام الماء وعبروه . وكان معظم المصريين يعرفون السباحة وأهالي دلتة كانوا يغطسون في مياه النيل ويعبرونه بكل سهولة دون خوف من النماسيح ؛ على أن ذلك لم يكن في استطاعة الناس جميعا . (٦)

أما صيادو الطيور المائية وصائدو السمك فكانوا يخشون خشية كبيرة بأس الوحوش ؛ لو أننا صدقنا النقاد الذين كانوا يهتمون من الحرف - وكان لزما على الشخصيات الكبيرة أن تمد يد المساعدة لعابري المياه ؛ فن لا يمكن أن يكون مركبات وكان هذا الصنيع لديهم أوجب من إعطاء خبز للجائع أو ملابس أمار .

كانت التعدية من شاطئ لآخر حرفة في طبيه وفي المدن الكبرى ، وقد اتهم أحد اصحاب هذه الحرفة بأنه شريك لصرص المقابر ، فأحيل إلى المحاكمة . (٧) وعندما انتقلت المعبودات إلى الجزيرة الوسطى ، أمرت

المعبود أنتي Aniti المكلف بمهمة التعديدية ، ان يمنع ايزيس من العبور. (٨)
وقد عثر صنوحى عند فراره على قارب لادفة له ، على الشاطئ فاستولى عليه
ليجبر به النهر .

استعمل الاثرياء زمناً طويلاً فى تنقلاتهم القصيرة ذلك الكرسي الذى
كان يحمل . وكان ذلك شيئاً رائعاً ولكنه وسيلة بطيئة غير مربحة وكثير
التكاليف . وكان الخالون يغنون على أنغام وقع أقدامهم : « اننا نجبه ملائ
أكثر مما نجبه خارباً . » وكان ينبغي دفع أجر لهؤلاء الخالين أو اطعامهم على
الأقل. (٩) وفى عهد الامبراطورية الحديثة كان الملك لا يحمل على هذا الكرسي
إلا فى بعض الحفلات ، هكذا فعل حورنمحب Horemheb عندما كان
يحتفل بانتصاره . ولكن الملك مثل الخاصة من أفراد الشعب كان عادة
يفضل العربة ، وكانت العربات والخياد لا تكاد تعد من وسائل الترف .
وهذا بعض ما كان يأمله كل إنسان لأصدقائه ويتمناه لنفسه : « لتركب
العربة وتمسك السوط الذهبى بيدك وتقبض على زمام جديده الخيول مطهمة
من سوريا ويجرى الزوج أمامك وهم رهن إشارتك ، (١٠) . » وعندما كان
يخرج أمنتب سيزى Amenhotep Sisé للأنزهة وهو السكائن الثاني
لآمون (١١) كان جوادان يجران عربته الجميلة المنيئة المزخرفة بالرسم
الفاخر والبارز ولم يكن له شوكائم ولا حواجب من الجلد ليعونها بل
كان طاقم الجواد يتكون من قطعتين كبيرتين من الجلد توضع إحداهما فوق
منتصف رقبته حتى لا يفلت زمامه وتوضع الثانية أسفل جسمه . أما الزمام
فكان يربط فى مقول الحصان وكان أمنتب سيزى يقود العربة بنفسه
واقفاً ، وليس معه سائس .

المكتبة
المهتدين

كان السائسون يتقدمونه ، وتبعه فرقة من الأنباغ يسرون على مهل

وهم يحملون كل ما يحتاجه السيد عندما يريد أن يستريح أو حينما يحتاج إلى إصلاح زيه .

وكانت العرب وسيلة مفيدة لزيارة قصر الملك أو الوزير أو للقيام بجولة تفتيشية في الريف أو للذهاب إلى الصيد . ولم يكن مستطاعا استعمال العرب للمسافات البعيدة دون إرهاق . أما وسيلة النقل الحقيقية في مصر القديمة فكانت المراكب .

وقد ركب ددف حور ولى العهد مركبا من منف ومر بخت - ختيت Khent Khetyt بقصد التوجه إلى الشمال للبحث عن العراف الذى يسكن ديدى سنفر و ثم عادا معا بالمركب إلى القصر .

وبعد أن أصدر الملك عفوه عن سنوحى ، ومنع حربة المرور عبر نقط الحدود في طريق حورس ، استخدم المركب في قطع المريق بين خليج السويس والعاصمة ايت تاوى Ity-Taoui جنوبي منف . وكان خلال السفر ، يشغل وقتهم بتناول الطعام الشهى الذى كان يعد له أمامهم .

وعند ما كان ينوى المصرى زيارة الأماكن المقدسة فى أبيدوس (العرابة المدفونة) كان يعد أسطولا صغيرا (١٢) وكان المسافرون يتخذون قوارب من الطراز القديم ، مرتفعة من الأمام ومن الخلف ، وكان المفروض أن الهدف من السفر لم يكن دنيا فبكوا ويجلسون على مقاعد داخل قمرة على هيئة تابوت ، كالو كانوا داخل أكشاك حدائقهم ، وكانت الماء كولات توضع على منضدة أمام القمرة . وكان يستعمل مقدم المركب كمجزر ومطبخ ثم يقطع الثور ونحضر الجمعة ، لكي يستمتع المسافرون بشرها طازجة . ولم يكن لهذا المركب مجاديف ولا شراع ، بل كان يحركه جرار ، وكان طقم

المركب يتكون من بحارين فقط يباشرون أحدهما جعل الاتصال وملاحظة
اتزان المركب ، ويباشرون الآخر الدفتين المصنوعتين من الخشب الملون
والمنتهيتين برأس حاتحور ، سيدة البلاد النائية وعامية المسافرين . أما المركب
القاطرة فكانت تحتوى على صار قوى يحملين أحدهما ربطاً في المقدمة والثاني
في المؤخرة ، وتوسطه قرة كبيرة ذات إفريز مزخرف ، غطيت جوانبها
بمختلف النقوش والموضوعات ، وكانت الدفة تستند إلى صار صغير ،
في آخر المركب ، ويديره ربان يده ، وفي نهاية الدفة ، كانت ترمم عينان
أحياناً وكان هذا شيئاً هاماً جداً بالنسبة للدفة حتى يمكن أن تتفادى العقبات
التي تعترض طريق المركب .

وعندما تسير المركب مع التيار أو عندما تعبر مساحات شاسعة من
المياه دون أن تكون هناك رياح مساعدة ، كان من العسير تجنب استعمال
المجاديف . وكان عدد المجدفين يتراوح بين عشرة وأثنى عشر شخصاً ، وغالباً
ما يكون أكثر من هذا العدد . وبقف الربان في المقدمة ومعه مدرة طويلة
تمكّنه من معرفة عمق الماء . أما الربان الثاني فيجلس على سطح القمرة
ويده سوط يداعب به من وقت إلى آخر أكتاف المجدفين السكالي . ويكمل
ربان الدفة هيئة القيادة . وعندما تسير المركب ضد التيار كانت تفرد الشراع
الوحيد وهو عبارة عن قطعة مربعة وغالباً مستطيلة تفرد بين صارين ،
ويكن تحريك الشراع بواسطة عدة حبال ، ويجلس المجدفون في مقاعد
أما رؤسائهم فيتسلقون الحبال ليستطيعوا رؤية المجدفين بطريقة أفضل .
وطالما كان السفر بطريق نهر النيل فإن الإنسان كان يستطيع أن يأمل
القيام برحلة سريعة إلى حد ما دون عقبات ، وإذا كان لا مفر من استعمال
القنوات فإن الأمر كان يتمشى بإجراء تحريات سابقة إذ أنها لم تكن
صالحة دائماً للملاحة طول العام . وعند ما رغّب خوف في السفر إلى معبد

رع سيدساخ إلبو Sakhebou التي تقع في مكان ما بالإقليم الثاني من الدلتا لم تكن المياه كافية في قناة السمكتين فقال صديقه الساحر لا تأبه لهذا الأمر : وسأتيك بمياه يبلغ ارتفاعها أربع أذرع في قناة السمكتين ، أما أرنى ، الذي لم يكن في خدمته أحد السحرة ، فقد استطاع السفر بالمركب في الموسم الذي كانت المياه فيه منخفضة . وبحيرة موريس كانت قد أعدت خصيصا لكي توفر المياه للزراعة والملاحة على السواء ، ولما كنا نجعل الطريقة التي كانت تدار بها . أما المراكب المعدة للسفر في النيل حتى بلاد النوبة ، فكانت عبارة عن منازل حقيقية عائمة . ثم إن ذهبية ، ابن حاكم بلاد كوش ، فقد كانت عبارة عن قارب طويل على شكل هلال لا يمس مقدمها ولا مؤخرها المياه (١٢) . يتوسطها صار واحد في الوسط ، ولها شراع كبير متصل بالصاري بحبال عديدة . وبدلا من دفة واحدة في مؤخرة المحرر ، توجد دفتان مثبتتا على أعمدة قوية على جانبي المركب الأيمن والأيسر ، على بعد قليل من المؤخرة . وأعدت قسرة كبيرة في وسط المركب مكانا للمسافرين ، والحق بها مكان توضع فيه الخيول . كما توجد قرنان أصفر من السابكة ، إحداهما في مقدمة المركب والثانية في المؤخرة .

ويظهر أن الممتلكات كانت مجردة تماما ، فكان الأثرياء من أهالي طيبة يمتلكون في الدلتا . كما كان آمون يمتلك مزارع بل مدنا لا في مختلف أنحاء مصر لحسب بل في بلاد النوبة وفي سوريا أيضا . وكان لمبرد أبيدوس الذي شيده سيتي Setouy ممتلكات في بلاد النوبة . وحتى يمكن جمع المحاصيل والمنتجات في مركز رئيسي ولتسهيل استيراد البضائع وتصديرها كان لزاما على هذه المؤسسات الجماعية وعلى الأفراد الأثرياء أن تكون في حوزتهم أساطيل حقيقية من المراكب الكبيرة ذات القلاع المسطحة ، من تلك التي على هيئة هلال وبها قسرة في الوسط (١٣) أو قرنان . ولا نعطينا اليقيني إلا فكرة نافية عن عدد المراكب ونوعها ، تلك التي كانت تنقل

في النيل ذهاباً وإياباً ، فاللغة المصرية تحتوي على عدد كبير من الكلمات كلها تعبر عن كلمة مركب . فالصنادل كانت تستعمل لنقل البضائع الضخمة التي تستخرج من المحاجر كذا المسلات والتماثيل الكبيرة . وقد ورد على جدران إحدى مقابر طيبة رسم يمثل لتحتشم الثالث ، وقد عومل أثناء نقله معاملة لا تقل كثيراً عما كان يؤدي للملك نفسه ، إذ وضع في تابوت لحمايته وكانت تقدم له البخور ، والمركب التي تحمله كان يسحبها جرار (١٤) وكان ثمة صنادل ليس لها قرات كانت تستعمل لنقل المواشي . كما كانت هناك مراكب ذات قرات في الوسط ، تستعمل لنقل الحبوب ، وعند ما ترسو على الشاطئ كانت توضع سقالة مائلة ، قريت بعوارض خشبية على أبعاد مختلفة ، ويصطف الخالون صفواً واحداً يلي أحدهم الآخر ويفرغون الحولة ، واسكى يرفهوا عن أنفسهم كانوا يغنون أغاني تتفق ووقع خطوتهم : « هل سنبقى طول اليوم لتفريغ الشعير والقمح ؟ الجو صحو والصرايح ملئت حتى القمة . توجد أكداس كثيرة نحتاج إلى ملئها .. المراكب مكتظة حتى أن الشعير يتساقط منها إلى الخارج — يريدون منا أن نسرع هل يظنون أن قلوبنا من معدن ؟ » (١٥) وعند ما يصل الأسطول الصغير إلى المكان الذي يقصده ، كانت توضع السقالات على حافة الشاطئ وتنزل الحيوانات وتفرغ البضائع . وعندئذ يصل التجار ويعدون مناظيرهم أو رفوفهم ويشعلون أفرانهم . وسرعان ما يحتفل البحارة بنهاية الرحلة وهم يتناولون الطعام والشراب .

٢ - السفر في الصحراء

كانت الصحراء توحى إلى المصريين شعور الخوف والرهبة . فلم ينسوا أن أجدادهم كانوا قد طافوا في عهودهم التاريخية السحيقة كل أنعام الصحراء

قبل أن يستقروا في وادى النيل ، وأن الإله مين Min أحد كبار معبوداتهم ، كان مقر عبادته في أبو Ipu و نفط Coptoi وبحكم المنطقة الممتدة بين هذه المدينة والبحر الأحمر . وكانت إقامته المفضلة في جبل مقدس منذ أقدم العصور وأول الأماكن المأهولة في أرض اختيو Akhetiou (وأخيت Akhit هي البلاد التي تقع بعيدا عن الأرض المعروفة للمصريين) وكان هذا الجبل يعتبر القصر المقدس الذي كانت تظله حياة حورس ، والعش الإلهي حيث ترعرع المعبود ومكان تسليته المقدس ، وأسعى الأماكن في الأراضى المطهرة (١٧) كانت كل أنواع الأخطار تحيق بالمسافر الذي يجرؤ على المغامرة في أرتياد هذه الأراضى المطهرة دون أن يعد العدة لذلك ، كالجوع والعطش والمقابلات المفاجئة ، مع أن الأسد الهى كان يقترب من وادى النيل ويهاجم الثيران قد اختفى تماما . إلا أن الذئب والفهد والضبع كانت لا تزال مصدر رعب للأهالى .

وقد وجد حرمحوب Horemhob نفسه . ذات يوم ، أمام ضيع قوى كبير الحجم مفترس ، ومن حسن حظ هذا المحارب القوى أنه سبق أن اتى الكثير منها وكان مسلحا ، فد ذراعه اليسرى نحو الوحش ، ويده اليمنى صوب نحوه الحربة ثم نظر إليه نظرة جعلته يتراجع القهقري ويختفى . (١٨) وكانت المنطقة التي تقع شرقى هليوبوليس ملأى بالثعابين التي تختبئ في الرمال . وكان المسافرون يلاحظون وجود كائنات غريبة في الصحراء مثل العقاب الذى يحمل رأس انسان على ظهره والفهود ذات الأرجحة وفهود لها رقاب أطول من رقاب الزرافة وكلاب الصيد ذات الأذان المربعة والذبول الصلبة كالسهم (١٩) . وكان من المألوف مقابلة بعض البدو مثل القبيلة التي تقدم بعض أفرادها إلى حاكم منات خوفاً في أحد الأيام ، وكان بعضهم

مسلمها بالأنواس والسمام وعصى الرماية ، وكان يفود النساء والأطفال شيخ وكاهن ، كان يعزف على القيثارة (٢٠) كانت هذه القبيلة مسالمة وكان مطالبها هو تبادل الحبوب نظير المدحوق الأخضر والأسود الذي كانت تعمل منهما القطرة والكحل ، ولكن بعض البدو الآخرين كانوا لا يفكرون إلا في السلب والنهب . ولحماية المسافرين ، أقيمت في الصحراء معابد صغيرة وقد اكتشف أخيراً في أحدها ، على الطريق الممتد بين هليوبوليس وشاطئ البحر الأحمر ، مجموعة تماثيل منحوتة تمثل رمسيس ، الثالث وإحدى المعبودات وقد شطبت بنقوش أخذ معظمها من نصوص قديمة عن موضوعات عديدة تقوم فيها نساء هورس بأدوار هامة (٢١) كان الأفراد يقرأون هذه النصوص لو استطاعوا ذلك أو يكتبون بالنظر إليها أو بمجرد لمسها ، ثم يستمرون في طريقهم وهم واثقون من الانتفاع برحمة الآلهة التي تسكنها للملك نفسه .

أما بعض المسافرين الذين لم يستطيعوا ذلك ، جهلاً منهم بتأمين أنفسهم بحماية المعبودات أو لعدم قدرتهم على حسن اختيار المرشدين الأكفاء ، فإنهم كانوا يضلون طريقهم في الصحراء . وقد جاء في أقوال انتف Antef ، الذي أرسل في عهد امنمحات الأول في حملة إلى محاجر بكن Bekhen : « أرسلني ، وولاي إلى روهانو لأحضر هذا الحجر العجيب الذي لم يؤت مثله منذ عهد الآلهة . لم يعرف أى صياد مكانه ولا نكن من الوصول إليه . وها أنذا قد أضيئت ثمانية أيام أطوف هذه الصحراء قبل أن أعثر عليه إلى أسجد أمام المعبودين مين Min وموت Mout الساحرة الكبيرة وجميع معبودات الصحراء . وقد أحرقت لهم البخور ، لقد أضيئت الأرض ثانية في الصباح وبدأ يوم جديد وظاهرنا على جبل روهانو الأعلى Robanou » (٢٢)

ويضيف الرئيس أن فرقته لم تشتت أثناء هذه الرحلة الوعرة ولم يصب أحد منهم بسوء في الطريق وبذلك أمكن تجنب الحوادث والعودة سالمين .

دفع هذا المهندس الملحوظ ثمناً غالياً لقاء خبرته في حياة الصحراء . ولقد أمضى الكثيرون من المصريين كل حياتهم هناك بحثاً عن الموارد الطبيعية واستغلالها والطرق التي تؤدي إليها ، كما أنهم شغلوا حبا بحياة التجول . وأحدهم سانخ Sankh الذي كان قائد شرطة الصحراء والمشرف على عمال الإقليم المصري ورئيس حملة الحراب في النمر ، فقد قاد عدداً من الحملات والبعثات وزودها بالإمدادات من قرب المياه والملابس والخبز والجمعة والخضروات الطازجة ، الأمر الذي يبدو كما لو أنه قد حول وادي روهانو Rohanou إلى مراعي خضراء ، وجبل بكن Bekhen إلى بحيرة ماء ، وكان وهو في سن الستين رب عائلة مكونة من سبعين ولداً ، مثل عائلة أيينا يعقوب ، وكان يتجول في الصحراء دائماً من طاعاوو Taaou إلى منات خوفو Menat Khoufou إلى الأخضر العظيم (المحيط) مقتنصاً خلال ذلك الطيور والحيوانات النادرة (٢٢) . وبفضل هؤلاء الرواد الذين لا يكون أصبحت لدينا خرائط مثل تلك التي يحويها متحف تورين ، والتي تعتبر بحق أقدم خرائط العالم وهي تختص بمنطقة المهاجر ومناجم الذهب التي يطلق عليها مناجم قفط . وقد رسمت الأراضي ولونت بالأحمر الفاقع بينما لونت الجبال بمسحوق حجر التوتيا الغامق ، ورسمت عليها أقدام طول الطريق لتدل على الاتجاه ، كما رسم قصر ليدل على موقع الخرائب الذي أقام فيه سيتي Setoui لوحة تذكارية . (٢١)

وقد سبق أن أشرنا إلى ما بذله سيتي وابنه من مجهودات كبيرة للبحث عن المياه في هذا البلد الظمآن والذي اشتهر بالجفاف ، ويفتخر رمسيس

الثالث دواما بأنه شيد بئراً كبيرة للمياه في صحراء أيان Ayan وأحاطها بسور متين جداً كمانه جبل شاهق . وكانت أبواب المدخل من خشب الصنوبر أما الأقفال والمفاتيح فقد صنعت من البرونز. (٢٥)

وكانت تنمو في بعض وديان الصحراء الشرقية شجرة لها قيمتها ، هي شجرة البطم * . وكان يؤخذ منها الصمغ سوتى Sonté الذى كان يحرق في المعابد والقصور والمنازل الخاصة ، ولا شك أن البخور الذى كان يرد من بلاد بونت ، كان يرضى الآلهة أكثر من البخور المحلى . وعندما اقتنع البحار الغربيون بأن الثعبان الذى يحكم الجزيرة ، التى ألقت به العاصفة عليها لم يكن متوحشاً كما كان يظهر عليه ، وعده بأن يقدم له بخور شجرة البطم (القربنتين) . واسكن الثعبان ابنتهم لسداجته وقال له : « ليس لديك الكثير من البخور بالرغم مما تمتلكه من القربنتين ، ولكن بالنسبة لى ، فإنى حاكم بونت » . (٢٦)

ولم يكن البخور متوفراً دائماً بطبيعة الحال ، فكان الصمغ يحل محله ، وعندما كان يأتى فوق الزيران المتقدمة في المباخر ينتج رائحة طيبة تشتمها في لذة أنوف الآلهة والبشر على السواء . ولم يكن من المغالاة في شيء إحراق هذه البخور أثناء ذبح الحيوانات في أفنية المعابد وحتى في البيوت ، كي تظهر الأماكن وتزيد الديدان والحشرات وزيادة في تعطير المنازل وإفاحة عيبرها . وكان النحل يتردد دائماً على غابات تلك الأشجار ، كما كان يتردد عليها نوعان من الصيادين ، أحدهما لجمع الصمغ وقطع الفسول التى يمكن زرعها في حدائق المعابد والفريق الآخر لجمع العسل البرى الذى كان طعاماً شهياً ، يستهلك بكميات كبيرة . ولقد أنشأ رمسيس الثالث فرقة من الشرطة ومن

* هي شجرة صمغ القربنتين - البخور - وطاق عليها أيضاً شجرة السمرو

حملة الأقواس لحراسة القوافل . وإليه يرجع الفضل في أن المسافرين كانوا يشعرون بالأمن في تلك الصحراء الجرداء غير المضيافة ، كما لو كانوا في تو ميري Tomery الأرض المحبوبة* .

٣ - السفر إلى جبيل

كان المصريون القدماء ، يعتبرون البحر أيوم Ioum معبوداً جشعاً . فعندما وقع بصر هذا الإله على المخلوقة الجميلة التي منحها الآلهة لبيتارو Bytaou شريكة له في حياته ، غمر الأرض لينزعها منه .

ومع ذلك ، فلم يتراجع المصريون أمام أخطار الصحراء ، وجروؤوا على مجابهة هذا الإله الخفيف . وكان لبحارتهم خبرة طويلة بشواطئ سوريا . وفي العهد الذي عاشت فيه الآلهة على الأرض كان تابوت أوزيريس ، الذي ألقاه ست في النيل ، قد عبر الفرع النديسي ودفعته مياه البحر إلى جبيل حيث ابتاعته إحدى الأشجار . واتجهت ايزيس بدورها إلى هذا المسكان العجيب ، وجلست بجوار نبع ماء أنت إليه خادماة الملكة ليلان لجرارهن ، فأخذت ايزيس تسرح لهن شعورهن وقد أضفت عليهن عبير رائحتها الجميلة المنبعثة من جسدها . أما ملكة جبيل فقد تأثرت تأثراً بالغاً بما أبدته ايزيس من طيبة خالصة ، وأعطت إلى هذه الإلهة الشجرة المقدسة التي كانت تضم جثة زوجها . وهكذا بدأت العلاقات الطيبة على أسس قوية بينهما وقد رهاها ألا تنفصم أبداً . كان المصريون يبحرون إلى هذه الميناء الصغيرة التي تسمى كبن Keben . وكانوا يحملون الهدايا إلى ملكة جبيل ، وقد شيدوا لها

* بقصد مصر .

معبداً عاونهم أهل البلد في إقامته ، كما قدموا الملك هدايا جميلة ترحيباً ببلقائه وأواني من المرمر وحلياً وتماثيل ، وكان المصريون يعودون إلى بلادهم محملين بالبخور وألواح من أخشاب الصنوبر والبلوط ومراكب كاملة العدة ، وقد كانت كلمة كبنيت Kebenit وهي مشتقة من الكلمة المصرية كبن Keben ، الاسم المصري لجبيل تدل دون غيرها على المراكب التي تمر البحار . كان المصريون والأسبيريون يشتبكون في القتال أينما تقابلوا ، في سيناء أو فلسطين أو الكرمل أو في ريتنو العليا * Retenou ، ولكن كان هناك مكان واحد في سوريا يحتنن بهم فيه : وهو جبيل ، ومع ذلك فقد حدث في وقت ما أن قتل بعض المصريين هناك ولم يكن الجناة تجارا ولا بحارة من جبيل ، بل كانوا من البدو الذين يرتادون الفيافي ، وهم الذين يترصدون دائما لمصر ويغدرون بها ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا (٢٨) .

وبمرور الزمن وسع المصريون منطقة نفوذهم وكان مبعوثوهم في الدولة الوسطى يترددون على بيروت وقطنه ** Qatna وأوجارت *** Augarit ويتركون آثارا تدل على مرورهم بهذه الأماكن على هيئة تماثيل وأبو الهول ولكن جبيل كانت دائما في المقدمة ويحتفظ بمرتبة ممتازة وكان ملكها يفتخر بأنه يحمل لقب «أمير مصر» ، وكان يخرجا أيضا بثقافته المصرية . وقد شيد لنفسه مقبرة تماثل المقابر الفرعونية أعدها طبقا للتقاليد المصرية ووضع فيها بعض الأشياء الثمينة التي أرسلت إليه مباشرة من ابني تاوي IyTaoui العاصمة المصرية . أننا نجهل ما إذا كان أهالي جبيل

* ريتنو تعني - سوريا

** قطنه - موقعها الحالي قريب من حمص - مصرية

*** أوجارت - موقعها الحالي هوراس شمرا شمال اللاذقية ، وهذا الموقع هو أقصى

ما وصل اليه الفينيقيون في الألف سنة الثانية قبل الميلاد .

قد تدخلوا عن اصدقاتهم في محنتهم أثناء غزو الهكسوس لبلادهم . ومهما كان الأمر فقد توقف السفر بطريق البحر وتساءل الأقباء عن كيفية الحصول على خشب الصنوبر آش Ach الذى كانت تصنع منه توابيت الكهنة والصمغ اللازم لتعطير تلك التوابيت . إن توقف الاتصال بهذه البلاد أتى بنتائج أخرى وخيمة : إذ أن المراكب المقدسة وصواري الأعلام التى كانت توضع في واجهة المعابد وتعلو صروحها بعدة أذرع ، وأنواعا أخرى من الآثار ، كانت كلها تصنع من خشب الصنوبر . لقد انقضى هذا العهد السكريه وحل محله عهد آخر أفضل : فعندما استردت مصر أملاكها عادت إلى الاتصال بجبيل ، ولم ينس تحتمس الثالث الوقوف في جبيل أثناء حملاته المظفورة . وحصل من حليفته على كمية من الأخشاب والمراكب تفوق ما سبق أن حصل عليه جميع الفرعنة القدماء . وعندما تأمرت سوريا ، فيما بعد ، مع أعداء مصر ، بقى ريبادى Ribaddy على ولائه لامنحتب الثالث وحليفته . وقد حفر رمسيس الثانى لوحات تذكارية على شاطئ نهر الكلب بين بيروت وجبيل وفى وادى آش Ach حيث كتب أحد رواة عصره مغامرات بيتار Bytaou ، كما أنشأ مدينة تحمل اسمه ، ووضع لوحات تذكارية في معبد جبيل . وكان ملك جبيل في وقته يدعى أحيرام Abiram وكان مثل كل رعيته يتكلم اللغة المصرية ويكتبها ، أما اللغة الأصلية فكانت تكتب بحروف أبجدية تعتبر تبسيطاً للهيراطيقية (٢٩) ويحتمل أن يكون اقتباسها قد تم في جبيل نفسها .

كان الفرعنة المحاربون في الأسرة الثامنة عشرة يصرون على أن يمر رسائلهم بجميع أرجاء سوريا دون أن تعترضهم أية مضايقات . وكان هؤلاء الرسل يستقبلون استقبالا طيبا في جبيل ، ولكن فيما بعد ، في آخر عهد

الرعامسه وفي أوائل الأسرة التاسعة عشرة تغيرت الأحوال ، فالملك زكر بعل Zékerbaal الذى خلف بعد زمن طويل ملك كاندر Melandre ، الذى كان قد أحسن معاملة إيزيس ، لم يتردد فى أن يعرض على الرسول المصرى أن يريه مقابر عدد كبير من رسل خايم حات Khaemhat عاشر ملوك الرعامسه ، أولئك الذين ماتوا فى جبيل ، بعد أن قضوا مدة طويلة فى الاسر (٣٠) . أما أونامون Ounamon فقد كان أسعدهم حظا ، إذ حصل بعد صبر طويل على التصريح له بالخروج من الميناء ومعه حمولته من الخشب ، ولكن ذلك التوفيق يرجع إلى رعاية آمون حامى الطرق الذى كان أونامون يحتفظ بتمثاله ضمن ما كان معه من متاع .

على أنه ينبغي أن نذكر ، ان حالة أونامون كانت حالة خاصة نوعا ما ، فعندما ما كلفه كاهن آمون الكبير بإحضار الأخشاب اللازمة للمركب المقدس المسمى آمون أوسر حات Amonousirhat التى كانت تخرج عباب النيل أثناء فصل الفيضان ، بين الكرنك والأقصر وسط هتاف الشعب المتحمس ، توجه أولا إلى تانيس لدى سمنديس Smendes وزوجته تنتامون Tentamon اللذين كانا الحكام الحقيقيين للبلاد قبل أن يعترف بهما ملسكا ومالكة عليها . وقد أعدت له مركب تحت قيادة من يدعى منجابوتى Mengabouti . وبعد أسبوعين تقريبا وصل إلى بحر سوريا الكبير وتوقف فى مدينة دور Dor إحدى مدن شعب الصقال Sakkaes ، وبينما كان ينقل إلى مركبه الإمدادات المسكونة من عشر سلال من الخبز ، وإناء واحد من الخمر وكثف بقرة ، هرب أحد بحارته ، ومعه السكين المسكون من : ٥ و زناات دين من الذهب و ٣١ وزنة من الفضة . وقد تأثر أونامون كثيرا ، فرسا على الشاطئ وذهب إلى باديل Badil ملك البلاد وأخبره بما حدث : فأجابه حاكم شعب الصقال :

« سواء رضيت أو لم ترض ، فإنى لا أعرف شيئا عما تحدثنى عنه . وإذا كان اللص الذى كان فى سفينتك وسرق مالك ينتمى إلى شعبى ، فسوف أعوضك عن خسارتك من مالى حتى نقبض على اللص نفسه ، ولكن إذا كان اللص الذى استولى على مالك من رجالك فامسكك هنا بضعة أيام حتى نبحث عنه ، » كان معنى هذه الإجابة واضحا . فبعد تسعة أيام لم يعثر لا على المال ولا على اللص . وقد نجح أونامون فى اقتراض ٣٠ وزنة دين من الفضة وأبحر إلى جبيل فى مركب وجدها فى صور .

ورفض الملك ذكر بل مقابلته لمدة تسعة وعشرين يوما ، ولكنه قرر مقابلة أخيرا عندما أمره آمون إله طيبه بذلك على لسان أحد رجال حاشية ذكر بل الذى قبض عليه وأصدر إليه الأوامر الآتية : « احضر المعبود هنا واحضر رسول آمون الذى معه . ابعث به إلى ودعه يرحل ، »

وفى اليوم التالى صعد أونامون إلى القصر ووجد الملك جالسا على عرشه وقد أوى ظهره للشرفة ، التى كانت أمواج بحر سوريا الكبير تتلاطم خلفها . وكانت المقابلة خالية من الود ، وقد أدانت الحقائق أونامون فبدلا من أن يذهب كرسل رسمى فى إحدى سفن سمندس ويظهر أوراق اعتماده ، فإنه توجه إليه دون أن يحمل أية أوراق رسمية مستقلامركبا عاديا مصادفة . ومع ذلك نجح أونامون فى شرح موضوع مهمته قائلا إنه جاء للبحث عن أخشاب الفلك المقدس آمون رع سونتير Amourâsonter فرد عليه الملك : « كان أهلى ينفذون فيما مضى هذه التوصيات لأن فرعون له الحياة والصحة والقوة أحضر ست مراكب محملة من خيرات مصر ويبحث فى مخازنى . فهل أنت الذى ستدفع لى استحقاقى ، واستمرت المناقشة على هذا النحو ، لقد أخضر فرعون كشف الحساب وأمر بقرائه فى حضورى وقد وجد فى دفتاره ألف

وزنة دين من الفضة ثم قال لى : لو كان ملك مصر مولاي ولو كنت خادما له لما أرسل الذهب والفضة قائلا : نفذ طلب آمون دون أن تقدم له عطايا لأن هذا هو ما فعله لوالدى. ولكن بالنسبة لى فإنى قطعاً لست خادما لك ولا للذى أرسلك . . . ، فأجابه أونامون وهو يؤكد قوة آمون رع سونتير إله الحياة والصحة : إنه إله آبائك الذين قضوا مدة حياتهم فى خدمة آمون ، وأضاف : « وأنت أيضاً خادم آمون . . إذا قلت أنا سوف أعمل . . أنا سوف أعمل لخير آمون ، وإن أنت اهتممت بأمره ، فإنك سوف تعيش سلباً وفى رغد من العيش متمتعاً بصحة جيدة وسوف تكون باراً بالبلد كله ، وسوف يتمنى لك رجالك أن تنعم بركات آمون رع سونتير ، وبعد تبادل هذه الآراء شحن زكربعل فوق سفينته أخشاباً لمقدمة مركب ومؤخرتها وأربع كتل وقطعة أخرى ، وأرسل كل ذلك إلى مصر مع خطاب من أونامون ، عندئذ أرسل سمنديس وتنتامون بضائع وذهباً وفضة . وأيضاً ما يلزم لأونامون شخصياً من ملابس وطعام . وقد سر المملك . وبصرف النظر عن تمنيات آمون التى أراد الرسول أن يكتبنى بها الملك ، وبدون أن يبدى اهتماماً بتهديداته فقد أمر أن تنقل البضائع المصرية إلى المخازن ، وعين ثلاثمائة رجل ومثلها من الثيران ورؤساء عليهم ، ثم قلع الأشجار وسحبت بعد انتهاء الشتاء إلى الشاطئ . ويلوح أنه لم يكن أمام أونامون إلا أن يرحل ومعه أخشابها ، ولكن لم تجر الأحوال بهذه السهولة ، وجد زكربعل أنه لم يدفع له مبلغاً كافياً . ثم يطلب منه أونامون — فى لهجة جادة — أن يحفر على لوحة تذكارية : « أرسل إلى آمون رع سونتير رسوله ، آمون حامى الطريق ، له الحياة والصحة والقوة . مع أونامون رسوله الأدنى طالباً أخشاباً للمركب آمون رع سونتير المقدسة ، لقد قطعت الأخشاب وشحنها فوق السفينة . وقد تم نقلها بواسطة مراكبي ورجالى ، لقد أمرتهم أن

يبحروا بها إلى أرض مصر لينجى آمون خمسين عاما من العمر ، أكثر مما هو مقدرى . هكذا يكون . ثم يضيف أونامون المحب للزواج : « وعندما يقرأ أى مصرى اسمك مدرنا على هذه اللوحة فإنك سوف تنال المياه المقدسة من أمنتيت Amentit ومن كل الآلهة الموجودة هنا » .

وصرح ملك جبيل ، المقلوب على أمره ، بأن هذا عدل ووعد أونامون أن كبير كهنة المعبود آمون ، بعد أن يطلع على تقريره سوف يرسل إليه بعض الهدايا .

ويستنتج المعلقون المعاصرون من هذه الواقعة أن مصر كانت ضعيفة وفي حالة يرثى لها من المهانة في عهد سمندس . والواقع أن فرعون ، حتى في عنفوان قوته ، لم يعتبر ملك جبيل تابعا له أو مغلوبا على أمره ، يجب عليه أن يسلم أخشابه دون ثمن ، وكان على الرسول المصرى أن يتقدم بخطاب رسمى ومعه ذهب وفضة وبضائع ، وبعد أن يتسلم ملك جبيل هذه العطايا ، وافق على إعطاء الخشب . وبعد ذلك يمكن تبادل البركات وعبارات الشكر . وكان فرعون يزود رسوله ببعض الهدايا التى كانت لا تكفئه شيئا مثل التماثيم وتمثاله . ويتسلم ملك جبيل هذا التمثال نفورا به ويحفر عليه بالكتابة الفينيقية التمنيات بأن تطيل معبودة جبيل سنوات حكمه . وقد استمر هذا التقليد متبعاً منذ زمن الآلهة .

وبعد أن ترك أونامون ميناء جبيل تخلص من مضايقات شعب الصقال الذين كانوا يترصدونه ، ولكنه وقع في أيدي أهالى جزيرة قبرص الذين أرادوا قتله . ولما كانت نهاية البردية ممزقة فلم نعرف بالضبط كيف تخلص من هذا الخطر الجديد ، وثابت أنه تمكن من النجاة . وقد عرفت شعوب البحروبدأ الناس يتحدثون عنهم في عهد رمسيس الثانى ومنذ ذلك الوقت أصبح

وجودهم خطراً جديداً يهدد البحارة المصريين، ولـكن لم تتوقف الحركة أبداً. ولدينا شاهد مصريح على ذلك يرجع إلى عهد رمسيس الثالث. « لقد أمتك (لآمون) مراكب ووسائل نقل ومراكب كبيرة ذات أقواس وسرودة بما يلزم لها من أدوات لتمخر عباب البحار . وقد زودت المراكب برؤساء من رماة السهام وربابنة مصحوبين بعدد وفير من الرجال يفوقون الحصر ، لنقل خيرات بلاد فينقيا والبلاد الأجنبية في أطراف المعمورة إلى مخازنك العظيمة في طيبة المنتصرة » . (٣١)

وجدير بالذكر أن فرعون لم يعتمد على آمون وحده . فقد أرسل فرقاً من رماة السهام تحت قيادة حكيمة ، أحسن تسليحهم وكان واجبهم حماية المراكب ضد كل عدوان والعمل على احترام مبعوثيه عندما يكونون فوق اليابسة .

٤ — السفر في البحر الأحمر

كانت بلاد بونت هي هدف السفر في البحر الأحمر ، وتقع خلف بوغاز باب المندب على ساحل الصومال وساحل بلاد العرب الذي يواجهها ، كانت هذه هي بلاد البخور واللبان الطيب الذي عرفناه في قصة البحار الفريق أعلن عن نفسه أنه حاكم بلاد بونت أيضاً وفي نفس الوقت سيد البخور أنتي Anti .

وكان المصريون يترددون على بلاد بونت منذ عهد الآلهة . وقد نظموا في عهد الدولة القديمة خطأ ملاحياً يربط جبيل ، على ساحل سوريا إلى شاطئ بلاد بونت أي من مدرجات أشجار البلوط إلى مدرجات شجر البخور (٣٢) وتبحر المراكب من جبيل حتى تصل إلى الشواطئ المصرية ثم تسير في

الفرع التنيسى للنيل حتى ببوسطة وتصل ببوسطة قناة إلى وادى الطوميلات الذى يمكن أن يعتبر أقصى الفروع الشرقية لنهر النيل . ولم يكن الوادى صالحاً للملاحة طول العام ، واسكن فى زمن الفيضان ، عندما ترتفع فيه المياه يمكن أن تسير فيه المراكب المصرية ذات الغاطس غير العميق ، وتصل هذه المراكب إلى خليج السويس بعد أن تعبر البحيرات المرة ، وتستمر فى رحلتها البطيئة حتى بلاد بونت ، والبدو الذين يعيشون فى الصحارى والذين عرفوا بضراوتهم كانوا ينقلون المسافرين والبضائع بالطريق البرى من سوريا إلى بلاد العرب قد حاولوا دائماً عرقلة سير الخط الملاحى ، وقد شن بيبي الأول Pepi I عدة حملات حربية ضدهم ، ولكن محاولاتهم العدوانية قد عادت من جديد ، ويظهر أنه بعد حكم بيبي الثانى ، توقفت هذه الرحلات بعض الوقت ثم استؤنفت ثانية فى عهد الدولة المتوسطة ، ثم توقفت أثناء احتلال الهكسوس ثم بدأت الرحلات تعود إلى ما كانت عليه ، فى عهد الملكة حتشبسوت وحافظ على ذلك نحتمس الثالث وأمنحتب الثانى وحرعب ورمسيس الثانى ورمسيس الثالث (٢٣) ولأجل ربط عاصمة ملكه فى الدلتا بالبحر الأحمر أثناء حفر رمسيس الثانى قناة البحرين التى كلفته نفقات باهظة . وقد وجدت بقايا هذه القناة أثناء حفر قناة السويس الحالية . وعلى طول القناة كانت توجد مدن فى رمسيس وبوسطة وببشوم كما أقيمت بعض لوحات تذكارية من الجرانيت فوق قواعد عالية لتبين للمسافرين فى البحار المأخوذ من العجب مدى عظمة الملك و ضخامة مشروعاته الجارية (٢٤)

ولنفترض أن المراكب التى وصلت من سوريا قد أفرغت حمولتها من المسافرين والبضائع على أرض صفة مدينة فى رمسيس وستشحن حملة أخرى إلى بلاد بونت ، فهذه عادة مراكب كبنت Kebenit أى أنها من طراز

جبيل ، شيدت إما في جبيل نفسها ، ويعت للمصريين بواسطة اللبنانيين ، وأما أنها قد شيدت في الأحواض البحرية المصرية ، على طراز مراكب جبيل واسكن من خشب استورد من سوريا . ولدينا رسمان للمراكب يرجع أقدمهما إلى عهد ساحورع Sahoure ويرجع الثاني إلى عهد الملك حتشبسوت* (٢٥) . على أنه خلال هذه الفترة التي يبلغ مداها أكثر من ألف عام لم يتغير شكل المركب تقريباً . فميكال المركب عال . في مقدمته كبش ينتهي بانحناء وينتهي على هيئة مظلة كبيرة ، وفي المؤخرة مرتفع ينحني إلى الداخل وتنتهي الرأس على هيئة البردي . وفي كل من المقدمة والمؤخرة نقطة للملاحظة ، وعلى جانبي المركب دفتان على مقربة من المؤخرة . ويربط حبل كبير قوى هيكل المركب التف على أوتاد أربعة أعمدة . وللمركب صار وحيد في الوسط ثبت عليه شراع من قماش عرضه أكبر من طوله وتتحكم فيه أربعة حبال . وعدد البحارة كبير فعندما تهدأ الرياح ولا تؤثر على الشراع يقوم البحارة عندئذ بالتجديف .

وهؤلاء البحارة محنكون . دإنهم رجال رأوا السماء ورأوا الأرض ، يتسمون بحرص الوحوش الضارية يمكنهم التنبؤ بهبوب العاصفة ، وكان يسافر معهم يمثلون لجلالة الملك وبعض الكتتاب والجنود ويشحنون المراكب بالمحاصيل المصرية الطيبة التي يقدرها تماماً أهالي بونت مثل الملابس وأدوات الزينة والمرايا والأسلحة . وتسافر المركب بعد أن يودع الملك القافلة . وتسير في القنوات وتمر ببثوم حيث يبذل العبرانيون الجهد الكبير في صناعة القرميد ثم يصلون إلى البحر الكبير** .

* يرجع عهد ساحورع إلى عام ٢٥٠٠ قبل الميلاد وحتشبسوت إلى ١٥٠٠ قبل الميلاد

** البحر الأبيض المتوسط

وعلى أحد شاطئيه أراضى الآلهة رأى أحد الراصدين المراكب المصرية وأعلن عن وصولها فخرج الملك والملسكة والرؤساء من الأكواخ المقامة فوق أعمدة على سطح البحيرة واعتلوا ظهور الخيل ليروا المصريين . وهم مثل المصريين ضخام الأجسام ، عراض الأكتاف ، ودؤوسهم مستديرة وذقونهم مضغوطة ، مثل صفائر الآلهة والفراعنة في وادى النيل ، والفرق الوحيد أن ذقونهم طبيعية بينما ذقون المصريين مستعارة . وتتدل من أعناقهم حلقات مستديرة على مثال ما هو متبع عند السوريين . وهىئة الملكة عجبية ، فهى عبارة عن كتلة من اللحم المكتظ ويعجب الإنسان كيف تستطيع أن تتحرك ، وابنتها ولو أنها شابة صغيرة فإنها لا تختلف عنها كثيراً وتكاد تضارعها فى الحجم وقد لحظ الرسامون المصريون كل هذا العالم الجديد عليهم بكل ما أوتوا من مواهب ودقة ملاحظة ، ولكن هل سجلوا مستقبلهم خلسة رسماً كروكيا على قطعة من ورق البردى ، أم أنهم قد ثبتوا المنظر فى ذاكرتهم ورسموه بعد أن عادوا مطمئنين إلى المركب تذكارا لرحلتهم . وعلى كل حال ، فقد رسموا لهم لوحة رائعة وسجلوا فى إخلاص عجيب كل ما هو جدير بالتسجيل مثل الملك والملسكة والقرية والآلهة ، كما رسموا الأسماك والمحار .

وسرعان ما أقيمت خيمة تبودلت فيها تحبات الوصول ويعبد الآلهة بكل تقوى ، آمون رع المعبود الأزل الذى يزور الأراضى الأجنبية . وكانوا كلهم سعداء برؤية المصريين ، ويعرفون جيدا ماذا يريدون ، ولكنهم تصنعوا الاستغراب وسألوه : لماذا جئتم إلى هذه البلاد غير المعروفة للناس ؟ هل نزلتم من السماء ؟ هل جئتم بالطريق البحرى أم بالطريق البرى ؟ ما أشد خصوبة أرض الآلهة ، التى تطأها أقدامكم . إنه رع ملك توميرى ، لا يوجد عرش بعيد عن جلالته ، نحن نعيش على النسيئة التى يمنحها لنا جلالته . .

وتنفيذاً لأوامر القصر (المهرى*) له الحياة والصحة والقوة ، يقدمون للحكام خبزاً وجمعة ونيذاً ولحماً وفاكهة وكل الأشياء التى فى توميرى . وهاك قائمة بما سوف يشحن على مراكب المصريين ، وهم لا يخسرون فى المبادلة شيئاً :

أجمل جذور أشجار تنوتير Tonoutir الطيبة - كميات وافرة من بذور أشجار البخور - شتلات خضراء من أشجار البخور ، خشب الأبنوس والعاج ، ذهب عامو Amou الخام ، ثلاثة أنواع من الروائح العطرية هى : تشيبس Tichepses وخاسيت Khasyt وراحت Ihmet والتربتين وكحل أسود ونوعان من الفسانيس ، وكلاب صيد ، وجلود فهد الجنوب وعبيد وأولادهم . وكانت كل هذه الأشياء ثمينة جداً ، ولكن القوافل التى تأتى من النيل الأعلى كانت تحمل أيضاً الأبنوس والعاج وجلود الفهود ومنتجات أخرى ، ولكن الشيء الذى لم تحضره والذى يستحق مشاق الرحلة ومخاطرها كانت أشجار تنوتير وحببات البخور وفوق هذا أشجار البخور وعددها واحد وثلاثون والثى كانت مغلفة كما لو كان قد قام بتجهيزها أمير هستانى فى فرنسا - لأن الأشجار كانت عالقة بها جذورها والتربة التى تنبت فيها .

ولا نعجب إذا كان المسافرون السعداء قد استقبلوا بكل حماس وترحاب لدى وصولهم إلى رصيف أبيت إيسوت Apit-esout (السكرنك) ، والمحاولون الذين يسعدهم أن يجهدوا أنفسهم فى خدمة الملك يتحدثون إلى الأشجار الخضراء كأنما يتحدثون إلى كائنات مقدسة قائلين لها : دكونى

معبدة معنا يا أشجار البخور ، التي كنت في بلاد تنوتير ، في مقرك الجديد بين أملاك آمون ، سوف تزرعك المملكة ما كارع في حديقته على جانبي معبدها كما أمرها بذلك أبوها .

وقد سأل أهالي بونت زائرهم عما إذا كانوا وصلوا بالطريق البرى أو بطريق البحر ، فلو وصول فعلا من مصر إلى بونت كان يمكن اختيار أحد الطريقين ، وقبل عهد الرعامسة وحتى قبل عهد المملكة حتشبسوت ، في عهد الأسرة الحادية عشرة ، سافر أحد الرواد المسمى هينو Henou من مصر إلى بونت ، وعاد منها متخذاً الطريق البرى أحيانا ، وأحيانا في مركب . وقد كلفه مولاه بشراء بخور طازج لمشايخ الصحراء وكان عليه أيضا أن يشيد بقوة فرعون ويجعله مهاباً ، لذلك كان الهدف من رحلته تحقيق غرضين : الأول تجارى والثانى سياسى ، إذ قال : « رحلت من قفط متتبعا الطريق الذى رسمه جلالة الملك . ورافقنى جنود ينتمون إلى الجنوب فى أملاك أوابوت Ouabout من جبلين إلى شايبت Chabit وكان كبار الموظفين المالكين وأهالى المدينة والريف يتجمعون ويسبرون خلفى ، وكان جنود الطليعة يفتحون الطريق أمامى لى يقضوا على أعداء الملك . وقام أبناء الصحراء بحراستى ، وكل هيئة موظفى ديوان جلالته كانت تحت إدارتى ، وكانوا يتراسلون بواسطة الرسل ، وتجرد أمر واحد يصدر يجب جلالته الملايين . »

وقمت مع جيش تعدادة ٣٠٠٠ رجل ، غيرت الطريق البرى إلى الطريق النهري وغيرت البلاد الحمر (الصحراء) إلى أرض الأعشاب ، وكنت أمنح قرية ماء وعصا وجرتين من الماء وعشرين رغيفا يوميا لكل رجل وكانت

الجرار تحمل الجرار ، وإذا تعب أحدها حل محله آخر ، وقد حفرت في الوادي اثنتي عشرة بئرا وبئرين في اداحت Idahet سعة كل منهما عشرون ذراعا في ثلاثين . كما حفرت بئرا آخر في اياحتتبتيت Iaheteb وكان سعتها عشر أذرع من كل جانب عند نقطة تجمع المياه .

« وهكذا وصلت إلى البحر الكبير ، بنيت هذا المركب وأنمت شحنها بكل شيء ، وقدمت له ذبيحة كبيرة من العجول البرية والعجول الأفريقية والماشية . وبعد أن ذهبت إلى البحر الكبير نفذت ما أمر به جلالته وحملت له كل المحاصيل التي وجدتها على شاطئ أرض الآلهة (توتوتير Tonoutir) . ثم عدت بطريق واج Ouag وروهانو Rohanou وأحضرت معي أحجارا رائعة لمائيل المعابد ، ولم يسبق أن أرسل إلى القصر الملكي ما يماثلها كما لم يسبق أن قام أحد بمثل هذه المهمة من معارف الملك منذ عهد الآلهة . » (٢١)

ومن هذا يتضح أنها رحلة على نطاق واسع . فقد قطع هينو الصحراء ومعه ٣٠٠٠ رجل بإرشاد أبناء الصحراء المتصلين بالقصر ، واتجهوا نحو الجنوب الشرقى بدلا من ارتياد الطريق العادى المتجه رأسا نحو الشرق وقد اشتغلوا جميعا في حفر الآبار حتى وصلوا إلى المنطقة الساحلية حيث أنشئت فيما بعد ميناء برنيكا Bèrenica الصغيرة ، هناك بنوا مركبا ، كما يؤكد ذلك بالأدوات المستوردة من لبنان والتي وصلت بطريق البحر . وقد وصلوا إلى بلاد بونت وزاروا شاطئ أرض الآلهة واشترى هينو البخور وكل منتجات هذه البلاد . وفي العودة وصل بالطريق البحرى إلى القصير حيث اخترق وادى روهانو وتوقف لا يستريح ولكن لإعداد شحنة مركب من أحجار تصلح لمصانع النقش والنحت وقد انتفع هينو من خبرته وأمضى وقته على خير وجه واستحق أن يسجل اسمه مع قدامى الرواد والمكتشفين

فى التاريخ . وعندما حاول الرومان ايليوس جالوس Aelius Gallus الذى عاش فى عهد أغسطس أن يقتدى به ويقوم بمثل رحلاته لى أشد العناء. (٢٧)

وانتفعت بهذه الخبرات الحملات التى نظمت فى عهد رمسيس الثالث إلى بلاد بونت متخذة الطريق البحرى ، وقد نظم هذا الملك البعثات وزودها بوسائل قوية فكان الأسطول يتكون من مراكب كبيرة ، كثيرة العدد ومراكب للحراسة يتكون أفرادها من بحارة وحملة الأقواس ورؤسائهم وأفراد الإمدادات ، وقد شحنوا معهم كميات وفيرة من الطعام والماشية والبضائع لأجل إطلاع رجال الحملة ، ولغرض التبادل فى المعاملة وطبقا لما ذكره المؤرخ المسجل المصرى ، لم يسافر هذا الأسطول من البحر الأحمر ولكن من بحر موقيدى Mouquedi وربما لم يكن غير الخليج الفارسى لأن موقيدى ، مياه بلاد قيدى ، فى بلاد النهرين Naharina كان هو الاسم الذى أطلقه المصريون على نهر الفرات. (٢٨)

ويمكن أن يكون رمسيس الثالث قد وفق فى جذب خشب الأرز من لبنان ونقله إلى الفرات كما سبق أن فعل تحتمس الثالث (٢٩) وشيد أسطولا على شواطئ هذا النهر . وربما اتفق مع ملك بابل وأبرم معه معاهدة تقضى بأن تسمح لأفراد قواته وموظفيه بمجرد أن تصل إلى الفرات أن تعبده وأتمام الرحلة على مراكب بابل . ومهما يكن الأمر ، فإن الأسطول الذى يحمل مبعوثى رمسيس الثالث كان يتعين عليه أن يمر عبر عباب نهر الفرات ويدور حول شاطئ شبه الجزيرة العربية حتى يصل إلى بلاد بونت دون أن يتعرض لأحداث بفضل النفوذ والخوف الذى يثيره اسم فرعون .

وكانت الأحوال وقتئذ تسير ، كما كانت عليه فى عهد الملكة حتشبسوت ، فكان المصريون على علاقة طيبة بالآلهة ، يعطونهم هدايا فرعون ثم تعود

المراكب والسفن محملة بمنتجات تونوتير Tonotir وبالعجائب الخفية التي توجد في جبالهم ، دون أن ينسى بصفة خاصة ، حبات البخور الجافة ، ثم يمشون البحر الأحمر حتى خليج السويس حتى يصلوا إلى وادي النيل عن طريق قناة بيتوم ، وفي هذا الوقت كان أبناء زعماء أرض الآلهة (تونوتير) ينزلون من المراكب قرب مينائي برينكا أو القصير ومعهم منتجاتهم ، ويسيرون على هيئة قافلة حاملين بضائعهم على ظهور الحمير وعلى أكتاف الجمالين ، ويصلون في حالة جيدة إلى جبل قفط ومنها يركبون القوارب النهرية حتى يصلوا إلى طيبة في حالة معنوية جيدة وكما لو كانوا في أعياد . . . انتهى الملك حديثه : « عرضت أمامي المنتجات والعجائب ، وكان أبناء أمرائهم يحبون وجهي ويقبلون الأرض وينبطحون على بطونهم أمامي . لقد أعطيتها لمجموعة الآلهة الكبرى والآلهة البلاد كلها ، لكي أرضى أمراءهم في الصباح . »

ويمكننا أن نفترض ، وإن لم يكن هذا قد ورد صراحة ، أن رجال القافلة قد وصلوا إلى قفط أو إلى طيبة في نفس الوقت الذي وصل فيه الذين أتوا الرحلة بطريق البحر ، « وإن قرار استخدام وسيلتي انتقال للرحلة كان الغرض منه زيادة ضمان الحصول على منتجات هونت ، إذ أن مخاطر الرحلة بطريق البحر كانت كثيرة ، فكم من مركب ابتلعها اليمّ برجالها وشحناتها ، دون أن يذكر أحد من الناجين كيف ألم بهم هذا ، كما يقول الشاعر الغريق : « هبت العاصفة علينا ، عندما كنّا في عرض البحر الكبير ، قبل أن فصل إلى اليابسة ارتفعت الرياح وتضاعفت قوتها وارتفعت الأمواج ثمان أذرع ، وقد أمسكت بلوح من الخشب وهكذا غرقت وهدمك المركب وكل الذين كانوا بها لم ينج منهم أحد . »

كانت هذه رحلة بهيجة ، ولكن المصريين في عهد رمسيس الثانى قاموا
برحلات أبعد منها بكثير وأجرأ تحدث عنها الرواة الكلاسيكيون :
فالمصريون قد استعملوا منذ أقدم العصور حجر اللازورد الأزرق الذى
لا يوجد فى صحراء أفريقيا . (٤٠) وكان مصدره الوحيد المعروف فى العالم
القديم هو بلاد باكتريان Bactriana التى يربطها الطريق البرى لسوريا ومصر ،
وربما كان أيسر من طريق نهر السند حتى المحيط ثم الشاطئ حتى مصب
نهر الفرات وهو الطريق الذى اتبعه نيارك Néarque دون شك . ولم يذهب
المصريون رأساً إلى البلاد التى تنتج اللازورد بحثاً عنه ، بل اكتفوا بشرائه
من بلد كانت تسمى تفرير Tefrer (٤١) والتى اعتقد فى شيء من الثقة أنها
سيبار Sippar التى تقع تماماً على قناة تربط نهر المدجلة بنهر الفرات عندما
يقتربان جداً فى تلك المنطقة . وكان من المعروف فى مصر أن مصدر حجر
اللازورد هو تفرير ، وإن اسم هذه المدينة كان يطلق أيضاً على حجر مصدره
نفس المكان ولا يعرف شيء عنه .

وحدث فى إحدى السنوات عندما كان فرعون فى بلاد نهارينا وكان
مشغولاً بتلقى تحيات الأمراء الأجانب أن رأى ملك باختان وملك باكتريان
شخصياً آيين إليه ، وقدم له الأخير ابنته وهدايا قيمة ، والتمس منه أن
يتحالف معه ، فقبل فرعون هذا العرض وعاد ومعه الأميرة إلى طيبة .
وبعد زمن قليل جاء رسول من قبل ملك باختان وطلب المثل بين يدي
فرعون ، وبعد أن أذن له بذلك أخبر فرعون أن أخت الأميرة مريضة .
فبعث فرعون إلى بلاد باختان بأشهر أطبائه من قبل « بيت الحياة » ، ولكن
الأميرة لم تشف من مرضها . وقدم رسول آخر وقطع الطريق الطويل بين
باختان ومصر . ونظراً لأن الطبيب لم ينجح ، لم يكن ثمة بد من إرسال إله ،
إلى بلاد باختان ، ووقع الاختيار على خفسو المعبود الذى ينظم المصائر ،
(١٧ م — المائة فى مصر)

فاستقل مركباً كبيراً نحره خمسة مراكب صغيرة ، ووصل إلى باختان بعد سنة وخمسة أشهر ، وتبدر هذه الفترة طويلة وغير معقولة إذا لم نعرف أن هذا الأسطول الصغير قد اخترق كل البحر الأحمر ودار حول شاطئه بلاد العرب ، متقبلاً شاطئه بلو خستان وصعد نهر السند إلى نقطة نزل المسافرين فيها ليصلوا إلى قصر ملك باختان . وقد بقي الإله ثلاث سنوات وتسعة أشهر في هذا القصر . وبعد ذلك سمح الملك وهو شديد الأسف بأن يعود إلى مصر وهو محمل بالهدايا تحف به ثلة من الجنود الأقوياء والخيول . وقد وصل الرسول الأول من باختان إلى طيبة في السنة الخامسة عشرة من حكم فرعون ، وعاد الإله إليها في السنة الثالثة والثلاثين . وفي خلال هذه الفترة ، الثمانية عشر عاماً * ، تمت الرحلة الأولى للرسول وعودته مع الطبيب المصري وكذا الرحلة الثانية وعودته مع الإله ، وأخيراً بعد ثلاث سنوات وتسعة أشهر انتظاراً ، تمت عودة الإله إلى مصر ، فالمسافة بين طيبة وباختان قد قطعت خمس مرات . . . وتعتبر لوحة اللوفر التي سجلت عليها هذه الوقائع وثيقة رسمية في كل مظهرها (١٢) والأسماء الثلاثة الأولى التي وردت في مقدمتها هي الألقاب الملكية لتحتتمس الرابع أول ملك في الامبراطورية الحديثة تزوج أميرة أجنبية ، بينما اللقبان الملكيان يمثلان أسماء رمسيس الثاني ، وليس ثمة مبرر كما اعتقد أن يعد هذا المستند من العصر المتأخر أر أن تعد هذه القصة مخترقة من أساسها ، فكثيراً ما كان الملوك في العصور القديمة يتراسلون ، كما كان الأطباء

* بين السنوات ١٥ ، ٢٢ من حكم فرعون .

المصريون يطلبون كثيرا ليعالجوا المرضى في الخارج. (١٣) وكانت ذكرى رحلات سيزوستريس Seosstris في بحر أريريا ، لا تزال تذكر في عصر الإسكندر الأكبر . (١٤)

ومن المحتمل أن يكون رمسيس قد أراد أن يتصل رأساً بالبلاد التي كانت مصر تحصل منها منذ أقدم العصور على أحجار كريمة كان المثالون وعامة الشعب يقدرونها حق قدرها .

الفصل الثامن

فرعون

١ — واجب الملوك الأسمى

كان فن تعايش الأهل في المجتمع في مصر يخضع لقواعد ذات طابع خاص . فإن كانت الآلهة هي التي أقامت كحاكم له الحياة والصحة والقوة ، شخصاً يستمد منها كيانه ، عمت البلاد أسباب السلام والرخاء ، وارتفعت مياه الفيضان السخية ، ونمت الغلال والشعير ، ونسكثرت قطعان الماشية وتدفقت على البلاد الذهب والفضة والنحاس والأخشاب الثمينة والعاج والبخور والعطور والأحجار المختلفة من أربعة أركان العالم .

ويتغير هذا الوضع كله إذا لم يتوافر هذا الشرط الأساسي ، فنصبح أرض مصر في مهب الريح ، وتسود الفوضى البلاد لأن كل فرد يريد أن يتولى فيها الحكم ، فيقتل الأخ أخاه ، وسرعان ما يصبح الأجنبي هو الحاكم . ويأله من عار ، فيحجم نهر النيل عن غمر الأراضى ولا يمجّد الشعب أقوانه ، ولا يرد شيء من سوريا أو من كوش ، ولا تقدم القرابين في معابد الآلهة التي تعرض عن كفر بها .

إن الواجب الأول لفرعون إذن ، هو أن يعترف بجميل الآلهة ، سادة كل شيء ، وكان من المألوف أن ينقش في بدء نصوص عدد كبير من اللوحات الرسمية أن جلالتة أقام في منف أو في أون (عين شمس) أو في نى رمسيس أو في طيبة ، مشغولاً بعمل كل ما يرضى الآلهة ، مثل ترميم مآبدهم وتشديد

هياكل جديدة أو تقوية الأسوار التي يحيط بها وحشدها بالتماثيل وتجديد
أثاثها ، والمراكب المقدسة وإقامة المسلات وتزيين المذابح وموائد القرابين
بالأزهار ، وبسجاء يفوق كل من سبقه من الملوك .

فلنستمع صلوات واعترافات رمسيس الثالث : « لك التمجيد أيها الآلهة
والمعبودات ، سادة السماء والأرض والمحيط ، ما أعظم خطواتك في فلك
ملايين (السنين) إلى جانب أبيهم رع الذي يفعم قلبه سروراً عندما
يشاهد كلهم فتسعد بهم أرض توميري Tomery * . إنه (رع) لسعيد ..
لقد استعاد شبابه عند رؤيتهم عظماء في السماء .. أقوياء على الأرض ..
يمنحون النعمة للأنوف المزكومة .. »

إني ابنكم صنعة ذراعكم .. لقد أقمتموني ملكاً له الحياة والصحة
والقوة على كل الأرض . ولأجل صنعتكم الكمال على الأرض . إني أودى
وظيفتي في سلام ولا يالو قلبي جهداً عن البحث عن كل ما هو نافع وضروري
لصالح هياكلكم . وقد وهبتها بمقتضى قرارات سامية دونت في كل أبهاء المعابد
المنقوشة ، الرجال والأراضي ، وقطعان الماشية والمراكب . وتمخر صنادلهم
عباب النيل ، وعممت الرخاء في هياكلكم التي كانت خربة من قبل ، وقد
قدمت لكم قرابين مقدسة بالإضافة إلى ما سبق تقديمه لكم . ولأجلكم أمرت
بصياغة الذهب والفضة واللازورد والفيروز في بيوت الذهب لقد راجعت
كنوزكم وأكملت ما ناقص منها بأشياء كثيرة .

لقد ملأت مخازن غلالكم بالوفير من الشعير والغلل . وشيدت لكم
القصور والهياكل والمدن حيث نقشت أسماؤكم إلى الأبد ..

* توميري : الأرض المحيطة بأي مصر .

لقد زودت فرقتكم بعدد وفير من الرجال لإكمال النقص بها ولم
أصبح الرجال المخصصين لها كلكم أو قوادهم لتشغيلهم كجنود مشاة
أو لقيادة العربات ، كما فعل ملوك سابقون . أصدرت قرارات سامية
لتنفيذها على الأرض حتى ينتفع بها من يأتي بعدى من الملوك . لقد
خصصت لكم قرابين تتكون من كل الأشياء الطيبة . وشيدت لكم مخازن
لأعيادكم ملئت بالطعام . ولأجلكم صنعت أواني طعمت بالذهب والفضة
والنحاس بلغت الملايين عدداً .

لقد بنيت مراكبكم الجارية في النهر ومرساها الكبير مكسو بالذهب . (١)
وبعد هذه المقدمة يعدد رمسيس مافعله في المعابد الرئيسية في مصر ،
ثم ذكر في كثير من التفصيل الهبات التي قدمها لأجل آمون سيد عرش
الأرضين ، وتوم Toutam سيد أرض أون On وبتاح العظيم السكّان جنوب
جداره ، وزوجاتهم .

وعندما تنازل رمسيس الثالث مختاراً عن ثروته الخاصة وعن ثروة
البلاد لصالح المعبودات ، فإنه لم يبتدع حدثاً جديداً . ويمكن أن يقال ،
منذ أن وجد الملوك الفراعنة ، عن كل منهم ما جاء في لوحة معبد عمدا وينطبق
على كل منهم :

« إنه ملك صالح إذ شيد لكل المعبودات ، معابدهم ونحت لهم
التماثيل . » (٢)

ولم يكد رمسيس الثاني يتوج ملكاً حتى دفعه الطموح إلى أن يكون بمثابة
الإبن الصالح لأبائه المعبودات ، ولوالده بالجسد من مأت رع سيني مري إن
بتاح ، إذ كانت مشروعات عديدة في مدينتي أنهور Anhour وأون نفر
Oun Nefer (أييدوس) قد شرع في بنائها ولكنها لم تتم بعد ، لذا

أصبحت المدينتان تماثلان في بعض أجزائهما أفنية وقد كدست بالأدوات وفي أجزاء أخرى ، الأماكن الخربة . وأكثر من ذلك فإن العلامات التي غرست على حدود أملاك الآلهة لم توضع في أمكنتها بإحكام وكان الأهالي ينتزعونها - وعندئذ أمر رمسيس مستشاره الملكى أن يجمع رجال البلاط والأمراء ورؤساء الجيش وكبار الموظفين المناط بهم الأعمال وأمناء المكتبة وخطب فيهم قائلاً :

« لقد دعوتكم من أجل فكرة خطرت ببالى - فإني رأيت المباني التي أقيمت في الجبانة والمقابر التي شيدت في أيديوس لم يكمل بناؤها منذ عهد أجدادها حتى اليوم ، وكان الإبن الذى يعتلى (العرش) مكان أبيه ، لا يتمم إكمال المباني التي بدأها من أعطاء الحياة . اذلك قلت لنفسى : « بما يعود على الإنسان بالمشوبة والهناء أن يقيم ماتهدم وانهار - إنه من الأصوب أن يقوم الإنسان بفعل الخير . لذلك دفعنى قلبي إلى تأدية أعمال ذات فائدة لصالح مرى إن يتاح ، وأجعل الأجيال القادمة تقول عنى ، على مر الزمان :

« لقد كان ابنه ، الذى أحيانا وخلصه اسم أبيه » .

واستمر الملك يتكلم بهذا الأسلوب مدة طويلة ، وانتهى بقوله :

« إنه لعمل طيب أن تشيد صرح فوق صرح وبهذا يكون قد أنتم عمليين طيبين في آن واحد ، هكذا كان الإبن . . وهكذا كان الأب الذى أنجبه ، أثار الاقتراح الملكى حماس المستشارين ، وبعد أن استمع جلالته لأرائهم أمر بأن يكلف المهندسون المعماريون بهذه الأعمال ، واختار جلالته الجنود والبنائين والنقاشين والنحاتين والرسميين وعمالاً من مختلف الطوائف لإقامة قدس الأقداس لأبيه ، ولإعادة بناء كل ما كان منهراً من الجبانة .

وقام جلالته بإعداد جرد شامل لحقوقه وموارثه ، كما عين الكهنة وحذو وظائفهم ، وكذلك كبير الكهنة . . ثم وجه الحديث مباشرة إلى والده الملك أوزير مارع Ousirmare ، معددا الأعمال التي قام بعملها من أجل والده ولعبدته ، قال :

« يكون كل شيء لك على ما يرام طالما كنت على قيد الحياة وطالما عاش رمسيس يا آمون ابن رع — فلتمنح له الحياة مثل رع ، .

وعلى أثر ذلك وجه الملك من مآت رع Menestre — سيني — كلامه إليه ، كما يتكلم الأب مع ابنه مؤكدا له بأنه دافع عن قضيته أمام رع وأن جميع الآلهة رع ونم ونحوت وأوفرع وبجموعة الآلهة الكبرى التسعة قد ابتهجوا سرورا لما فعله جلالته ، . (٢)

لا يمكن الاعتراض على ما قاله رمسيس العظيم إلا على شيء واحد ، لقد أخطأ عندما اتهم من سبقه ، دون تفريق ، بعدم الاكتراث ، فقبله بقرن ونصف قرن وجد من خپر رع (نحتمس الثالث) ، معبد يتاح في طبيه في حالة لا تليق بهذا المعبود العظيم ، فكانت جدران المعبد من الطوب اللبن والاعمدة والأبواب الخشبية كلها في حالة انهيار وتهدم ، فأمر جلالته بأن يحاط المعبد بحاجز ويعاد تشييد بنائه ، بالحجر الرملي الجليل الناصع البياض وتقوية جدران السور حتى تتحدى الزمن وصنع أبوابا جديدة من خشب الصنوبر قوائمها من النحاس المستورد من آسيا وقال :

« لم يسبق إطلاقا أن عمل شيء كهذا قبل تولى جلالتي الملك ، وارضاء لآمنيات المصريين كلهم قد صنعته أعظم مما كان ، وطهرت مسكنه العظيم بتجليته ، فرصعته بالذهب الوارد من الأقاليم الجبلية وكذلك كل آنيته

المصنوعة من الذهب والفضة ومن كافة الأحجار الكريمة ، وجعلت فراشه من السكتان الأبيض وجلبت له الزوايح العطرية من العناصر المقدسة لعمل ما يسره في أعياد بدء الفصول التي يحتفل بها في هذا المعبد المقدس. وعندما عدت جلاتي من جبال رتنو ملأت معبده بكل شيء حسن من عجل وطيور وبخور ونبيذ وهدايا وخضر. (٤)

وعندما كان الملك يرضى رغبات الآلهة ويقوم بترميم الهياكل القديمة المقدسة ويشيد هياكل جديدة مستخدماً في سبيل ذلك أنذر المواد ، ويخصص لها أموالاً لم يكن مع هذا كله قد قام ما فيه الكفاية ، فكان عليه أن يتولى بنفسه ملاحظة تنفيذ أوامره . وعندما تتم الأعمال تماماً يفتتح المعبد ويهبه المعبودات (٥) وينثر حوله الحبوب ، ويطلق باب المعبد اثنى عشرة مرة بمطرقته ، ويحرق البخور لإجلالاً للتابوت ، ثم يطوف حول أسوار المعبد حاملاً في كل يد إناء ، ويحمل في بعض الأحيان مجدافاً ومثلثاً ، أو يطوف أحياناً بجانب العجل أبيض المقدس . وكان على الملك أن يقوم بدور خاص في بعض الحفلات الدينية الكبرى ، فعندما يحتفل بعيد أوبت Opet الكبير لا يستطيع أن يتخلف عن الظهور فوق ظهر السفينة المقدسة التي يزيد طولها على مئة ذراع ، والتي كانت تسحب من الكرنك إلى الأقصر .

وعيد مين Mio ويقع في أول فصل شمو ، لا يقل مكانة لدى الشعب عن العيد الأول ، وكان يتعين على الملك أن يقطع بنفسه ملء قبضته من الخنطة بوتى (Boti) . ولم يكن في استطاعة رمسيس الثالث ، بصفة خاصة ، أن يتنحى عن هذا الواجب ويكلف به شخصاً آخر ، إذ كان يوم ذكرى تربيجه يتفق وهذا اليوم .

وعندما شرع يبعانخي Piaoekhi في غزو مصر احتفل أولا بعيد رأس السنة في مدينة ناباتا Napata مسقط رأسه ، وعندما وصل إلى طيبة ، أنفق أن كان يوم الاحتفال الكبير بعيد آمون في النيل فتبع موكب المعبود . (٦)

ومنذ هذه اللحظة أصبحت المعارك والحفلات الدينية تتناوبان ، حتى تم النصر النهائي .

وفي منف كاف (يبعانخي) أحد أتباعه بأن يخطب في أهل المدينة قائلا : لا تغلقوا عليكم أبوابكم ، ولا تقوموا بمهاجمة مقر المعبود شو ، فعندما أدخل يدخل هو ، وعندما أخرج يخرج هو . لن يستطيع أحد أن يحول دون تقدمي . سأقدم القرايين للمعبود بتاح وللمعبودات المدينة ذات الجدار الأبيض (منف) . إني أحبي الإله سوكارى Sokari في صندوقه السرى ، وسأنامل ذلك المعبود الموجود في الناحية الجنوبية من جدار معبده وأعود في سلام واطمئنان . . تاركا مقاطعة الجدار الأبيض (منف) سليمة دون أن يبكي أطفالها . انظروا إلى مقاطعات الجنوب ، لم يذبح فيها أحد عدا الكفار الذين أشركوا بالإله . (٧)

وبعد الاستيلاء على المدينة أخذ في تطهيرها بالملح والطور ، ثم توجه إلى معبد بتاح وطهر نفسه في قاعة التطهير ، وقام بكافة المراسيم الدينية المخصصة للملك وحده ، ثم دخل المعبد بعدئذ وقدم إلى أبيه بتاح ريزان بواف Ptah Risanbouf (بتاح في جنوبي جداره) قربانا عظيما .

وبعد قليل استأنفت الحفلات في مدينة أون ، وعلى أثر تأدية بعض المراسيم التمهيدية التي تمكنه من الدخول إلى قدس الأقداس ، وبعد

أن تقبل عبارات الولاء من كبير الكهنة واستمع إلى الصلوات التي تبعه عن الملك أعداءه ، صعد درجات السلم التي تؤدي إلى الشرفة الكبرى لي شاهد رع في قصره ذى الشكل الهرمى (معبد رع فى أون) . وحينما أصبح وحده فتح المتاريس ثم فتح الباب على مصراعيه ، وأخذ يشاهد أباه كما أخذ يتأمل سفينة رع وسفينة توم . وبعد ذلك أعاد غلق الأبواب كما كانت بعد أن وضع عليها صلصالا وختمها بالخاتم الملائكى . فسجد الكهنة أمام جلالته وتمنوا له حياة طويلة ورخاء (٨)

أراد يبعناخي أن يظهر المصريين بأنه متدين مثلهم تماماً ، وأشد تمسكاً بتقاليدهم القديمة ، ولكن كل ما ذكره من أعمال كان الرعامسة قد سبقوه إليها ، فسكانوا كلما مروا بمدينة من المدن دخلوا معابدها وعبدوا آلهتها . وكان فرعون فى بيته أينما كان . وفى كل مكان كانت ترى على الجدران صورة فرعون وهو يقدم إلى الآلهة الماء والنيذ واللبن ، كما يقدم تمثال الحقيقة وهو يحرق حبات البخور فى المبخرة . ومع ذلك فقد كان رمسيس الأول ونجله ، قبل اعتلائهما العرش كبيرى كهنة ست . ، وكانا قد شغلا مناصب متعددة الدرجات فى تأدية مراسيم عبادة كبش مندس والمعبودة الشعبان واجبت ، التى كان لها تقديس كبير فى مسقط رأسيهما وفى البلاد المجاورة . (٩) وكان رمسيس الثانى يفخر فى أول عهده باعتلاء العرش ، بلقب كبير كهنة آمون . غير أن هذا لم يحل بينه وبين تعيين شخص آخر كبيراً للكهنة بعد تنويحه مباشرة ، ليلقى على عاتقه عبء القيام بالواجبات الدقيقة التى تتطلبها هذا المنصب ، ويسعد هو شخصياً بما يجوز للملك فى سنه ، يميل بطبعه بالملاذات والصيد والحرب . (١٠) ولكن رمسيس الثانى لم يختلف عن سبقه أو خلفه من الفراغة ، فلم يهرب مطلقاً من الإلزامات التى ينبغى لكل فرعون أن يؤديها للآلهة . وهذه الطريقة كان يحصل بـشـن غال ، دون

شك ، على السلام في البلاد ، ما دام السواد الأعظم من العمال ، بصفة عامة كانوا يعدون أنفسهم قانعين بمصيرهم ، وليس في استطاعتهم القيام بثورات جدية ، وما دام أولئك الذين يستطيعون حقاً الإخلال بالنظام ، كانت مصالحهم تفرض عليهم مراعاة النظام .

٥٠٦٥
٣- نزيين الملك

كان استيقاظ الملك يتم دون شك باحتفال خاص ونعلم أن أحد كبار الموظفين المسمى بتاح موزى Ptah mosé كان يستيقظ مبكراً كل صباح ليكون أول من يحيط بسيدته (١١) وأنا لا أعرف أية صورة تمثل الاستيقاظ الملكي ، ولكن يمكن أن يشاهد المرء على مقبرة بتاح حتب رسماً لإحدى الشخصيات الكبيرة ، وقد تعهدوا الحلاق ليزينها ويقلم أظافر الأيدي والأرجل في حضور أفراد الأسرة والأتباع . ولا يمكن أن يعمل أقل من ذلك للملك .

لم يكن الزي الملكي أكثر فخامة فحسب من زي الأمراء والرؤساء المدنيين والعسكريين ، بل كان يجب أن يظهر مكانة وشخصية من يرتدى هذا الزي . وكان الملك لا يظهر مطلقاً عارى الرأس أمام الجماهير ، بل كان يضع زياً على رأسه حتى وهو بين خاصته ، وكان شعره قصيراً ليتيح له في سر تغيير زي رأسه . وكان أبسطها شعراً مستعاراً مستدير الشكل بحوطه أكيل معقود من الخلف ، وتتدلى خصل هذا الشعر المستعار فوق قفا الملك . ويلتف فوق الإكيل ثعبان الكوبرا المصنوع من الذهب ، انتفخ عنقه فانتصب وسط الجبين .

وتاج الجنوب وتاج الشمال والتاج المزدوج كانت كلها أزياء للرأس

تستخدم في الاحتفالات : الأول عبارة عن طاقيّة عالية تضيق كلما علت وتنتهى باستدارة واسعة ، والتاج الثانى عبارة عن شكل هاون ، مستوى السطح ، يمتد من الخلف بعود صلب بينما يلتف حول القاعدة شريط من المعدن يبدأ عند قاعدة العود الصلب ويمتد ملتويّاً على شكل حلزوني .

ويجمع التاج المزدوج بين خصائص التاجين . وكان الملك يفضل أن يضع على رأسه أثناء استعراض الجيش وخلال الحروب ، الخوذة الزرقاء ذات الخطوط المتعرجة المتناسقة والحلّة أيضاً بالثعابين والشريطين المتدليين خلف الرقبة .

وكانت التيجان والخوذة تلبس مباشرة فوق الرأس . وكان تاج النمى Nemes واسعا لدرجة كافية لكي يضم الشعر المستعار ، المستدير ، وكان يمكن صناعته من قطعة قماش ، تحوط الجبين وتمر فوق الأذنين وتسدل على جانبي الوجه حتى تصل إلى الصدر ، ومن الخلف كان على شكل جيب ينتهى في نقطة وسط الظهر . وهذا القماش أبيض اللون مخطط بخطوط حمراء ، وكان من الممكن أيضاً أن يوضع على رأس الملك نمى أعد من قبل ، و يلتف حوله شريط من الذهب لتقويته وهذا الشريط ضرورى بصفة خاصة بالنسبة للتاج المزدوج أو لتاج الشمال أو تاج الجنوب عندما كانت توضع فوق النمى ، كما كان من الممكن أن توضع ريشتان صلبتان فوق النمى ، أو آتف وهو مكون من طاقيّة الوجه القبلي على جانبيها ريشتان ليفتان وموضوع فوق قرني كبش جمع بينهما قرص لامع من الذهب وعلى حافته صلان من الذهب غطيت رؤوسهما بقرص الشمس . ويدهى أن مثل هذه التيجان كانت مخصصة للحفلات التى يظل الملك فيها ثابتا دون حراك ،

ومن أزياء الحفلات أيضاً تلك اللحية المستعارة ، وهى تماثل اللحية

ذات الجداول التي كان يكلف بها أهالى بلاد بونت — تلك الأرض المقدسة —
والتي عرفت بهذا الاسم لأن كثيراً من كبار آلهة المصريين كانت
تنتمى إليها .

وكانت هذه اللحية تثبت بمشبكين مع زى الرأس ، مهما كان نوعه ،
وكان الملك فى العادة يخلق ذقنه وشاربه ، وأحياناً كان يترك شعر الذقن
ينمر قليلاً ثم يخلقه فتصبح مربعة الشكل .

كانت القطعة الأساسية فى ملابس فرعون ، وملابس المصريين عامة ،
مهما كانت طبقاتهم ، هى النقبة . وتمتاز النقبة الملكية بأنها ذات ثنيات
يشدها حزام عريض تتوسطه أنشودة من المعدن نقش على فتحها كتابة
هيراغليفية جميلة ، ويعلق ذيل ثور فى الخلف . وأحياناً كانت تعلق فى الحزام
من الأمام منزر على شكل شبه منحرف مستطيل . وقد تكون كلها من
المعدن وإذا كان إطارها وحده من المعدن ، أرصعت من الداخل بعقود من
اللؤلؤ . وثبتت فيها ثعابين قد توجت بقرص الشمس أو تدلت فيها
يميناً ويساراً .

ولم يكن الملك يحفل بأن يسير حافى القدمين ولو أنه كان يمتلك مجموعة
ثمينة من الصنادل المصنوعة من المعدن والجلد والقش . (١٢) وتكمل الحلى
وأدوات الزينة ما قد يكون فى هذا الزى من بساطة .

والعقود التى يملكها الملك مختلفة الأشكال إلى حد بعيد ، وهى تحتوى
غالباً على دلايات ذهبية أو لؤلؤ أو قطع ذهبية صغيرة مثقوبة قد انتظمت
فى خيوط وتنتهى بمشبك مسطح يوضع خلف الرقبة ، وتتفرع خيوط من
الذهب ذات شكل رائع عبارة عن سلاسل وزهور ، وهذه القلائد حديثة

الصناعة نسياً . أما القلادة الأصلية فكانت تحتوي على عدة صفوف من اللؤلؤ يضمها قفلان على شكل رأس صقر كانت تعلق على الرقبة بوساطة رباطين ، وكان خرز الصف الأخير يصنع على هيئة الدموع ، وبقيّة أنواع الخرز كانت إما مستديرة أو على شكل ثمرة الزيتون . وقد تزن هذه القلادة أحياناً عدة كيلوجرامات . وكان هذا الثقل لم يكن يكفي الملك ، فإنه كان يعلق على رقبته أيضاً لوحة مستطيلة للصدر على هيئة واجهة المعبد بواسطة سلسلة مزدوجة ، كما كان يتزين بثلاثة أزواج من الأساور على الأقل ، أحدها بقرب الكتفين وآخرين عند المعصمين والثالث عند الكعبين (١٣) . وقد يحمله أن يضع فوق كل هذا رداء طويلاً خفيفاً وشفافاً ذا أكماف قصيرة وله حزام من نفس القماش يربط من الأمام ،

٤ - الملك في عهده

يؤكد ديودور ، الذي يفتخر بأنه فخص بدقة الأحداث المدونة في حوليات الكهنة المصريين ، بأن حياة الملوك العامة والخاصة كانت تجري وفق نظام دقيق ، لقد كان الملك يستيقظ مبكراً في الصباح ويطلع على المراسلات ، وبعد أن ينتهي من استحمامه ويتزين بالشعارات الملكية كان يقدم ذبيحة للآلهة ويستمع للصلوات وعظات كبير الكهنة وللقصص التي تنطوي على القدوة الصالحة . وله بعد ذلك أن ينظم أوقاته بين الاجتماعات والمحادثات والنزهة والتسلية . وكان ينبغي له أن يراعى الاتزان وبأن تكون أعماله مطابقة تماماً للقانون ، ولما كانت هذه عادات جرى عليها العرف ، لم يكن هناك ما يدعو إلى الغضب وكان الملك يعد نفسه سعيداً بما قسم له (١٤) ولكن مما لا ريب فيه أن تصرفات فرعون لم تكن كلها مثالية ، كما يعتقد ديودور ،

ومع ذلك فإن تنظيم الوقت على النحو الذى ذكره يجب أن يكون مطابقا للحقيقة لأن ما نعلمه من حوادث تلك الأزمنة يؤيد ما ذهب إليه في سهولة ويسر .

ومن المؤكد أن كثيرين من الملوك قد قاموا بأداء الأعمال التى تتعلق بمناصبهم على خير الوجوه ، فكانت تتلى عليهم الرسائل ، وكانوا حريصين على أن يحاطوا علما بكل الأحداث الجارية ويمثلون نص الإجابات ، وفي بعض الأحيان كانوا يطلبون عقدا اجتماع للمجلس الملكى لاستشارته إذا اقتضى الأمر ذلك .

وعبارة : « أبلغ جلالة الملك . . » نثر عليها في بداية عدد كبير من النشرات الرسمية المدونة على اللوحات . ومشروعات الأعداء كانت أهم ما يبلغ لجلالة الملك . فثناء وجود الملك بسماتيك في تانيس قائما بالمراسم الدينية التى ترضى المعبودات المحلية ، حضر من أبلغه بأن كوار Kuar الزيجى قد حمل السلاح ضد مصر . (١٥)

وعلى هذا فمسألة السلام أو الحرب كانت تتعلق بالملك وحده ، ومع ذلك فقد كان يبدى اهتمامه أيضا بالمسائل الفنية . وقد رأينا من قبل أن سيقى كان مشغولا بتزويد الباحثين عن الذهب بالماء ، وهم أولئك الذين كانوا يعملون في المنطقة الواقعة شرق إدفو . وكان هذا الأمر يشغله إلى حد أنه انتقل بنفسه ليرى مدى متاعب العمال المحرومين من المياه وهم يسكدون تحت الشمس المحرقة . (١٦) وعندما أراد رمسيس الرابع أن يقيم معابد ومباني لأبائه آلهة مصر ولهاثاتها ، بدأ يدرس السكتب المحفوظة في ديت الحياة ، ليعرف كيفية الوصول إلى جبل بكن Bekhen ثم ذهب بنفسه ليجوب أرجاء هذا الجبل المقدس . (١٧)

ونظرا لأن مشاغل رمسيس الثاني الجسيمة كانت تحول دون إمكانه الافتراق عن شاطئ النيل فقد اكتفى بأن يسكف في قصره بحات كابتاح Harkaptab على دراسة الوسائل التي يمكن بها توفير المياه في صحراء ايكايتا (صحراء العظمور بين وادي حلفا وأبو حمد) المفزعة، فجلس على عرشه الذهبي، متوجا بالتاج والريشتين وأمر حامل الاختام الواقف بجانبه، قائلا: «أدع كبار رجال الدولة الموجودين في القصر، كي تشاورهم جلالتى في شأن هذا الأقليم، سأضع المشكلة على بساط البحث، فأحضروا في الحال مهر راين ليمثلوا بين يدي الإله الطيب، كما لو كانوا مذنبين، إذ لا يستطيع أحد ولو كان من هيئة المستشارين أن يشاهد وجه فرعون المبجل دون أن تعتربه الرهبة، وقد قبلوا الأرض بين يديه، وشرحت لهم المشكلة،

ولو أنهم أجابوا إجابة مباشرة، ليظهروا مقدار علمهم، لحالفوا أبسط قواعد الأدب، إذ أن فضل انجاز هذه العملية، التي سوف يشرع فيها، يعود كله إلى الملك، لذلك فقد أجابوا بنفس الطريقة التي اتبعها رجال حاشية رمسيس عندما جمعهم منذ بضعة شهور ليلعلمهم رغبته في اتمام معبد أيبديوس فآثروا ثناء بالغا على هذا الملك الذي لا نظير له، والذي يبتكر مشاريع في الليل فتتحقق عند بزوغ النهار. وبعد أن استعيد ذكر المحاولات التي فشلت في الماضي القريب والبعيد، انتهى بهم الأمر إلى أن يقولوا: «إذا قلت أنت بنفسك لأبيك حان، والد الآلهة بأن تنشق المياه فوق الجبل فإنه يحقق كل ما تطلبه طبقا للخطط التي أوضحتها لنا، إذ أن آباءك الآلهة يحبونك أكثر من أى ملك آخر تولى العرش منذ عهد رع، ثم ينفض اجتماع المجلس. ولم يعد هناك إلا أن يبدأ الفنيون بالشروع في العمل، وعليهم أن يحضروا الملك بما يعملون - وسيخلد نجاح هذا المشروع على لوحة تذكارية من الجرانيت. (١٨)

ومن البدى أن تعيين كبار الموظفين وأصحاب المناصب الكبرى كان من اختصاص الملك وحده . وكان اختيار رئيس كهنة آمون من أخطر الأمور شأنا . فالملوك الرعامسة لم يفسوا ذلك النزاع الذى جعل العرش ورئيس الكهنة مطعما لأكثر الآلهة ثراء وأشدم طموحا . وكان رمسيس الثانى فى بداية توليه العرش قد أضنى على نفسه لقب كبير الكهنة ، وعندما اعترم ، بعد وقت قصير ، أن يعين شخصا ، كبيرا للكهنة وقع اختياره على انسان من غير كهنة آمون ، ولم يكن هذا الذى وقع عليه الاختيار نكرة أو أنه غير كفء لهذا المنصب ، لأنه كان إذذاك كبيرا الكهنة أنهور Anhour فى مقاطعة طينه ، وربما كان هذا الشخص قد استرعى انتباه الملك عندما تفقد الأبنية التى كان قد شرع فيها والده فى تلك البقعة المقدسة . وقبل أن يبت فى قراره هذا لجأ إلى نوع من الاستشارة ، لم تصلنا كل تفاصيلها - لقد لجأ إلى المعبود نفسه ، وكان قد عرض أسماء رجال الحاشية الملكية ورؤساء الجنود وكهنة المعبودات وذوى الألقاب من البيت الملكى حينما كانوا ماثلين أمام وجه المعبود ، غير أن آمون لم يبد رضاه عن أحد من هؤلاء ، ولم يظهر علامات السرور إلا عندما ذكر اسم نبونف Nebounef ، وعندئذ قال الملك : « كن معه كريما - فان اختياره قد وقع عليك » ، وبعد انتهاء هذه الكلمات بادرت رجال الحاشية وبمجموعة الثلاثين مستشارا بالثناء على طيبة جلالاته فسجدوا عدة مرات أمام هذا الإله الطيب بمجدين أرواحه حتى غنان السماء . وبعد أن خفت أنقام هذا المديح سلم الملك ، كبير الكهنة الجديد خاتمه الذهبين وعصاه المصنوعة من الفضة المذهبة ، وبهذا أخطر أهالى مصر جميعا بأن أملاك آمون ، بكل مستملاتها قد سلمت إليه .» (١٩)

من منح العفو

تضمنت مذكرات سنوحى Sinoubit المناسبة الوحيدة المعروفة لنا التي منح فيها فرعون العفو للمذنب ، وشرح واضع القصة بإسهاب الملابس التي اقترنت بهذا الحادث . لم يكتف الملك بأن يرفع العقاب عن سنوحى والأذن له بالعودة لحسب ، بل أراد أن يراه ، فوصل المغامر إلى نقطة «طرق حورس» على الحدود ، وترك أصدقائه البدو بعد أن وزع عليهم الهدايا التي أرسلها له البلاط الملكي ، ثم استسلم للجند الذين اقتادوه على مركب إلى إيتى تاوى Ity Taoui . وعند وصوله أخطر القصر بمقدمه ، فاحتشد أطفال القصر الملكي بين رجال الحرس ، وقاده رجال الحاشية ، المنوط بهم إرشاد الزائرين إلى قاعة الأعمدة ، إلى المكان المناسب . وهكذا مثل أحد الرعايا أمام مليكة الذى تبوأ عرشه الكبير فى القاعة المذهبة ، ونظرا لأن خطبته سنوحى الجسيمة كانت تسيطر تماما على كل حواسه ، فقد تمدد على الأرض ، وقال : كنت بمثابة رجل وقع فى مهالك ظلام حالك ، تسكاد روحى تفارقى ، أجزاء جسمى ترتعد ، لم يبق قلبى فى صدرى ، ولم أعد أميز بين الحياة والموت .

ثم رفع سنوحى عن الأرض ، وبعد أن كان الملك ينتهره ، أخذ يهدى من روعه ويشجعه ليتكلم ، غير أن سنوحى لم يستغل هذا التصريح وأنهى خطابه القصير ، قائلا : «ها أنذا أقف ماثلا أمامك - أنت مصدر الحياة لثقتك جلالتك ما يحولك» .

ثم أمر الملك بدخول الأمراء من الأطفال ، وبينما هم يدخلون ، لم يستطع الملك إلا أن يبدى ملاحظته للملكة بأن سنوحى قد تغير تماما بسبب معيشته بين الآسيويين مدة طويلة فأصبح مثلهم تماما ، فصاحت الملكة

مندهشة وأيد الأمراء الأطفال كلهم ملاحظة الملك قائلين : « حقيقة ،
يا مولانا ، أنه ليس هو كما عرفناه » .

ثم أحضرت الصاجات وصلالتان وقدمت للملك ، وقالوا له : « تناول
هذه الآلات الجميلة أيها الملك - ضع يدك عليها - خذ أدوات زينة حانحور ،
لعل السيدة الذهبية تمنح لأنفك الحياة ، لعل سيدة النجوم تتحالف معك ، .

وبعد إنشاد قصيدة مطولة في مدحه التمسوا العفو لسنوحى ، لأن
ما ارتكبه كان ، نتيجة إدراك غير سليم ، والمعبودة صاحبة الصلالة
والصاجات والتي تدعى المعبودة الذهبية وسيدة النجوم ، كانت في الحقيقة
معبودة السرور والرقص والمآذب ، وكان دورها في هذه المناسبة هو التمهيد
لقرار العفو الذى سيصدره الملك لصالح هذا الضال . وكان تدخل المعبودة
في هذه المناسبة بلا شك من المراسيم المتبعة .

ويخرج سنوحى أخيرا من القصر الملكى ولم يكن مجرد شخص غفر
ذنبه فحسب وتم العفو عنه ، بل أصبح غنيا يملك بيتا ويطعم مما يهدقة عليه
الملك من طيبات الرزق . (٢٠)

الهيات الملكية

وصف أحد رجال الحاشية فرعون : فقال عنه : « إنه هو الذى يضاعف
الخيرات ، ويعرف كيف يعطى . هو الإله بل هو ملك الآلهة ، يعرف من
يعرفه ويكافئه من يخدمه ويمى اتباعه ، هورع ، جسده الظاهر هو القرص
ومجبا إلى الأبد » . (٢١) .

وأثناء حروب التحرير ، وخلال غزو سوريا فسكر فرعون في أن

يوزع الذهب تقديراً لشجاعة عدد من أبطال الحرب . فأصبحت عادة .
وسرعان ما جاء دور المدنيين فأنعم عليهم :

وقد تمنح المكافآت لفرد واحد ولكن في الغالب كان ينتظر حتى
يصبح عدد هؤلاء الأفراد كبيراً ، وعندئذ يدعون للحضور إلى القصر ،
فيرتدون أجمل ما لديهم من ثياب وعند ما يخرجون من بيوتهم ليركبوا عربانهم
يقف خدمهم وجيرانهم صفوفًا بجوار المنزل ليحيوهم ، وتتجمع العربات في
قناة أمام القصر الملكي . ونجد الفرسان يتحدثون فيما بينهم أو مع رجال
الحرس ، كل يثنى على سيده وما سوف يكافأ به . وقد يسأل سائل : لمن
يقام حفل التكريم هذا أيها الصغير ؟ إنه يقام احتفالاً بآي Ay الوالد
المقدس وتايا . . لقد أصبحا ممن ينعم عليهم بالذهب ، وسأل أحدهم بدوره ،
إذ لم يكن قد سمع ما قيل ، من ذا الذي يحتفل به ؟ فتكون الإجابة : « أنظر
إلى ما يفعله فرعون (له الحياة والصحة والقوة) من أجل آي وتايا ، إنه
يهبهم ملايين الهدايا . . انظر إلى النافذة ، سوف نرى ما يقدم لآي الأب
المقدس ، (٢٢) .

وعندما يجتمع شمل الجميع ، يجلس الملك في الشرفة المطلّة على الشعب
والتي تمتد من قاعة الأعمدة .

ويرى من الخارج صف القاعات الملكية وقد زودت بالكراسي ذات
المساند والصناديق الفاخرة ، وقد رصت جميع الهدايا التي ستوزع على موائد
وضعت بجانب الملك ، وتجدد تلك الهدايا كلها نفدت . وفي بقية أجزاء القصر
يقوم الخدم بتأدية أعمالهم ذاهبين آيبين كالمعتاد ، ويتسامر بعض الناس في
هدوء ، بينما تقوم بعض السيدات بالغناء أو الرقص أو العزف على القيثارة .

وفى فناء القصر يقوم حملة المظلات والمراوح ، والضباط بترتيب صفوف مستحقى الجوائز وادخالهم ، كل بدوره ، حتى حافة الشرقة .

عندئذ يحى مستحق المكافأة الملك ، بذراعيه فقط ، دون أن يركع على الأرض ويلقى كلمة يمتدح فيها الملك ، فيجيبه الملك بالثناء على خادمه ، مادحا إخلاصه ومهارته وتفانيه ، وفى بعض الأحيان يمنحه ترقية قائلا : « أنت خادمى العظيم لقد نفذت تعليماتى فى كل ما عهدت به إليك من أعمال وفئت بتأديتها بما يرضينى ، لذلك أمتحك هذه الوظيفة وأقول لك : استطعم من خبز مولاك فرعون ، له الحياة والصحة والقوة فى معبد آتن Aton ثم يلقي إليه بكتوس من الذهب أو بقلائد من الذهب ، فيهم الضباط بالتقاط هذه الأشياء الثمينة قبل أن تسقط على الأرض ، وعلى الفور تعلق القلائد فى أعناق من أنعم بها عليهم ، وقد تكون المكافأة ثلاث قلائد أو أربعا ، فيتجه المنعم عليه إلى الخارج وهو ينوء بحمل هذه الأثقال ، وقد امتلا سرورا وامتنانا ، يصحبه الضباط حاملين الأشياء الأخرى التى لا يمكنه تعليقها . ويقوم موظفون آخرون بتقديم الأطعمة ، أما الكتاب فيسجلون كل ذلك .

وعندما يصل المنعم عليه خارج القصر يجد أصدقاءه وخدمه وموظفيه ، فيعبرون له عن سرورهم ويركب عربته ليعود إلى بيته تحف به الجماهير التى يزداد عددها فى كل خطوة بخطوها ، وتستقبله زوجته رافعة ذراعيها نحو السماء شكرا على كل هذه النعم ، بينما تقف نساء أخريات يضررن الدف ويغنين ويرقصن ، ويأتى الأقارب والأصدقاء وتستمر الحفلات فى البيت وقتا طويلا . (٢٣)

لم تكن حفلات توزيع المسكافات مقصورة على الرجال فحسب ، إذ أن
آى Ay ، الذى رأيناه عندما كان اختاتون بكافته ، قد أصبح هو نفسه
فرعوناً وقد أصبح بدوره يوزع الجوائز ، وبعد أن منح نفر حتب Neferhotep
السكران ، ومدير قطعان آمون ، وساما قرر أن يمنح زوجته مريت رع
Meryt-Ré وساما أيضاً ، فاقبمت الحفلة فى أحد المنازل الملكية الريفية
وهو عبارة عن مبنى على هيئة مكعب تخرق جوانبه نوافذ صغيرة مربعة
الشكل ، وعلى الواجهة نافذة كبرى تطل على شرفة ذات أعمدة ، أما الحديقة
التي تحيط بهذا المنزل البسيط ، فقد زرعت بكروم صفت على طول الممشى ،
وارتكزت غصونها على أعمدة صغيرة بمائة لمبقية أعمدة المنزل . وقد وضعت
بجانب الجدار أوان وسلال ومجموعة من الأطباق ، وتقدمت نحو الواجهة ،
مريت رع ، الرائعة الجمال فى ثوبها الشفاف وفوق رأسها قالب مخروطى معطر ،
وتسلمت يديها القلائد التي ألقى بها الملك إليها من النافذة . ولم يشهد هذا
الحفل الخاص العائلى سوى عدد محدود من الشعب ، وترى إحدى النساء تصفق
وأخرى تقبل الأرض ، وأحضرت باقات الزهور وأخذت إحدى الموسيقيات
التي استوجرت لهذه المناسبة تتناول المشروبات دون أن تكف عن تحريك
الصدا ، وقد تمكن طفلان من التسلسل إلى داخل الحديقة متطفلين لمشاهدة
الحفلة فلفتا انتباه أحد الحراس ، فرفع عصاه نحوهما مهددا بالضرب ، وعادت
مريت رع إلى منزلها على قدميها بعد انتهاء الحفل وقد تأبط رجل ذراعها ولم
يعرفه أحد لنا ، هل هو زوجها وهل هو ضابط كاف من قبل الملك بمصاحبتها
فى العودة ، لقد كانت تسير فى زهو وكبرياء ، والقلائد التي أهداها لها الملك
لا تزال تزدل حول عنقها . وسار خلفهما موكب ترى فى وسطه لاعبة
الشخصيخة كما نشاهد طفلتين عاديتين أما الخدم فقد اقتسموا فيما بينهم حمل
جرار الفخار والأربطة والسلال التي ستكون قوام مأدبة فخمة فى هذا اليوم

وقد وضعت أعلى الهدايا قيمة داخل صندوق . (٢٤) وكانت هذه الحفلات المخصصة لتوزيع المكافآت تعقد في الهواء الطلق أحيانا ، إما لأن الذي صيغ المكافأة من الشخصيات المرموقة ، فلا يكتفى فرعون بأن ياتي إليه بضع قلائد من أعلى الشرفة ، أو لأن عدد الحاضرين كبير جداً فيقام الحفل عندئذ وسط فناء متسع وضعت به منصة ، صنعت من مواد خفيفة ، وقد جعل منها صنائع الأبنوس الماهرين تحفة رائعة من حيث الذوق السليم والفخامة والاهبة ، وفوق هذه المنصة قاعدة زخرفت بنقوش غائرة تمثل السوريين والليبيين أو الزنوج راكبين وهم يمدون أيديهم ملتجئين الرحمة ، أو يرى هؤلاء والملك يطأهم بقدميه وقد تحول إلى هيئة حيوان العقاب .

ويعلو القاعدة أربعة أعمدة على شكل ساق نبات اللوتس ، زخرفت بالتطعيم ونقشت من أعلى إلى أسفل ، تسند أفرزاً من عدة صفوف يعلوه سقف مقبب ، ويصعد فرعون درجات السلم ، تحميه مجموعة من تماثيل أبوالهول ذات رؤوس صقور ، ثم يجلس على أريكته رائعة في فناء وصنعها . إن حور محب هو الشخصية التي ينتظرها الملك ، والذي سوف يصبح فيما بعد ملكاً ، أما الآن فقد منح قيادة حرية هامة واستطاع حماية جماعة من البدو كان يضطهدهم بدر آخرون . وقد أسر حور محب قبيلة المعتدين بكلمها ، ووصل مع الأسرى إلى العاصمة مستصحبا معه أولئك الذين دفع عنهم العدوان ، وقد أتوا ليلتمسوا في خشوع الإذن لهم بدخول الأراضي المصرية ومعهم قطعان ماشيتهم على نحو ما كان يحدث دائماً . وسيشهد أولئك وهؤلاء حفل تمجيد حور محب ، فهذا القائد - وهو في أبهة ملابسه الرسمية يرفع ذراعيه تعبيراً عن عظيم تأثره ، بينما يقوم بعض الضباط بتعليق القلائد ، الواحد تلو الآخر حول عنقه ويأتي ضباط آخرون بقلائد جديدة وضعت فوق صوان ، وهم يسرون وقد أحنوا ظهورهم . ويشير أتباع حور محب إلى صفوف

طويلة من الأسرى، ومن بين هؤلاء رجال يتميزون باللحم والشعور الطويلة نكست سهامهم وعبست وجوههم لما يلقون من ألم شديد وقد وضعت القيود في أيديهم ، أما النساء فقد تركن دون قيد ، يسرن في وقار و يأخذ أحد الجنود بيد أم تلبس رداء ذا ثنيات وتحمل طفلا على كتفها ووضعت طفلا آخر أصغر منه داخل خرج ، ويبدو على امرأة أخرى أنها تحاول التحدث مع الجندي بتقدمها في السير ، وبما يسترعى الانتباه ، أكثر من أولئك الأسرى ، الذين سوف يساقون إلى صناعة صب الطوب أو قطع الحجر في المحاجر ، تلك الخيول التي يقودها هذا الضابط المصري .

وبعد أن تمت مكافأة حورمحب ، تولى بنفسه الدفاع عن قضية البدو الذين كانوا معرضين لخطر سلب ماشيتهم ونهب أموالهم ، لولا تدخله في الأمر . وألقى خطبته أمام فرعون وهو لا يزال متعلّيا بقلائده وحاملا إلى الأمام المروحة ذات المقبض مجدا عظمة فرعون وقوته ثم شرح الموضوع بعدئذ . وبعد ذلك اتجه صوب المترجم وطلب إليه أن ، يحظر البدو بأن فرعون قد قبل أن يأذن لهم بالإقامة في أرضه : هؤلاء هم الليييون ويسهل التعرف عليهم بفضل الريشة التي تتوسط رأسهم ، والشعر القصير المنسدل على جباههم والخصلة الغزيرة التي تغطي جانبها كبيرا من وجوههم . وقد اختلط بهم بعض السوريين الذين يرتدون ملابس ذات أكام طويلة ووشاح عريضة ويعبرون عن امتنانهم وعرفانهم بالجميل بقبسات وجوههم المعبرة زائعين الأكف نحو السماء ثم يمدونها نحو فرعون وهم منبطحون حتى تكاد بطونهم تمس الأرض ، وقد اعترتهم نوبة هذيان جعلتهم يتمرعون في التراب . (٢٥)

وحورمحب قد استحق مكافأته ، فإن مثل هذا لا يمكن أن يقال في صدد أممحتب كبير كهنة آمون الذي عامله رمسيس التاسع كشخص مساو له

ويتمى الأمر بأن يقتازل له عن كل شيء، وقد تم الاحتفال داخل جوسق غم حيث ظل الملك وكبير الكهنة واقفين وجها لوجه لا يفصل بينهما إلا الأرفق المحملة بالهدايا، وكان كبير الكهنة عارى الرأس، بينما كان الملك متوجاً بالخوذة الزرقاء، وقد وقف فوق حصير، ولكن الفنان الذى رسم هذا المنظر فى معبد الكرنك قد جعلهما متساويى القامة.

وكانت الهدايا ذات قيمة كبرى وتتكون من ١٠ دين من الذهب و ٢٠ من الفضة و كمية من المأكولات تكفى لإقامة مأدبة و ٢٠ أروراً (Aroures) من الأراضى الزراعية، ولكن الامتيازات التى انتزعت من الملك كانت أكثر قيمة من هذا كله، وقد حصل أمنتب على سلطات لاحد لها، جعلت دائرة أملاك آمون الغنية جداً بعيدة عن كل مراقبة خارجية، وأصبحت كأنها دولة داخل الدولة. وقد حصل كبار كهنة آمون بفضل جهودهم وجلدهم الطويل الأمد، على نفوذهم الذى كانوا قد اكتسبوه فى عهد الملكة حتشبسوت وخلفائها من الملوك التحتمسيين، بعد أن اضطهدوا اخناتون وأساء معاملتهم، وبعد أن كانوا موضع ريبة وحذر من رمسيس الثانى (٢٦).

٦ - استقبال السفراء الأجانب

كان حفل استقبال السفراء الأجانب يفوق بكثير حفل توزيع المكافآت، لأنه كان مناسبة عظيمة تتيح لفرعون بأن يظهر فيها أبهته ويشبع فيها كبريائه وغروره، لاسيما إذا، كان الموعد قد حدد لاستقبال عدد من السفراء الوافدين من أركان العالم الأربعة فى وقت واحد. كان الرعامسة يستقبلون دائماً التوبيين والنوج ورجال بلاد بونت والليبيين والسوريين والقادمين من نهارينا (بلاد ما بين النهرين) ولكن لم يشاهد بحى مندوبى كريت الذين يرتدون أردية ذات ألوان مختلفة ولهم شعور طويلة ملتوية، مسترسلة ويحملون معهم أوانى مستطيلة ذات حجم كبير وأخرى على هيئة أقعاق وأقداح ذات مقابض

وجرار عملة بالزهور وقد التمسوا أن يسمح لهم بالإقامة في مياه الملك .
ومع أن البعثات قد توقفت إلا أن شهرة الملك امتدت ناحية الشرق حتى
بلاد لم يسمع الملوك الذين يحملون اسم نحتمس وأمنحتب عنها شيئاً مثل
ميدبا والفرس وباكثريا وشواطئ نهر السند .

ولإقامة هذه الحفلات كان يشيد للملك مرادق كبير وسط ميدان ،
ويحيط بهذا السرادق الحرس الملكي وحاملو المظلات والكتبة . ويصطف
السفراء على جوانب السرادق الأربعة ، تتقدمهم الهدايا الثمينة التي أحضروها
معهم ، فيقوم الكتبة بجردها وتسجيلها ثم يؤمر بحملها إلى مخازن المعبد
المجاور .^(٢٧) ويمنحهم الملك في مقابل تلك الهدايا نسمة الحياة ، وقد يهبهم
أحياناً هدايا مادية أعلى قيمة من تلك التي أحضروها ، إذ كان يسرفعون أن
يظهر نفسه بمثابة جبل من الذهب أمام أي بلد آخر ، وما كان يستطيع أن
يتمنع عن إعانة الأمراء المعوزين الذين كانوا يتمنون محالفته ، إما عن طريق
الزواج وإما عن طريق آخر ، طالما أنهصفوا بالمقدرة التامة على أن يلقوا
نظرة سريعة نحو منافسيه ، متى حانت الفرصة .

٢ - البابايج الملكية : الرياضة

كانت الحرب هي أهم ما يشغل وقت الملك . وكان ينشأ الأمراء لهذا
الغرض منذ حداثة أظفارهم ، وكان سيزوسيس Sesoosis ؛ أو بعبارة أخرى
رمسيس الثاني قد عوده أبوه ، مثل سائر زملائه على أن يمارس تمرينات
رياضية متواصلة ترهق الجسد ولم يكن يسمح لأحد منهم أن يتناول
طعاماً قبل أن يكون قد قطع عدوا مسافة ١٨٠ ، ستادا Stades* ولذلك فهو
عندما يبلغون أشدهم يصبحون أبطالا صناديد .^(٢٨) .

* الاستاد نحو ميلين

وتثنى قصبة قاش . وغيرها من النصوص الثرية على قوة الملك البدنية وشدة احتماله ومهارته وشجاعته ، وإذا أردنا أن نعرف تفاصيل التربية الرياضية لصغار الأمراء فإننا نجد لها في لوحة تحتس الثالث (٢٩) المحارب الشجاع ولا سيما لوحة ابنه أمنتب الثاني الذى تولى العرش بعده ، وقد كان طبقا لما غاله الأطباء الذين فحصوا موميائه بأنه كان ذا قوة بدنية خارقة والذى كان يقول عنه معاصروه ، أنه كان ذا ذراع قوية حتى لا يستطيع أى شخص أن يشد قوسه سواء فى ذلك الجنود أو رؤساء البلاد الأجنبية أو كبار رجال بلاد رتنو . Retenou . (٣١) والأمير الذى كان يؤهله مولده لتولى عرش هورس ، كان يقضى وقته على الصورة التالية :

« عندما يبلغ عمره ثمانية عشر عاما ، يكون قد بلغ ذروة قوته ، وقد عرف كل أعمال مونتو Montou وليس له مثل فى ميادين الحرب ، تعلم ضروب الفروسية ، ولا يوجد له نظير بين أفراد الجيش العديدين ، كما لا يوجد رجل واحد يستطيع أن يشد قوسه أو يدركه فى العدو . وعلى الجملة فهو بطل صنديد ، حقق مرانه فى ثلاثة اتجاهات ، إنه فى آن واحد يجذف ، ورمى سهام وفارس .

« كان قوى الذراع ، لا يصيبه كل مهما حرك المجذاف أو أثار دفة السفينة الملسكية بوصفه رئيس طاقم مكون من مائتى نوتى . وعندما ترسو السفينة ، بعد أن يكون هؤلاء الرجال قد قطعوا مسافة نصف أتور Atour ملاحه ، أصابهم التعب ولا يستطيعون بعد ذلك حراكا ، قد انهكت أجسامهم وشق عليهم التنفس .

أما جلالاته فكان على عكس ذلك تماما ، دأبا على التجديف مع أن

في يده مجدافا طوله عشرون ذراعا ، وعندما رست السفينة تقدم جلالته لربطها في مرساها ، لقد قطع جلالته ثلاثة أتورات Atours دون أن يستريح مطلقا منذ أن بدأت الرحلة لقد فرح جميع الرجال لرؤية جلالته يقوم بهذا العمل الخارق . .

وعلى أية حال فلا ينبغي لنا أن ننسى أن مهمة الربان صارت أقل مشقة مما كانت عليه من قبل ، حين أصبحت الدفة تستند في مؤخرة السفينة إلى صار وإلى شق خشبي دار بواسطة محور ، أو توضع على جانبي السفينة إذا كانت ذات دفتين ، وفي عهد الدولة القديمة كان ربانو السفن يستعملون المجداف بمثابة دفة يمسكها الربان بكلتا يديه ، دون أن يستعين بأى شئ آخر ، وكان ذلك يتطلب قوة خارقة لو كان الانجاء ضد التيار أو إذا قصد تغيير اتجاه السفينة . ولم يكن ثمة سبب لنعتقد أن الأمير قد استعمل الوسيلة القديمة ، وعلى كل فان إدارة الدفة كانت تتطلب دون شك مجهودا كبيرا وقوة احتمال ، حتى بعد ابتكار التحسينات المشار إليها .

ينبغي أن يكون رامى السهام الماهر خبيراً في اختيار الأقواس . . لقد شد ثلثمائة قوس ليقارن بين انتاج صانعيها ، ولتمييز بين الصانع الجاهل والصانع الماهر . . وبعد أن اختار قوسا لا عيب فيه ، بحيث لا يستطيع أحد سواه شد هذا القوس ، فعل ما يأتى : دخل ميدان الرماية الشمالى المخصص له فوجد أنهم أقاموا له أربعة أهداف من النحاس الآسيوى وسمح كل منها بقر واحد* ، ويبعد كل هدف عن الآخر بنحو عشرين ذراعا . وعندما ظهر جلالته ممتطيا العربة مثل مونتو Montou في جبروته ، أمسك بالقوس وتقدم صوب أربعة سهام معا على الأهداف ، تماما كما فعل مونتو ، ونفذت

سهامه إلى الجانب الآخر للهدف . وصوب سهامه نحو الهدف التالى :
« هذه الطعنة لم يسبق لاحد أن صوب مثلها ولم يسمع من قبل أن سهاماً
صوبت على أهداف من نحاس فتخترقها وتقع على الأرض سوى ما قام به
الملك القوى الذى نصره آمون . »

وفى الواقع أن ما قام بعمله الأمير أخبرورع Akheperouro ما هو إلا
تكرار المأثرة التى كان قد حققها والده الملك من خبرع Menkheperre
الذى سبق أن قام هو بثقب لوحة من النحاس رمزاً بسهامه . ولكن هذا
لا يقلل من تقدير هذا الأمر الذى يعتبر حقاً من أعمال البطولة . وإذا كان
أخبرورع (امنحتب) مثل أوليس Ulysse قد اضطر إلى أن يعود إلى قصره
وهو كتسول ، فقد كان فى استطاعته بفضل ساعده القوى الذى لا يقهر
وقوسه الذى لا مثيل له أن ينتقم من أولئك الذين قاموا بنهب قصره
ومراودة نسائه .

كان المحارب الحقيقى يحب خيله ، بل كل الخيول أكثر مما يحب نفسه ،
فالأمير نيماروت Namarot لم يكن سوى حاكم على أحد أقاليم مصر
الوسطى وكان يملك أسطبلًا فى عاصمته الأشمونين Chmounou ، وأثناء
الحصار قاسى العذاب كل من كان بالمدينة من الخيل والرجال على السواء .
ولما دخل يمعانخى المدينة متنهراً تفقد الأسطبل ، فوجد المخازن خالية من
العلف والخيول جائعة فأشفق عليها ، وقد اعترته نوبة غضب حادة عندما
تحقق لديه بأن شدة غياه خصمه قد جعلت هذه الحيوانات الجميلة تصل إلى
هذه الحال المؤسفة ، فقال : « قسماً بحياتى . وقسماً بحبى لرع وبالحياة التى
تتجدد فى أنفى ، أن ترك هذه الخيول جائعة أمر قاس على قلبى يفوق كل

ما فعلته من أذى بمماقتك ، ألا تعلم أن الإله يظلمني بحمايته لأني لم أخطئ .
 في حقه ، لقد ولدت من بطن مقدس ، لقد خلقتني الله داخل الرحم وفي داخل
 البذرة المقدسة ، أستشهد بروحه (الـسكا) بأنني لم أعمل شيئاً دون علمه ، أنه
 هو الذي يأمرني أن أعمل ، . (٣٢) ولم يعتمد رسميس الثالث على ضباطه
 للتأكد من أن خيوله في حالة طيبة ومعدة للعمليات الحربية ، فهو الذي كان
 يتوجه إلى الأسطبل الكبير بالقصر مرتدياً ثيابه الرسمية كاملة وممسكاً عصا
 يده ، وسوطاً بالآخرى ، يحيط به حامل المظلة وحامل المروحة ، ويليهما
 الضباط المخصصون لخدمته ، وعندما يدق الناقوس المسمى بـسياس الأسطبل
 ويقف كل في مكانه ، ويمسك كل منهم عنان زوج من الخيل فيفتش
 الملك على الواحد منها بعد الآخر . (٣٣)

كان الأمير أمنتب في حدائقه سنة وقبل أن يكون قادراً على ممارسة
 أعمال متو ، يسيطر على رغباته الجسدية ، فكان يحب الخيل ويفخر بذلك
 ولأنه كان يحبها فقد كان يعرف كافة وسائل تدريبها ، ولما وصل النجاح
 الذي لقيه إلى مسامع أبيه من خبر رع ، (تحتس الثالث) الجبار ، شعر
 بارتياح وغر لما يقال عن ابنه البكر ، فقال لمن كان حوله من
 خاصته :

« فلتعط له أجمال الخيول التي في أسطبل جلاتي في مقاطعة الجدار
 الأبيض . وقولوا له : « اهتم بها ودربها ومرنها وقويها ، إننا نستحلفك أن
 تفعل ذلك » . فاهتم الأمير بالقيام بالعمل نظراً لما لقيه من تشجيع وبمعاونة
 وشيف وعشثروت Rechef & Astarte آلهة البلاد التي ترد منها الخيول ، جعل

منها خيولا لا نظير لها ، لا تسكل من التعب مهما طالت مدة امساكه بزمامها ولا تنصب عرقا مهما طالت المسافة التي تقطعها عدوا .

وكان ميدان السباق في المنطقة الواقعة غربي منف بجوار الأهرام الكبرى ، وقد أمر أمنحتب عندما اعتلى العرش ، أن يشيد مذبح في تلك المنطقة وأقيمت أيضا اللوحة الحجرية البيضاء الكبرى التي حفظت لنا سجل أعماله الباسلة ، وكان ابن أمنحتب تحتمس الرابع شغوقا بتجديد هذه الأعمال الباسلة ، فكان مولعا بتصويب السهام نحو أهداف تقع على مقربة من تمثال أبو الهول الكبير ، ويتجه بعدئذ لصيد الوحوش من الصحراء . وفي أحد الأيام نام بين مخلي تمثال أبو الهول وظهر له في الرؤيا وأمره أن يرفع الرمال التي تسكاد تخنقه وبهذا يكون جذيرا بأن يتولى عرش جب Geb وكان لامفر الأمير من أن يصعد للأمر ، ويسجل للأجيال القادمة (٢١) قصة هذا الحلم العجيب .

ولولا تقوى هؤلاء الشبان لما علمنا كيف كانوا يؤهلون ليتولوا المهام الملكية .

٨ - مفاوضات الصياد الملكية

كان الأمير ، طلبا للتسلية ، يكتفي بالرماية على أهداف من نحاس أو كان يقوم بصيد الوعول في الصحراء على مقربة من الأهرام في حماية حراخني Harakhti ، ولكن أنواعا من الرياضة أشد إثارة كانت تنتظر فرعون متى أراد ذلك . إذ كان في إمكانه أن - يجدها في الصحراوين الممتدتين على جانبي وادي النيل ، ففي وادي نهر الفرات في مكان معين يسمى نبي Nīy حيث يجري النهر بين صخرتين وجد الملك من خپر رع Menkheperre وحرسه (م ١٩ - الحياة في مصر)

قطيعا مكونا من مائة وعشرين فيلا، وبدأت المعركة داخل الماء. ولم يفعل أى ملك شيئا يماثل هذا العمل منذ عهد الآلهة، وتصادف بارادة الله أن تقدم أمنمحب هذه الأفيال زملاءه ليواجه جلالته بالذات، الذى وجد نفسه فى خطر داهم، ولكن من حسن الحظ كان رفيقه القديم فى السلاح أمنمحب Amonemheb بجواره فقطع خرطوم هذا الوحش، فوهبه سيده وساما ذهبيا وأثنى عليه. وبالرغم من ذلك، فقد أخفى قصة ما بذله أمنمحب من تضحية فى الفثرة الرسمية التى نقشت على لوحة نباتا فى حين أن ذكر فيها «إنى أبرز هذه الأشياء فى صدق، دون مغايرة للحقيقة». وما كنا لنعلم حقيقة ما حدث لولا أن أمنمحب قد دون بدوره قصة هذا الصيد الجديرة بالتخليد. ولو كان الذى شارك فى هذا العمل المجيد جندى فى رتبة تقل عن مكانة أمنمحب العظيم فن الذى كان يعرفنا بها، ١٩

أهملت النصوص المعروفة أن تذكر لنا ما إذا كان سيتوى ورمسيس، قد مارسا صيد الفيلة فى وادى الفرات والخرنيت بين الشلال الثالث والشلال الرابع. ولكن النصوص الغائرة فى مدينة حابو تمثل رمسيس الثالث وهو يصيد الأسد والثور الوحشى والوعل (٢٦). وقد تأهب الملك كأنه مقبل على ميدان الوعى، فقد ركب عربته، وتحت بطن الحصان، يبدو أسد جريح، قد انقلب على ظهره محاولا أن ينزع بمخالبه سهمًا مغروسًا فى صدره، وهناك أسد آخر طعن برمحين وحرية، يتجه نحو أجمة من الغاب ليختبئ فيها وهو يزأر، وأسد ثالث يثب فى وسط أجمة خلف العربة، ولكن سرعان ما يلتفت الملك نحوه ممسكا بالحرية ويديه أن هذا المعتدى الجديد لم يتفاد الضربة القاضية التى أصابته.

بواصل الملك ورفاقه الصيد على مقربة من مستنقع يحيط به الغاب

والأعشاب الطرية ، ويطاردون قطيعا من الثيران الوحشية . واصطف الجود وقد سلحوا بالحراب والأقواس والسيوف والدرع ، كأنهم في حرب حقيقة وتضطر الحيوانات وهي في حالة ذعر إلى الفرار هربا ، ولكن عربة الملك تلحقها ، وقد سلح بدوره بالقوس كالألوان كان في ميدان القتال ، لقد سقط أحد الثيران منخنا بجروح السهم التي أصابته في ظهره وارنمى داخل أجمة ، وأخذ يضرب الهواء برجليه ، بينما تمرغ ثور آخر تحت أرجل الخيل ، وحاول ثالث أن يثب إلى الماء في حالة من اليأس جعلت ذيله مشدودا ولسانه خارج فبه ولكنه سقط على منكبيه خائرا ، مهدود القوى .

أما صيد الوعول فيبدو مجرد تسلية إذا ما قورن بهذه المطاردات العنيفة ، فالملك وحيد في عربته يتقدم داخل الصحراء لا يصحبه حرسه ولا يحاول أن يجذب الوعل إلى مكان مغلق كما يفعل أفراد الطبقات البورجوازية في طييه أو الصيادين المحترفون ، ولكنه عندما يرى عن بعد قطيعا من الخمر الوحشية أو الوعول أسرع متجها إليها بعربته إلى أن يلاحق بها ويقهرها تماما .

١ — الملك في حياته الشخصية

عندما كان الملك يعود من رحلة بعيدة أو من حملة داخل الصحراء ، وجد راحته في قصوره في بني رمسيس (٢٧) أو في منف أو في طييه . ولشد ما كان اخناتون يرتاح في قصره الجديد في مدينة اخيتاتون حتى كاد لا يفارقه إطلاقا ، فقد كان أباباراً وزوجاً وفيماً وابناً ودوداً ، كان لا يجد متعة إلا في صحبة الملكة والأميرات فمكن يرافقه في نزهاته ، ويترددن معه على المعبد ، كما كن يحضرن حفلات توزيع المكافآت ، ويعاون الملك في استقبال السفراء الأجانب ويعودن له المشروبات والحلوى ، وكانت الملكة تمسك بالإبريق

والمصفاة لتقدم بنفسها الملك مشروباً ساخناً ، وكانت سعادة الجميع تكمّل
عندما تأتي الملكة الوالدة لزيارة أبنائه .

كانت وجبة الطعام في الظهر والمساء تجمع أفراد الأسرة ، ولكن ليس
من المؤكد أن هذه العادة كانت متبعة لدى جميع الفراعنة . ولقد قاوم
اخناتون الكثير من التقاليد والعادات التي كانت مألوفة في العهود السابقة
ولكنها أعيدت إلى ما كانت عليه بعد وفاته .

وفي بداية الأسرة الثامنة عشرة كان الملك قلباً يعيش بين أفراد أسرته ،
وعندما جاء الملك أحموزا ليستريح على أريكته كانت تجلس عليها السيدة
الفضلى موضع الشاء من الجميع الابنة الملكية الجميلة ، الاخت الملكية ،
الزوجة المقدسة ، الزوجة الملكية الكبرى أحموزا نفر تاري Ahmose
Nefertari ، فعلا دار الحديث بينهما ؟ على ما يمكن أن يقدماء من خير طؤلاء .
السكانتين هناك (الرافدين) وعلى المتوفين الذين يطلبون بالماء وموائد
قرايين منقلة في مناسبات كل أعياد السماء والأرض ، سألت الملكة وقد
اعتراها بعض الاندهاش فربما كانت تتوقع حديثاً أرق من هذا — سألت
« ولم تتناكب هذه الأفكار ؟ وما مناسبة هذا الحديث ؟ وما هذا الذي اعتري
قلبك ؟ نأجأها الملك وهو لا يزال بجانبها : « لأنني تذكرت تتي شري .
Teti-Cheri والدة والدتي ووالدة والدي الزوجة الملكية الكبرى ، الملكة
الوالدة ، رحمها الله ، ومقبرتها ومعبدتها لا يزالان موجودين بين أتربة طبيه
وطينه .

قلت ذلك أمامك لأن جلالتى كانت تمنحني لو شئت لها هرما وقصرا في
جبانة تاجسر Ta - djousir بالقرب من صرخ جلالتى وأن تحفر بركته

(المقدسة) وأن تزرع أشجاره وأن يوطد عيشه ، وأن يخصص له على الدوام رجال توهب لهم أراضي زراعية وقطعان من الماشية ، وأن يعهد بخدمته إلى كهنة الروح (الساكا) ، وأن يكلف رجال بإقامة الحفلات وكل على علم بما يجب أن يعمل . ، (٢٩) وما يثير الإعجاب ، مدى تقوى الملك وسمو حديثه وما يديه من احترام نحو زوجته ولكن لا يستطيع أحد أن يذكر أن الملكة ربما كانت تود أن يتناول الحديث موضوعا آخر . ومع ذلك فإن رمسيس الثاني أقل زهدا بل مرحا من ذلك ، فالنصوص العديدة التي تشير إلى بي رمسيس العاصمة التي أنشأها فوق أطلال أواريس شرق الدلتا تمتدح جمال هذه المدينة وجورها وسحرها ، إذ كان الطعام والشراب فيها طيبا وكان النبيذ حلو المذاق كالعسل ، وكان الأهالي يكالون بالورود ويهللون للملك كل يوم ، وبالإيجاز كانت فردوسا (٣٠) وكانت الحياة أيضا في مدينة اخيتانون مماثل أيام الأعياد ، ولكن مع فارق واحد على الأقل ، كان هذا الملك الخارج على دين آبائه يحيا الحياة العائلية الفاضلة كما ندرتها حاليا . كان الرعامسة يحبون التغيير ، وفي عهد رمسيس الثاني ، طبقا لما وصل إلى علمنا كانت خمس سيدات يحملن لقب « الزوجة الملكية الكبرى » ، ولا يثير هذا العدد العجب إذ أن هذا الملك تولى العرش لمدة سبعة وستين عاما ، وأن عدد أولاده الذي بلغ ١٦٢ ولدا تدل دون ريب على أنه لم يقتصر على زوجاته الرسميات . أما كيف كان مستطاعا أن يعيش كل هؤلاء القوم في وفاق فهذا مما لا يمكن أن يتخيله إنسان نظرا لقلّة المستندات التي وصلت إلينا .

فلنذكر مثلا واحداً في إحدى مغامرات الملك الكبير ، كان قد أبرم معاهدة صلح مع خصمه خاتوسيل Khatousil ملك الحيثيين ، وبالرغم من ذلك فإن الأعمال العدوانية لم تتوقف ، وكان كلما التقى فريق مصري بفريق

من الحيثيين كان يحدث اشتباك مسلح ، فاعترم خاتوسيل أمراً عظيم الأهمية بفرد نفسه من كل أملاكه وأرسلها مع ابنته المحبوبة إلى رمسيس ، انتقل الموكب في الموسم غير المناسب ، ولكن المعبود سوتخ ، الذي لم يرفض شيئاً لرمسيس — وما كان ليرفض له طلباً لأنه من صلبه قام بعمل معجزة ، فانت أيام الصيف وأنارت الشمس الساطعة الرحلة الطويلة التي قطعها الأميرة من عاصمة بلادها في وسط آسيا الصغرى إلى أن وصلت إلى مصر ليس هذا كل ما حدث ، إذ أمر رمسيس بإقامة محضن بين مصر وفينيقيا وأسماء رمسيس العظيم بانتصاراته ، ووضعه تحت رعاية أربعة آلهة ، منها اثنان آسيويان هما سوتخ وعشروت واثنان مصريان هما آمون وواجيب ، وجمع فيه كميات وافرة من المؤن وأرسل إليه أربعة تماثيل ، ثم انتقل إليه بنفسه انتظاراً لقدم الأميرة وموكبها ، حتى يصحبها إلى عاصمته الكبرى في رمسيس ، وكان الأهالي يعبرون عن فرحهم في تهليل وسرور عظيم بروية أميرة فائقة الجمال وأيضاً لأنه للمرة الأولى يتآخي الجنود الحيثيون والمصريون (١) .

ولم يحاول خلفاء رمسيس الثاني اغتصاب مجده في هذا الصدد ، فرمسيس الثالث ذاته ، مع أنه كان غيوراً على الإقتداء به في كل شيء ، قد اقتصر على ثلاث زوجات ، وعلى ما يقرب من عشرة أبناء ولمكنه كان مغرماً بمجالسة النساء ، وكان يسره أن يلعب الضامة مع حسناوات يكدن يكن عاريات ، وكان يقدمن له الزهور والمشروبات والخلوى .

وكان الملوك يحرسون على مجالسة رفاقهم في السلاح وفي الصيد ، وأهل العلم المشهودين ، كان خوفهم قد دعا أتجاله وأخذ كل منهم يقص عليه ، بدورهم قصة ، وعندما بلغ سمع خوفهم ، أنه يوحد في عصره عالم يأتي بالمعجزات ،

كف أحد أولاده ، بأن يحضره إليه . واستدعى سنغرو إلى البلاط الملكي ،
عالمًا كان يعرف أحداث الماضي ويتنبأ بالمستقبل . وبعد ذلك بوقت طويل
أسر أمنتب الثالث الحكيم يسمى باسمه بمخاوفه . ورغبته في رؤية المعبودات .

١٠ — ر. أسس الهرم

بالرغم من أن فرعون كان يعدم عبودا وابنا شرعيا لآمون ، إلا أنه لم يعدم
بعض الممارقات اللائي كن يتآمرن على هلاكه ويجهن عن وسيلة لاختصار
مدة حكمه وتغيير النظام الطبيعي لوراثه العرش . وفي أواخر حكم رمسيس
الثالث فكرت إحدى زوجاته التي تسمى تايا أن تضمن لصالح ابنها وراثه
العرش بعد أبيه العجوز ، وقد ورد ذكر هذا الابن في بردية تورين القضائية
باسم بنتاور ، وليس هذا حقيقة اسمه (٢٤) انفتحت الملكة مع أحد أمناء
القصر المسمى بابا كيكامون Pabekikamun ، ويعنى هذا الاسم «الخادم
الضرب» ، وقام هذا الرجل بدور الوسيط بين نساء الحريم المخلصات لتايا
وبين أمهاتهن واخوانهن اللائي كن يقمن بضم الرجال إلى هذه الحركة
وإثارتهم ضد سيدم (٢٥) وقد توهم أنه وجد نجدة قوية في شخص بن
هوى بن Pen Houi bin أحد مديري قطمان المشاية واجابة لطلبه
أمدم بكتاب من كتب الملك أوزير مارع ميامون المعبود الكبير ،
سيده له الحياة والصحة والقوة . (٢٦) وعندما تناول هذا الكتاب
قام بن هوى بين بتدوين كتابات سحرية ، وصنع تماثيل صغيرة من الشمع
كانت تؤثر تأثيرا مدهلا على فرعون وحاشيته وكان من خواصها إما
إضعافهم وإما أن تفت في عضدهم وتصرفهم عن أدله واجباتهم . وقد اشترك
في هذه المؤامرة اشتراكا فعليا موظفون وسيدات ، وكان أحد المتآمرين
قائد حملة الأقواس في كوش وهو شقيق إحدى سيدات الحريم التي كانت

تسكتب خطابات كثيرة. وقد ورد ذكره في المحضر الذي حرر باسمه بن إماميات Bio myat ومعنى اسمه الشر في طيبة وضابط آخر باسم مسد سورع Mesed sou Re ومعناه رع يسكره (١٥) وكان هؤلاء يحملون دون شك قبل الحادث أسماء مثل الخير في طيبة ، رع يعزه ولكنهم أصبحوا غير جديرين بتلك الأسماء المحكرة لقد علم الكثيرون بهذه المؤامرة ، وما أكثر ما تداوله الناس من حديث عنها ، ولم يسمح المعبود رع بأن ينالوا آمارهم وينتصروا في مؤامرتهم ، ولو أننا لا نعلم بأية وسيلة تمكن من إفساد المؤامرة إلا أننا نعلم بأنه قبض على كبار المذنبين ومساعدتهم كما قبض أيضا على الذين وقفوا على سر هذه التصرفات الشنيعة ولم يبادروا بالتبليغ عنها فشككت هيئة محكمة من اثنين من أمناء الخزينة وأحد حملة المراوح وأربعة من السقاة ومدع ، وقد فضل فرعون اختيار رجال من حاشيته على القضاة الرسميين ، وألقى خطبة تهديدية وردت مقدمتها مشروعة ، يحثهم فيها على ألا يرحموا المتهمين ، قائلا :-

• لتقع على رؤوسهم مسئولية ما ارتكبوه ، أما عن نفسي ، فإن عناية الآلهة ترعاني إلى الأبد ، إني من الملوك العاديين أمام الآلهة آمون رع سونتير وأونيريس سادة الأبدية . • (١٦) ولم يكن الملك موفقا في اختيار أعضاء هذه الهيئة فائنان منهم وأحد ضباط الحرم قد تخلوا عن أداء واجبهم الشريف عندما علموا بأن بعض النساء المتهمات قد هربن وبادروا إلى اللحاق بهن في مكان غير شريف ، ولكن ذلك لم يستمر زمنا طويلا ، إذ عثر عليهم قوم يتصفون بالجد ، وكان أول عقاب لهم أن قطعت أنوفهم وأذانهم ، وكان هذا هو العقاب الذي يطبقه حورحوب على القضاة والحكام الذين كانوا يسيئون استعمال سلطنة وظائفهم .

وقد استعمل الكتائب تعبيرا غريبا ليعين كيف حل العقاب النهائي هؤلاء المذنبين الكبار إذ قال : « لقد تركوهم في مكانهم وماتوا من تلقاء أنفسهم ، وقد يكون معنى هذا أن هؤلاء المساكين قد تركوا وحدهم في قاعة المحاكم فريسة لتأنيب الضمير وفي متناول أيديهم سلاح حاد ، ثم يبقى بعد ذلك ما ينبغي عليهم أن يعملوه . ولكن هناك تفسير آخر أشد إثارة من هذا التفسير ، أشار إليه جاحسون ماسبرو على أثر فحص مومياء عثر عليها في القدير البحري معروقة باسم مومياء الأمير المجهول وهي جثة لشاب تتراوح سنه بين الخامسة والعشرين والثلاثين عاما ، سليم البنية ، خال من الإصابات دفن دون أن تتخذ مع جثته الإجراءات التي تتبع عادة في التحنيط ، فالملح بالكه ، لم يستخرج من مكانه ، وبقيت الأمعاء كاملة ، ولم يعبر وجهه من قبل ، بمثل هذه الدقة عن الذعر الذي لازم نزعات الموت ، فتقاطيع الوجه المتقاصصة رعبا توضح بطريقة شبه مؤكدة أن هذا المسكين قد مات محتنقا لأنه قد دفن حيا ، (٨١) وربما يعتبر هذا التفسير روايا ولكن بمقارنته بالتفسير الأول قد يعترض بأنه ليس ثمة في مصر دليل على أن يترك للمذنبين أن يعاقبوا أنفسهم ، وفضلا عن ذلك فليس ثمة رحمة لأولئك الذين تزين لهم أنفسهم ، أن يعتقدوا على فرعون .

١١ - أوتاه ملكية

إن مدة حكم طويلة وبعض الأحداث تمثل التي سبق ذكرها يمكن أن يوحى إلى فرعون بالرغبة في إطلاع الأجيال القادمة على خبرته بالناس . وقد ترك كثير من الملوك نصائح وتعليمات ومن بينهم صوحتب إيب رع . Sobotepibre (١٩) والد مري كارع Merikare ، ولكننا لم نلق أية مذكرات خاصة لا من سبتى الذى دفن في الغرب (الامنتيت) Amentit في

شرح شبابه ، ولا من رمسيس الثاني الذى لم يكمل إطلاقاً من القيام ، طيلة حياته ، بأداء دور الآلهة بين الناس ، وفيما يتعلق برمسيس الثالث فقد وصلت إلينا المذكرات الطويلة التى أملاها فى نهاية حياته ، فى حالة تكاد تكون كاملة . (٥٠)

وكان الملك يعتقد أنه قام بعمل حسن فقد خصص أفضل مصادر الثروة فى البلاد لتكبير وتجميل معابد الآلهة وعلى الأخص معبد آمون فى أوبت Opet ومعبد توم Toum فى أيون رع Ioun Re ومعبد بتاح فى منف وما يماثلها دون أن ينسى معابد المعبودات الأقل مرتبة ، إذ أمدها بعدد وافر من الموظفين المدربين وبقطعان من الماشية والأموال العينية وفى مناسبة كل عيد من أعيادها ، زودها بكل المعابد بالطعام والشراب ، ومع كل ذلك فإنه لم يهمل الجنس البشرى ، فقد جعل النظام والسلام سائدين . وقد هزم الليبيين وقتل بهم لأنهم كانوا يحتلون حافة الدلتا فيما بين غربي النيل والصحراء كما لو كانوا يمتلكونها ، واتخذهم أسرى وضمهم إلى ثكنتاته ، أما قرصان البحر الذين كانوا يهاجمون الشواطئ المصرية فقد صدهم واقتنهم درساً لم ينسوه مدى الحياة ، وقد أنشأ أساطيل كاملة وأرسل بعثات لايحصى عددها إلى كافة أنحاء العالم لطلب البخور والعطور والزمرد والذهب والنحاس والأبنوس والعاج وكذا خشب الأرز من لبنان ، وأصبحت مصر فى عهده جنة لم يستطع أحد أن يعكر صفو السلام فيها .

لقد منحت الحياة للأرض كلها وسكانها رخيتم Rakhtyt وبايت Payt وهنميت Henmety رجالاً ونساء . لقد أنشئت الناس من هذه الفقر وهبتهم نسمة الحياة وحميتهم من الأقوياء الذين كانوا يضطهدونهم . القدر ثوت الأرض وازدهرت طيلة حكمى ، منحت الخيرات للآلهة

والناس ولم استحوذ لنفسى على شيء عما كان ملكا للجميع. وقد أنعمت مدّة
حكى على الأرض كملك للأرضين ، لقد كنتم خدما لى تحت قدمى ، وكنتم
أعزاء إلى قلبى كما كانت أعمالكم حسنة لعلكم تستطيعون قراءة مراسمى
وقراراتى ، هاأنذا أرقد الآن فى الجبانة مثل والدى رع . لقد أصبحت ضمن
مجموعة الآلهة الكبيرة فى السماء وعلى الأرض وفى الآخرة ، (٥١) ومع
أنه كان عظيم الثقة فى معبوداته . إلا أنه كان ثمة شيء يقلق بال الملك . إن ابنه
الذى أنجبته رع نفسه ، ابن آمون الذى خرج من جسده قد توج سيدا
للأرضين مثل تاتن Ta-tenen ، ولا شك أن الدنيا كلها تحت قدميه وتقبل
الأرض بين يديه ، ولكن هل سيستمع المصريون إلى نصائح هذا الذى انضم
إلى الآلهة التى خلفته طالبا إلههم أن يتبعوه فى كل وقت ، وأن يعبدوه ،
وأن يمجّدوه وأن يزيدوا جماله كما يفعلون لرع فى كل صباح .

وكانه كان يقنّباً بأن أيام مصر الفرعونية السعيدة سوف تزول فيكرر
الملك دعاه لجميع المعبودات من أجل ابنه ، فمكّن يقول لآمون :

• استجب لا بهتالانى يا أبى وباسيدى ، إنى وحيد بين مجموعة الآلهة القائمة
بجانبك ، اجعل ابنى ملكا مرموقا فى مسكن نوم Tonu ، فأنت الذى أقتنه
ملكاً منذ كان شابا ، وأنت الذى جعلت منه حاكما ، له الحياة والصحة والقوة ،
على الأرضى فوق البشر ، فامنحه الملك للملايين السنين وأفتح الجبوية لأعضائه
امنحه أولادا يومية ، أنت الدرع الذى يحميه كل يوم واجعل سيفه ودبوسه
فوق رؤوس الآسيويين المنظر حين أرضا خوفاً منه كأنه المعبود بعل
ولتقتد حدود أراضيه كما يشاء ، ولتسكن الأرضى والصحارى فى رعب منه
امنحه توميرى Tomery (الأرض المحبوبة) بدعوة خالصة من أهلها ، ابعده
عنه الشر والنكبات والمصائب واجعل السرور يسكن قلبه وأن يهمل الناس

مفرحاً ويفتخروا ويرقصوا أمامه - ضع في قلوب الآلهة والمعبودات حبهم له ، والحنان والوقار له في قلب باييت .

سوف يتحقق ما نتفياً به تماماً دون أن يستطيع أحد رده أو الوقوف أمامه ، وأن ما نقوله سوف يصبح حقيقة ثابتة رائعة ، لعل في مقدورك أن تمنحني الملك لما تتي عام ، وأن تثبت الملك لابني الذي على الأرض . مد من أجل بقاءه على العرش أكثر من أى ملك آخر ، مراعاة لما فعلته من خير لشخصك . وبأمره يسوس الملك ، لأنك أنت الذى توجهه لن ينحرف عن اتباع ما فعله يا سيد الآلهة . اجعل مياه النيل في عهدك السعيد تفيض بوفرة وخير تكفى لإطعام ملكته بالكثير من المؤن - اجلب إلى قصره المقدس الملوك الذين يحملون مصر وظهورهم محملة . . ، (٥٢) . ويكرر الملك هذا الابتهاال بنفس هذه اللمجة لأنوم Toum وبتاح Ptah واسكل آلهة ومعبودات الناسوع الكبير ، السطور الأخيرة لهذا المستند تعد نداء علويًا للناس وللمعبودات على حد سواء من أجل هذا الابن المحبوب ، هل جاء عاقل من بين أولئك الكثيرين الذين أنجبهم مصر لينذر رمسيس الثالث بأن المصائب التي أمكنه أن يبعدها عن مصر بفضل مهاراته وجرأته وحسن توفيقه سوف تنقض على نوميرى - أرض مصر ؟ في الأزمان السالفة لآخوفو سبق أن أنذر قومه بأن أسرته سوف تنهى بعد ثلاثة أجيال ، وأما أسرة رمسيس فلن يكون أمامها أكثر من سبعين عاماً تقريباً ، كانت السنوات الأخيرة منها شديدة البؤس ، ولكن سوف تستعيد مصر مجدها بفضل حكام آخرين .

الفصل التاسع

الجيوش والحرب

١ — مزايا واضرار مهنة الحرب

اعتبر الكتاب مهنة الجندية أقل مكافئة بكثير من مهنتهم. أما تلاميذهم وقد خدعهم بريق المظاهر فكانوا يؤثرون أحيانا على الأقلام والألواح، السيف والقوس وخاصة تلك العربية التي يجرها حصانان مطهمان قويان . وكان لزاماً أن يوضع لاولئك الشبان المجانين مدى تعاسة الجندى . فمن بين التمارين المألوفة التي كتبت في عهد الرعامسة الكثير الذي يحوى وصفا لهذا البؤس ، فكان الذي يقع الاختيار عليه ليصبح ضابطا في المشاة ، يؤخذ من المهد ، وعندما يبلغ طوله ذراعين ، حبس في الشكتات ، وكان يخضع لتعذيبات بلغ من قسوتها أن رأسه وجسمه كانا يصابان بجروح عميقة تترك أثرا ولا تشفى أبدا ، وإذا حاول الاستراحة طرب كما يدق ورق الكتابة وأخيرا إذا ما آن أن يشترك في معركة ما أصبحت حياته كابوسا مزعجا : دعال واسمع حملاته الحربية في سوريا وسيره فوق الجبال ، إنه يحمل خبزه وماءه فوق أكتافه كأنها حمولة دابة تنوء من ثقلها فقرات سلسلة ظهره . يشرب الماء الآسن ، وينام متيقظا . وعندما يلتحم بالعدو يكون مثل طائر قد وقع في فخ وأصبح لاحول له ولا قوة . وعندما يحين الوقت ليعود إلى مصر يكون بمثابة خشبة نخرها السوس ، تتناهب الأونجاع ، ويصاب بالشلل ، ويحمل على حمار ، يسرق اللصوص ملابسه ويهرب مساعده . (١)

وتتعدم هذه المتاعب بالنسبة لضابط العربية . ففي أول عهده بالخدمة ، عندما يتسلم من الاسطبلات الملكية جوادين كريمين وخمسة من المساعدين يبلغ به السرور مداه فيجرى إلى بلده ليظهر بها ، ويتحدى أولئك الذين لا يظهرون إعجابهم به ، وعليه الآن أن يتولى كسوة اثنين من مساعديه كما أن عليه أن يشتري عربية ، ويساوى ثمن عريش العربية ٣ دين من الفضة وصندوق العربية ٥ دين ، وهذا يستنزف كل المبلغ الزهيد الذى ورثه عن والديه . ويجد نفسه وقد تورط فى معارك جديدة ، فيسقط ويخرج ويترك الحصان والعربة مهملين فى خندق ، وفى نفس الوقت يمر عليه رؤساؤه للتفتيش ، فيقبض عليه ويحكم عليه بالضرب بالعصا ، فطرح أرضا ويضرب مائة ضربة . (٢) وليست هذه اللوحة بطبيعة الحال مضبوطة تماما وتنقصها الصراحة ، على أنه يمكن أن يستنتج منها أن طبقة المتعلمين لم تكن على علاقة طيبة مع طبقة العسكريين . وربما كان الشعور متبادلا بين هاتين الطبقتين .

استطاع قدماء العسكريين الذين قاموا بحملات حربية فى سوريا والنوبة وليبيا أن يعودوا إلى بلادهم بعد أن أنهوا مدة خدمتهم ومنحوا معاشا مجزيا مثل أحسن ابن أبانا . Ahmose fils d' Abana ، أو نالوا منصبا فى البلاط الملكى مثل أحسن بن نخبيت Ahmose de Nekhabit ، ولم يشيروا إلى أى شىء ساهم خلال خدمتهم العاملة . ويقول بن أبانا : « إن ذكرى الإنسان الذى يقوم بأعمال البطولة لن تسمى أبدا من هذه الأرض » .

وبالإضافة إلى هذا فقد كانت مهنته مجزية ، فبعد كل غزوة موفقة كانت الغنائم توزع . أما الشجاع الذى يقيد اسمه فى السجلات الملكية فتمنح له أراضى فى بلده ثم مما يصادر من أملاك أعداء الملك ، كما يمنح عبيدا من

الجنسين ، وقد نال أحموزا نفسه ١٩ عبدا وحصل على مكافأة جزاء شجاعته ذهباً عدة مرات ، هلى هيئة عقود وكؤوس نمائل كأس تحوتى Thouty ، وكان محفورا عليها بالهيروغليفية ، منحت بإفهام من الملك من خبرع إلى الأمير النبيل والاب المقدس المحبوب من الإله ، الذى أسعد قلب الملك فى طول البلاد الأجنبية وعرضها ، وفى جزر البحر الكبير ، والذى ملأ المخازن باللازورد والفضة والذهب ، حاكم البلاد الأجنبية ، قائد الجند ، والمرضى عنه من الإله الطيب ، والذى يمنحه سيد الأرضين الحياة ، الكاتب الملكى تحوتى. (٢)

وديدو Dideo أحد الجنود المحترفين ، الذى شغل الأعمال الآنية على التوالى : حاكما للمصحراء غرب طيبة ، ورسولا ملكيا لكل البلاد الأجنبية ، حامل العلم لحرس جلالته ، قبطان السفينة مرى آمون Mery-Amon ، وأخيرا قائد الشرطة ، قد نال بدوره فى عدة مناسبات ذهب التقدير . وقد علق فى رقبتة نخلا وأسدا يتحرك ، (٣) من الذهب تتدلى من شريط فوق المعقد الذى يتقلده .

كذلك فإن أحد معاصريه وهو أيضا من حملة العلم ، ويحمل اسمارنانا هو : نب كيمى Neb-kemi (سيد مصر) ، نال أيضا سوارا من خليط الذهب والفضة . (٤)

وقد كان أكثرهم توفيقا ، حامل العلم نب آمون Nebamon الذى بلغ الفيخوخة وهو فى خدمة فرعون ، قضائها فى إخلاص وشهامة وتمان دون أن يتعرض طول مدة خدمته الطويلة لأى عقاب أو لوم ، صمم جلالته الذى قدره حق قدره وعرف مزاياه أن يتوج شيخوخته فمنحه منزلا جميلا ذا طابقين وفناء داخلى تظله شجرة من نخيل ، كما أمده بخدم وقطعان من الماشية

وأراض وعبيد ، مع ضمان ألا يتمكن موظفو القصر من استردادها ، وقد
انعم عليه بلقب ايماخ Amakh ، ولم يشأ فرعون أن يعفيه كاية من الخمسة
العاملة لذلك عينه رئيسا للشرطة في غرب المدينة ، وقد منحت له هذه
الخيرات والألقاب في حفلة استعراضية ، ولما كان نب آمون حاملا للعلم
فقد عين فيما بعد ، مثل ديدو تماما ، قائدا للسفينة الحربية مري آمون ، وقد
رسم على علم سفينة تتوسطها قررة ودقة وحبال ، وقد وفد كل رجال
السفينة الحربية ، في مركب ليشتركوا في تكريم رئيسهم القبطان السابق .
جلس الضباط على مقاعد قوائمها متقاطعة على شكل X بينما وقف الرجال وقد
التصقت أكتافهم في أربعة صفوف . وقد أعاد نب آمون العلم الذي كان يحمله ،
عندما كان يرافق سيد الأرضين في البلاد الأجنبية وفي الجنوب والشمال ،
بعد أن حياه ، وبعد ذلك تقدم ضابط من حملة مروحة الملك وأعطاه علما
جديدا رسم عليه غزال ، فوق ظهره ريشة نعام ، وهي شارة رجال الشرطة
العاملين في غرب طيبة ، وكذلك عمود صغير على هيئة نخلة ، أطول قليلا
من الكف ربما كان يتضمن نسخة من المرسوم الملكي بتعيين نب آمون .
بعد هذه الحفلة كان رؤساء شرطة الحدود الميچاؤو Medjaïou يسرون في
استعراض أمام رئيسهم الجديد ، بينما ضابطان هما ترى Teri قائد الميچاؤو
والملازم مانا Maadani بركان أمامه على ركبتيهما حتى تمس كيعانهما الأرض ، ثم
يقدمان أعلاما صغيرة إلى نب آمون بعضها مربع ، وبعضها نصف دائري ،
وقد نقش على البعض دون شك اسم ورقم أو علامة مميزة للوحدات التي
تكون منها قوة الميچاؤو . وأخيرا يعلن بوق بدء الاجتماع ويسير الموكب
وفي مقدمته حامل العلم بقبعة حملة الأقواس الذين يسبقون المشاة الثقيلة
المسلحة أفرادها بالرماح والدروع ، وعندما يمرون بجانب نب آمون ، يمرض
حملة الأقواس أسلحتهم باليد اليمنى ، ثم يعلقونها بعدئذ في رقابهم بحيث
تصبح أذرعهم طليقة ، ويسرون وأكفهم مقبوضة . (١)

وعلا لا جدال فيه أن رجالا مثل هؤلاء لا يمكن أن يجاروا بالشكوى من معاملة رؤسائهم ، وما نعرفه عن صفار الضباط والرتب العسكرية الأخرى الذين لم تكن السبل ميسرة لهم ليشيدوا لأنفسهم مقابر ويزينوها برسوم تين مراحل حياتهم الحربية ، يقل عن ذلك بكثير . على أية حال فإن هذه الرسوم تطلعنا على طريقة حياة الجندي العادى ، ومن الجلى أن كبار الضباط وكتاب الملك وكتاب التجنيد مثل چانوفى Tjanouni وحر محب Horemheb وأمنمحات Amenemhat كانوا يظهرون ، وهم يبذلون مجهودات شاقة فى اطعام الجنود . ويتكون الطعام العادى للجيش من الخبز ولحم البقر والنبذ وفطائر وخضراوات ، من كل الأطعمة الطيبة المغذية المنعشة . ويسير الرجال فى نظام تحت إشراف ضباط الصف ويحمل كل منهم مزوده ويعبرون أحد الأبواب إلى فناء توجد فيه جرار وتضف ملاى بالفطائر وقطع مستديرة من اللحم المفروم وشرائح اللحوم . ويجلس على الأرض رجال كبار السن يرتدون ملابس بيضاء ، خلف القفف وهؤلاء هم ، دون شك ، الخبازون والطهاة .

ويسجل الكتاب أولا بأول عدد الرجال وكية التموين التى أعطيت لهم (٧) وأصبح من بين مسؤوليات نب آمون بعد ترقية قائدا للبيجاو ، الإشراف على تدريب المجندين الجدد والعناية بهم . وكان سعيدا بأن يودى هذا الواجب وهو جالس على مقعد صغير ، يعاونه مساعدان يحملان ، تحت تصرفه ، مقعداً صغيراً آخر وصرّة ونعالا وعصى . وفى حضوره يحمل الكتاب كيات التموين ويقيدون عددها ويختتمون أوراق النبذ ويمهرون الثيران . (٨) ومن المحتمل أن نفترض أن هذا الطعام كله لم يكن مخصصا لنب آمون وحده بل من حق كل الفرق التى كانت تحت قيادته ، لأن نب آمون كان هو المكلف بالعناية بالجنود الجدد .

وقد اهتم الرعامسة ، مثل أسلافهم ، بأن تكون تغذية جنودهم طيبة وأسلحتهم موفورة ، وقد بذلوا كل ما في وسعهم حتى يرضى الجنود بحالهم . وهذا هو السبب الذى من أجله أنب رمسيس الثانى رجال جيشه فى شدة بالغة وذلك عندما تركوه وحيدا وسط أعدائه دون أن يتمكن من ألا يعتمد إلا على نجدة آمون ، لقد خاطبهم قائلا : « كم كنتم جنباء ، يارا كبي العربات ، لن أكون غفورا بكم بكل تأكيد مع أنه لا يوجد أحد بينكم لم أسد إليه جيلا فى بلادى . ألم أقف بينكم كسيد ؟ أما كنتم فقراء ؟ فجعلت منكم كبراء ، بفضل روحى (الكا Ka) كل يوم ، أقمت الابن مكان أبيه ، وجنبت هذه الأرض مغبة الشرور ، وخففت عنكم الضرائب ومنحتكم أشياء أخرى كنتم قد حرمتها فيما سبق منها - وكلما تمنى أحدكم شيئا البيت على الفور أمنيته . ولم يعمل أى ملك لجنوده مثل ما عملته جلالتي لكم ، بالمعيشة فى مدنتكم دون أن استعمل حتى كحاكم عليكم ، وكذلك أتم أيها المحاربون بالعربات أذنت لهم بالذهاب إلى مدنتهم قائلا : « سوف أجدكم دائما مستعدين لحوض المعركة وعندما تحين ساعة السير إلى الحرب . » (٩)

وربما كان فى استطاعة رمسيس أن يسائل نفسه كثيرا عما إذا لم يكن قد يسر لجيشه الحياة الهنية ، لكن رمسيس الثالث ظل يراوده نفس الشعور ، إذ بعد مضى ، عدة سنوات من توليه العرش ، استكان له العدو ولم يجرؤ على الظهور ، وأصبح الجند كأنهم من الأعيان أصحاب الدخل ، يسكنون المدينة التى تروقهم ومعهم أسرهم ويتصرفون فى وقت فراغهم الطويل كما يشاؤون . « لقد تركت الجنود والمحاربين بالعربات يستريحون ، فى عهدى . تركت الساردان Sardanes والقاهاق Qahaq (جنود مرتزقة من أصل لىبى) ، ينامون فى مدنتهم بمددين على ظهورهم ، أصبحوا لاهابون المحاربين النوبيين ولا الأعداء السوريين . وصفت الأسلحة والأقراص فى حجرات

الخازن ، وكان الجنود يأكلون ويرنون وقد نهكت قلوبهم سروراً ، وكان أولادهم رنساؤم يمشون معهم ، كانوا لا يتلفتون إلى الخلف . كانت قلوبهم مطمئنة ، كنت لهم بمثابة الضمان أحي أجسادهم ، (١٠) وبالأختصار فإن ما قاله هيرودوت عن الجيش المصرى فى عهد بسمتيك ، كان صحيحا فى عهد الرعامسة ، فكان ثمة نوعان من المحاربين كان يطلق عليهم اسم كلاسيبرى Calasiries وهرموتيبى Hermotybies كما قسم رمسيس جنوده إلى المشاة مشاؤ . Mechnou والمحاربين على العربات تنت حتيرى Tent-Heteri : ولم يكن الجنود يتعلمون مهنة أخرى سوى مهنة حمل السلاح كانوا يتوارثونها ابتاعن أب وكانوا جميعا من ذوى الأملاك . وكان رجال الحرس الملكى يحصلون على حصص إضافية من القمح واللحم والعجول . (١١)

٢ - الخدمة المرافقية

عندما خاض ملوك طيبة حرب التحرير ضد الهكسوس لم يكن جيشهم مكونا إلا من المصريين وحدهم ، ثم خطرت لهم سريعا فكرة ادماج الأسرى بهذا الجيش وفى الفرقة التى كان يقودها جانونى Tjanonni الكاتب الملكى الذى عاش فى عهد تحتمس الأول نجد فيلقا من الجنود الأشداء ذوى تقاطيع تختلف عن بقية الجنود المصريين (١٢) ، فالمصريون طوال القامة ، نحاف الأجسام ، أكتافهم عريضة وبطونهم مستوية ، أما هؤلاء الأجانب فأعضاؤهم ضخمة ، يتركون شعورهم تنمو طويلا وتندلى فوق أقفيتهم . أما الحزام فيؤكد حجم بطونهم الكبيرة . ويعلمون خلف ظهورهم ذبول حيوان الفهد التى تصل حتى أقدامهم . ولا شك أنهم أتوا من الأنطار الجنوبية ولكنهم ليسوا من الزوج . ويسبرون معا فى خطوات متزنة واسعة خلال التمرينات العسكرية . تتقدمهم أيديهم اليمنى الى يقبضون بها على عصى .

وكان أخناتون يفضل هؤلاء الأجانب على غيرهم وكان من بين حرسه الخاص الذى كان ينتظره لدى خروجه من القصر وبصاحبه إلى المعبد عدد من الأجانب السوريين والليبيين والزوج يفوق عدد المصريين (١٢)

بدأ ظهور الحبشيين فى الجيش المصرى أيام حرنمحب Horonemheb كما ظهرت شعوب البحر أيام ميسى . وكان كل حرس رمسيس الثانى من شعوب الساردان (١٣) ، كانوا طوالا ، نحافا أقوياء البنية . وقد أظهر الرسامون المصريون ، الأقوياء الملاحظة مهارة فائقة ودقة فى التعبير برسم المصريين وتقاطيع وجوههم الواضحة وأشكالهم الجانبية البارزة المعالم ، وميزوهم عن الزوج ذوى الوجوه المفرطة الأفقية وعن الليبيين النحاف الأجساد ذرى العظم البارز وعن الساميين بأنوفهم المحدودة ، وظهر على أحد جدران معبد أيدوس رسوم أولئك الذين جندهم فرعون فى جيشه ضد التكتل الذى كان يهدده ، يظن من يراهم أنهم من الأوروبيين .

وقد مكنت انتصارات جيش رمسيس الثالث فى حروبه ضد الليبيين وشعوب البحر الأبيض من ازدياد عدد الأصرى . الذين كانوا يوسمون كالماشية ويختمون باسمه ، كما كانوا ينخرطون فى خدمة الجيش وينخضعون له طبقا للنظام المصرى . (١٤)

وكانت التمرينات عبارة عن السير جماعات فى طوابير منظمة أو يتعاركون شخصا تجاه الآخر ، وكانت إحدى تسليات الملك أن يشاهد المصارعات والمسابقات التى تقام بين الجنود الذين أحسن تدريبهم . وكثيرا ما كان يدعو معه رجال البلاط ليستمتعوا بالمشاهدة . (١٥) ويسير الأمرام وهم يحملون مراوح ذات أيد وثبتت دلايات فى الشعر تغطي الحدود . وكان

يشترك مع المصريين أمراء أجاناب مثل اللاحى حداد Haded عدو داوود . ويمكن تمييز السوريين بالمتز الذى يحيط بوسطهم ، وبشعورهم الطويلة التى حبكت بشرائط ، وبذقونهم . أما الزنجى فيتزين بأقراط ضخمة فى أذنيه ويفرس ريشة نعام فى شعره ، أما الحيشيون والليبيون فيرتدون الملابس المزركشة . ويحجى الجميع فرعون بصوت واحد : « أنت ، يا فرعون ، مثل المعبود مونتو Montou ، لك الحياة والصحة والقوة أيها السيد الطيب . لقد أخضع لك المعبود آمون هؤلاء الأجاناب الذين ارتكبوا إثما فى حقك وتآمروا ضدك ، فمأخضهم ! »

والآن يقف المتبارزون فى الميدان ، يرى متنافسان كل منهما تجاه الآخر ، وكلاهما مسلح بهما ، وقد ارتدى الزى الحربى الذى يتكون من مترز على هيئة مثلث ، ونكس طرف العصا إلى أسفل . وقد اف كل منهما على ساعد ذراعه اليسرى أسورة ويحمى اليد اليمنى قفا من الجلد ، وأما الذقن والصدغان فتلاف بأربطة كثيفة عريضة تتصل بقبضة تحمى الجبهة . وينحى أحده المتبارزين نحو ولى العهد ، الرئيس الأعلى للجيش ، فيشجعه هذا قائلا : « تحية لقلبك - تحية لقلبك أيها المحارب . أما المبارز الآخر فيرفع كلتا يديه إلى السماء ، وتبدأ بعد ذلك المباراة . يكبل المتبارزان كل منهما الآخر ضربات قوية بالعصى ويحتم كل منهما وجهه بذراعه اليسرى ، ويتبادلان الزحبات فائزين : « خذ حذرك . . سأربك قوة ساعد المحارب . »

وبلى المتبارزين بالامضاء المصارعون . يرفع مصارع مصرى خصمه الليبى الذى يرمض يد خصمه ، فيهرخ العضوض قائلا : « الويل لك أيها السورى الذى يعض بضمه . إن فرعون معى ضدك . فله الحياة والصحة والقوة إنه مولاي ! » فهل يهـن أن تعتقد أن فرعون يوقف المباراة ويعاقب المصارع المخادع ،

أو أن هذا النصف غير السليم من الناحية الرياضية لا يحول دون انتصار
البطل المصرى لأن فرعون يؤيده بدعوته ؟

والآن يتبارز مصريان ، يرفع الذى على اليسار ساق خصمه من الأرض
ويعلن فى لغة الجند بأنه سيملى به أرضاً أمام فرعون .

وأخيراً يواجه مصرى ، ربما كان الذى قد ربح المباراة السابقة ، زنجياً
ويتبارزان ، وقد يشجع الحكيم المصرى موطنه ، بالرغم من أن هذا العمل
ليس مستحسباً كثيراً ، فيقول له : « اعلم تماماً أنك أمام فرعون ، له الحياة
والصحة والقوة مولانا الطيب ، يرفع المصرى ، الزنجى من وسطه ويقول له
وهو على وشك أن يلقى به على الأرض : « آه ها أنت ذا بين يدي أيها الزنجى
القدر ، سوف أرميك بمزق الاضلاع أمام فرعون ، . وها هو ذا
يسقط للمرة الثالثة وقد انكفأ أرضاً على ركبتيه وأكتافه . عندئذ ينسحب
لزنجى من المباراة دون شك ، إذ أن الفائز قد هب واقفاً رافعاً ذراعيه مؤكداً
انتصاره ، قائلاً : « آمون المعبود المزدهر ، المنتصر على الأجانب ، إن
السكرتيرة الكبرى أورسى مارع Oursimare هى التى تتزعم القيادة ، وقد
قهرت كل البلاد ،

وقد أرضت نتيجة هذه الحفلة وهو المصريون ويمكن أن نسأل أنفسنا
كيف كان رجال البلاط يقابلون انتصار الأجانب حين يكونون أقوى من
المصريين ؟ لا شك أنهم كانوا يقابلون ذلك بفتور ، ولكن صاحب هذه
النقوش المحفورة البارزة ، التى دونت حياة الجنود ، لم تبين لنا عمداً مدى
انعكاس هذا على الأهالى ، كما لم تبين لنا المنح التى كانت تعطى للفائزين أو من
ناحية أخرى فقد أوضحت لنا فى رعاية رسوم الأمراء الأجانب الذين كانوا

في الصف الثاني من المشاهدين يرقبون هذا المنظر ومظهر تقاطعهم السلمي الصامت لا ينم عن تمام الرضا .

٣ - الجيش في الحرب

حصل الجيش المصرى على الكثير من الفرص لإظهار بسالته في عهد الأسرتين التاسعة عشرة والعشرين . وإذا كنا نناق في ما ورد في القهصر والنقوش البارزة الرسمية وبصفة خاصة في تلك التي ذكرت الأعمال الكبرى التي قام بها الملك سيتي في فلسطين والتي أقدم عليها الملك رمسيس الثالث ضد الليبيين وضد شعوب البحر ، فإن هذه الحملات الحربية تظهر لنا وكأنها درامة تتكون من أربعة فصول ، الفصل الأول - توزيع الأسلحة وتحرك الجيش والفصل الثاني - موقعة فاصلة في مكان متسع . والفصل الثالث - حصار مدينة والاسقيلاء عليها . والفصل الرابع - عودة المنتصرين . كان هذا هو المؤلف عادة في عهد الرعامسة . على أن النصر في العهود الغابرة لم يكن إلا مجرد مصادفة كما هو الحال في عصرنا الحالى .

والمصريون لا يذكرون عن طيب خاطر خسائهم ، ونحن نعرف أنهم قاسوا خسائر مرة : ففي نهاية الأسرة الثامنة عشرة تتبع جنود الملك الحيثي سوبيلوليوما Subbiluliumma الجيش المصرى وهزموه داخل سوريا ، انتقاما من مقتل الأمير الذى كان قد جاء إلى مصر بدعوة من أرملة فرعون . (١٧) أما العهد الذى نتحدث عنه فكان في مجموعه عهد انتصارات مجيدة للجيش المصرى ، فلنتابع إذن الجيوش في سيرها الذى لا يقاوم .

٤ - تجميع الأسلحة وتوزيعها

قبل أن يزج فرعون ببلده في العمليات الحربية كان يرجع عادة إلى رأى

مستشاريه حتى ولو كان مصما على أن يثير الحرب . وهذا ما اتبعه كاموزا Kamose أحد محررى مصر عندما عزم ، بناء على وحى آمون ، على مهاجمة الهكسوس الذين كانوا يحتلون كل أراضى الدلتا ومحافظات مصر العليا ابتداء من المحافظة الرابعة عشرة والذين كانوا يطمعون أيضا فى توسيع منطقة احتلالهم وفرض عبادة سوتخ على أهالى مصر التى بقيت مستقلة وكان المستشارون وهم شبان متحفظون يفضلون الانتظار خشية زيادة إفساد الموقف الذى كانوا قد اعتادوه ومع ذلك فقد رجحت فكرة الملك وأعلنت الحرب . (١٨) على أننا نجهل ما إذا كان أحد الرسل قد أخطر الهكسوس بإرادة فرعون أو إذا كان المحتلون لم يعملوا بنيات أهالى طيبه إلا عندما رأوهم يتقدمون حاملين السلاح فى اتجاه الشمال ، كان ملوك الشرق القديم يتراسلون كثيرا ، وكانوا يكتبون كتابات رمزية وتهديدات ومطالبات وشكاوى ، كما أنهم كانوا يتبادلون أنباء المواليد الجديدة والوفيات والمؤامرات ضد بعضهم البعض . وختمت العداوة بين الحيشيين والمصريين فى السنة الحادية والعشرين من حكم رمسيس الثالث بمعاهدة ذات مقدمة وعدة بنود وخاتمة وقعها الطرفان وأمرت بالاختتام . وكانت هذه المعاهدة تعتبر ، زمنا طويلا ، أقدم معاهدة مدونة فى العالم* . غير أن بين يدينا الآن كثيرا غيرها ، أقدم منها عهدا . ولست كنا لا نعرف فى الوقت الحاضر واحدة منها تشير إلى إعلان الحرب بين دولة وأخرى . على أننى أعتقد أنه كان يحدث أن تعلن دولة الحرب على غيرها لأننا ، كما سنرى ، كان الخصوم يتبادلون الرسائل خلال العدوان .

وعندما تبدو الحرب محتملة الوقوع كان فرعون يجهز المشاة ويعد معداته

* يرجع تاريخها إلى عام ١٢٨٠ قبل الميلاد

الحرية ، وجنود الساردان الذين كانوا أسرى نتيجة انتصارات الملك ، وقد سلّحهم ، ومدربهم على وسائل الحرب ، وكانو يكونون فرقة خاصة يحتفظ فرعون بقيادتها . وكان الجزء الأكبر من الجيش يتكون من عدة فرق من المصريين والسوريين والليبيين ورجال من الأقاليم الجنوبية . وتشير نصوص من عهد الملك سبتي إلى فرقة آمون وكانت تعرف أيضا باسم « الآقواس الباسلة » وفرقة رع وتعرف باسم « الأذرع العديدة » وفرقة سوتخ وتعرف باسم « الآقواس القوية » . (١٩) وفرقة رابعة تعرف باسم فرقة بتاح ، ظهرت لأول مرة ، حسب ما نعلم في بدء حكم رمسيس الثاني .

كان توزيع الأسلحة والمهمات يتم في حفل رائع يحضره الملك شخصيا . (٢٠) وكان رمسيس الثالث يتخذ مكانه على شرفة فوق ربوة عالية وقد ارتكأ بذراعه على وسادة يتقبل التحيات ويسمع خطب ضباطه ، ثم يتحدث إليهم بنفسه : « أخرجوا الأسلحة وأعرضوها على الملأ حتى نحمد شجاعة أبي آمون للبلاد النائرة التي تجهل قدر مصر ، وكان يرتدى في هذه المناسبات الزي الكامل الذي يتكون من مئزر ونغم وفي قدميه نعلان ، ويتجمع حوله ولى العهد والسكاتب الملوكي وعدد كبير من عظماء الضباط ، وكانت ترص الأسلحة على اختلاف أنواعها : فهذه خوذاث من النوع ذى الحواف الذى يغطى الرأس وخلف الرقبة على السواء ولها شريطان يتدليان من أعلى وينتهيان « بطار » وعلى بعد الخوذاث ، ترى السيوف والآقواس المثلثة وجعاب السهام ودروع حديدية ذات مقابض قصيرة نحى جسم المحارب ، وخناجر ذات حدود مقوسة على هيئة المنجل لها أيد طويلة تنتهى بقبضة كروية عرفت في مصر باسم خبش — الذراع . ويتقدم الجنود الواحد تلو الآخر في صف طويل ، ولا يلبسون إلا مئزرا تغطيه قطعة قماش مثثة الشكل وبأيديهم الخالية يتسلون الأسلحة ومن ثم يتحركون بينما يقيد كتاب

كثيرون الاسماء والأسلحة .

وفي القرن الثالث عشر (قبل الميلاد) انتهى الأمر بأن اقتبس المصريون
أسلحة السوريين ، أعدائهم القدماء وبفضلها تمكنوا من الانتصار على
السوريين . وتشبه الخوذات التي وزعها رمسيس الثالث على رجاله والتي
كانت مرسومة بالألوان على إحدى جدران مقبرته ، خوذات المحاربين
السوريين التي نعرفها جيدا ، لا من مناظر موقعة العربات الحربية التي
قادها تحتمس الرابع فحسب ، ولكن من صور مواكب حملة القرابين الأجانب
أيضا ، ثم من بعض التحف السورية الفريدة . (٢١) فالشكل واحد غير أن
المصريين قد استبدلوا ذيل الحصان بأشرطة تنتهي د بطرر ، والمعبود ست
Setb الذي كان يلقى عليه عن طيب خاطر في هذا العهد ، سوتخ وبعد أشد
آلهة مصر ارتباطا بآسيا ، كان يرتدى خوذة مائلة زينت بقرص الشمس من
الأمام وقرنين مديبين وشريط طويل ربط من أعلى ويتدلى على مقربة من
الأرض وينتهي بزهرة مثلثة . ولما كان سوتخ معبودا محاربا ، فنستطيع
أن نقول أن خوذة الجنود ما هي إلا خوذة المعبودة تحولت حتى نصلح
عمليا للاستعمال ، ولكن لا يمكن أن ننسى أن — سوتخ كان رداؤه على
الطريقة الآسيوية وأنه كان يشبه المعبود بعل كأخ له .

كان المحاربون الآسيويون يستعملون منذ عهد طويل الأقواس المثلثة .
وقد استعمل المصريون أنواعا كثيرة ، ففي البداية استعملوا قوسا مزدوج
الانحناء ، واستبدلوه في عهد الدولة القديمة بقوس ذى انحناء قليل ، ولكن
النوع القديم لم يتخلوا عنه تماما ، وبقوس من هذا النوع تمكن تحتمس الثالث
وامنحتب الثاني من ثقب عدة ألواح من النحاس ، وكان الجيش المصرى بكامل
هيئته يستعمل آنذ القوس المثلث ربما لسهولة صناعته في مجموعات وفيرة أما
السيوف التي على هيئة المنجل فقد ثبت أنها تعتبر سلاحا من أصل آسيوى .

قديم. (٢٢) وكان كل ملوك جبيل في الدولة المتوسطة يضعون نماذج فخمة لهذا السيف في مقابرهم. وقد قدم محاربون سوريون سيفاً من هذا النوع لكبير كهنة آمون من خبرع سن، وقد جمع تحتهمس الثالث السيوف المقوسة من سوريا، وعرف المصريون فيها سلاحاً مرعباً فاتخذته الملك سلاحاً شخصياً له وتابعه الجميع في استعماله.

وقد اخترعت الدروع أيضاً في سوريا (٢٣)، وكانت عبارة عن صدرية من الجلد زودت بقطع صغيرة من المعدن، كان معظم السوريين الذين يحاربون بالعربات مع تحتهمس الثالث يتنطقون بالدروع، وكان البعض منهم يستعبدون عنها برباطين عريضين متقاطعين على الصدر. ولو أن هذه الدروع لم تحم جنود رتيو المحتقرين من سهام فرعون، إلا أن المصريين لا حظوا أن لهذه الدروع نفعها وميزتها.

أما العربية التي لعبت دوراً هاماً في حروب ذلك العهد فقد أخذتها مصر من سوريا. (٢٤) ولا نعلم على وجه التحديد الزمن الذي عرف فيه السوريون الحصان ولا الزمن الذي اخترعت فيه العربية. ولا تحمل وثائق الدولة الوسطى سواء كانت سورية أو مصرية أدنى إشارة إلى الحصان أو العربية، ولم تشر إليها أيضاً قصة كاموسى Kamose، ولكن منذ أول الأسرة الثامنة عشرة استعمل كل من الجانبين المتخاصمين الحصان والعربية، وقد تكون الأسبقية للسوريين لأن أسماء العربية وأجزاءها واسم الحصان والعدة باللغة المصرية، أخذت لغويًا من أصل سامي. والخراف التي تزين بها صناديق العربية والعريش وعدة الحصان والخيال الممتدة المجدولة حلزونية، تعتبر بدورها من أصل أسبوي. وعلى أية حال فإن عربات فرعون والأمراء، حيث الذهب الكثير قد غطاها وارتفع فوقها، كانت تبدو فخمة حتى أن

كبراء الرتنو لم تكن لديهم السبل للحصول على مثلها. (٢٥) وكان طاقم الحصان مزودا بأقراص من الذهب ومقوى بالمعدن، ومع ذلك فيجب ألا نغتر بهذه الأناقة ولا بهذا الثراء فننسى أنه قد أسىء تصميمها فلم تؤد دورها في الانتفاع إلى أقصى حد بقوة الحصان مع التحكم في زمامه.

ويتكون طاقم رأس الحصان من خزام الأنف وقطعتين عموديتين من الجلد ينتهيان بوردة (من الجلد أيضا) ثبتت فيها قطع لتغطية الجبهة والرأس والاذنين، وفوق الرأس على هيئة طاقية من الجلد تشبه الهاون، تثبت منها زهور صناعية أو ريش نعام. أما الزمام والزمام الإضافي فيبدأ من الشكيمة. ويوجد طوق حديث يرتبط بطاقم الرأس يتكون من ثلاثة أجزاء رئيسية، حزام من الجلد عريض نوعا ما ذو شكل دائري يغطي الكتف، وحزام أقل عرضا يحيط بالجسم ودرخو إلى حذما، وحزام ضيق مشدود على الصدر. أما بقية أجزاء الجسم فخررة، وترفف في الهواء أعلام صغيرة تثبت في الطاقم وفي أمكنة كثيرة منه وتلمع أقراص من الذهب فوق الجلد، وصورة المعبود سوتنخ، سيد الخيول، قد نقشت على الحاجب الذي يوضع على عيون الخيل. ويتكون طاقم العربية من رجلين، السائس والمحارب. ويحمل الأول سوطا غالبا ما يكون بدوره قطعة فنية رائعة، أما المحارب فيحمل قوسا وسهاما وعشرات من السيوف يضعها في جمعة تثبت في هيكل العربية ويرتفع هيكل العربية نحو ذراع ونصف الذراع عن سطح الأرض ويرتكز على محور العربية مباشرة دون أى زنبرك ومثل هذا النوع من العربات كان سهل الانقلاب في الطرق الحجرية الوعرة في سوريا، ومن البدهي أن طاقم العربية عندما كان يشعر بقرب وقوع حادث فإن الوقت كان كافيا لديه ليقفز إلى الأرض مادامت العربية مفتوحة من الخلف. وعندما تفك العربية فإن أفضل ما كان يفعله الراكبان هو المبادرة إلى فك الخيل وأمتطاء ظهورها، هذا ما كان

يفعله السوريون ولم يحرم المصريون أنفسهم من اتباع هذه الطريقة في الوقت المناسب وهذا على الأقل ما أذهب إليه لأن الرسامين عندما نقشوا المناظر التي تمثل المواقع الحربية لم يخطر لهم ببال فكرة أن عربية مصرية يمكن أن تتقلب .

أما رجال الساردان Sardannes ، فبقيت أسلحتهم دون أن ، يعثر بها تغيير منذ كانوا بحاربون فرعون ، وحتى عندما أدخلهم فرعون ضمن جيشه ، كما حافظوا على مئزرهم وعلى درعهم المستدير وسيغم ذى الحافة المثلثة والخوذة التي على هيئة « كاسة » مقلوبة تعلوها ريشة ويزينها القرص والهلال وهكذا كان الفلسطينيون Philistins يميزون من بين قوات جيش فرعون بأكليل الريش . أما السوريون فلم تكن أسلحة المصريين الحربية غريبة عليها ، فقد كان لديهم ما يماثلها ، على أن بعضهم قد احتفظ بدلايته الصغيرة ومئزره المزخرف بالطرر أما الزوج فقد بقوا أمناء على أقواسهم التقليدية ذات الثنية المزدوجة والتي كان يستعملها أسلافهم منذ عدة قرون ، والكثيرون منهم يحملون أيضا عصا الرماية .

• - نظام السير

وما هي ذى مصر مستعدة الآن لخوض المعركة . لقد تجمع جيشها في سهول الدلتا . ومرة أخرى سينظم صفوفه ويعبر في همة ونشاط جسر سيله Sile ثم بحيرة القساح ، التي رسمها أحد الرسامين من عهد سيتي على جدار من جدران معبد الكرنك . تسير في مقدمة الجيش إحدى فرق المشاة (٢٦) ويتحرك الرجال في صفوف الواحد تلو الآخر ، تسير متوازية وتبلغ سبعة أو ثمانية صفوف . وبلى هؤلاء الجنود ناخو المزمار ، المصنوع من النحاس أو من الفضة ، وطوله لا يتجاوز ذراعا واحدة ، مستقيم الشكل

في سهل بيروت الكثير من موارد العيش ، وهنا يبدأ المرء في مشاهدة قم
الجبل المرتفع المغطاة بالجليد والمنحدرات المليئة بأشجار الارز والصنوبر .
وعلى بعد أقل من مرحلة واحدة نمر بجانب سيل صغير متدفق ، مياهه باردة ،
فترى لوحات تذكارية ، نقشت في أول عهد رمسيس الثاني وقد بحيث الآن
معظم نقوشها . وبعد عبور بعض قرى صيادى الاسماك والخطابين
والمزارعين نصل إلى نهر آخر* بمائل كثيرا النهر السابق ، وتصطبغ مياهه
كل سنة باللون الاحمر بدم أحد الآلهة ، ثم نصل بعدئذ إلى الجبل وإذا مرنا
تجاه البحر فإننا نصل بعد مرحلة قصيرة إلى مدينة كابني المقدسة Kapni
جبيل التي يعيش فيها تجار خبثاء جشعون ، على استعداد دائما أن يبيعوا
اخشابهم للدهريين أو يؤجروا لهم مراكبهم .

وهنا يحسن التوقف وطلب حماية المعبودة المحلية** التي تماثل حانحور
معبودة منف كأخت لها كما تشبه ايونيت Iouini .

والآن نولى البحر ظهورنا ونعبر الغابات ونعلو دائما مصعدين فيصبح
الجبل المغطى بالثلوج الذي كنا نراه شديد الارتفاع ونحن نسير على شاطئ
البحر ، أصبح لا يبدو لنا أكثر علوا من الأهرام حينما نشاهدها من
منف .

وأخيرا تنعش الجنود المرهقين نسمة لطيفة تهب عليهم ، ثم تنتهي
الهضبة فجأة وتهبط إلى ذلك الوادى الأخضر الذى أحسنت زراعته كوادى
النيل ، وتنتشر فيه القرى الكثيرة وتتخلله ينابيع مياه صافية في شتى أنحائه .
وأصبح الجميع يعرفون أن قارش لم تعد بعيدة كما كانوا يتصورون .

* نهر ابرهم أدونيس - تراجع قصة أدونيس وعشقرت

** عشقرت

ولا تصدر عنه إلا بعض النغمات الموسيقية العادية . ومع أن الطبلة كانت معروفة إلا أنى لم ألاحظ وجودها بين المناظر الحربية ، ولكنها رسمت فى اللوحات التى تمثل التجنيد وفى الأعياد ، وبمعلمنا هذا على الاعتقاد بأن الطبلة كانت مخصصة للأمور الداخلية .

وبلى هؤلاء فريق من الضباط ممن يعملون فى خدمة الملك . وبعد ذلك ، تأتى العربية الأولى وقد رسمت عليها لوحة تمثل الكباش وقد توج رأسه بقرص الشمس ، ليؤكد لكل أفراد الجيش أنهم فى حماية معبود طبيه العظيم .

وبلى هذه العربية فريق آخر من الضباط ، وأخيرا نتقدم عربى الملك يسبقها اثنان من حملة المظلات يسيران على أقدامهما ويقودها رمسيس نفسه ويسير بجانب الخيل أسد طليق . ويتبع بقية الجيش خطوات السير ، فالمشاة من كافة الطبقات والعربات ورجال الإمدادات يقودون الحمر المحملة بالصرر والجرا ، أو يسرون العربات الضخمة التى تجرها ستة ثيران ، فالصحراء شاسعة وبلاد فلسطين فقيرة ، ويعرف المصريون بحكم التجربة أن الجيش لا يمكنه أن يعيش هناك زمنا طويلا إلا على ما جلبه معه من طعام .

وتصل ، بعد مدة طويلة ، صفوف المحاربين والعربات إلى الأماكن المحيطة بالعدو ونحصل على أول بئر للياه يطلق عليه : هو بانا Houpana ، بجانب حصن ومبنى يسمى حصن السبع . (٢٧) ومن بئر إلى بئر ووفقا للطريق الذى يقع عليه الاختيار ، أما أن يصلوا إلى بئر سبع وحبرون أو إلى غزة على شاطئ البحر . وتوالى الشواطىء وكثبان الرمال وأشجار النخيل حتى قرب مجدو حيث يعلو سطح الأرض وتصبح صخرية . ثم تفتح حدائق صور وصيدا للجيش أن يأخذ قسطا وافرا من الراحة . ويوجد

كان في إمكان العدو أن يكتفى بالدخول في حرب دفاعية محضة من وراء حصونه القوية . أما إذا شعر أن لديه القوة الكافية ليلاقى الغاصب في العراء فإن المتبع في هذه الحالة أن يقترح يوما معيناً ويحدد مكاناً ، يناسب عدوه للاشتباك معه وعندما أرسل ييغانخي الأتيوي جيشه إلى الشمال ليهاجم المصريين ذكرهم بهذه العادة - أو بهذا القانون - في نشرته الشهيرة : « لاهجوم في الليل واتبعوا قانون المعركة ، حاربوا في وضوح النهار ، أعلنوا العدو من بعد بموعد الاشتباك ، وإذا قالوا إن الجنود أو الخيالة متأخرون ، فانتظروا حتى يتجمعوا وحاربوا عندما يقولون لكم ، وإذا كان حلفاؤهم في بلد آخر فأخروا الاشتباك من أجلهم أعلنوا الأمراء الذين يحضرم العدو لمساعدته من الليبيين والمحاريين المخلصين له ، أعلنوهم مقدما بموعد المعركة ، قائلين : أنت يا من تتسمى بأى اسم ، أنت يا من تقود القوات . أشدد أحسن خيولك ونظم مكانك في المعركة وستعلم أن آمون الإله هو الذي أرسلنا . (٢٨)

وتعليمات ييغانخي هذه لم تكن مفهومة دائما . (٢٩) وهي في الواقع تتفق وقانون الحروب التي كانت تخاض قديما وفي العصور الوسطى أو على الأقل كان يوصى باتباع هذه التعليمات ويذكر لنا مونتيني Montaigne كيف أن الخدعة التي قام بها القائد لسيوس مارسسيوس Lucius Marcius ، قد أثارت كبار السن من أعضاء مجلس الشيوخ الذين لا يزالون يذكرون أخلاق وسير آبائهم ، قد هاجموا هذا الأجراء الذي لا يتفق وتقاليدهم العريقة القديمة التي تعتمد على الشجاعة والفضيلة وإيس على المهارة أو على عامل المفاجأة واللقاء

ليلاً أو الهروب المخادع والمهجوم غير المتوقع ، فلا تثار حرب إلا بعد إعلانها وغالباً بعد تحديد زمن المعركة ومكانها . (٢٠) ومنذ عهد قدماء المصريين حتى عهد قدماء الرومان لم تتغير هذه التقاليد . ونحن ندرك بفضل مونتيني ما يعنيه الزعيم الأثيوبي ، بقانون اللعب ، الذى يشير إليه ، إذ ينبغى أن يتخذ الخصمان كل منهما فى مواجهة الآخر دون خداع أو إخفاء القوات أو التواء القصد ، وأن يتحارباً مع تكافؤ الفرص ، أسوة باللاعبين الذين تسكناً فرصهم فلكل أحجار وأقشاش متساوية ، فى بدء المباراة . وسيدمخ الله النصر للمبرز منها .

ولدينا ما يثبت أن المصريين قد اقتبسوا هذا المبدأ الصريح قبل عهد يبعانخى بزمان طويل . والدليل على ذلك ، تلك الصفة التى كانت تطلق أحياناً على ست الإله المحارب ، وهى : « معلن المعركة » . (٢١) ودليل آخر أوضح من ذلك يستخلص من وقائع معركة مجدو التى خاضها جيش تحتمس الثالث ضد تحالف القوات الآسيوية . (٢٢)

وصل الجيش المصرى فى السادس عشر من الشهر الأول من فصل شتو إلى مدينة إيجم Yiehem ، وأمر جلالاته أن يجتمع جنوده الشجعان فى هيئة مجلس وأعلنهم أن « اللثيم الساقط » فى قادش قد أنجبه إلى مجدو وأقام فيها قيادة جيشه وأتلف حوله رؤساء البلاد ، الذين كانوا موالين لمصر من قبل ، حتى بلاد نهرين وقال لهم : « سأتبقى هنا فى مجدو لأخوض معركة مع الملك المصرى » . وقال الملك لجنوده « أشيروا على برأيكم فى هذا الموضوع » ، وقد اشتهوا أنهم وقعوا فى مكيدة إذ أن الطريق المباشر الموصل من إيجم إلى مجدو يضيق ضيقاً شديداً بحيث لا يستطيع أن يسير فيه الجنود إلا فرادى ،

(م ٢١ - الحياة فى مصر)

جندى خلف جندى وحصان خلف آخر ، وعندما يشتبك مقدمة الحرس في الموقعة تكون المؤخرة لا تزال في ألونا Alouna ، فالأفضل أن نجتاز طريقاً دائرياً يسمح للجيش بالوصول بأكمله دفعة واحدة إلى مجدو عن طريق الشمال . غير أن هذه الخطة الحكيمة قد رفضها فرعون الذى صاح قائلاً : « ستخترق جلالتي طريق ألونا الوعر ، فقسما بحياتي وبحياة رع الذى يحبني ، وقسما برحمة أبي آمون الذى سيعاونني وبفسحات الحياة التي تحتلج في أنفي ، فليبق معكم من يرغب اجتياز الطريق الذى حدثتموني عنه ، وليتقدم من يشاء مع جلالتي ، فإن هؤلاء الأعداء الذين يكرهون رع سيظنون « أن جلالته قد اتخذ الطريق الآخر وابتعد خوفاننا . قضى هذا الحديث الحماسي على كل اعتراض ، وصرخوا أمام جلالته قائلين : سنبتع جلالتك إلى أى مكان تذهبون إليه ، فالخادم يتبع سيده . »

وعلى ضوء تعليمات يبعثني أصبح الموقف الذى يواجهه مجلس الحرب واضحاً جداً ، أرسل ساقط قادش رسولا إلى فرعون يطلب منه أن يقترح عليه زمن المعركة ومكانها . وقد ظن المستشارون أنها خدعة ، ولكن من خبر رع (تحتتمس) ، اعتبر أنه أمر لا يليق به ولا بالمعبودات التي تحبه وتحميه أن يقنصل من إجابة الطلب الذى يتفق والتقاليد المعمول بها . وقد أثبتت الحوادث صواب رأيه .

وتولى الملك قيادة الجيش وسار في طريق الوادى الضيق ، وصلوا الوادى كله . توسل الضباط إلى مليكهم . وكان الشك لا يزال يساورهم ، أن يستمع إلى نصيحتهم هذه المرة بالأيتقدم إلا بعد أن يكون رجال حرس المؤخرة قد عبروا منطقة الخطر ، ولم يكن ثمة حاجة لهذا الاحتياط . فالتعدوا الذى كان منتشراً بين طناخ Teonakh ومجدو لم يحاول أبداً

أن يقاوم حركة تقدم الجيش المصرى ، الذى استطاع أن يتخذ أماكنه فى الموقعة فى جنوب مجدو فى منتصف النهار وأن يستعد فى هدوء للمعركة التى حدد لها صباح اليوم التالى . وهكذا احترم قانون المعركة .

وقد كان من واجبات المستشارين أن ينصحوا فرعون بأن يكون حذراً . وكان الجيش الذى بواجههم تحت قيادة ملك ميتانى والىكنه كان يتضمن عدداً عظيم من رجال العامو * Amou وهؤلاء هم الأعداء الدائمون لمصر واللتام الحثباء الذين قال عنهم أحد قدماء ملوك الأسرة الحادية عشرة فى التعليلات التى دونها لابنه مرى كارع . « أما بخصوص رجل عامو فإنه لا يستطيع أن يتوقف فى مكانه فأقدامه لا تكف عن الحركة ، إنه يجارب منذ عهد الآلهة دون أن ينتصر أو ينهزم . ولا يعلن عن موعد المعركة ، مثله مثل من يعتز أن يرتكب عملاً آثماً » . (٢٢) ولما كان شعب العامو يعرفون معرفة تامة غابات إقليمهم وجباله فإنه كان يفر أثناء القتال فى العراء إن شعر بأنه ليس لديه القوة الكافية للوقوف أمام عدوه ، كان يتحرش بالجيش المصرى ثم يحتفى ، معتمداً قبل كل شئ على سرية العمل وعلى الخديعة . وكان عاملاً الاختفاء والمفاجأة خير أسلحته والىكن عندما يصبح خصماً للمصريين ويمائلمهم فى القوة ، كان لعامل المفاجأة دوره الهام ، إذ كان على وشك أن يقوم بدور مدمر ضد المصريين أمام قادش عندما تلاقى رمسيس الثانى وجيشه بجيش الحيثيين * (٢٤) .

وقد حشد ساقط الحيثيين الذين ضد مصر جميع البلاد الشمالية التى تحالف معها حتى امتداد المحيط ، بالإضافة إلى أعداء فرعون المعتادين الدائمين الذين كانوا يجندون من المنطقة الممتدة من سواحل سوريا حتى نهر

* الأيبويون

* * موتلا Mutallu ملك الحيثيين

الفرات كما انضم إليه أهالي آسيا الصغرى والدردانيون Dardaniens وحلفاؤهم من الآليون (وهم أهل طرواده) . والكاشكاش Kachkech والقارقيش Qarqech ، والليسيون Lyciens - وبعض أهالي أوروبا كالميسيين Mysiens . ولم يدخر ملك الحيثيين وسعاً وتجرد من جميع أملاكه كي يضمهم إليه ليحاربوا في صفه ، وقد غطت جحافلهم الجبال والوديان وقد خيل لإنهم يبدون كأسراب من الجراد نظراً لكثرتهم وكانت كل هذه القوات مختبئة شمال شرق قادش . والمصريون الذين كانوا يعتقدون أن أعداءهم لا يزالون متأخرين في إقليم حلب إذ أن عملاء مخبراتهم لم يكونوا قد أعلنوا عن وجودهم في أي مكان بعد ، وتقدموا دون حذر في وادي نهر العاصي (الأورونت) Oronto . وتقدم رمسيس نفسه ، بعد أن عبر النهر من أحد معابره ، يقود حرسه ، تليه فرقة آمون ، أما فرقة رع فقد عبرت نهر العاصي عند معبر شبتون Chabtoun - أما فرقة پتاح فقد انظرت في معسكراتها في أرنام Iarnam حتى يخلو طريق المعبر وفرقة سونخ التي كانت في المؤخرة قد جاهدت لتلحق ببقية الفرق الأخرى ، ولكنها كانت تبعد عنها مسيرة عدة أيام .

وبينما كان الملك في شبتون تقدم إلى جلالته اثنان من الشاسو Ghasous وهما من أولئك البدو الذين طالما سبوا الذعر للقوافل التي تسير بين سوريا ومصر وللزراع القرييين من خليج السويس وأخبروا جلالته نيابة عن « إخوانهم أنهم يرغبون في التخلي عن ملك الحيثيين والانضمام إلى فرعون خدما له . فسألهم فرعون وأين إذن ، أخوانكم؟ وما هي الأنباء التي تحملونها لجلالته؟ فرد البدويان « إنهم في المكان الموجود فيه ملك الحيثيين اللئيم ، فإن ساقط جلالته؟ » . فرد الحيثيين في إقليم حلب ، شمال تونيب وهو يخشى جداً فرعون ، له الحياة والصحة والقوة وأن يتجه صوب الجنوب منذ اللحظة التي سمع فيها

أن فرعون سيتجه نحو الشمال .

لقد كانا يكذبان وهذا بأمر لثيم الحيتين الذى بعث هذين الجاسوسين
لكشف موقع المصريين وتضليلهم بالأنباء الكاذبة لإثبات عزيمتهم
ولإنحداد نشاطهم .

والواقع أن الملك صمم على أن يعسكر فى شمال قادش على الضفة الغربية
لنهر العاصى . وقد حدد فى السهل مستطيلا كبيرا أحاطه بسور من الدروع
أو أشياء مماثل للدروع . وأقيمت فى الوسط خيمة كبيرة للملك وثلاثة
خيام أخرى أصغر منها ، وفى جهات أخرى أقيمت خيام متفرقة أصغر
من السابقة . أما أسد الملك فقد ربط من قدمه إلى قوس وقد ربض على
الأرض ناعسا . وحلت أربطة الخيل لإطعامها ، ورفعت الأحمال عن
ظهور الخير التى كانت تتمرغ فى التراب وتنق وتجرى وترفس بأرجلها .

وبينما يجرى العمل فى رص الأسلحة والموازين إذ تأتى عربات أخرى
تجرها الثيران . أما كبار الضباط فيستريحون فى أكواخ من الخشب يستند
سقفها على عمودوها باب مماثل باب المنزل . وتوجد بالداخل أزيار وطسوت
أقيمت على قواعد ، وقد أفرغت من الصناديق موافد ومناضد ومقاعد صغيرة
وحصر . ويأتى بعد ذلك عمال السخرة بقيادة أحد العسكريين يزيلون الأتربة
بمكائس صغيرة وبرشون المياه وآخرون يروحون ويحيثون ويقودون
أمامهم الخير التى تحمل أثقالا على طرفى نير وضع فوق ظهورها . وبجانب
الأكواخ ، حصان أدخل رأسه فى مخلاة ، وسائس اسطبل يهدى حصانين
بضربان الأرض بحوافرهما وقائد عربية يجلس داخل صندوقها ويتام ملء
جفنيه ، وجندى يرتوى .

ولم يفكر أحد فى الخطر المحدق بهم . (٢٥) ولكن دورية مصرية قد

أمرت اثنين من دورية ساقط الحِيثين. وأحضرتما أمام الملك الجالس على عرش من الذهب أقيم فوق منصة عالية. وكانت المصاحمى الوسيلة الصحيحة لإجبار الناس على الكلام، ويفضى الأسرى بكل ما يطلب منهم الإجابة عليه: «نحن نفتحى إلى ملك الحِيثين، وقد أرسلنا لنستطلع المكان الذى يعسكر فيه جلالة الملك». ولكن أين هو ساقط الحِيثين فقد سمعت أنه موجود فى إقليم حلب إلى الشمال من تونيب Tounip؟ وها هو ذا ملك الحِيثين اللثيم يأتى ومعه شعوب كثيرة من الموالين له وعددهم أكثر من رمال البحر، وهامهم أولاء الآن قد اتخذوا مواقعهم استعدادا للقتال حول قادش القديمة. وصاح الملك غاضبا: «هامهم أولاء قد اختفوا بالقرب من قادش القديمة ورؤسائى الأجانب لا يعرفون ذلك كما لا يعرفه ضباطى من بلاد فرعون، الذين معهم، ويقولون لنا إنهم سيأتون، ويعترف المستشارون أن أخطاء جسيمة قد ارتكبت: «هذا غير حميد، فإن خطأ كبيراً قد وقع فيه الرؤساء الأجانب وضباط فرعون له الحياة والصحة والقوة لأنهم لم يوضحوا المكان الذى يعسكر فيه مخادع الحِيثين اللثيم فى تقريرهم اليومى لفرعون له الحياة والصحة والقوة». وكلف الوزير بتعجيل قدوم القوات المتأخرة جنوبى شابتون وإحضارها إلى المكان الذى يعسكر فيه صاحب الجلالة بكل سرعة ممكنة. ولكن بينما كان جلالاته يعقد مجلساً يناقش الموقف كان مخادع الحِيثين اللثيم يقترب بجنده وأسلحته وجميع حلفائه وقد اجتاز معبرا غير محصن جنوبى قادش وبذلك فاجأوا القوات المصرية وراكبى العربات مفاجأة جعلتهم يهربون دون نظام حتى تمكن العدو من أن يجمع بعض الأسرى من رجال حرس جلالاته.

إزاء هذا الخطر العظيم الداهم وقف جلالاته مثل والده مونتو وارتنى ملابس الحرب والدرع وكان مثل بعل فى ساعته، وعندما شاهد الياور

مننا Monna عدداً وفيرا من عربات العدو تحيط بسيده أخذ يرتجف ويرتعد وقد انخلع قلبه وسرى فزع كبير في جميع أعضائه ، فقال لجلالته : « أيها السيد الطيب ، أيها الملك الشجاع ، أيها الحامي العظيم لمصر في يوم القتال .. هانحن أولاء وحيدان بين أعدائنا ، فقد تركنا الجنود والحاشية ، ماذا أنت فاعل لأجل إنقاذهم ، اعمل على أن نكون طاهرين ، أنقذنا يا أوزير مارع Ousirmare » .

أخذ جلالته يطمئن يارره وكان جلالته لا يخشى شيئا ، وقد تركه جنده بحثا عن الغنائم بدلا من أن يأخذوا أماكنهم في المعركة . ولم يكن هناك أمير ولا ياور ولا دليل ولا ضابط ، ولكن لم يكن عبثا أن أقام رمسيس عدداً كبيرا من المآثر حين أنشأ مسلات كثيرة لوالده وملأ قصوره ، ذات ملايين السنين بعدد كبير من الأسمى وأعد مراكب مليئة بالمنتجات الأجنبية النادرة وصدرها من مصر . وقد سمعت استغاثة الملك في كل مكان حتى وصلت إلى طيبة واستجابه حليف عظيم يفوق الملايين . فأخذ رمسيس يطلق سهامه على يمينه ويحصد يساره . وعندئذ انقلبت عربات الأعداء البالغ عددها ٢٠٠٠ عربة بخيولها ، وكان الجنود المفزوعين خوفا عاجزين عن استعمال أيديهم في القتال وقد خفت قلوبهم في صدورهم ، فكانوا لا يعرفون كيف يصوبون ولا كيف يقبضون على السيف ، وقد ألقي بهم الملك في الماء كالتماسيح ، والجند الذين كانوا يزحفون على بطونهم لم تقم لهم قائمة . وكان ملك الحيثيين اللئيم يشهد المعركة وهو بين جنده وعرباته التي كان يركب كل منها ثلاثة من المحاربين ، فأدار ظهره للمعركة وفرائصه ترتعد ، وجميع جنده وحاشيته وكل حلفائه ، الملك أرتو Irtou والملك ميزا Monna وملك ألونا Alouua وملك ليسى Lycie وملك داردانيا Dardanie وملك قرقيش Karkemich وملك قرقيش Qerqech وملك حلب وأخوته ، كل هؤلاء

قد ارتدوا مهزومين ومبهورين من فرط شجاعة فرعون ، وكانوا يصبحون « لينجوا بنفسه من يستطيع ، وجرى جلالته وراءهم مثل العقاب . وهجم عليهم خمس مرات مثل بعل في ساعة أوج عظمتة . وقد أحرق حقول قادش حتى تضيع معالمها ويمحى أثر المسكان الذى وطأته أقدام جموعهم . وجاءت للقوات المصرية بعد أن كسبت المعركة بفضل قوة فرعون وشجاعته ، والسبب آخر لم يجد راوى القصيدة داعيا لذكره لنا ، فأخذ فرعون يسخر منهم وأنقل عليهم اللوم قائلا : « لم يكن أحد منكم هناك . لم يقف أحد بجانبى ويضع يده فى يدي وأنا أحارب العدو . إنى استشهد بروح أبى آمون .. لم يشهد أحد منكم الحرب أيها الجند ليقص أجداده التى صنعها حين يعود إلى أرض مصر . إن الأجانب الذين شاهدوني سوف يخلدون اسمى حتى فى البلاد النائية التى لم يسمع بها أحد ، .

وفى خضوع تام أخذ الجند يشيدون بشجاعة سيدهم ، أما النبلاء والحاشية فكانوا يمتدحون قوة ساعده قائلين : « أيها المحارب العظيم ، القوى القلب ، أنت الذى أنقذت جيشك وعرباتك .. أنت ابن آمون الذى يحارب بسواعذك ، أنت الذى أخضعت أرض الحيثيين بساعدك الباسل . لقد كمرت ظهر الحيثيين ، إلى الأبد . »

ولم يرد الملك إلا بتوبيخ جديد قائلا : « .. ما أجل اسم من استقبل فى القتال ، إن الإنسان يحترم منذ أقدم العصور لقوة ساعده والى كنى لن أقدم لأحد منكم خيرا ، لأنكم تخليتم عنى بينما كنت وحيدا وسط أعدائى . »

ولم يكن هذا التأنيب رهيبا ، لأنه يرى إلى أن أفراد الجيش قد أضاعوا فرصة لمنحهم مكافآت . وقد حصل نفس هذا الشيء مع الملك يبعانخى الذى

ثار ضد جيشه ، مع أن هذا الجيش كان قد حارب جيدا ، وأرغم الملك
تفنخت Tefnakht على الهروب نحو الشمال ومعه فلول جيشه المهزومة ،
ولكن الملك كان يريد أن يأسر جميع أعدائه أو يقضى عليهم دفعة واحدة .
ولما رأى الجيش أنه قد خيب أمل الملك فيه ، استولى بعد جهد عنيف
متواصل على ثلاثة أماكن قد حصنت تحصينا قويا ، غير أن يبعانخي لم يهدأ قلبه
بالرغم من ذلك . وذات يوم ظهر جلالته راكبا عبر بته التي كان يمر حاصنانا ،
فوق رصيف يرسو عليه قاربه الحربى وأخذ يؤنب جنده مرة أخرى قائلا :

« هل تنتظرون أن يحىء مندوبي لمحاربة هؤلاء ؟ هل يجب أن تنتهى هذه
السنة بأكلها دون أن تصل أخبار جبروتى إلى الدلتا ؟ ، فأخذ جميع جنده
يضربون أنفسهم فى ألم مرير . (٣٦) »

ومع هذا فإن ملك الحثيين اللثيم ، هذا الساقط ، قد بعث رسولا ليمجد
اسم فرعون مثل رع ، قائلا :

« انت سوتخ ؛ إنك بعل بشخصه . . إن هيبتك بمثابة السعير فى بلاد
الحيثيين ، كان الرسول يحمل خطاباً . لم يكن إلا طالبا للهدنة : « إن الخادم
الموجود هنا يتكلم ويحيطك علما أنك ابن رع متممسا ذاته وقد منحك كل
الأراضى قد جمعت كلها فى واحدة . . أرض مصر وأرض الحثيين ، هاهى
ذى فى خدمتك ، هى تحت قدميك وإن والدك پرا Pra المبجل الوقور
قد أعطاك إياها لتصبح ملكا عليها . فهل من الصواب أن تقتل أتباعك ، انظر
ماذا فعلت بالأمس ، لقد قتلت ملايين ، إنك لن تترك مايورث لا تجن على
أموالك أبها الملك القوى ، العظيم فى المعركة ، امنحنا نسمة الحياة ، (٣٧) »
« فسارع جلالته وطلب كبار قواد الجيش والحاشية والنبلاء وعقد
مجلسا عرض فيه على مسامعهم ما طلبه ملك الحثيين اللثيم . وبلا تردد قالوا
فى صوت واحد : « إن السلام شىء عظيم ، شىء عظيم جداً أبها المليك . مولانا ،

كان هذا هو صوت القلب ، واسكنهم عادوا وصححوا حديثهم قائلين :
« لا يوجد ضرر من السلام إذا كنت أنت الذى تصنعه . من ذا الذى يحميك
فى يوم غضبك ؟ » (٣٨)

وكانت هذه النصيحة هى التى يتوق الملك إلى سماعها ، فانتجعت القوات
المصرية فى سلام صوب الجنوب دون أن تستولى على قادش وكان فى استطاعة
كل انسان أن يرى الأسوار المحصنة التى على هيئة قلاع ورام فرع نهر العاصى .
وفى الحقيقة فإن فرعون ، وقد ألقى بحيشه فى بلاد العدو ، قد نجح بأعجوبة من
كارثة محققة إذ كانت معلوماته خاطئة بالنسبة لمواقع الحيثيين ، ولم يكن لديه
جنود طلائع ، ولم يحصن جناحيه وقد كتب له السلام بفضل الحرس الخاص
المكون معظمه من رجال الساردان ، فقد لوحظ أن القوم لم يكن موجها
إلا للمصريين ومن المحتمل أن الحيثيين عندما تمكنوا من الدخول فى معسكر
فرعون ، لم يفكروا إلا فى السلب والنهب ، فكانت شراهم سبباً ، فى أن انتصارهم
قد انقلب إلى هزيمة . ولم يغضب ملكهم من أن ينال بشمن بخس عودة هذا الجيش
الكبير . على أن بعض الوقائع الحربية كانت ذات نتائج حاسمة ، مثل تلك
المعركة الكبرى التى انتصر فيها رمسيس الثالث على الليبيين . (٣٩)

كان الملك يدفع بنفسه مثل جده فى المعركة ، كانت خيول عربية الملك
تهب الأرض نهبا وقد ثبت أعنة الخيل فى حزامه لى يتمكن من أن يشد
القوس . وكان يضع الخوذة فوق رأسه وأساور عريضة فى ذراعيه وعقدين
فى قبضة يديه ، وشربطين عريضين يتقاطعان فوق صدره وجمعة من الجلد قد
ثبتت فى جانب العربية وملئت بأسلحة الصوان ، والضابط الذى يقف وراء
الملك لا يحارب ، واسكنه يحمل كأساً ودورقا من الذهب ، سبق أن أشرنا
إليه ذلك عند قيام الجيش من مصر . وتسير خلف عربية الملك عربات

أخرى يركب كل منها اثنان من المحاربين . قام جنود فلسطين الذين التحقوا بالجيش المصرى بالإتيان بالمعجزات ضد الليبيين . فالرئيس الليبى ميشيشر Mechecher ابن كاپورو Karovro وجد نفسه مضيقا حين نفقت خيوله ووقع ياوره من عربته بعد أن اخترقت جسمه حربة ، فاتجه نحو فرعون رافعا ذراعه ، ناصبا سبابته مستسلما معترفا بهزيمته ، وكانت قوات جيشه تستسلم بدورها فى مجموعات كبيرة . كانوا يرفعون سيوفهم الطويلة عموديا فيبدو السيف كالوكان شجرة ، ويمدون أذرعهم اليسرى وراحات الأيدي تجاه الأرض . (١٠)

وفى عهد رمسيس الثالث وفدت شعوب كثيرة من سواحل البحر فى جموع عديدة على طول الشواطىء وملأوا جميع الطرق البرية التى كانت تؤدى إلى مصر . (١١) وكانت عربات تحمل النساء والأطفال تجرها جواميس ذات عجلات مصبوبة مثبتة فى المحور بعامود أفقى .

أما سفنهم فكبيرة الحجم ، قد زينت مقدمتها إما برأس أسد أو برأس طير ، وذات مؤخرة عالية ، وقد غصت بمحاربين وتسكاد أن تغرق من كثرتهم . وكان الاشتباك فى البر والبحر رهيبا .

وقد ترجل الملك من عربته حتى يتمكن من تسديد السهام ، وكان بجانبه جميع أفراد حاشيته ، والضباط الذين يحملون الأقواس وجعاب السهام والحرا ب ، وكان الخدم يتقاسمون حمل أدوات الزينة ومظلات ريش النعام والأكياس التى تحتوى على الملابس الداخلية اللازمة للاستبدال وكل ما يلزم لإصلاح ما تسببه المعركة من فوضى وارتباك .

وعندما يتم النصر ، يعتلى الملك منصة عالية ليلقى نظرة شاملة على ميدان القتال تحت ظلال المظلات التى يرفعها ويشدها حاملوها بطول أذرعهم ، وصفت الأعلام وهى ترفرف على مقربة من المنصة . وكان الأمراء ورؤساء الجيش يتقدمون لتهنئة الملك بينما تبدأ عمليات حصر غنائم المعركة وتقدير

نتيجتها . وكما كان الحال في عهد اخموزا ، وكان كل محارب يقتل أحد الأعداء يقطع يده ، وإذا كان هذا العدو من الليبيين فكان يقطع العضو ، وتقدم هذه الغنائم إلى المكلفين من قبل الملك باستلامها . وكانت تكوم كل هذه الأشياء مع الأسلحة التي جمعت من ميدان القتال ويرص كل هذا بالقرب من المنصة ، وكانت ترتب وتصنف وتحسب في اطمئنان بواسطة رهنط من الكتاب .

أما الأسرى فكانوا يقيدون ويكتفون ويقدمون للملك . ويحتفظ بالرؤساء لحفلات أخرى . وكان الرجال الذين يصلحون للعمل يوشمون بالحديد المحمى ، وينتظرون في جموع صغيرة حتى يأتي دور كل منهم . وثمة جنود مسلحون تسليحاً كاملاً على أنهم أهبة لقمع أى محاولة تمردية من جانب الأعداء ولكن المهزومين كانوا يستسلمون لمصيرهم . (١٢)

وبعد أن يتم وشمهم فإن الجنود الدنايين Denadaens والفلسطينيين Philistine يلحقون بجيش فرعون لتعزيزه ، وأخذ الجيش يخلو شيئاً فشيئاً من المصريين لأنه كان من البسير في مثل تلك الظروف أن يمارس الحرب رجال من أم أخرى .

٧ - حرب الحصار

تتخذ الحرب ، في غالب الأحيان ، شكل حرب حصار ، إما لأن العدو لا يجسر على مواجهة الجيش المصرى وإما لأن الاشتباك في المراء لا يمكنه من حشد العدد الكافى من المحاربين لحماية قلاعه .

وهذه الحصون تشيد فوق مرتفعات ، وفي بعض الأحيان فوق جبل منحدر .

والعقبات الرئيسية التي تحول دون اجتياز هذه التحصينات كانت عادة خنادق مليئة بالماء أو أسوار خشبية دقت فيها بأوتاد . ويتخذ الجند الهاربون اللغاية القريبة مخبأ لهم ، كما يتخذها من لم يتمكن من دخول القلاع قبل غلق الأبواب . وهم يفضلون أن يسوقوا قطيعهم من الجاموس معرضين أنفسهم لآنياب الدببة ، على أن يكونوا فريسة لسهام المصريين . وغالبا ما تكون المشارف القريبة من القلاع مزروعة ويغطي كروم العنب والتين المنحدرات وتحف الطرق أدغال مزهرة وقبل الانسحاب ، كان المصريون يقطعون الأشجار النافعة كما جرى العرف (١٢)

وتتكون القلاع السورية من أبراج عالية ذات حواف بارزة قليلا مسفنة وجدران عالية تسير حدود الأراضي المحيطة بها ، قد حليت بزخارف وفتحت في هذه الجدران أبواب وشبايك والمدن المحمية بسورين أو بثلاثة أسوار ليست نادرة . وفي بعض الأحيان كان برج يستخدم قاعدة لبرج آخر يستعمل بدوره قاعدة لبرج ثالث . ويرفرف علم فوق قمة أعلى الأبراج (١١) .

ويصوب المصريون سهامهم نحو زخارف الأبراج . ويسوقون أمامهم الهاربين ، فالذين يكونون في مخبأ داخل الحصن ينحنون ويمدون أيديهم لانتشال زملاتهم المتأخرين في الخارج ، بينما يطلق المدافعون السهام والحراش والأحجار ، بينما ينتظر آخرون وبأيديهم السيوف ويوقد كاهن بخورا فوق كانوا له مقبض يشبه النوع الذي يطلق عليه المصريون أسم آخ Akb وذلك لطلب النجدة من آلهة المدينة ، ويستمر رافعا يده كما كان يفعل موسى في قتاله ضد العاقلة Amalec ويطل السكان أحيانا من بين زخارف الأبراج على

المقاتلين في الطابق الأسفل مشجعا إياهم . ولم تعد كافة وسائل التحصينات ذات قيمة ، فداخل القلاع أصبحت مليئة بمخث القتلى وقد قتل المدافعون وهم في أماكنهم ، ولا يمضي وقت طويل إلا ويصل المصريون إلى أسفل الجدار ، وبقوة الفتوس يفتحون الأبواب ويقيمون السلام ، وهكذا تقع في أيديهم استحكامات الخط الأول .

وعندما تصل الأمور إلى هذا الحد فلا يبقى على المحاصرين إذا أرادوا أن يظلوا على قيد الحياة إلا أن يمتنعوا عن المقاومة ويحسموا الموقف بتقديم هدايا للتغلب على ضراوة المنتصرين . فها هو ذا حاكم أمار Amar يوجه مبخرته نحو رمسيس الثالث وباليد اليسرى يؤدي حركات التعبد والتخضوع ، ويقول :

« امنحنا نسمة الحياة لكي نتمكن من أن نعيش من جيل إلى جيل بفضل عظمتك ، (١٥) »

ويخرج الرؤساء واحدا تلو الآخر ويزحف بعضهم على مرافقهم وركبهم ، ويأتي آخرون حاملين أواني ذات مقبضين بها زهور صناعية ودوارق وزينت برسوم بارزة لحيوانات ذات أسنمة مستديرة ، كما يحملون حليا . هذه الأشياء كان يقدرها حق قدرها الملك ورؤساء الكهنة الذين كانوا ، في نهاية الأمر يضعونها ضمن كنوز المعابد ، وثمة غنائم أخرى كان يهتم بها جميع الجنود مثل الحبوب والنييد والذبايح والأسلحة على أن الجند كانوا يأكلون ويشربون كل يوم على غرار أفراد الطبقة الموصرة من المصريين في أيام الاحتفالات . وكانت المدن السورية غنية بالخيول وكان خيرة المقاتلين يركبون العربات . وفي مدينة مجدو وحدها غنم تحتمس العربات المكسوة بالذهب التي كان يمتلكها طغام قادش ومجدو كما غنم ٨٩٢ عربية من جنودها اللثام .

والحق أن هؤلاء الأمراء كانوا قد كونوا حلفاء حقيقا ضد مصر ، وقد انضم إليهم حلفاء من أهالى أرض الفرات . وهؤلاء الأمراء الذين جاءوا من بعيد ، قد طردهم تحتهم وهم يركبون حميرا ووجوههم تجاه ذيول الدواب . وكان هذا الانتصار قد أثلج قلب فرعون وأدخل البهجة على نفسه .

أما منحدرات لبنان فكانت مكسوة بالغابات ومنذ عهد الآلهة ، كان المصريون يأتون إلى جبيل . لأخذ الأخشاب اللازمة لصنع المراكب المقدسة وصواري الأعلام التي كانت تقام أمام صروح المعابد ولعمل أشياء أخرى كثيرة دينية ودينية وخشب الصنوبر المسمى أش Acb كان أكثر أنواع الخشب تقديرا ، لأنه مديب أكثر من سنابل القمح ومستقيم كالرمح وكذلك خشب الأرز الأحمر المسمى مر Mer وخشب الخروب المسمى سس Sedjem وخشب يسمى أوان Ouan نوعه غير محقق وربما كان هو العرعر . ولما كان المصريون سادة سوريا فقد أخذوا يتوسعون في استغلال الغابات . وفي عهد تحتمس الثالث انتشر الجنود في الجبال وأخذوا يقطعون الأشجار ، وكان الرؤساء السوريون يسحبونها حتى قرب الشاطئ بواسطة الثيران . وكان أمراء لبنان يستقلون هذه المراكب التي كانت تبنى بكثرة خصيصاً لهذا الغرض مع أفضل خيرات الأرض المقدسة (١) .

وفي عهد الأسرة التاسعة عشرة من التاريخ المصري ، لم تعد سوريا مستعمرة للاستغلال ، فإن الحيشيين كانوا ينازعونهم فيها ، وكان السوريون أنفسهم قد أخذوا يدافعون عن أنفسهم خيرا من الماضي . ومع ذلك فإن كميات وفيرة من المنتجات والبضائع كانت تأخذ طريقها سنويا إلى مصر .

وكان سبتي يعرف كيف يضطر الأمراء اللبنانيين إلى أن يقطعوا له
خشب الأرض. (٤٧)

٨ — الحرب في بلاد النوبة

عندما تثار الحرب ضد البلاد الجنوبية ، تتخذ الحرب مجرد صفة زهية
حرية . إذ يكتفى المصريون بمحاصرة دورهم . أما النوبيون فإنهم يرتدون
جلد الفهد ويتسلحون بالدرع والحراب الطويلة ، أما النساء فيحملن
الأطفال الصغار في قفف فوق ظهورهن ويجمعن الأولاد عاديات ليختفوا
بين أشجار النخيل .

والحرب بين الطرفين غير متكافئة وتنتهى دون شك في صالح المصريين
الذين يستعدون لحمل أوفر الغنائم ، إذ أن أهل الجنوب صناع مهرة لأسبا
في صناعة الأثاث الفاخر المطعم بالذهب والأبنوس والعاج . ولديهم في
أكواخهم كميات وفيرة من ريش النعام وشن الفيل وجلود الفهد ، القرون
والعطور (٤٨)

٩ — عودة النصر

أظهر فرعون قوته حتى أقصى أطراف الأرض ، وكل ما تغمره الشمس
بأشعتها من أراض شاهد على انتصاراته الحربية

لقد أقام حدوده حينما أراد هكذا شاء أبوه آمون رع وشاء كل آباءه
الآلهة . ولم يبق إلا أن يعود إلى بلاده المحبوبة توميرى ليسمع هتاف الشعب
وابتهالات رجال الدين الذين كانوا استعداد على الملء صحف سجلاتهم

بالأسماء والأرقام وتخصيص أهم أجزاء الغنمة للألهة ومكانة الشجعان ومعاينة المتمردين ليكونوا عبرة لغيرهم في الأرض كلها .

وبعيد الجيش تقريبا بنفس نظام التشكيلات التي قام بها . ويتقدم الأسرى من أصحاب الرتب الكبيرة ، عربية الملك وأيديهم مغلولة في سلاسل حديدية تكون أحيانا على هيئة فهد . وفي رقابهم حبال ، وقد ربطت أيدي غالبيتهم خلف ظهورهم أو فوق رؤوسهم^(٤٩) وتبدأ الاحتفالات بمجرد أن تها الأقدام أرض مصر ، فيتكفل الكهنة أمام جسر سيلا حاملين باقات من الزهور .^(٥٠) وينكل ببعض كبار الأسرى حتى الموت في احتفال كبير . فأما محتجب الثاني الذي يشبه درقل قد قبل ثمانية فوق مقدمة مركبه وشنق ستة في طايه أمام صرح المعبد ، والاثنان الآخران شنقا في نباتا ، لإظهار انتصارات جلالته دائما وإلى الأبد في الأراضي كلها وفي جميع جبال بلاد النوج ،^(٥١) ويقوم المنزهون حتى آخر لحظة بتقديم فروض الطاعة والخضوع فيرفع الليييون أصابع السبابة ويرفع الآخرون راحة اليد تجاه جلاديه . وبعد انتصار رمسيس الثالث كتب ملك ليبيا العجوز كاپورو إلى فرعون ملتهسا العفو عن ابنه الذي وقع أسيرا بين أيدي المصريين وهو على قيد الحياة ، طالبا من فرعون أن يعذب هو بدلا من ابنه .^(٥٢) ولكن هذا الالتماس لم يلق أذنا صاغية فقد كان الليييون على جانب كبير من الخطورة ، حتى أن قلب فرعون لم يشأ أن يفتح للصفيح . لقد قال رمسيس الثالث في وصيته السياسية :

« عندما احتلوا مصر استولوا على المدن الواقعة على الحدود الغربية من حات كاپتاح Hatkaptah إلى قربان Qarban ، وصلوا إلى شاطئ النهر الكبير واستولوا على بلاد المقاطعة وعلى الثيران خلال سنوات عديدة .
(م ٢٢ - الحياة في مصر)

كانوا يمتلئون مصر واكلنى هدمتهم وقتلتهم دفعة واحدة، وأجبرتهم على أن يعبروا الحدود المصرية ، أخذت الباقي غنيمة - وسقتهم بسيفي ، فكانوا كالدواجن أمام خيولى ، وكان نساؤهم وأطفالهم يحصون بعشرات الألوف عدودوا بهم بالملايين وقد جمعت أمراءهم وعمدت بهم إلى قواد حملة الأقواس وإلى شيوخ القبائل ، وقد ختمتهم بخاتم يحمل اسمى فأصبحوا عبيداً ، . (٥٢)

وعندما ينفذ حكم الإعدام فى الأسرى الذين تقرر مصيرهم يقام حفل آخر فى المعبد ، يتقرر فيه مصير بقية الأسرى فى نفس الوقت الذى تقدم فيه الغنائم للآلهة . لقد عرضت أمام تماثيل الآلهة ، السكوز التى أحضرت من بلاد الحبشيين الذليلة . وهى الدواقر والقناني والأكراب والسكوز الذهبية والفضية المرصعة بالأحجار الكريمة التى تماثل الألوان التى قدمها السوريون المحاصرون إلى المنتصرين عند ما سلموا بلدهم أو مثل تلك التى أحضرها فى وقت السلام مبعوثو الرتنو وآمار ونهرينا سدادا لقيمة اشترأكمهم فى الحرب أو ليكونوا حلفاء للملك . ويصل الملك بذوره ويشد الأسرى المغולה أيديهم وقد ربطت الجبال فى رقابهم ، هؤلاء هم الزوج والليديون والسوريون ، والعامو والعموريون والحبشيون .

ويعترف الأسرى بهزيمتهم . وفرعون مثل السعير المتعد الذى يلتمس كل شيء إذا ما أفقر المسكان من المياه ، إنه قدبر على أن يخمد أى ثورة وعلى إسكات أى فم تخرج منه كلمة كافرة . وأن يحرم الإنسان سمات الحياة ويعترف فرعون أن أباه آمون هو الذى منحه الانتصار على الشعوب المعادية ، ولذلك فهو يرد إلى الآلهة ما سبق أن منحته إياه ، مقدما هدية لمعابدها هى بعض الأسرى والسكوز النفيسة . (٥١)

الفصل العاشر

الكتابة والفضة

١ - الإدارة

نعمت مصر منذ أقدم عصورها التاريخية بإدارة حازمة متنورة فنذ بدء
الأمرة الأولى كان موظفو القصر يطبعون أسماءهم وألقابهم على سدادات
الأواني الفخارية بواسطة اسطوانة . فكل الأشخاص الذين نعرفهم عن
طريق تماثيلهم أو لوحاتهم أو مقابرهم ، كان لكل منهم لقب واحد على الأقل
وكان لبعضهم عشرات الألقاب . . وفي عهد الدولة القديمة كانت الألقاب
وأسماء الوظائف من السكثرة بحيث تكفي للمء مجلد كبير . وقد وصلنا كتاب
يشمل ترتيب وظائف الحكماء في عهد الرعامسة . (١)

وقد ورد على رأس القائمة أسماء الآلهة والآلهات تليها الأرواح ، والملك
الحاكم ، فالزوجة الملكية ، فولدة الملك ثم أبناء الملك . ثم الحكماء وعلى
رأسهم الوزير وكل من أسددهم الحظ في أن يعيشوا قريبا من الشمس
(الملك) وهم الحكماء الذين كانوا يلقبون بأبناء الملك ، وكبار رؤساء الفرق ،
والكتاب الملحقون بالكتابة الملكية ثم رجال التشريفه والبشير ،
وحامل المظلة وحامل المروحة وكتاب القصر وكبار موظفي البيت الأبيض
وكبير كتاب ملفات المحكمة العليا وكتاب الأموال المقررة .

ثم تشمل قائمة ثانية ممثلى فرعون فى الخارج ، فى الأقاليم وفى المدن
والمبعوثين الملكيين فى كل البلاد وحاملى أختام الملك فى الموانئ البحرية
والنهرية .

وكانت كل وظيفة معينة تشغلها فرقة حقيقة من الموظفين ، فقد كان لكل موظف كبير عدد كبير من المساعدين يعينونه على أداء وظيفته. وكان حكام الأقاليم يحاولون جاهدين أن يعيشوا كما يعيش فرعون ، فيقيموا منازل في عواصم الأقاليم على طراز قصر فرعون في عاصمته ملكة .

وبله مثل آمون كان يمتلك ثروات طائلة فأنشأ لإدارة هذه الثروات هيئة مثقفة ورتبها ترتيباً منظماً واعياً . (٢)

وكان بجانب الكاهن الأول رئيس الخدم ورئيس الدار وحاجب وحارس الغرفة وكتاب ورئيس البحارة والخدم . أما الكاهن الثاني فكان له أيضا موظفون وسكرتيرون ملحقون بخدمته . أما الكاهن الرابع فيعد نفسه أنهم حظه إن لم تكن أصحابه حاشية قليلة العدد من الرجال كلما خرج . وعلينا الآن أن نخصي هذا العدد الكبير من المديرين والرؤساء . والكتاب الذين يتقاسمون جميع الأعمال والتجسيات التي تقرها هيئة كبار رجال الدين . وكانت أهم هذه الوظائف هي وظائف مديري وكتاب الخزائن ورئيس هيئة بيت المال وكتاب الخاتم المقدس لبيت آمون .

ومعبود أقل شهرة عالمية من آمون ، ولكن له أهميته القصوى وهو المعبود مين سيد إيبو وقفط ، وكان يمتلك بجانب العدد الوفير من رجال الدين ، موظفين إداريين كثيرى العدد من كتاب ورؤساء الأعمال ، وشرفين على تطعام الماشية وآخرين يشرفون على أصوانة الثياب والنقل وأمناء المخازن ، كما كان هناك أيضاً محاسبون (٣) .

وكانت الإدارة المصرية ، على شاكلة كل البلاد ، تبذل إلى التوسع لا إلى الانكماش . وقد أغنى رمسيس الثالث الآلهة منذ أول سنة من حكمه

الذى استمر إحدى وثلاثين سنة . وكلما امتدت أملاك الآلهة ازداد تبعاً لذلك عدد الوظائف . فكان في حاجة دائمة إلى عدد من الكتاب لجمع الضرائب وفرضها وقلها ، وترتيب نظام العبيد ، وصيانة القنوات ووقاية الطرق والأرصعة والخازن كي تكون دائماً في حالة صلاحة .

٢ - تعيين الموظفين وتنظيمهم

أسس پارميسيس الأسرة التاسعة عشرة وظل في الحكم مدة طويلة تولى خلالها عدة وظائف ووصل إلى أهم المناصب المدنية وحمل الألقاب الدينية وتولى القيادات الحربية في الإقليم الشرقى لبلادنا .

ولما استدعاه الملك حرمحب إلى طيبة لإدارة أعمال معبد أريت Opet منح ابنه سبتى الذى كان قد بلغ أشده معظم ألقابه ووظائفه . (١) وكان صغار الموظفين يقلدون الكبار ، فإن نفرپریت Nefrperit الذى كان أحد رجال الحرس الملكى ، عندما كان فرعون فى جبال رتنو أرسل إلى مصر أربع بقرات من السلالة الفيينية ربقرتين من السلالة المصرية وثوراً للقصر العتيق (قصر ملاين السنين .) وقد استطاع أن يحصل لأخيه على وظيفة حارس لهذا القطيع الصغير ولابنه على وظيفة حامل أوانى اللبن ، ولم تكن هذه الوظائف مضمونة لشاغلها مدة حياتهم فقط ، ولكنها كانت تبقى وفقاً على أسرهم برثها الابن عن أبيه وتؤول من وريث إلى آخر . (٥) وما كان لأحد أن يعترض على ذلك . ولم كان الآباء فى العائلة يتمتعون الحصول على مثل هذه الوظائف لأبنائهم .

ونجد من بين النصوص التى يقرأها زوار المقابر النص التالى : وإذا أردتم أن توصوا بوظائفكم لأولادكم فعليكم أن تقولوا ومن

كان يسمى السلوك في إحدى المقابر ، كان عرضة لتهديد خطير .. فلن يصبح له وجود ولن يشغل ابنه مكانه ،

وقد نص القانون على أن الموظف العاصي يجرم من وظيفته وتوقع عليه عقوبة شديدة كما يحل العقاب بأولاده الذين تسند إليهم أعمال بدوية شاقة وينزلون إلى مراتب العبيد. (٦)

ولا نستطيع أن نستنتج من هذه النصرة أن الوظائف ذات المسؤوليات الخطيرة التي تتطلب كفايات كبرى كانت تسند تلقائيا إلى ابن شاعلمها بمجرد وفاته . فالواقع أن أولاد الموظفين كانوا يبدأون وظائفهم الإدارية بمجرد تخرجهم في المدارس ، وكانت ترقياتهم تبعا لقدراتهم ومواهبهم وتغائهم في العمل ورقفا لقوة نفوذ من يناصروهم .

وكانت المدرسة ، عادة ، جزءا من المعبد . كان باكن خنسو *Baken Khonsou* الذي أصبح فيما بعد كبير كهنة آمون ، قد درس مدة اثنتي عشرة سنة في مدرسة الخطوط الملحقة بمعبد سيدة السماء . (٧) وقد وجدت قطع من الشقف المخطوط *Ostraca* وأوراق البردى ، عليها تمرينات مدرسية ، داخل أسوار معابد الرمسيوم وثانيس ودير المدينة وفي بعض المعابد الأخرى .

كانت تبدأ الدراسة في سنين مبكرة ، فلم يكن باكن خنسو قد تجاوز الخامسة من عمره عندما ألحق بالمدرسة ، ولسكن والده ، ذلك السكان المرموق ، الطموح الغيور على أن ينال ابنه مستقبلا عظيما ، كان يدفعه دائما إلى الأمام حتى بلغ مالم يبلغه أى طفل عادى .

ومع ذلك ، فالمسلم به أن اليوم الذي يتمتع فيه الأطفال عن السير عراة الأبدان ، ويضعون أردية حول خصورهم المرة الأولى ، لم يكن بعيدا عن اليوم الذي يلتحقون فيه بالمدرسة .

وقد علمنا أن الشاب الذي سيعد ليكون ضابطا ، كان يؤخذ من أسرته في سن مبكرة وكان نظام المدارس في الغالب أن يكون التلميذ خارجيا ، وكان يحمل التلميذ الصغير قفة صغيرة تحتوى على قطعة من الخبز وجرة من البيرة تعدها له والدته كل صباح . (٨) وفي أثناء سيره من البيت إلى المدرسة أو حين عودته منها كان لديه متسع من الوقت لأن يتشاجر ويتضارب مع زملائه الصغار . وقد نشرت حديثا قصة مصرية تبين لنا ولها كان موهوبا جدا حتى أنه كان يتفوق على أقرانه من يكبرونه سنا . فاكشف هؤلاء ذات يوم أن في حياة هذا الغلام نقطة ضعف ، فسألوه مرة : « ابن من أنت ؟ ليس لك أب ؟ » ولما لم يحرجوا بالمكنفوا عن اضطراره والسخرة منه وضربه . وهم يرددون : « ابن من أنت ؟ ليس لك أب ! »

كان الطفل يبدأ بتعلم القراءة والكتابة وكان ورق البردى مادة نفيسة جدا حتى أنه لم يكن يوزع على التلاميذ ، إذ كانت تعطى لهم لوحات من الحجر الجيري المصقول ذى السطح الناعم ، وقد رسمت عليها خطوط أو مربعات ، ليؤدوا عليها تمريناتهم . وفي طيبة كانوا يكتبون (باعطاء التلاميذ) بقطع الأحجار ، نحتت دون عناية . كانت هذه كراسات واجباتهم . وكانوا يتمرنون على أن يخططوا عليها رموزا منفردة أو يكتبون المبروغرافية أو الكتابة العادية أو الرسوم الصغيرة أو نسخ نصوص موجزة يزداد مقدارها شيئا فشيئا . وكانت هذه اللوحات الحجرية هي أيضا كراسات لحفظ دروسهم ، لأن بعضها قد كتبت عليه تواريخ . ولو وجد من هذه اللوحات عدد كاف أو كامل ، لاستطعنا أن نستنتج عدد الأيام التي تلزم للتلميذ ليدرس أو ليحفظ عن ظهر قلب قطعة كلاسيكية مثل نشيد النيل أو وصايا أمنمحات . (١٠) وبعد أن يكون قد أئلف عددا ليس باليسير من هذه المواد الرخيصة بصرح للتلميذ الناجح بأن ينسخ على الورق البردى

الجميل السليم ، ليس مجرد نص فحسب بل مؤلفا كاملا فيجلس القرفصاء
ويبشر أمامه جزءاً من ملف ورق البردى الذى لم يستعمل بعد ، يبلغ عرضه
عرض صفحة من النموذج الذى سينقل عنه . وقد أحضر المداد الأحمر
والمداد الأسود واختار بين مجموعة الأقلام ما يصلح لهذا العمل وبدأ عمله
في نسخ قصة أو مجموعة من القصائد الشعرية أو من الحكم الأخلاقية أو نماذج
مراسلات . وتكتب بالمداد الأحمر العناوين وبداية الفصول ، وأما النص
الأصلي فيكتب بالمداد الأسود . وكان الكتاب عادة ، رساما ومصورا في آن
واحد . وكان يستعمل للزخرفة أنواعا من المداد المختلفة الألوان منها
الأخضر والأزرق والأصفر والأبيض .

ولم تكن التزينة مقصورة على مجرد دراسة قواعد اللغة والخط ومعرفة
النصوص الكلاسيكية والتاريخ المقدس وقليل من الرسم ، لأن الموظفين
المصريين كانوا يؤدون أعمالا متنوعة للغاية وينقلون من عمل إلى آخر في
سهولة مذهلة . فقد كان أونى Onni في بادىء الأمر من رجال الشرطة ثم أصبح
قاضيا ، ثم توجه إلى مكان ناء للبحث عن أحجار باقيا ببناء سفن وطهر
القنوات . ولما نشبت الحرب ، شغل وظيفة رئيس أركان الحرب ، وعلى هذا
فقد كان ينبغي للطلبة أن يكونوا على علم بالقوانين واللوائح والتاريخ والجغرافيا
والفنون الرئيسية . فهل كانت هناك وقتذاك مسابقات وشهادات ؟ إننا نميل
إلى الاعتقاد في ذلك حينما نرى الأسئلة التي كان يوجهها الكتاب هورى
Hori إلى أحد زملائه ، وقد كان يقصد بذلك إحراجهم : « ما مقدار المؤنة
اللازمة لفرقة محاربة ؟ . ما عدد الأحجار اللازمة لبناء سور معروفة أبعاده ؟
وكم عدد الرجال اللازمين لنقل عجلة ؟ وكيف يقام تمثال ضخم ؟ ثم كيف
تنظم حملة حربية ؟

وفي النهاية ألقى عليه عدة أسئلة تتعلق بجغرافية سوريا . . كل هذا يحتاج دون ريب إلى برنامج دراسي واف . (١١)

على أن درجة الأقبال على العمل كانت تختلف لدى هؤلاء الشبان من كسبة المستقبل ، وكثيرا ما كان أسانذتهم يتألمون اشد كسل تلاميذهم ، فكان الكاتب أمن موزى Amenmosi يهيب بهم ، قائلا : « اكتب بيدك وناقش من هم أعلم منك . . فالإنسان يصبح قويا إذا تمرن كل يوم . . وإذا أهملت يوما واحدا . . فستضرب . فأذن الشاب فوق ظهره . لا يستجيب إلا لمن يضربه اجعل قلبك يصنع إلى أقوالى . إن هذا سوف يفيدك . إن الفردة تدرّب على الرقص ، كما تدرّب الخيول . . إن الحداة تنزع من عشها ، وتدرّب الصقر على الطيران . . فلا تنس أن المناقشة تدفع دائما إلى التقدم ، لا تهمل الكتابة . اجمل قلبك ينحسرت إلى احاديثي فستجدها نافعة لك . » (١٢)

هذا العالم التربوي كان يعتقد أو كان يتظاهر أنه يعتقد أن الدراسة ليس لها من عدو في قلب الشاب سوى الكسل والعناد . ولكن ما دام من المستطاع كبح جماح الحيوان وتدريبها ، فقد كان يأمل في الوصول إلى تقويم التلميذ الطائش وهدايته إلى الطريق القويم المؤدى إلى النجاح وإلى أعلى المراتب بحسبه على الطموح ونهج الطريق السوى مع تذكيره بكرامته ومراعاة الإتران ، وإلا فيمكن تقويمه بتوقيع عقاب صارم عليه .

وأسفاه ! لقد كان الشبان المصريون يتصفون بخصال وخيمة العواقب ، إذ قال أستاذ آخر يتصف بالتذمر مثل أمن موزى ولكنه أكثر منه تجربة وإطلاعا ، قبل لى إنك تهمل الكتابة وأنت تمارس الرقص وتنتقل من حانة إلى أخرى وأن راحة الجمعة تفوح منك في كل خطواتك . إنك تشبه المعبد الخالي من معبوده أو البيت الذي انعدم فيه الحبز . وقد رأوك تصطلم

بالجدران فيفر الناس من أمامك. هل تستطيع أن تؤمن بأن الخمر رذيلة شنيعة؟
أه لو أمكنك أن تنسى الكئوس! ولكنك تجهل مقدار عظمتك؟ (١٣)

وكان هناك ما هو أشنع وأسوأ من ذلك، فقد كان من اليسير على الرجل في مصر أن يستقبل في بيته عشيقات أو يشتري إماء أو يستأجرهن، وكان هذا كله يمنع إلى حد ما انتشار بيوت الدعارة. ومع ذلك فقد كانت تلك البيوت موجودة وكان روادها يسرفون في شرب الخمر إلى حد فقدان الوعي ومجدون في تلك البيوت الراقصات والمغنيات والموسيقىات المحترفات، وكن في الغالب من النسوة السهل مناهن ولو كن من مغنيات آمون. وفي هذه الأما كن كان من المستطاع الاستمتاع بالأنغام السحرية للموسيقى الأجنبية. وكان الغناء والأناشيد مصحوبة بدق الطبول ونغمات القيثارة. وكان يمكن الاستمتاع فيها بملذات أخرى حتى يحين الوقت ليجد الإنسان نفسه في الطريق في حالة يرثى لها وبعد محاولات فاشلة يبذلها ليسير دون ترنح، نراه يتمرغ في القاذورات أو يشبك في مشاجرة حقيرة. (١٤)

٣ - النظام المملوكي والطاحوري

كان الشعب والعمال والفلاحون يهابون رجال القانون ولو كانوا في أدنى المراتب. كانت زيارتهم في أغلب الأحيان نذير عقوبة قانونية بالعصا أو مصادرة للثروات الضئيلة. وعما لا ريب فيه أن الحكماء كانوا يوصون ممثلي السلطة بالعدل والإنصاف في أداء مهمتهم قائلين: «لا تنفخ أحداً عند جباية الضرائب - ولكن لا تكن شديد القسوة إذا وجدت في القائمة مبلغاً جسيماً متأخراً على شخص فقير فقسمه إلى ثلاثة أجزاء، وتترك منه جزءين حتى لا يتبقى عليه إلا جزء واحد». (١٥)

وقد ذكر بعض الموظفين على لوحة في مقبرتهم ، أو على تمثال شيد في المعبد في كنف معبودهم ، أنهم كانوا يعملون وفقاً لمثل هذه المبادئ .
 الحكيمه . قال الوزير Ptahmosé : « لقد عملت ما يستحق ثناء الناس ويستوجب رضا الآلهة ، لقد أعطيت خبزاً للجائع وأشبعته من لا يملك شيئاً » (١٦) وقال وزير آخر ، رخمارع ، بأنه قام بإدارة الأملاك الملكيه بكل عناية . وأنه « ملأ المعابد بالتماثيل وشيد لنفسه مقبرة فخمة واسكنه كان يحمي الضعيف ضد القوى ويدافع عن الأرملة التي لا أقارب لها . وعين الأولاد في مراكز آبائهم » (١٧) وإذا كنا نعتقد في صحة ما قاله با كن خفسو ، كبير كهنة آمون فإن مرووسيه لم يكن لديهم ما يشكون منه من رئيسهم المذكور إذ قال : « لقد كنت أباً للمرووسى ، أعلم أولادهم الشبان وأمد يدي للباشرين وأضمن العيش للمعوزين . لم أعامل الخدم بقسوة واسكني كنت أباً لهم . . . كملت الطموس الجنائزية لمن لا وريث له ، وجهزت تابوتاً لمن لم يكن يملك شيئاً . وضعت اليتيم الذى التجأ إلى تحت حمايتي وحرصت بنفسى على مصالح الأرملة . لم أطرده ولداً من مركز كان يشغله أبوه . . ولم أنزع الطفل من بين ذراعى أمه . . لقد أصغيت تماماً لأولئك الذين يقولون الحقيقة وباعدت بينى وبين الآثمين » (١٨)

وكذلك نرى الحكاتب الملكى السابق ورئيس مخازن الغلال خام حات Khâemhat قد توجه إلى المقبرة بعد أن برأه البشر من التهم التى كانت موجهة إليه ، على أنه لم تكن قد وجهت إليه أية تهمة . . وعندما وصل إلى قاعة العدالة الكبرى وجدت الآلهة المقيمة فيها أعماله راجحة الكفة وفقاً للميزان . وقد برأه المعبود تحوت أمام محكمة جميع الآلهة والآلهات . (١٩)

هذه الأقوال تدعو إلى تقوية العزائم . . ومع كل فإن أحد الملوك

وكان قد بلغ من الكبر عتيا وعلى علم تام بطباع الناس قد حذر ابنه من القضاة حين قال له : « إنك تعلم انهم غير رحماء عندما يحاكمون الفقير . . . ، وحرمنجب Horonemheb المحارب المخنك الذى تولى الحكم بالنيابة فى الفترة بين اعتلاء ذرية أخنانون ورمسيس الأول للحكم كان بصيرا بحقيقة أخلاق رجال عصره فقد كان يعلم أنه خلال سنى الاضطرابات التى تلت الثورة الدينية ، أن السكتاب ومحصى الضرائب وكل من حاز سلطنة ولو ضئيلة كانوا يصفطون على صغار الممولين بصورة شنيعة ، عاملين على سرقة فرعون والشعب فى آن واحد . وعندما يلجأون إلى العدالة كان أولئك الذين ينبغي لهم حماية الممول ، يتسلمون النقود (الرشوة) لتبرئة الجاني ويحكمون على البريء الفقير الذى لا يستطيع شراء ذمتهم . ولذلك فإن حرمنجب ، الذى كان ينهز الفرصة ليسحق الظلم ويقضى على الفساد قد سن مرسوما ضد المفسدين .. فكل قاض ثبت عليه بأنه أساء استعمال سلطته كان يحكم عليه بجدع أنفه وينفى فى شبه معتقل يقع فى سيللا فى برزخ السويس . (٢٠)

وتناول مرسوم من مآت رع Menmatre* الذى طبع منذ سنوات قليلة تحذيرات وجهت بلمحة شديدة إلى الوزراء وكبار الموظفين والقضاة وحاكم كوش وإلى قواد حملة السهام وإلى حراس الذهب ، وإلى الأمراء ورؤساء القبائل فى الجنوب وفى الشمال وإلى الفرسان ورؤساء الاسطبلات وحملة المظلات وإلى جميع رجال حرس القصر الملكى وجميع المبعوثين . وكان المقصود من هذا كله حماية معبد ملايين السنين الذى كان الملك قد شيده فى أيدوس وخصص له فى سخاء الأملاك والخدم والمواشى لمنع هؤلاء الموظفين من سوء استغلالها . وكان الملك على حق إذ كان يخشى أن يجبر على السخرة الرعاة وصياد الأسماك والمزارعون والصناع أو أن تستغل المستنقعات فى صيد الأسماك أو الأراضى المخصصة لصيد الحيوان أو أن

تصادر السفن وبصفة خاصة السفن القادمة من بلاد النوبة المحملة بمحاصيل المناطق الجنوبية. كما قرر أن كل موظف يضع يده على ممتلكات المعبد يعاقب بضربه مائة ضربة بالهراوة على الأفل وأز يرد ماسرقة وعليه أن يدفع ما يعادل قيمته مائة مرة على سبيل التعويض . وقد أصل العقوبة في بعض الحالات إلى مائتي ضربة وخمسة كسور في عظامه ، وقد أصل في بعض الحالات القصوى إلى جردع الأنف وقطع الأذنين وحجز الجاني ويصبح عاملاً زراعياً بين خدم المعبد . (٢١)

وعما يثير الدهشة أن نرى الملك يعامل موظفيه الإداريين بمثل هذه القسوة لصالح طبقة من ذوي الامتيازات كانت تكون دولة داخل الدولة . ومع ذلك فالحقيقة أن نفوس الموظفين لم تكن تتطوى دائماً على الاحترام المطلق للامتيازات التي يتمتع بها رجال الدين . (٢٢)

على أننا ، مع ذلك ، نتساءل عما إذا كانت هذه العقوبات الصارمة تطبق بنفس العدالة إذا ما وقع ظلم على عامل أجبر أو مزارع... إن قصة فلاح واحة المنح ، بالرغم مما يعتورها من نقص كبير ، تبرهن ، على الأقل ، أن الملك كان يرغب رغبة صادقة في أن تسود العدالة حكمه .

٤ — المحافظة على النظام

وقعت في زمن الملوك الأخيرين من عهد الرعامسة أحداث في طبيعه لا يمكن تصديقها ، كما وقعت دون ريب في سائر أنحاء القطر المصري . إن العرفات وإساءة استعمال السلطة والجرائم كانت منتشرة في كافة العصور حتى في عهد أقوى الملوك . ولكن لم يسبق لنا مشاهدة عصابات منظمة تنهب المعابد والمقابر التي كانت تحوى ثروات ضخمة ولم يكن لها من

حارس سوى سماحة الأهلالي . فنذ عهد الدولة القديمة كان من عادة المصريين أن ينحتوا أو ينقشوا في أمكنة مختارة وبحروف كبيرة الحجم انذارات تخطر من يسيء التصرف في المعبد كأن يتلف أو يسرق التماثيل أو الرسوم الملونة أو المنقوشة أو النصوص المكتوبة أو أى شئ من الأثاث الجنائزى بأن عمله السيئ لن يظل دون عقاب : وكل من قام بأى عمل ضد ما هو موجود بهذا المكان فليهاجمه التمساح في الماء والثعبان في الأرض ولن تعمل له أبدا احتفالات جنازية والإله هو الذى سيتولى ادانته . (٢٢) وبعد ذلك بزمان كبير أمر أحد حكام أسبوط بنحت انذار يتمشى مع عقلية الجبل الذى عاش فيه يحوى تهديدات كثيرة لما كان يشعر به من خوف من عدم احترام مقبرته ، إذ كان هو نفسه قد نهب مقبرة قديمة ، فقال : دكل الرجال وكل السكتبة وكل العلماء وكل أفراد الطبقة الوسطى وأفراد الطبقة العامة الذين يثيرون ضوضاء داخل هذه المقبرة أو يتلفون الكتابات المنقوشة عليها أو يحطمون تماثيلها سوف يتعرضون لغضب تحوت ، أسرع الآلهة انتقاما . وتسلب عليهم سكين جلادى الملك المستقرين فى القصور الكبرى . ولن تقبل آلهتهم قرايينهم من الخبز . ، وبعبكس ذلك ، فإن البركات العميمة سوف تمنح للزائر المحتشم الذى يقدس هذا المكان وسوف يعمر طويلا فى بلده ويكون موضع الاحترام فى مقاطعته . ، (٢٣)

ولم يفقد المصريون الثقة فى صحة هذه التعليمات المنطوية على التهديد فى عهد الإمبراطورية الحديثة ، فالملك ، من مات رع ، عندما وجد ماء فى الصحراء بجوار مناجم الذهب شيد معبدا صغيرا وهبه لآمون رع وللمعبودات أخرى لا ليشكرها لحسب وإنما لىكى تضع تحت حمايتها أوائلك

فى الآخرة كانا كافين اهيانة المعابد والمقابر ظلما كان رجال الأمن أمناء يقضين ، بقومون بأداء الحراسة فى غرب طيبة . إلى أن جاء يوم أنسى فيه الشرطة أداء واجبهم ، ففقدت التحذيرات المربعة المنقوشة على جدران المقابر كل قبتها وأول أعمال السلب والنهب حدثت على ما نعلم فى السنة الرابعة عشرة من حكم رمسيس التاسع ولاشك أنه لم يكن العمال الأول ، فمنذ سنوات طويلة كانت تهب المقابر ، دون أن يعلم شيئا عنها الأمير خر Kher وهو سيد الجبانة والذي برأس رجال الشرطة الميچاوو وفرقة الحراس العديدين ولم يبد أحدهم أدنى اهتمام لوضع حد لهذا الأجراء الآثم : والذي قام بإبلاغ هذه الفضيحة فى تقريره إلى الوزير وإلى لجنة كبار الموظفين هو باسر Paser حاكم المدينة ، بالرغم من أن هذا الأمر لم يكن يخصه . وكان هذا التقرير جد خطير ، ومثيرا للذعر . فاضطر الأمير خر باورخ Paourâ - إذ كان هو الذى يمس الاتهام مباشرة إلى إجراء تحقيق بوساطة أعوانه من رجال البوليس . فاختيرت مجموعة من المقابر لجردها فى المنطقة الشمالية من الجبانة وبدى العمل بمقبرة الملك المنتخب الأول الذى كانت ذكراه عزيزة على أهالى البر الغربى (الشاطئ الأيسر لنهر النيل) وكان الأمير باسر يؤكد فى تقريره بأن هذه المقبرة قد نُهبت وليكنه كان قد أخطأ إذ أن مقبرة الملك الصالح (المنتخب الأول) كانت سليمة لم تمس بسوء كما كانت مقبرة أخرى مجاورة لمعبد أمنتب ذاته سليمة أيضا إذ كانت هذه المقبرة معروفة جيدا لدى الجميع لأنها كانت تحوى تمثالا يمثل الملك أنتف Antef وبين قدميه كلبه باحكا Bahka . وقد حاول النصوص محاولة محكمة لسلب مقبرتين أخريين وليكنهم لم يتمكنوا من الوصول إلى غرفة الدفن وبعبكس ذلك كانوا قد نجحوا تماما فى السطو على مقبرة الملك سخمارع شدنواوى Sokhomare Chedtauui ابن الشمس سبك أم ساف Sobekemsaf ، فوجدت

الذين يذهبون لغسل الذهب ليسلموه بعد ذلك إلى الخزائن الملكية . لأن
الآلهة آمون وحرأختي وتاتهن سيمنحون ملوك المستقبل الذين يحرمون
وينفذون رغباته من مات رع ، بأن يحكموا البلاد بنفص مطمئنة وأن
ينتصروا على الأقطار الأجنبية وعلى أرض القوس أما الملك الذى (لا ينفذ
هذه الرغبات) فإنه سوف يحاسب عن ذلك فى مدينة أون أمام محكمة لا
ندرى ماذا تكون . والامير الذى ينصح سيده بأن يسحب عمال المناجم عن
علمهم ليشغلهم فى عمل آخر ، فإن النار سوف تحرق جسده وتحطم الساطعة
أعضائه . وأخيراً فكل رجل يهمل آذانه حتى لا يسمع هذا الأمر سيطارده
أوزبريس وتطاردايزيس زوجته ويطارد هورس أولاده ، مع أمراء
تاجوسر الذين يؤدون مهمتهم ،^(٢٥) وضع حريحور Heri-hor كبير كهنة آمون
تمثاله فى المعبد ليستقر بجوار المعبود والذى يجيبه عندما يخرج فى الموكب .
والويل لمن ينقله من مكانه ولو مضت سنوات عديدة . إنه يصبح هدفاً
لغضب آمون وموت وخنسو . ويمحى اسمه من جميع أسماء القهار المصرى
وسيموت جوعاً وعطشاً ،^(٢٦) وأصدر امحتب الثالث مرسوماً لتنظيم مقر
كاهن الروح ، وصفية امحتب ابن حابو Hapou . ووضع هذا المبنى تحت
رعاية آمون رع سونثير طالما بقى المبنى على الأرض . والذين ينالونه بأى تلف
فإنهم يتعرضون لغضب آمون : « أنه سيسلمهم لنيران الملك فى يوم غضبه
ويقتل الشعبان اللهب على جباههم ، ويفتك باحدهم ويلتهم أجسادهم ،
ويصبحون مثل أبوبى Apopi فى صبيحة يوم رأس السنة ولن يستطيعوا
ازدرا دقرايين الموتى ولن يصب عليهم ماء النهر . ولن يخلفهم ابناؤهم فى
مراكزم . ويمتلك عرض نسائهم أمام أعينهم . . . ويكونون هدفاً لسكين
يوم المذابح . وتبلى أجسادهم إذ يقاسون الجوع ولن ينالوا طعاماً . »^(٢٧)
كل شيء مرتبط بالآخر فى أى بلد فخافة الآلهة والرعب من العقاب

القاعة التى كان يرقد فيها هذا الملك مع زوجته الملكة نوب خاس Noubkhas خالية من كل ما كانت تحتوى عليه . ووجدت خمس مقابر ملكية أخرى سليمة ولكن نهبت مقبرتان من تلك المقابر الأربع التى كانت مخصصة لمنشدى بيت عبادة آمون رع سونتير أما الجبانة المجاورة التى كان يرقد فيها المغنون وأهل البلد وأجدادهم فقد كانت فى حالة يرثى لها .

فقد سطا اللصوص على جميع القبور التى بها ونهبوها وكان المجرمون قد انتزعوا الموميات من توابيتها الخشبية أو الحجرية وتركوها ملقاة على الأرض ، بعد أن نزعوا منها الذهب والفضة وسرقوا جميع الأثاث الجنائزية . وعندما ألقى القبض على بعض هؤلاء اللصوص وتم استجوابهم ، أرسل الأمير « باوورع » Paourâ المحضر الذى سجلت فيه أقوالهم إلى اللجنة التى كلفت بالتحقيق معهم .

وهذه الشخصيات الهامة ما كان يحق لها اطلاقاً أن تفخر بما فعلت ، وما كان ينبغي لها إلا أن تفكر فى شيء واحد هو إلقاء القبض على المجرمين وطرد كل أولئك الذين تسببوا فى اقتراف تلك الجريمة الشنيعة وإنزال عقوبة شديدة بهم لإهمالهم أو لا تقاوم مع المجرمين . ولكنهم ، بدلاً من أن يتخذوا هذا الإجراء منذ بداية الأمر ، أخذوا يصبون جام غضبهم على « پاسر » حاكم المدينة الذى اضطروهم اضطراباً إلى التخلي عن جمودهم ، وأخذ يهدم أيضاً بأن يرفع تقريراً لفرعون نفسه حتى يأمر بالقبض عليهم جميعاً والتخلص من هذا الشخص الذى سبب لهم الضيق والحرج كفوا شخصاً يدعى پاخارو وصناعته عامل فى المعادن ليقابل پاسر ويروى له كذباً بأنه اشترك مع عصابة فى سلب المساكن الكبرى (المقابر) .

(م ٣٣ — الحياة فى مصر)

وطبيعى أن الأمير خر الذى كان يعلم حقيقة الأمر والذى أعد عدته لهذا التلقيق أجرى تحقيقا أثبت فيه عدم صحة التهمة ثم اجتمعت لجنة التحقيق برئاسة الوزير واستدعت العامل المذكور وشركاه المزعومين كما استدعت الشاكي والمتهمين الذين أشار إليهم . ولخص الوزير الموضوع وذكر نتيجة التحقيق قائلا : « لقد عاينا الأماكن ، التى زعم حاكم المدينة بأن عمال قصر وأوزير مارع ميامون Ousirmarâ Miamoum قد وصلوا إليها أو دخلوا فيها ، فوجدناها سليمة . وقد تبين لنا أن كل ما قاله كان غير صحيح ، استجوبنا العمال وواجهناهم بأسر وانضح لنا فعلا أن هؤلاء العمال لم يكونوا يعملون مكان أية مقبرة من المقابر فى ميدان فرعون التى أشير إليها فى تقرير الاتهام الذى قدمه حاكم المدينة . . ولذلك افتنع بأسر بأنه قد اقترف كذبا . أما العمال الذين كانوا ينتمون جميعا إلى آدون رع سونير كبير الكهنة ، وهو الذى يستحق أن نحوم حوله كل الشبهات ، فقد أخلى سبيلهم وأعيدوا إلى أعمالهم . (٢٨١) وبالرغم من الرغبة الملحة من جانب رجال الشرطة فى أريغضوا العارف عن أعمال الهوص ، إلا أنهم لم يجدوا مناصا من إلقاء القبض على بعض هؤلاء الذين سرقوا مقبرة الملك سوبك إم ساف Sobekemsaf وقد أمكننا أن نعرف كيف كان الهوص يسرقون المقابر وذلك بفضل أوراق التحقيق التى وصات إلى أيدينا . : لقد اشترك بناء يدعى أمن پانوفر Amnpanofar وكان تابعا للكهنة الكبير آدون رع سونير المنحتب ، مع سبعة عمال آخرين يعملون فى البناء أو التجارة . وانضم إليهم مزارع آخر ونوتو كان لاغنى عنه لأنه هو الذى كان يجر نهر النيل ذهابا وإيابا حاملا المدر وفات دون أن يلفت أنظار الفضوليين . وكان هؤلاء الهوص

يعملون قبل ذلك بأربع سنوات، عندما اعتزموا السطو على هرم سبك إم ساف
ولكنه لم يكن يشبه في شيء الأهرام أو مقابر النبلاء التي اعتدنا سلبها،
فحملوا معداتهم النحاسية وقاموا بحفر عمق في كتلة الهرم ولم يكن هذا العمل
يتم في يوم واحد ولكنهم انتهوا أخيراً من الوصول إلى القاعات السفلى
وأضاءوا مشاعلمهم وأزالوا آخر العوائق فوجدوا أنفسهم أمام ضريحى الملك
والملكة . ولكنهم لم يأتوا إلى هذا المكان ليقوموا ببحوث أثرية ورفعوا
دون تردد غطائى الضريحين ووجدوا بداخلهما تابوتين من الخشب المذهب
لم يترددوا في فتحهما . وكانت مومياء الملك النبيلة بمددة داخل تابوتها وبجانباها
سيف ربما كان مزخرفاً وعليه نقوش تمثل أغصان شجرة النخيل ومناظر
الصيد على طراز ما كان على سيف الملكة اح حتب Ah-hotep وكان
يغطى الوجه قناع من الذهب ، وقلاند وتماثيل من العنق وكانت المومياء
مكسوة كلها بالذهب . تجمع أفراد العصابة كل الذهب والفضة والبرونز وكافة
الحلى وأشعلوا النيران فى التوابيت . كان وزن هذا الذهب ١٦٠ دين (اى
ما يعادل ٤١ كيلوجراماً) وقسموه ثمانية أقسام متساوية وعبروا النيل عائدين .
وسواء كانوا قد نرثوا حول هذه الحيلة أم أنهم لم يستطيعوا إخفاء أمر حماهم
على جميع الناس . فقد ألقى القبض على آتون بانوفر Amoupanofer بمعرفة
حراس المدينة الذين حبسوه فى مكتب الحاكم پامر - فقام هذا الهر بجمع
العشرين دين من الذهب التى كانت لديه وسلمها إلى كاتب الجمر ، فإطاق
هذا بدوره سراحه على الفور دون محاكمة وعاد الهر إلى زملائه الذين قاموا
فى أمانة تامة بعمل تقسيم جديد ، فأصبح نصيب كل منهم وأسفاد ١٧,٥ دين
وقد كان عليهم أن يعوضوا هذا النقص بقامت العصابة بانجاز أعمال جديدة

حتى حل اليوم الذى اعزم فيه رجال السلطة لإلقاء القبض عليهم . . وقد أضاف اللص قائلا : « ولكن هناك عددا كبيرا من الأهالى قد قاموا أيضا بسلب هذه المقابر وهم مدانون مثلنا تماما ، فحجز اللصوص بعض الوقت . وقد استدرجهم الخفة ونحى 'عترفوا وفادوهم إلى الهرم الذى نهبوه ليمثلوا طريقة ارتكاب الجريمة . وقد قرروا تسليم اللصوص الثمانية إلى كبير كهنة آمون ولكن حدث أثناء نقلهم أن اختفى خمسة ولم يبق إلا ثلاثة من الثمانية أضيف إليهم شخص كان ينتمى إلى عصابة أخرى مكونة من سبعة عشر لصا ، أما الباقيون فكانوا قد هربوا ، وقد ألقى القضاة عبء العثور على اللصوص على كاهل رئيس الكهنة .

وبعد ثلاثة شهور من هذه الحوادث ألقى القبض على البناء آمون بانوفر وكان قد حكم على أمه بالنفى فى بلاد النوبة اقتيد أمام إحدى المحاكم . وبعد أن ضرب ضربا مبرحا ، كما ينبغي له أن يضرب ، أفضى باعتراقات جديدة : لقد نهب مع زملائه مقبرة الكاهن الثالث لآمون . وكان عدد اللصوص يبلغ خمسة رجال . حملوا التابوت الخشبى المذهب خارج المقبرة ، تاركين الموهب فى ركن من القبر ثم ذهبوا جميعا إلى جزيرة آمون إم أوبت ووضعوا الذهب جانبا ثم قسموه بينهم وأحرقوا التابوت . واستأنف آمون بانوفر أعماله الإجرامية ثم قبض عليه وأخلى سبيله ، ثم استأنف أعماله إلى أن قبض عليه أخيراً واقتيد للمحاكمة . (٢٨)

. وفى بادىء الأمر كان اللصوص الذين يسلبون مقابر الملوك والأفراد يتكونون من عمال المهاجر والبنائين والعمال الذين يشتغلون فى الجبانة وسرعان ما ازدادت العصابة حين انضم إليها صغار الموظفين المسكفين بمخمة

المعابد في المنطقة الغربية وعمال الجبابة وبعض رجال الدين . ورجال إحدى هذه العصابات التي كانت تضم أحد الكهنة ويدعى بن أون حب Pen-oun - Heb وأربعة من كهنة الآلهة وهم مري Mery الطاعن في السن وابنه باي سم Paisem سمدي Smdy وباخاروا كانوا قد اشتركوا في سرقة قلادة نمثال نفرنوم Nefertoum الخاص بالملك أوزير مارع ستب إن رع كبير الآلهة . ولما انصهرت الحلية كانت تزن ٤ دبن debon و ٦ قيط qite من الذهب . وكان مري الشيخ بوصفه عميدهم في السن هو الذي تولى دون شك أمر القسمة . (٣٠)

وكانت هناك عصابة أخرى اشترك فيها رجال الدين والكهنة وبعض الكتبة وعمال الحظائر ، وكانت تقوم بالسطر على بيت الذهب الخاص بالملك أوزير مارع ستب إن رع . ولا نعرف بالتحديد ماذا كان يقصد بعبارة بيت الذهب ولا أين كان يوجد هذا البيت . وكان بابہ الخارجى من جرانيت أبوAbou (جرانيت الفنتين) ذاتا ريس من النحاس . وكانت الأبواب الداخلية الرئيسية مكسوة جميعها بالذهب . ويبدو أن هذا المبنى العظيم لم يكن به عدد كاف من الحراس . وكان الكاهن كاركارى Kaoukaroi وأربعة من زملائه قد ذهبوا إليه أكثر من مرة وعادوا منه حاملين في كل مرة كمية من الذهب يستبدلونها في المدينة بالقمح . وتشاجر أحد الرعاة ذات مرة معهم قائلاً لهم : ولماذا أصبحتم لا تعطوننى شيئاً ؟ ، فاتجهوا على الفور إلى رصيدهم الذى لا ينفد وعادوا ومعهم ٥ قيط من الذهب فاشترؤا ثوراً بخمسة وأربعين جراما من الذهب وأهدوه إلى الراعى .. ولكن الكاتب المكاف بمسك الدفانر الملاكية بالمكتبة ويدعى ستوى موزى Setoui mosé كان قد سمع حديث الكهنة والراعى عندما كانوا يتشاجرون فانهز هذه الفرصة وقال لهم : سأقوم بتقديم تقرير لكبير كهنة آمون ، وعلى هذا أسرع الكهنة في القيام بمحلمتين رأوا

بأربعة قيط ونصف قيط من الذهب ليشتروا بها سكرات أمين المكتبة .
وكان توتوى Toutouy ، وهو أحد الكهنة الذين كانوا يترددون على
بيت الذهب ، قد أراد أن يوسع نطاق أعماله . ذهب مسرعاً يصحبه نسي أمون
Nesiamon إلى أبواب السماء وأشعلا النار فيها بعد أن سلب ما فيها من
ذهب (٢١) واختفت كذلك كمية كبرى من الأثاث القيم بنفسى هذه الطريقة
وذات يوم خطف اللصوص الصندوق المتنقل الخاص بكبير كهنة أمون
رمسيس فاخت وكان قد توفى منذ زمن قريب . وفى يوم آخر كانت
عصابة أخرى تنهب الصندوق المتنقل الخاص بكبير الآلهة أوزير مارع
ستب إن رع كما استولوا على اربعين بيتاً خاضعة بالملك منممات رع
سبنى Menmatré Setoui كانت مودعة داخل خزانة قصر أوزير
مارع Ousirmaré (٢٢)

والتقارير ومحاضر التحقيق الخاصة بتلك العمليات للذهب تكون مجموعة
ضمنة نوعاً من المستندات ولسكنها لم تذكر إلا حوادث ضئيلة فى ذاتها
إذ أنها لا تشير إلا إلى سلب مقبرة ملكية واحدة مع أن جميع المقابر
تقريباً فى وادى الملوك ووادى الملكات قد سرقت ونهبت قبل بدء عهد الأسرة
الحادية والعشرين أى فى فترة لا تتجاوز ثلاثين عاماً . ولإنقاذ مومياءات
الفراعنة لم يجد الوزراء وكبار كهنة أمون مناصاً من نقلها من توابيتها ووضعها
فى توابيت خشبية متواضعة ، بعد أن جردوها من حلها وأنعمتها الذهبية ثم
وريت فى مخاض .

أما مقبرة نوت عنخ آمون فقد كانت المقبرة الوحيدة هى ومقبرة
الملكة أح حتب التى لم يسط عليها اللصوص ، مع أنها كانت تقع فى تلك
المنطقة التى كانت مسرحاً لعمليات السرقة منذ بدأ اللصوص يسطون على

يخفوا شراء العبيد . لذلك عندما بلغ القاضي أن أناسا كثيرين من الطبقة البسيطة قد اقتنوا عبيداً أخذ يستجوبهم عن مصدر أموالهم ومن أسئلة كاتب محكمة وجهت لامرأة من طيبة تدعى أرى نوفر Ary nofer : ماذا تقولين في المال الذي أحضره زوجك بانهسى Panehsy — ؟ فردت : « لم أره ، وكان الوزير يلح سائلا . « وبأى كيفية اقتنيت الخدم الذين كانوا معه؟ » فردت قائلة : « لم أر المال الذي دفعه ثمننا لهم إذ كان في سفر عندما وجد معهم ، فألقى القضاة سؤالا أخيرا : « من أين كان لبانهسى Panehsy المال الذي استغله له سوبك إم صاف ؟ فردت قائلة : « إني حصلت على هذا المبلغ ثمناً للشعير الذي بعته في سنة الضباع ، زمن المجاعة ١ ، (٣٢) »

لم تكن هيئة المحكمة في حاجة لأن تسال المهمة عن تفسير ما كانت تقصده بعبارة « سنة الضباع » ، فقد كانت هذه العبارة شائعة الاستعمال لدى العامة ولسكننا نجد أنفسنا في حيرة حين نريد تفسير معنى هذه العبارة تفسيراً دقيقاً ذلك أن : بعض علماء الآثار المصرية قد اعتقدوا أن الضباع كانت قد ظهرت في طيبة في تلك السنة ، كما يرى أهل بلادنا بعض الذئاب تطوف حول ضواحي المدن الكبرى في بعض الأحيان ، وقد ذهب بعض العلماء الآخرين إلى أن هذا التعبير مجرد استعمال مجازي . وربما كانت سنة الضباع هذه ، هي التي انتصر فيها أعداء آمون واستولوا على مدينة طيبة ونهبوا تماماً كل ما كان في معابدها وجباناتها . لقد انحطت الأخلاق إلى حد كبير فقد صاح لص في وجه والد امرأة كانت تعمل في عصابة بخاف قائلاً له : « أبها العجوز الأخرق ، الذي لا يصلح لشيء . » وإنك إذا قتلت وألقيت في نهر النيل فمن ذا الذي يسمى للبحث عنك ١ ، (٣٣) »

كان رمسيس الثالث علي صواب عندما كان يتضرع للآلهة في إلحاح

المقابر . ويظهر لى أنه ليس من المرجح تماماً أن تكون مقابر أميرات الملوك أمنحتب وتحتمس وسيتى والرعامسة قد سلبت بواسطة بعض العمال حتى ولو نظموا فيما بينهم عصابات لأن رجال الشرطة كان من اليسير عليهم أن يتعرضوا لهم فى الأوقات العادية . فى عهد المملوكين الأخيرين للرعامسة كانت مصر مسرحاً للحروب مدنية فظيمة نشبت بين رجال الدين وأنصار آمون وبين رجال الدين ومناصرى ست المنتشرين فى كافة أنحاء القطر وكان يزداد عددهم ونشاطهم بصفة خاصة بحوار قفط والهنسا وتل مدام وبى رمسيس ، فزقتها تلك الحروب شر ممزق

ويخيل إلى أنه أثناء هذه الحروب قد نهبت المقابر الكبرى جميعها إما بواسطة أنصار آمون وإما بواسطة أنصار ست أو بكل من أولئك وهؤلاء على التوالى وكان عذر كل منهما أنه لا يريد أن يترك لخصمه مثل تلك الكميات الكبيرة من المعدن الثمين . وأسوة بما كان يفعله كبار الرؤساء أخذت طبقة صغار الأهل تواصل أخذ المال حيثما وجد ، ولكن فى حدود ضيقة ، لا سيما وأن المعيشة كانت قد وصلت إلى حد مريع من الغلاء نتيجة الغوضى التى كانت تسود البلاد . فالسلع قد أصبحت نادرة ولا يمكن أن يحصل عليها إلا مقابل كمية كبيرة من الذهب الزنان أو من الفضة الخالصة ..

كان ثمن الجاموسة الواحدة يقدر بما يزن ٥٤ جراماً من الذهب ، وقد اعترف بعض شركاء لص مشهور يدعى بوخاف Bouklaf بأنهم استطاعوا أن يقتنوا أراضى زراعية أو حبوباً أو أقشة أو عبيداً نظير نصيبهم من المسروقات ، ولما كان القانون يحتم على من يشتري عبداً أن يسجل شراؤه فى مكتب رسمى خاص ، فقد كان من العسير على الأهل أن

وبلغة مؤثرة أن تمنح ابنه عهدا سعيدا وأن يكون موفقا في حكمه . لقد كان يشعر بقرب حلول الكارثة ، وتحقق شعوره بعد مرور ثلاثه أرباع قرن من وفاته تقريبا ، لقد ضعف شأن مصر بسبب هذه التكبئة إذ قاست مدة ربع قرن أو ما يزيد عن ذلك ، فسادت فيها الفوضى وحدث ما لم يحدث منذ عهد الهكسوس حين قام العمال والكتاب والكهنة بسلب الآلهة والسطر على الموتى على السواء .

٥ - في المحلحة :

بعد أن استتب النظام بدأ القمع ، وبما لا ريب فيه أنه منذ عهد رمسيس التاسع تكونت لجنة تحقيق برئاسة الوزير وهو أكبر شخصية في المملكة تلى فرعون ، فجمعت لديها معلومات عن مدى الأضرار . ولما كان يبدو لنا أنها كانت ترغب في منع الآهالي من تداول الحديث فيها أكثر مما كانت غيرة على معرفة الحقيقة . لقد كان يلتقى القبض على اللصوص ، ثم يشتري هؤلاء حريتهم مقابل القليل من الذهب ثم يستأنفون أعمالهم . . . ويتهزون فرصة نقلهم من سجن حاكم المدينة إلى سجن كبير الكهنة ليغفروا إلى الفضاء الشاسع في الحقول . ولما كان بعد تكرار حوادث السلب التي حدثت في السنوات الأخيرة من عهد رمسيس التاسع ، تكونت لجنة تحقيق أخرى كان بين أعضائها الوزير وسعاة الملك وأمين الخزانة واثنان من حملة المظلات والكتابة وبعض المتادين . وقامت اللجنة هذه المرة بأداء عملها بصورة جديده . وكثيرا ما كان الشاكون يلتمسون من تثال الملك المقدس استرداد ما سرق من متاعهم أو ليحصلوا على إيرادها بأكمله . غير أن الأمر كان على جانب كبير من الخطورة ، ولذلك ترك الملك المقدس مكانه . ولجأ القضاء إلى الوسائل التي ثبت من قبل أنها تؤدي إلى معرفة الحقيقة .

وفي بداية جلسة التحقيق التي خصصت لاستجواب كبار اللصوص الذين سرقوا المقابر ونهبوها ، قال الوزير للرأعي بوخاف : « لقد كنت مع عصابتك في هذه الحملة وقد أمسك بك الإله وأنى بك إلى ووضعك تحت سلطان فرعون ، فاذكر لى أسماء كل من كانوا معك في المقابر ؟ ، فلم يتردد منهم في ذكر أسماء ستة من شركائه . ولكن المحكمة لم تكتف بهذا إذ ضرب بوخاف بالمرأوة . فأقسم أنه سيبتهـكلم . فأعيد استجوابه من جديد : « قل بأى وسيلة انتقلت إلى المقابر الكبيرة المقدسة ؟ ، فزعم أن المقبرة التي دخلها كانت قد اقتحمت من قبل ، فلم تصدق . المحكمة وأمرت بضربه من جديد حتى وضع هو حد المذمك بأن صاح قائلاً : « أقسم بأنى سأنتـكلم ! ، وبهذه الوسيلة أمكن أن ينزع منه ذكر أسماء ثلاثة عشر شخصاً ، ثم قال « أستشهد بآمون وأستشهد بالملك العظيم بأنى إذا كنت قد أخفيت اسم واحد من شركائى فإنى أتحمّل الجزاء بدلا منه ! ، (٢٥) ويبدأ بعد ذلك تتابع الشركاء في حشودة عملة ومرعان مايلحق بهؤلاء أشخاص آخرون ذكرت اسمائهم خلال التحقيق . ويقسم المتهمون بالالـ يكذبوا وإلا استحقوا النفى إلى بلاد النوبة أو بترت بعض أعضائهم أو شدت أجسامهم إلى الأخشاب . لقد صادفتنا العبارة الأخيرة من قبل ، فكثيرون ممن كانوا قد تأمروا ضد رمسيس الثالث قد حكم عليهم بأن يشدوا إلى الخشب . وقد ظن بعض علماء الآثار المصرية أن معنى هذا أن يرفعوا على « خازوق ، ولكن ليس هذا مؤكدا . إذ نرى بعض مناظر أفراد على خازوق على النقوش البارزة الأشورية ولم نرها إطلاقا على النقوش المصرية . ولـكننا نرى أحيانا فردا شد إلى عامود خشبى ليضرب . (٢٦) لذلك فإنى أفترض أن المحـكوم عليه ربما كان يشد إلى عامود إلى أن تواتيه منبته . وقد يجيب المتهم أحيانا على سؤال القاضى : « ويل لى ! ويل لجسدى ! ، ولكن

وكان هذا البائس قد استحق الحرية حقا. (٢٧) وبفضل كل هذه المستندات متاح لنا مشاهدة عدد كبير من التحقيقات . أما الأحكام التي صدرت فإنها لم تصلنا ولا نعلم ما كان قد حكم به من عقوبات . فهو لاء المساكين إما أنهم قد لقوا حتفهم أثناء تعذيبهم وإما أنهم قضوا حياتهم البائسة في المناجم والمحاجر .

٦ — استقبال رعايا المول الأجنبيّة

رأينا فيما سبق أن رجال الحكومة كان يسند إليهم بصفة خاصة استثمار الأراضي المملوكية ومقاومة أعمال عصابات اللصوص والحكم بالعدل بين الناس وتحصيل الضرائب ، وفي زمن المجاعة كان عليهم أن يمدوا الشعب بالمواد الغذائية . كانت تلك هي المهام العادية التي تسند إليهم . على أن هناك بعض الأحيان مهمات أكثر تكريما كان يختص بها بعض المقربين .

ويبدو أن مهمة استقبال مندوبي البلاد الأجنبية عند قدومهم إلى مصر ، ومصاحبتهم حتى مشولهم بين يدي فرعون كانت على ما يظهر أشدها متعة وكان هؤلاء الرسل الأجانب يأتون إما ليدفعوا تعريضا حريا أو ليلتمسوا من الملك أن يكون راضيا عن بلادهم أو ليرفعوا إلى أسماع الهيئات العليا أن في بلادهم النائية إحدى الأميرات قد انتابها مرض لم تستطع أن تشفى منه ، وأن الوسيلة الوحيدة لاسترداد صحتها هي الإلتجاء إلى علم أحد كبار الأطباء المصريين أو زيارة الآلهة الرحماء لها .

وكان في إمكان مندوبي الرتنو ونهارينا الاثنين من أقصى حدود آسيا أن يستخدموا حسب رغبتهم الطريق البري ، وفي هذه الحال كان يقوم باستقبالهم حراس الحدود عند طريق هورس ، كما كان في

القاضى - دون أن يتأثر بذلك وربما كانت إجابة المتهم غير مرضية غالبا ، فيأمر بضربه . وكان الضرب على عدة أنواع إذ ذكرت ثلاثة ألفاظ مختلفة بادجانا Padjana ونادجانا Nanjana ومانينى Manini وذاق بعض المتهمين الأنواع الثلاثة على التوالى ، ولكننا لا نستطيع أن نحدد بالدقة الفرق بينها . كان الضرب بالعصا يتم على الظهر ولكن كان أيضا على الأبدى وعلى الأقدام . فهذه المعاملة الحازمة كانت كثيرا ما تحمل عقدة اللسان ، ولكنها لم تنجح دائما . وكثيرا ما يسجل كاتب الجلسة بأنه بالرغم من الضرب مرتين أو ثلاثا فإن المتهم لم يعترف والأرجح أنه كان يحجز تحت تصرف العدالة . وقد يحدث أن القاضى يرتبك إذا لم يحصل على اعتراف أو على معلومات فيدعو المتهم البائس إلى أن يذكر اسم شاهد نفي يستطيع أن يعاونه على تبرئته .

وكان من النادر أن يطلق سراح منهم . وعندما دخل ذات مرة نافخ البوق المسمى آمون خاو Amonkhaou قاعة التحقيق سأله الوزير : « ما هى الوسيلة التى استخدمتها مع حارق البخور شيسو Chedsoukhonsou حينما وصلت إلى المقبرة التى أخذت منها الفضة بعد سطو اللصوص عليها ؟ ، فقال : « ويل لى اويل لجسدى ! لقد كنت أقول لزميلى بات چاو نافخ البوق ، أثناء مشاجرتى معه : « سيقتلونك بسبب السرقات التى تقوم بها فى الجبانة ، . . . فاستجوبوه مرة ثانية وهو يضرب على أعناده وعلى يديه ، فقال : « لم أر أحدا غير من ذكرت . ، فأعادوا استجوابه مع ضربه بطريقة النادجانا مرتين ثم بطريقة المانينى فمال : لم أر شيئا لقد ذكرت لكم مارأيتة ، . وأعادوا استجوابه فى اليوم العاشر من الشهر الرابع فى فصل الصيف فوجد أنه برىء من السرقات ، وأطلقوا سراحه .

إمكانهم أن يأتوا بطريق البحر . وكانت سفنهم تشبه السفن المصرية ولا يمكن أن يثير هذا دهشتنا إذ أن المصريين كانوا فيما يختص ببناء السفن تلاميذ أبناء جليل .

وعندما كان الرؤساء السوريون يصلون إلى الميناء ، كانوا يحرقون البخور ويعبرون في تهليل وتكبير عن سرورهم لأنهم قد أُنقوا رحلتهم الطويلة في سلام . وفور وصولهم يفرغون بضائعهم في حين يفتح المصريون على الأرصفة ، المطاعم والمشارب وبعد ذلك يتصلون بموظف مصرى يصحبهم إلى مقر الوزير . وكان موكبهم من أمتع المراكب . ومن المحتمل جدا أن الجماهير كانت تحتشد لمشاهدتهم أثناء مرورهم . وكان الفنانون الذين كان عليهم أن يرسموا هذا الموكب ذات يوم على مقبرة الوزير ، يطيّلون النظر إليهم في انتباه شديد . وكان الرجال يرتدون أزرا مطرزة بخيوط صوفية متنوعة الألوان ومخلّعة بطرر ، وكان بعضهم يرتدون جلابيب طويلة ذات أكمام ، تغفل من الأمام بواسطة رباط ومشابك متماسكة وأحيانا يكونون متشعبين بوشائح كبيرة من الصوف . وقد يحمل البعض منهم دلايات تعلق في أعناقهم . وكانت النساء تزين بشياح ذات هذب وكان الثياب يقدودون الخيول والديبة ومغار الفيلة التي لا يزيد حجمها عن حجم العجل إلا قليلا . وكانوا يحملون على أكتافهم جرارا ، تحتوي على سمغ التريبتين والقطران والعسل والزيت وسلاسل ملبية بالذهب أو بأحجار اللازورد . وكان المصريون يفضلون المنتجات الصناعية والعربات والأسلحة وأدوات الزينة والأواني المعدنية . وكان السوريون قد بلغوا في هذه الصناعة مهارة فائقة تبلغ حد الإعجاز . ولم يعودوا يكتفون كما كان الأمر في بداية عهد الأسرة الثامنة عشرة بصناعة جرار ذات مقابض على هيئة الزهور

أو بالكثوس ذات الإفريز أو العلسوت التي تحتوى على باقات من النباتات الصناعية ، فقد أصبحوا ينتجون كثوسا ذات أرجل كسيت برسوم منقوشة أو مطعمة أو محلاة بالنباتات أو برؤوس آدمية أو حيوانية مجمعة حول قاعدة الكأس أو حول منتصفها أو على الغطاء . وكان لبعض هذه الأواني ثلاثة انبعاجات وثلاث رقاب وكانت أعطيتهما على هيئة رأس بس أو رأس العقاب . وأفداح تكون قاعدة يبرز منها مبنى مكون من عدة طوابق أو يسند على القاعدة شكل أبو الهول رأسه رأس امرأة .

وأحيانا كانت الأفداح على عكس ذلك مستقرة فوق رجلين أدار كل منهما ظهره للآخر . . . ولندكر أيضا أشكال الرؤوس ، مثل رأس بس ، أو رأس امرأة ، وقد جعلت لها مقابض من عاج طبيعي أو صناعي ومحلاة أيضا بزخارف كثيرة .

لم تكن لمثل هذه الأشياء أى فائدة عملية فهم مجرد حلية ومع ذلك فقد كانت تنال رضى المصريين لأنهم كانوا يبادرون بإرسالها إلى مصانعهم ليقلد منها ما كان سهلا يسيرا . ويمكن تقدير مدى اهتمام المصريين لهذه المنتجات الأجنبية إذا لاحظنا الرسوم التي تمثلها بعناية كبيرة على المقابر مثل مقبرة أمى سبا Amiseba . (٢٨)

ولم تكن مواكب أهل الجنوب أقل روعة من مواكب الآسيويين . فقد كانوا يسرون راقصين على دقات الدفوف والقلائد تحلى أعناقهم ، وذبول الفهود معلقة على أذرعتهم وقد حلفت رؤوسهم ماعدا ثلاثة خصللات غزيرة من الشعر وترتدى نساؤهم أزرا وثيابا ذات كرايش ويحملن أطفالهن داخل سلال خلف ظهورهن ، وقد يصل عددهم إلى أربعة أطفال ويحضرون معهم دروعا من الجلد ، وعاجا وريش نعام ويبيضا وجلود النمر الرقطاء وجرارا وأمتعة . ويجرون بحبال قريودا وفهودا

وزرافات طويلة العنق. ولا يمكن أن نقارن إحدى هذه المواكب بالموكب الذى قدمه هوى Houy حاكم كوش إلى توت عنخ آمون (٢٩) فكان ولى العهد يستقبل زملاءه المضربين وهو لا يزال يضع حول عنقه القلائد الذهبية التى كان قد أهداه إياها الملك ، وهم بدورهم يحبونه راكعين ويلبسون قدميه أو رداءه . وقد اختار أغلب النوبيين ملابس المصريين ليرتدوها مع احتفاظهم ببعض زينتهم القومية . وشعرهم الطويل قد صفف على هيئة تشبه القلمسوة يشدها تاج مثبت فيه ريشة نعام . وتبدل من آذانهم حلقات كبيرة الحجم . وحول الرقبة قلادة من الخرز . وتلعب أساور ضخمة حول معاصمهم . ويحمل بعضهم جلد الفهد فوق ظمورهم تملؤه مجموعة تحتوى على حزام وحماله وستر أمامى رسمت فوقه شمس ذات أشعة مضيئة ويرتدى الأمراء فى رشاقة ثيابا شفافة ذات ثنيات والطوق الذى يستعمله المصريون ، وينتعلون صنادل . وكان أولادهم مثل أبناء المصريين يتكئون على خدعهم الأيمن خصلة طويلة من الشعر المصفور وذبول الفهود معلقة على أذرعهم . أما حاملو القرايين فلم تكن بأذانهم إلا حلقات بسيطة تتكون من أقراص من الذهب ودلايات .

ويشمل هذا الحشد محاربين يركبون على الأرض ملتصقين نسمة الحياة ، وحملة القرايين يقدمون أكياسا مليئة بأشغالهم وحلقات ذهبية فوق صوان ، كما يقدمون جلود الفهود والزراف والثيران ذات القرون الضخمة التى تشكل أطرافها رسم اليد .

ويتقدم جماعة من الأهرام ، ملك الإقليم (كوش) الذى يستقل عربة تكاد تشبه عربة المصريين والاسبويين ، إلا أن ما يميزها هى أنها ذات مظلة ضخمة

تتكون من ريش النعام . ويجرها ثوران لافرون لها . ويتبع هذه العربة بعض الأسرى وقد قيدت أيديهم ووضعت أطواق حول أعناقهم . وينتهي الموكب بجماعة من الزنجيات يحملن فوق ظهورهن أطفالهن الصغار في سلال ويسجن أولادهن الأكبر سناً وقد حلقوا شعر رؤوسهم تماماً حسب تقاليد البلاد وأنهن عاريات الأجساد حتى خصوصهن ويحملن مثل الرجال أقراطاً في آذانهن ويعلقن على أذرعتهن ذبول الفهود وفي معاصمهن أساور ضخمة الشكل .

وأهل الجنوب وإن لم يكونوا همزة مثل الفينيقيين في الصناعة إلا أنه ظهر فيهم صناع ماهرون جداً ، ويبدو أن الحكام المصريين لبلاد النوبة ، وكانوا يلقبون باسم أبناء كوش الملكيين قد بذلوا جهداً كبيراً للهوض بالصناعات المحلية ، وهذا ما يلاحظ حين نرى هوى يتأمل السلع المعروضة أمام عينيه والتي سيقدمها بنفسه إلى مملكته . ولم يقتصر النوبيون على صناعة الأشياء المنقولة عن النماذج المصرية مثل المقاعد والأسرة والوسائد والعربات ، بل إنهم كانوا يصنعون أيضاً أسلحة تختلف عن أسلحة المصريين . فكانت الدروع الجلدية التي يصنعونها تحاط حافتها بشريط من المعدن ، وتثبت بالمسامير ، وكثيراً ما كانت تحلى بزخارف تمثل مناظر مقتبسة من سجل حياتهم الرسمية . ومما كان يشاهد شكل أبو الهول ، وله رأس كبش ، ويطأ الإعداء بأقدامه أو يرى فرعون يصارع نوبيا برمح . كما كان المصريون يقدرون تماماً المصنوعات الذهبية التي تمثل قرى الزوج ، صفت فوق منضدة صغيرة أو داخل سلال وتمثل كوخاً على شكل هرم مرتفع جداً تظلمه أشجار النخيل وأشجار الدوم بينما يتسلق الأطفال والقرود الأشجار ليتطفوا ثمارها . ويطوف في القرية الزراف وحراسها وحول أطراف القرية زوج يحبون . وقائمة المنضدة الصغيرة محلاة برسوم

تمثل زنوجا شدوا إلى عمود وإلى خرطوش بأسماء الملوك . كما تحتوى على مناظر تمثل جلود الفهود وسلاسل من الذهب تتدلى على المائدة . هذه هي أروع ما يحتويه المهرض وتعد في نفس الوقت خير ما ابتدعته صياغة الذهب في بلاد النوبة من الوحي المصرى .

وكان نائب ملك كوش الذى أحضر كل هذه السكنوز من بلاد الجنوب فضلا عن سبائك الذهب وخشب الأبنوس والعاج والذى كان يمكنه أن يفتخر ويزهو بحق بأن حكمه كان موقعا وأنه تمكن من جعل السلام يستتب في عهده . — قد استحق بمدايرة الثناء وحسن الجزاء .

الفصل الحادى عشر

النشاط الداخلى داخل المعابد

١ - التفوى

قال هيرودوت إن المصريين كانوا أشد الناس تدينا (١) فكانوا يعتقدون أن كل شيء فى العالم ملك للآلهة وأنهم منبع كل خير وأنهم على علم برغباتنا الدنيوية وأن فى استطاعتهم فى كل وقت أن يتدخلوا فى أحوال البشر . وإذا كان رمسيس الثانى قد هجره جنود جيشه وأحاط به الإعداء أمام قادش وإذا كان قد تمكن من أن يتفادى المهالك ، فما ذلك إلا لأن صوته قد وصل إلى طيبة واستجاب له آمون . وإذا كان قد توافر جو منعش خلال الفصل الردىء أثناء رحلة خطيبة رمسيس الثانى الأميرة الحينية ، فما ذلك أيضا إلا لأن المعبود سمونخ لم يمكن برفض له شيئا ، وإذا كان عمال حفر الآبار قد عثروا على المياه فى صحراء إيكايثا Ikaiya فلأن والده حابي قد أحب رمسيس الثانى أكثر من كل الملوك الذين سبقوه . على أن الفكرة بأن الآلهة تميز بعض الأشخاص ، قد شجعت ، أحيانا ، على رغبات جنونية فقد قيل إن الملك أمنوفيس أراد ، وهو على قيد الحياة ، أن يرى الآلهة . (٢) والأمير حرنخت Horneht ابن أوسركون الثانى والملسكة كاروم Karom تمنى أن يساعده الصقر المقدس عندما يشتبك مع الفهود فى الصحراء والطيور فى السماء (٣) حتى يفهم حديثها الذى لا يعلمه إلا قلة من العارفين بالأسرار ، وأن يدرك الرسالة الهامة التى اختارت الآلهة أن تعهد إليها . وكان كثيرون يميلون إلى الاعتقاد بأن فى استطاعة المحظوظين من البشر أن يتحكموا فى الطبيعة

والسواء والأرض والليل والجبال والمياه ، وأن يزيلوا عقبات الزمن والفضاء (٤) كانت هذه مجرد أفكار جنونية عابرة . وعندما أملى رمسيس الثالث ما دون على بردية هاريس Harris لم يطلب من آلهة مصر بأجمعهم الكبير منهم والصغير ، إلا الأشياء البسيطة المعقولة : أبدية سعيدة لنفسه وأن يصبح ابنه ملكاً قويا ومحترماً وأن يحكم حكماً من طويلاً ويمنح فيضانات عالية عديدة . ويعتقد أنه جدير بكل هذه الرعاية إذ أن الآلهة قد أقامته مكان أبيه كما أنها وضعت هورس في مكان أوزيريس ، لأنه لم يظلم أحداً ولم يسرق ولم يخالف أوامر الآلهة وكانت رغبات الخاصة سواء أكانوا أغنياء أم فقراء ، متواضعة ، فالأبام المحرومين من الأولاد يطلبون من احتب Imhotep أن يرزقهم ولداً . وعندما كان بيتاوو يطارده أخوه الذي أصيب بجنون وأصبح ثائراً يتذكر أن في إمكان المعبود حراختي أن يميز بين الصواب والخطأ . ومعلوم للجميع أن كافة الآلهة تشفق دائماً على الفقراء وأنه عندما تشتد أحوالهم ضيقاً ، يبقى المعبود عوناً لهم ، فهو القاضي الذي لا يقبل رشوة ولا يؤثر على الشهود ، وفي المحكمة نرى أن الفقير الذي لا يملك فضة ولا ذهباً ليقدمها للكتاب ولا يملك ملابس ليقدمها لخدمهم ، يكشف أن أمون يتحول إلى وزير ليظهر الحقيقة ويؤيد نصر الضعيف على القوى . (٥) وأحد الكتاب كان يعتمد على المعبود تحوت ليصبح مبرزاً في مهنته ، كان يقول : « تعال إلى ياتحوت ، أيتها الأييس * المكرم ، المعبود الذي تحبه الآشموين ، أمين سر المعبودات التسعة ، تعال إلى واهدي وأعطني علماً بعملك ، لأن عملي يفوق الأعمال كلها جمالاً وحسناً ، وقد وجد أن الذي يؤديه على خير الوجوه يصبح أميراً . » (٦) وكثيراً ما يحيرنا هذا التدين الشديد والمعقول في نفس الوقت : فتذوق

الآلهة للترف شعور عام يوجد في كل الأزمان وكافة البلاد ، ولكن ثروة المعابد في عصر الأمبراطورية الحديثة قد فافت حد التصور ، فنذ أن تولى أحموزا العرش ، أصبحت الأموال التي تفيض على الحاجة وكل ما يقتصد يكس في المعابد وكانت تشيد معابد جديدة ، أما التي كانت موجودة فقد أصبحت توسع وتجميل وترمم أسوارها وأبوابها ، وذلك فضلا عن صناعة المراكب المقدسة وإقامة تماثيل ، واستبدال اللبن بالأحجار وتغيير الأخشاب المحلية بأخشاب ثمينة مستوردة من الخارج وعمل تمكسيات بصفايح الذهب لقمم المسلات الهرمية الشكل وجدران البيت الكبير* وتزويد كل القاعات بالآثاث المطعم بالذهب والأحجار الكريمة . ونحن نعرف أن هذه الأمور كانت منذ زمن بعيد الشغل الشاغل لاهتمام كل الملوك . ولا نستطيع أن نشك أنه في زمن اخناتون وربما في السنوات الغامضة ، أي التي لا نعرف عنها إلا الشيء اليسير جدا ، والتي سبقت تولية ستناخت قد حدث بعض التخريب الذي يماثل ما قد حدث بالفعل على نطاق واسع في عهد آخر الرعامسة ولكن عهودا مجيدة وزاهرة جاهدت بنجاح في إصلاح ما أفسده أولئك المفسدون .

ولا يسعنا إلا أن نقفدى بالإغريق والرومان فنشاركهم الدهشة لكثرة عدد المعبودات المصرية وغرابة أشكالها ، فأحدى الصور الصغيرة لبردية في المتحف المصرى بالقاهرة تمثل إحدى السكهنات ، ابنة ملك ، واسمها إيزيت ام حب Isitemheb تركع في حركة بالغة الرشاقة على خافة

* المقصود به اللبد أو قصر نرعون

بركة ماء أمام تمساح تمدد على الناحية الأخرى من البركة تحت جذع شجرة صفصاف. (٧) وتشرب هذه السكاهنة من مياه البركة التي كان يبلغ فيها الحيوان دون أن يعتريها أى اشتزاز. كان يرنو إليها بكل هدوء دون أن يتحرك. وهذا التمساح هو المعبود سوبك أحد الآلهة نوى الشهرة الواسعة. وكان لعبادته مركزان أحدهما فى الفيوم سماه الأغريق كروكوديلوبوليس Crocodilopolis والثانى فى سومنو * Soumenou جنوبى طيبة، وفى معابد وهياكل كثيرة منتشرة فى أنحاء البلاد.

أما سكان منف وعين شمس فكانوا يفضلون الثور على التمساح، وكان يطلق عليه اسم حانى Hapi فى منف ومرأوير Merouer فى عين شمس، وكان يعرف ببعض الصفات التى تحدث عنها الكتاب الإغريق (٨) وعندما تثبت هذه الصفات على واحد منها كانوا يسجلون بعناية يوم ميلاده ويدخلونه معبد بتاح فى احتفال عظيم، وكانوا يطعمونه الحلوى ويغمرونه بكل أنواع الهبة والاحترام طيلة حياته وإذا مات حزن عليه الشعب بكلمة وارتدى ملابس الحداد، ثم يحنط بعد ذلك وتعد له مقبرة خاصة ليدفن فيها كما يدفن أمير من الأمراء.

وفى الأشمونين طيور إيبس Ibis مقدسة. وكان الطائر السعيد الذى يقع عليه الاختيار يحظى بالتشريفات الإلهية. وكانوا يحضرون الطائر إيبس ميتا ومحنطا ليدفن فى كهف كبير جدا تحت الأرض. وكانت الصقور مقدسة فى كل مكان وليس فقط فى مدينة نحن Nekhen التى سماها الإغريق هيراكونبوليس Hierakonpolis ولكن أيضا أمام نحن فى مدينه نخب Nekheb وفى

كل الأماكن التي يسميها المصريون الآن دمنهور (مدينة حورس) أو سنهور (حماة حورس) وفي أماكن أخرى مثل اثريب Hathirib التي رمت جبانها بأكلها بواسطة المنقذ جدحروفي تانيس وجدت بعثتنا حديثا هياكل عظمية للصقور في قدور صغيرة من الفخار .

وفي باسط Bast كان الأهالي يعبدون القطة .

وفي إميت Imit كان الأهالي يتعبدون للشعبان الخفيف . « واجيت ، أما الفلاحون في إقليم طيبة فكانوا يقدمون لنفس الشعبان الذي يطلقون عليه اسم رنوت Renoutet بشائر المحاصيل .

ولم تكن هذه الرعاية الدينية مقصورة على الحيوانات وحدها ، فقد كان للخضروات نصيبها منها . كان الأزواج والرجال والنساء ، منفردين أو مزدوجين يدنون في احترام من شجرة الجيز وأيديهم مبسوطة لجمع المياه التي تصبها تلك المعبودة الخفيفة داخل الشجرة . وكان لسكل مدينة شجرتها المقدسة ، كما كان لها معبودها المحلي ، ولكن هذا المعبود لم يكن كافيا ليرضى حماسهم الديني . وفي كل مدينة ، مهما كانت ضئيلة الأهمية كان الإله المحلي يتحد مع معبودات أخرى قد أتت في يوم ما من مدينة قريبة أو بعيدة ، فعندما شيد رمسيس الثاني مقر إقامته الموجود في الدلتا الشرقية جمع فيه طائفة كبيرة من المعبودات فكان آمون موجودا بجوار مت ، عدوه اللدود في الماضي وفي المستقبل . وتوم Tounم معبود أرن وبتاح Ptab معبود منف ومعبودات الدلتا مع معبودات سوريا وفينيقا ، كأن لم يكن لدى المصريين آلهة كافية في بلادهم فراحوا يتعبدون لآلهة البلاد المجاورة لهم . وقد أبدل قاتل أوزيريس رأسه ، الذي كان يشبه رأس الكلب السلوقي برأس بشرية ، وارتدى زى أتباع المعبود بعل وانصف بصفاته . ووضع على رأسه

خوذة مدينة كان يلمع من ثناباها قرص الشمس ، وقد برز فيه قرنان
حادان وتدل من قمتها شريط طويل يصل حتى الأرض ومئزر مطرز ومزين
بطرر . ولم تكن عشيقته اخت ايزيت بل السكناينة انتا Aota . (١٠)
وعندما ما جاءت عشتروت Astarte للمرة الأولى إلى مصر استقبلتها
المعبودات المصرية بالاحترام الذي يليق بمسلكة . (١١) وعندما شيد
زمسيس الثاني حصنه بين مصر وسوريا لم يتركه دون حماية الآلهة فاختار
معبودين مصريين هما آمون وواجيت ومعبودين آسيويين هما سوتخ
وعشتروت . (١٢) ومنذ عهد الملك نوت عنخ آمون ، بدأ المعبود السكناي
هورون Houroun الذي كان أيضا على هيئة الصقر مثل هورس كان
يحاول خلع هذا الأخير الذي كان شفيح النظام الملكي من قديم الزمن . (١٣)
وفي منف كان هناك حى بأ كله يسكنه أهالى صور فكان عبارة عن عالم صغير
يضم جميع العقائد المصرية والأجنبية ، وطبقة التي تسمى المدينة ذات المائة
باب كانت جديدة بأن تسمى المدينة ذات المائة معبود .

٢ - الكهنة .

إننا نعلم أن كل معبد كان عبارة عن مدينة صغيرة يعيش داخل أسوارها
موظفون وشرطة وصناع وزراع ، كما لو كانوا يعيشون في مدينة عادية
ومع أن هؤلاء القوم كانوا تابعين للمعبد إلا أنهم لم يكونوا من الكهنة والذين
يطلق عليهم لقب « دينى » هم أو ابو Ouâbou الأطهار ، وايت نتر Itneter
الآباء المقدسون ، وحم نتر Hemneter الخادم المقدس ، وخرى حبت
Kheryhebet كاهن الأطواء الذى يمسك بيده برنامج الاحتفال مدونا على
رق مطوى ، وأعضاء الأونويت Ounouyt ، هيئة عليمة تشكون على الأقل
من اثني عشر شخصا إذ أن كلمة أونوت Onout تعنى ساعة .

هؤلاء الكهنة كانوا يتناربون فيما بينهم كل ساعة حتى يضمّنوا إقامة المراسيم الدينية ليلاً ونهاراً . وكان يوجد في كثير من المعابد رئيس الأسرار يهتم بالمراسيم المقدسة التي سوف نتكلم عنها فيما بعد . والكاهن سم ؛ ولم يكن موجوداً ضمن كهنة آمون ، كان يلعب دوراً هاماً في أون ومنف . أما في طيبة فكان على رأس كهنة آمون أربعة من الخوّنتر *Hemou neterou* ، وبالرغم من البساطة التي تبدو من مدلول اللقب « الخادم الأول للإله » ، فقد كان من أهم الشخصيات الكبيرة في مصر وفي أون *On* . كان رئيس كهنة أنوم يلقب بالنبي الكبير أورما *Our ma* أما الذي ينتمي إلى بتاح في منف فكان لقبه « رئيس الفئانين » ، وفي الأشمونين كان كبير الخنسة من الكهنة وهو رئيس معبد تحوت . وفي كثير من المعابد كانت الشخصية الرئيسية هي خادم مقدس كما هو الحال في معبد آمون . وقد أخذنا عن الإغريق في الاستعمال الحديث تسمية الخوّنتر بالأنبياء ، إذ أنهم كانوا أحياناً يفسرون الإرادة الإلهية . ولكننا غير واثقين من أن هذه الوظيفة كانت هي الوحيدة التي يزاولونها وأنها كانت مقصورة عليهم وحدهم . ومهما كان اللقب الذي يحمله رجال الدين فإنهم كانوا حريصين ، في عهد الإمبراطورية الحديثة ، أن يتميزوا في مظهرهم عن بقية المواطنين ، فكانوا يحلقون الملابس ذات الثنيات والأكام الطويلة ويكتفون بارتداء مآزر طويلة تاركين الجزء العلوي من الجسم عارياً ، كما كانوا يحرسون على حلاقة شعر الرأس والذقن والشارب .

ولما كان من عادة المعبد أنه كان كثيراً ما يستضيف عدداً من الآلهة لذلك لم يكن رجال الدين ملزمين بأن يكرسوا حياتهم كلها لخدمة معبود واحد . فسيتى *Seroui* ، كبير كهنة ست ، كان في نفس الوقت مسئولاً

عن أعياد بانبدد Banbeded ومكافا بالقيام بشعائر المعبودة واجيت Ouedjit التي تحكم الأرضين . ونبوتف Nebounef الذي عينه رمسيس الثاني كبيراً لكمة آمون لم يكن منتسباً مطلقاً لكمة هذا الإله ، بل كان كبير كمة عنحور في تجيني Tjiny ، وحانحور في دندره . وآن Anea ، أحد كبار كمة آمون ، لم يستطع أن يرقى إلى الدرجة العليا ، فواسى نفسه عندما عين كبيراً للأنبياء وكاهنا في أون من مونتو ، وهي مدينة في إقليم طيبة .

وكان يشترك عدد كبير من النساء في المراسيم الدينية وكان لكل معبد فريق من المغنيات كان عليهن أن ينشدن ويغنين ويحركن الصلاصل أو الصاجات ، أثناء إقامة الشعائر الدينية .

ولم يقم هؤلاء النسوة في المعبد بل كن يقمن مع أسرهن ، إذ تتطلب خدمتهن غير حضورهن بضع ساعات في بعض الأيام . يقابل ذلك أن النسوة اللواتي يكون هيئة الخنريت Khenerit كن ينبغي لهن الإقامة في المعبد لأن كلمة خنر Khener تدل على السجين أو على الأماكن المغلقة تماماً داخل المعبد أو القصر . وكان يطلق على رئيستهن أسماء الزوجة المقدسة للمعبود ، اليد المقدسة أو الساجدة المقدسة ، وقد ظن البعض أن نساء هذا الحرم المقدس كن يكن هيئة من « غانيات المعبد » كما كان الحال في جبيل البلد الذي كانت تغفل فيه الحضارة المصرية . ولكن ليس ثمة دليل على أن مثل هذا النظام قد وجد إطلاقاً في مصر . والواقع أن بعض مغنيات آمون كن يتصفن بعبادات مستهجنة وكن يترددن على الأماكن المشبوهة ، ولكن من الخطأ أن يبنى الإنسان حكمه بناء على هذا المثل الوحيد

المحفوظ على بردية بمتحف تورين . (١٥) ليعممه على كل موسيقيات آمون . وهذا لا يبرهن على أنه قد فرض على النساء الملاحقات بالمعبد أن يكن مثل نساء جبيل في مسلكهن في الأعياد إذ كن يفرطن في عرضهن للأجانب ويدفنن لخزينة المعبد المسكاسب البسيطة التي يحصلن عليها من مثل هذه المعاشرة .

وكان الموظفون يعينون عادة من بين أبناء عائلات الموظفين ، كان الكهنة كذلك في غالب الأحيان من أبناء الكهنة . (١٦) وهكذا كان باكن خونسوابن الكاهن الثانى لآمون إذ ألحق بالمدرسة عندما كان عمره خمس سنوات كي يعد ليكون فيما بعد من هيئة رجال الدين . أما أبناء وأحفاد الكاهن الكبير روى روى Romé-Roy فكانوا جميعا من رجال الدين ، وكان ابنه الأكبر يقيم بجانبه ككبير ثان للكهنة ، وكان الابن الثانى يتولى الشعائر الدينية في معبد غرب طيبة ، كذلك كان حفيده كاهنا ، ومع ذلك فقد يحدث أن تتعارض نوايا الأسر مع ميول الأبناء ومواهبهم ، وقد علمنا من خطاب إدارى أن الوزير قدم ثلاثة من الشبان ليكونوا كهنة في قصر مرى ان بتاح الكائن في معبد بتاح ، ولكن أحد الموظفين الذين لم يكونوا يقيمون وزنا لحقوا رجال الدين مثله مثل أولئك الذين أشار إليهم منشور سيتى Setouy الذى سبق أن تحدثنا عنه قبض على هؤلاء الشبان الثلاثة وبعث بهم إلى الشمال ليصبحوا ضباطا . فكان هذا مثلا صارخا لسوء استعمال السلطة فانبرى أحد الكتتاب على الفور لإبلاغ هذا الحادث وطالب بعودة هؤلاء الشبان الثلاثة . (١٧)

والتلاميذ الذين كانوا يعدون أنفسهم ليصبحوا من رجال الدين ، كانوا يتعلمون كأندادهم قواعد اللغة والكتابة ولكن كان عليهم أن يدرسوا

أشياء أخرى كثيرة . كان ينبغي لهم أن يعرفوا صور المعبودات وألقابهم وصفاتهم ومزاياهم وقصصهم وأن يلبوا بكل ما يختص بالشعائر الدينية والعقائد ولم يكن هذا بالأمر الهين . (١٨) وكان عليهم أن يؤدوا امتحاناً في نهاية الدراسة ومن كان منهم جديراً بالاندماج في هذه الهيئة ، كان يخلع ملابسه ويستحم ويحلق له ويطيّبونه بالعطور ثم يرتدى زى رجال الدين كاملاً قبل أن يسمح له بدخول أفق السماء ، ورغم سيطرة الخوف على قلبه بفكرة القدرة الإلهية فإنه كان يستطيع في النهاية أن يقترب من المعبود في قدس أقداسه . (١٩)

٣ - العبادة

كانت الشعائر التي تقام في جميع معابد مصر باسم الملك وعلى نفقته تعتبر فعلاً سرّاً يتم في دجى الظلام في قدس الأقداس دون أن يشترك الشعب فيه مطلقاً . ويطهر الكاهن القائم بالعمل نفسه قبل كل شيء في « بيت الصباح » ويأخذ المبخرة ويشعلها ويتقدم نحو المذبح مطهراً الأماكن الملحقة به برائحة البخور . ولما كان التابوت الذي يحوى التمثال الخشبي المذهب للمعبود أو المعبودة مغلقاً ، فإن الكاهن يفض الختم المصنوع من الطين ويسحب المزلاج ويفتح المصراعين فيظهر التمثال المقدس ، وعندئذ يسجد الكاهن ويبخر التمثال يدهنه بالطيب ، ويسبح الأناشيد التعبدية . وكان التمثال حتى تلك اللحظة عبارة عن قطعة فنية لاروح فيها ، فهبه الكاهن الحياة بأن يقدم له على التوالي عين حورس التي انتزعها منه عدوه ست وعثرت عليها الآلهة ، وتمثالاً صغيراً للمعبودة معات - Maat الحقيقة - ابنة رع . ثم يسحب المعبود بعد ذلك من التابوت ويبدأ الكاهن في تزيينه ، كما لو كان يزين

الملك ، فيغسله ويبخره ويلبسه ثيابه ويعطره ثم يعيده إلى داخل التابوت ، ويضع أمامه كل أنواع الأاطعمة التي كانت تأتي عليها النيران بعد ذلك . وبعد إتمام التطهير النهائي بالنظرون والمياه والتربتين ، كانت تختتم الشعائر الدينية ، ولا يبقى بعد ذلك إلا أن يغلق التابوت ثم يسحب المزلاج ويوضع الختم . وعلى أثر ذلك ، ينسحب الكاهن إلى الخلف مولياً وجهه نحو الإله مزبلا أثر خطواته . (٢٠)

وفي مقابل تلك العناية وهذه العطايا كان المعبود يهب الملك الحياة وليست الحياة الجسدية على الأرض لحسب بل أيضاً حياة الاتحاد مع المعبود ، مع مستقبل تكتشفه أعياد سعيدة لا نهاية لها مدى الأبدية كلها . أما الشعب الذي كان لا يشترك مطلقاً في هذه العبادات اليومية ، فكان يكتفى بأن يعرف أن فرعون ما دام يتمتع برضا آبائه الآلهة ، فإن كل أنواع البركات ستعم مصر . وكانوا يترقبون فرص خروج المعبود — التي سنتحدث عنها فيما بعد — للاستفادة منها إلى أقصى حد ، ولكن في انتظار هذه الأيام السارة ، فقد كان في إمكان من يريد أن يدخل إلى قصر المعبود ويرتاده ، أن يقدم قرباناً يسيراً للمعبد فيعبر الفناء ويخترق المرج الذي يمرح فيه بحرية تامة الكباش أو العجل المحظوظ الذي يتجسد فيه المعبود ، وأن يقترب من بركة الماء التي يستريح فيها التماسيح الذي يمثل المعبود سوبك . ولم يكن ثمة ما يمنع من أن يضع أحد الأهلالي تحت أقدام آمون ، — إذا كان من أهالي طيبة أو تحت أقدام بتاح إذا كان من أهالي منف — لوحة تذكارية صغيرة من الحجر الجيري حفر عليها شكل المعبود وبجانبها أذن ، بل عادة آذان كثيرة يبلغ عددها ثلاثة أو تسعة وأحياناً أكثر من ذلك ، إذ يصل عددها إلى ٤٨ أو ٢٧٨ آذاناً وعيونا . كانت هذه طريقة ساذجة لإجبار المعبود على الاستماع له والنظر إليه وإجابة طلباته المختلفة من مزايا ونعم ومنافع عديدة

ما عدا الموت ، لأنه يعلم جيداً أن هذه الدعوة لا تنجيها المعبودات . (٢١)

وتوجد في كل معبد تماثيل أو لوحات أطلق عليها اسم « إشفية » ، (٢٢) وكان الوجه الرئيسى للوحة مزينا بالطفل هورس غاربا ، واقفاً على تمساح وقابضا بيديه على ثعابين ، وفوق هذا المعبود الصغير رسم المعبود بس Bes ذو الوجه العابس ، وقد سجل على ظهر اللوحة ، أو في أسفلها كيف أن ثعباناً لدغه أثناء غياب والدته ، في مستنقعات أخبيت . فلما سمع رئيس الآلهة صياح والدته كلف المعبود تحوت بأن يتولى شفاء الجريح ، كما كان يسجل أيضاً كيف قام رع بشفاء باستيت Bastit عندما لدغها عقرب . وكيف أنقذ أوزيريس عندما ألغاه أخوه في النيل بطريقة خارقة للطبيعة من بين أنياب التماسيح . أما التماثيل فكانت تمثل شخصيات مقدسة اشتهرت أثناء حياتها بالعمل حواة للثعابين . وكانت أنعام هذه التماثيل أو اللوحات على قواعد وسط بركة ملأى بالمياه تتصل بواسطة قناة أو مصرف ببركة أخرى حفرت في الدرجة الأخيرة من سلم القاعة ، فإذا لدغ أحد رشت المياه على اللوحة التذكارية أو على التمثال فتشبع بمفعول النصوص السحرية والكتابات وتجمع المياه في أسفل ويشربها الجريح ، وعندئذ لا يتطرق السم إلى قلبه ولا يحرك صدره لأن هورس هو اسمه ، وأوزيريس اسم أبيه ونات النائمة اسم والدته . وعندما يشفي الجريح فليس عليه ألا أن يتقدم بصلاة خاصة للقديس الذي كان صاحب الفضل في شفائه أو كان وسيطاً في برئه ولم يكن هذا يعفيه من أن يقدم للظاهر أو للآب الإلهي الذي رش عليه الماء عملة ضئيلة القيمة .

إلا أن أصحاب هذه الإلتماسات المتواضعة والتي رفعوها للآلهة في خشوع وخضوع في هذه المعابد الفخمة سواء أكانت في طيبة أو في منف أو في المدن الكبرى . وكانوا يؤمنون إيماناً في قدرة أمون وبتاح ، ولكنهم

كانوا يفضلون زيارة هذين المعبودين الكبيرين في معابد بسيطة صغيرة تتفق مع مكانتهم المتواضعة ، بعيدين عن الرجال الرسميين . وقد اتخذ عمال الجبانة شفيعة لهم المعبودة الثعبان وكانوا يطلقون عليها اسم « مرسجر Mersger » حجة السكوت . ، وكانت تفضل السكنى فى أعلى الجبل الذى يشرف على القرية . وعندما كان المرء يتحدث عن القمة كان لا يعرف تماماً هل يتعلق الأمر بالمعبودة أو بمقرها . وذات يوم استشهد أحد موظفى الجبانة وكان يدعى نفرابو Neferabou بكل من المعبود بتاح والمعبودة قة الجبل ولكنه كان حائثا فى زعمه ، فأصيب بالعمى بعد قليل ، وقد اعترف بإثمه أمام بتاح الذى كان قد أصابه بالعمى فى وضوح النهار ، وشهد بدالة هذا الإله الذى لا يفوته أى شئ ، ولكن بالرغم من ذلك فإنه لم يشف من عاهته . فاعترف فى خشوع أمام قة الغرب القادرة العظيمة فأنت إليه ، مع نسيم منعش وأنته آلامه . لأن قة الغرب رحيمة بكل من يتوسل إليها . (٣٣)

ويمكن الحكم على مدى شعبية معبد مرسجر الصغير والإقبال المنقطع النظير عليه من وفرة عدد اللوحات التذكارية والنذور التى وجدت هناك . وقد شعرت المعبودة براحة تامة لقربها من معابد آلهة أخرى عظيمة . وكانت زيارتها ميسرة إلى حد كبير . فعندما مرض أحد العمال المشتغلين بزخرفة المقابر توسل أبوه وأخوه لآمون الذى يمكنه أن يشفى أيضا من كان فى العالم الآخر فحضر كبير الآلهة فى سرعة ربح الشئال كأنه نسمة منعشة ليخلص ذلك المسكين التعمس ، لأن الإله لا يقبل أن يمضى عليه يوم كامل وهو ساخط فلا يستمر تأثيره إلا لحظة ثم يزول دون أن يترك أدنى أثر . (٣٤)

هؤلاء العمال الذين اتخذوا « مرسجر » ، حجة السكوت ، شفيعة لهم قد اتخذوا أيضا شفيعا آخر هو امحتب (٣٥) ، أول ملوك

الأمبراطورية الحديثة الذى نحت له مقبرة فى وادى الملوك ، وكان أول من استخدم العمال وأول من أنعم على الآهالى الذين تجمعوا فى دير المدينة . وسرعان ما انتشرت عبادته حتى أصبحت له عدة هياكل فى طيبة ، فى البر الغربى .

وقد وجدت آثار معبد لـ«منحتب» ، له الحياة والصحة والقوة ، المنتسب إلى الحديثة . وقد عرفت أسماء ثلاثة آخرين يطلق عليهم اسم «منحتب» : «منحتب مساحة المعبد» ، «منحتب الذى يبحر عبر المياه» ، «منحتب حاحور» ، وكان عيد هذا الشفيح الطيب يستمر أربعة أيام ولا يكف العمال خلالها هم وزجائنهم وأولادهم عن الغناء والشراب . وكان رجال الدين والذين يحملون التمثال أثناء سير الموكب ، وأولئك الذين يظلمونه ويروحون له بالمرأوس ويخرونه ، كانوا جميعا من العمال .

وكان العمال يثقون فيه إلى حد كبير ، حتى أنهم كانوا يطلبون منه أن يفض منازعاتهم . وكان قضاؤه ينطوى على السلام ويتصف بالسرعة وقلة النفقات ، مما لا يتوافر لقضاء يتولاه الوزير وكتابه ، وقد عبرت إحدى الشاكيات بقولها : «كن عوناً لى يامولاي ! لقد أنارت والدق وأخوتى نزاعاً ضدى ، لقد ترك لها المرحوم والدها نصيبين من نحاس وإرادا يقدر بسبعة مكاييل من الجيوب . فاستوات الأم على النحاس ولم تعط لها إلا أربعة مكاييل . وفى قضية أخرى ، قام أحد العمال بصنع تابوت وأحضر الخشب على نفقته وقدر التكاليف والجهد بما يوازى ٣١٥٥ دين ولم يقبل صاحب العمل أن يدفع له سوى ٢٤ دين فقط . وعندما سرفت ملابس أحد عمال النقش ، تقدم العامل بشكواه ووضعها أمام تمثال الملك المقدس ، قائلاً : «تعال إلى اليوم وأعنى

ياسيدي ، فقد سرقوا منى قطعى ثيابى . فقرأ الكاتب بياناً ببعض المنازل وعندما وصل إلى منزل الكاتب آمون نخت Amon Nakht أكد الشاكي أن ثيابه توجد لدى ابنة آمون نخت ، ولما سئل المعبود أ كد صحة هذا الادعاء . وقد عورض عامل يدعى خامواس Khaemouas فى ملكية المنزل الذى كان يضع يده عليه ، فدألوا التمثال عن رأيه فأيد الملكية فى انحناء قوية .

وكانت أكبر المعبودات تتنازل لتمد صغار الناس برأى مفيد أو تنهى نزاعاً شائكاً ، وربما كانت تقلد فى ذلك أعمال الملك المقدس : فرئيس الشرطة كان مشتركاً فى أحد المواكب المقام تمجيداً للإيزيس ، فالت صورة المعبودة المقدسة نحوه ، من أعلى المركب ، ففاقى هذا الرجل أن حظى برفق سريع .

وفى العاصمة كانوا يستشيرون بصفة دائمة المعبود الكبير الذى ينتمى إلى طيبة (آمون) فعندما انهم أحد أتباع آمون ياخفاء أشياء يحتفظ بها وضعوا المعبود فى المركب المقدس وحملوه إلى مكان معين فى المعبد وكتبوا عبارتين متناقضتين الأولى : يا آمون رع سونتير Amonrasontet يقولون إن نحتمس يحتفظ بالأشياء التى اختفت ، والثانية ، يا آمون رع سونتير يقولون إن نحتمس لا يحتفظ بشيء مما اختفى ، ولما طلب إلى المعبود أن يبدى رأيه فيما إذا كان يقبل أن يحكم فى هذه القضية رد عليهم بكلمة « نعم » . فوضع المسكتوبان أمامه وأوما آمون مرتين إلى المسكتوب الذى يرى المنهم فأطلق سراح نحتمس على الفور وأعيد إلى وظيفته واسترد مكانته من جديد ، بل أسندت إليه أعمال أخرى تتطلب الثقة . وذات مرة ، أثناء سير الموكب ، سأل كبير الكهنة المعبود آمون عما إذا كان من المستطاع أن تقصر مدة المحاكم عليهم بالنفى فى الواحة الكبرى ، فرد عليه (م ٣٥ - الحياة فى مصر)

يرأسه د نعيم، (٢٦) وإذا كان ملك الآلهة لا يستنكف أن يرد على أبسط العامة فكان يسره بالأحرى أن يشغل بالمهام الكبرى للدولة : فعندما أراد رمسيس الثاني في بدء حكمه أن يعين كبير كهنة آمون اشترك المعبود في حضور مجلس الاستشارة حيث نليت أسماء المرشحين وجميع من كان من حقه أن يشغل المنصب ، الواحد تلو الآخر ، والاسم الوحيد الذى حظى بموافقة هو نبونف Nebonuef . وأعتاد حرمحور كبير الكهنة أن يستشير خونسو في عدد كبير من الموضوعات ، وعندما كان عرش إثيوبيا غالبا اصطف الأمراء أمام آمون واختار من بينهم المرشح الذى ولاه العرش . (٢٧)

والمستندات والوثائق التى بين أيدينا لا توضح لنا تماما كيف كان المعبود يظهر رغبته في الاختيار لأنها لسوء الحظ ، غير واضحة وضوحا كافيا . قد يعتقد بعض علماء الآثار ، وربما كانوا متأثرين بقصة دون كيشوت ، أن أجزاء جسم كانت تتحرك آليا ، فدون أن تجيب كلاما كان في إمكانها أن ترفع أو تنخفض أذرعها وتحرك رأسها وتفتح أو تغلق فمها . وقد يسكون متحف اللوفر هو الذى يحوى التحفة الوحيدة المعروفة لتمثال يتكلم ، وهى على هيئة رأس ابن آوى وفمكة الأسفل متحرك ويظل فم هذا الأثريوس مفتوحا عادة لا يغل ، إلا إذا شد بخيط (٢٨) وفي بعض الأحوال الأخرى كانوا يأتون بالمعبود الذى يرغبون في استشارته محمولا فوق أعناق الكهنة فإذا اتحنى إلى الأمام فمعنى هذا أنه موافق ، وإذا عاد بظهره إلى الخلف فمعنى هذا أنه يرفض الموافقة (٢٩) . ولم تكن نتائج هذه الاستشارات واضحة دائما وعندما يعين المعبود شخصا للمنصب يمكننا أن نقول بلا شك إن هذا التعيين سبق الاتفاق عليه من قبل . وعندما يبرىء المعبود متهما فلا يعقب

أحد على قضيته بل تحفظ ، وما على الذين سرقوا إلا أن يبحثوا عن اللصوص بعيداً عن ذلك الذى يرى . ولكن ماذا عساه يحدث لو اتهم المعبود شخصاً بأنه مذنب ؟ أفضل حل له هو أن يعيد المسروقات أو يدفع الثمن الذى يطالبونه به . أما إذا رفض فى عناد ، فإنه يعامل معاملة لص كاذب ويعاقب عقاباً مضاعفاً جليداً بالعصا . أما إذا كان الأمر يتعلق بالتحكيم فى منازعات فلا شك أن الطرفين كانا قد وعدا مقدما بقبول نتيجة التحكيم ، مهما كان الأمر .

وكان فى معبد آمون شرطة وسجن . وفى البر الغربى كان رجال الحدود الميجاوى Medjaïou على أتم استعداد لتنفيذ أحكام المعبود بالقبض على المخطئين دون إهمال .

٤ -- خروج المعبود

كان فى استطاعة المؤمنين أن يتقربوا إلى معبودهم داخل المعبد فى أى وقت وأن يفضوا اليه بمشاكلهم وبما يشغل بالهم أو يعبروا له عن عرفاتهم بالجميل . على أن المعبود كان يخرج من مكانه فى المعبد مرة واحدة على الأقل ، كل عام ، فى موكب كبير ليطوف بالمدينة وبالضواحي المحيطة بها . وكان الأهالى بأجمعهم ينتظرون بفارغ الصبر هذه الزيارة التى يقوم بها المعبود ، كما كانت تشرق المدينة فى شروق كبير ، وقد عرفت بعض هذه الزيارات بتجمع الأهالى وازدحامهم من أقصى البقاع . قد شاهد هيرودوت حشداً من المراكب مملوءة بالرجال والنساء تتجه ناحية باسط Bast بمناسبة عيد المعبودة باستيت Bastet . ولم تنقطع النسوة عن تحريك الصاجات ورنينها ، بينما كان الرجال يعزفون على الناي . وكان البافون يغنون ويصفقون

بأيديهم ، وعندما يمرون بمدينة كان سيل حشدهم يتضاعف . وكان الحجاج
يمزحون مع أهالي المدينة ويوجهون إليهم مزاحا صاخبا يلقي نجاوبا
من الأهالي بنفس الأسلوب . وكان كثيرون ، بدافع المشاركة يتركون
أعمالهم بالمدينة ابروا عن قرب الاحتفال بالعيد الذي كان يستحق ذلك
فعلا . لأن سبعمائة ألف حاج بمجرد انتهاء الاحتفال الديني كانوا يبدأون
المرح ويستسلمون للملذات لاهين فرحين إلى أقصى حد . وكانوا يبالغون
في مزاحهم بعض المبالغة نظرا لأنهم كانوا يتناولون كميات وفيرة من النيذ
في باست وإذا صدقنا ما قاله هيرودت - وقد يكون مبالغ فيه إلى حد ما -
أنهم كانوا يتناولون في خلال أسبوع من أعياد باسط كمية من النيذ تفوق
ما يستهلك في أرض مصر كلها خلال عام كامل . (١٠)

٥ - خروج المعبود من

كان وجود الملك ورجال البلاط في العاصمة يضمنى على موكب خروج
المعبود بهجة الأعياد الوطنية . وقد اتفق عيد تتويج رمسيس الثالث مع عيد
مين Min ، معبود فقط Coptos والصحرَاء وإله الخصب . وكان يحتفل
به في الشهر الأول من فصل شمر Chemou ، عندما يبدأ حصاد القمح (٢١)
ويتحدد الملك مع المعبود ، في وقت واحد ، في رئاسة الاحتفال بالعيد
فيخرج رمسيس الثالث من قصر الحياة والصحة والاقوة بهيا كالشمس المشرقة ،
متكئا فوق محفة متنقلا من قصره إلى مسكن والده مين ليتأمل جماله .
وتتكون هذه المحفة من مقعد كبير ذى مساند جانبية أقيم فوق قاعدة مرتفعة
يتوجها طنفاً ، له أربعة أذرع طويلة . وكانت تحتاج إلى اثني عشر رجلا
على الأقل لحملها وكانت جوانب هذا المقعد مزينة بأسد بسير وأبو الهول .
وأما ظهر المقعد فقد زين برسم معبودتين مجنحتين تضيفان عليه الحماية ،

ومكان موطن^{*} الأقدام ، المزود بوسادة ، فقد ثبت أمام المقعد . وكان أبناء الملك وكبار موظفي الدولة يتنافسون تنافسا كبيرا لينالوا شرف حمل هذه المحفة الملكية . وكانوا يظلمون سيدهم من أشعة الشمس بمظلات من ريش النعام ويروحون له بمراوح ذات أيد طويلة تصل إلى مستوى وجه الملك . وتسير في مقدمة الموكب مجموعة كبيرة تتكون من بقية أبناء الملك وكبار الموظفين ، يحملون الشعارات الملكية كالصولجان والقضيب* والعصا والبلطة ويرى أحد رجال الدين بين هذا الجمع يحمل ملفا يتضمن برنامج الاحتفال وينظم كل تفاصيله . وهناك كياهن لا ينقطع طول مسير الموكب عن تحريك مبخرتيه تجاه الملك لأنه يجب أن يحتفل بملايين الأعياد ومئات الألوف من السنين التي تعبر عن أبدية على عرشه . ويسير أكبر أولاد الملك ، وهو ولي العهد مباشرة أمام حاملي المحفة . أما النصف الثاني من الموكب فكان مكونا من الخدم ورجال الجيش . ونرى في الموكب نفس الأشخاص الذين قابلناهم من قبل وهم يحيطون بالملك حين يكون على رأس جيشه أو عندما يندفع مهاجما في معركة أو يطارد الثيران المتوحشة . وقد حمل أحد الرجال سلما صغيرا يستعمله الملك حينما يهبط جلالته إلى الأرض . أما العسكريون فكانوا مسلحين بالدابيس والرماح والدروع .

وعندما يصل هذا الموكب إلى مسكن المعبود مين يهبط الملك من محفته ويقف أمام هيكل المعبود وبه مقصورته التي تحتوى على تمثاله . ويقوم فرعون بمباشرة مراسيم تبخير المعبود وتطهيره بسكب المياه المقدسة عليه ، ثم يقدم القرابين لأبيه الذي يمنحه الحياة ، وتفتح بعد ذلك الأبواب لي شاهد الناس جمال المعبود الواقف أمام هيكله . أما جسد المعبود وأطرافه التي لم تمكن أيزيس قد فصلتها بعضها عن بعض ، فكانت داخل غطاء محكم ، وفوق

* السوط : (الرجة)

رأسه غطاء على هيئة الهاون تبرز منه ريشتان صلبتان وشرائط تتدل حتى يصل إلى الأرض ، وله لحية مستعارة ثبتت في ذقنه ، وحلية للصدر تتدل من رقبتة . ويتكون هيكل المعبود من عناصر عديدة : كوخ قعى الشكل على هيئة خلايا النحل وتشبه إلى حد كبير مساكن أهالي بونت ، وهذا الكوخ متصل بعمود رفيع يعلوه قرنان وصاري ربطت به ثمانية حبال يتسلقها زنوج ، وأخيرا مربع من الأرض زرع فيه نبات الخس . كان من معبودا منذ عهد قديم جدا وقد جاب أماكن كثيرة قبل أن يصل إلى فقط حيث حمل إليها متاعا مختلف الأنواع .

وكأنوا يتلون ترانيل راقصة وهم يرفعون التمثال من تابوته ليوضع فوق محفة يحملها أثنان وعشرون كاهنا ، لأنرى منهم سوى الرؤوس والأقدام أما بقية أجسامهم فكانت مغطاة بالستائر المزينة بالورود التي كانت تتدل من المحفة . وثمة كهنة آخرون في المقدمة وعلى الجوانب وفي الخلف كانوا يحركون باقات الزهور ويحملون مراوح ذات أيد طويلة ومظلات بينما يحمل كهنة آخرون صناديق الملابس الخاصة بطقوس هذا المعبود . وتحمل مجموعة أخرى صغيرة من الكهنة الصندوق الذى يحوى نبات الخس مرفوعا على حامل .

ومنذ تلك اللحظة كان على الملك أن يقود الموكب ، وقد استبدل بخوذة الرأس الزرقاء التي كان يلبسها عندما غادر قصره ، تاج الوجه البحرى وأمسك بيده عصا طويلة ودبوسا .

وبلاحظ حضور الملكة هذا الاحتفال . وينضم إلى الموكب مخلوق جديد ، هو ثور أبيض ، يحمل بين قرنيه قرص الشمس تعلوه ريشتان طويلتان ، هذا الثور يمثل تجسد المعبود ويطلق عليه عادة في أغلب الأحيان

اسم ، ثور أمه ، ويتولى كاهن ، حليق الرأس قد تعرى نصفه الأعلى ، تبخير الملك والثور وتمثال المعبود في آن واحد .

ويلاحظ خلف هذه المجموعة ، حاملو القرايين وحاملو الأعلام ، وهي أعلام الآلهة التي كانت قد اصططحت المعبود مين في أسفاره وهجرته ، وأصبحت هذه الآلهة تشترك في كل أعياده وهي ثعالب وصقور وطيور والأيبس والثور الرائد وأعلام الأقاليم ومن بينها الإقليم الثاني في الوجه البحري خم Khem حيث كان مقر المعبود مين ، كما يرى سوط ودبوس . ويتبعهم بعدئذ الأصدقاء القدماء المعبود مين ، من الملوك الأجداد السابقين التي تحمل تماثيلهم الخشبية المذهبة على أكتاف عدد يماثلها من رجال الدين ، فالأول للملك الجالس على العرش والثاني لمينا مؤسس الملكية ثم تمثال نب خرو رع Nebkheroure الذي أعاد الوحدة بين الوجهين ، ومعظم ملوك الأسرتين الثامنة عشرة والناسعة عشرة . ولم يسمح بأن تتضمن هذه المجموعة الملكية حتشبسوت ، التي كان لابن أخيها نحتمس الثالث بعض الأسباب الوجيهة التي حملته على كراهيتها ، وكذلك أخناتون والملوك الذين تولوا الحكم بعده ، وبعض الملوك الذين لم يسكن حكمهم مجيدا فقد أبعدوا بدورهم عن هذا الاحتفال .

ثم يتحرك الموكب إلا أنه يتوقف عدة مرات قبل أن يصل إلى قدس الأقداس وهو المكان المقصود في نهاية المطاف ، وفي هذه المراحل يستمع المشتركون في الموكب إلى ترانيل راقصة أخرى لا نفهم منها شيئا كثيرا ، فالجزء الأكبر من نصه كان غامضا لا يفهمه حتى أغزر السكينة علما ، في عهد الرعامسة ، وهذا مما يزيد في قدسيته . ولنتذكر فقط أن الآلهة كانت ترقص للمعبود مين ، وكان يتبعها زنجي من بلاد هونت وكان يطلق فعلا على

المعبود مين ، والد الزوج . وكانوا يرسمون وجهه بلون أسود إذ أن أتباعه
الأوائل كانت دماؤهم مختلطة نوعا ما بالدماء الزنجية .

ثم يصل أخيرا التمثال والموكب إلى الميدان الذى أقيم فيه قدس الأقداس
ليستقر فيه مين ، ويحمل كاهنان أعلام سحرة الشرق ويقفان أمام المعبود مين
بينما يقدم فرعون من جديد قرابين عظيمة أخرى . وما كان يتم في هذه الحفلة
الحاسمة قد انضح لنا في جزء من نشيد كان يرتل فيها بعد :

« سلام عليك يا مين يا من حملت أمه منه ! كم هو سر عجيب ما فعلته
بها في الظلام ! ، وجاء في فقرة من نشيد آخر أن مين ، ثور أمه قد أخصبها
ووهبها قلبه . بينما كان خصره دائما بجانب خصرها ، (٢٢) وفي الواقع ، لم
تكن هي أمه الحقيقية ، تلك التي أنجب منها ولدا ، ولكنها كانت إيزيس التي
ولدت هورس ، هذا الذى توج ملكا على الوجهين مصر العليا ومصر السفلى .

ولإحياء ذكرى هذا الحادث الكبير ، وضع الملك فوق رأسه التاج
المزدوج ، والتماسا للحماية وضع صقر نخبيت Nekhbit بدلا من صل
واجبت Ouadjit . وقد أطلق سهامه في اتجاه الجهات الأصلية الأربع
ليقتضى على أعدائه ويطلق بعدئذ حرية الطيور الأربعة المسماة أبناء هورس
وهي أمست Amset وحاني Hâpi ودواموتف Douamoutef وقبح سنوف
Qebhsenouf ، التي ستعلن في جميع أنحاء العالم كيف أن الملك جدد ما سبق أن
فعله هورس قبل أى مخلوق آخر عندما توج رأسه بالتاج الأبيض والتاج
الأحمر . وكانت هذه الطيور من النوع الذى يهاجر سنويا تأتي من الشمال في
فصل الخريف وتعود في الربيع .

إن تولية ملك تني ومحبوب من الآلهة كفييلة بأن تضي على أرض مصر
كل أنواع الخير والبركات ، وقد آن الألوان لتمجيد خصوبة البلاد ،

فوضعت التماثيل على الأرض وكون المجتمعون دائرة حول الملك والمملكة .
وقدم أحد الموظفين منجلا للملك من النحاس كفت بالذهب وباقة من
الفلال بوتى Boti لاتزال الأرض التى أنبته عالقة فى جذوره ، وكان هذا
مثالاً مصغراً للتمثل الممتد إلى أبعد حدود البصر من البحر حتى الشلال .
يقطع الملك السنايل من أعلاها كما كان يفعل حاصدو إقليم طيبه بينما ينشد
أحد السكينة نشيداً جديداً لمن المقيم فى الحقول المزروعة « وقبل أن يغزو
توقف أقام سيد الصحراء السابق فى الوادى الذى كان خصيباً فيما مضى ، والذى
يصل هذه المدينة بوادى روهانو ، Robanou كما أنه أنبت المراعى التى تغذى
الماشية ، ثم تقدم حزمة القمح للمعبود وللملك الذى يحتفظ بسنبلة منها
ثم ينشد آخر نشيد ، وفيه تفخر والده من بقوة ابنها المنتصر على أعدائه .

وينتهى الحفل بعد إتمام هذين النشيدين ، فيعاد التمثال إلى تابوته
ويستأذن الملك من المعبود وهو يقدم له البخور ويسكب عليه الماء
المقدس ، ثم يقدم له قرابين جديدة ، فيشكره المعبود من فى إيجاز . وبعد
ذلك يلبس الملك من جديد الخوذة الزرقاء التى كانت فوق رأسه عند بدء
الاحتفال ويعود إلى القصر .

وحسب ما نعلم كان المعبود والملك وأعضاء الأسرة الملكية والسكينة
وكبار الموظفين هم وحدهم مع الشخصيات الأخرى الذين يظهرون فى
موكب خروج مين الكبير ، لأن الفنانين المسئولين عن الرسوم التى وردت
على جدران معابد المكنز ومدينة حابو قد نسوا الشعب . وكان المزارعون ،
فى ذلك الوقت من العام جدمشغولين بالعمل فى الحقول ، ولكننا نستطيع
أن نفترض أنه كان يوجد فى المدينة بعض الناس ممن كانوا يتمكنون من أن

يوفروا من الوقت ما يتيح لهم أن يصطفوا في الطرق عند مرور المعبود مين
وثوره الأبيض .

٦ - عبر أوبت الجميل

كان الاحتفال بالعيد الجميل لأمون في أوبت Opet ، يفوق كثيرا
احتفال المعبود مين ، إذ أنه كان احتفال الشعب بأجمعه . كان يقع خلال
الشهرين الثاني والثالث من الفيضان أى في الوقت الذى تصل فيه مياه
الفيضان إلى أقصى زيادة ، ووقتئذ لا يكون للمزارعين أى عمل ، أما
القوارب فتتحرك بسهولة لا فى مجرى النيل الكبير فحسب بل فى القنوات
وغارج القنوات لأن الأرض كلها كانت مغطاة بالمياه . (٢٣) ولم يعد مستطاعا
الاتقال فوق الجسور . إذ تآكلت بفعل المياه ، وأعدت للعمل جميع القوارب
والمعديات والأطواف . ومن معبد أوبت بالكرك تبدأ احتفالات العيد (٢٤)
فيتخذ الباعة الجائلون أمكنتهم حول الأعمدة الضخمة للمعبد حيث كانوا
يعرضون على المارة البطيخ والمان والعنب والتين الشوكى والطيور المذبوحة
التي نظفت وأعدت للطهى أو التامة النضج والخبز . وفى داخل المعبد كان كل
رجال الدين على أتم استعداد للعمل . وأول شيء كانوا يفعلونه هو التوجه إلى
داخل المقاعات بحثا عن المراكب الموضوعة على قواعدها والقوارب التى يمكن
حملها والخاصة بمعبودات طيبة وكانت مراكب آمون أكبر هذه المراكب ،
ويمكن التعرف عليها بسبب رأسى الكباش اللذين يزينان مقدم المركب
ومؤخرها . أما مركب موت Mout فيزينها رأسا سيدة . فوق كل منهما
زينة للرأس على هيئة نسر إذ أن اسم زوجة آمون (موت) ، يكتب بعلامة
النسر والمركب الثالث مركب خونسو وتتميز برأسى صقر . ثم تحمل هذه
المراكب على الأكتاف ويمر بها حاملوها فى أفنية المعبد وبين أعمدته ثم

يسرون في الطريق المقام على جانبيه تماثيل لأبوالهول ذات رؤوس كباش ، ويمتد الطريق حتى المبنى الكبير . ويرتدى حاملو المركب مآزر طويلة ذات حمالات ، وهم حليقو الذقون ورؤوسهم عارية . ويسير أحد فارعى العلبول في مقدمة المركب ، وكان رجال الدين الذين ألقوا جله الفهد على أكتافهم يحرقون البخور في المباخر ذات الأبدى ، ويرمون الرمال ويرفعون بأيديهم مظلات مفتوحة ومراوح .

واصطف على طول الرصيف أسطول هام . ولا تنسنى المقارنة بين مركب آمون ومركب المعبودة ومركب خونسو وبين بقية المراكب الأخرى التي يمكن حملها والتي أخرجت من مخابها . فهي بمثابة معابد حقيقية عائمة يصل طولها إلى ١٢٠ أو إلى ١٣٠ ذراعا . وبذلك تفوق في الطول أكثر المراكب التي تمخر عباب النيل وكانت تزين بزخارف جد فاخرة وتصنع من أجود أنواع خشب الصنوبر الذي ينبت فوق المدرجات (في لبنان) وقد هيء ليطفو بالرغم من ثقل وزن الذهب والفضة والنحاس والفيروز واللازورد (وقد بلغ جملة وزن الذهب المستعمل في صناعة السفينة أربعة أطنان ونصف .) وقد زين هيكل المركب ، على غرار جدران المعابد بالنقوش المحفورة التي تمثل الملك وهو يؤدي الشعائر المعروفة التي اعتاد أن يؤديها أمام آمون ، ويقام على ظهر المركب ، في الوسط بيت كبير ، تعلوه ظلة توضع على سطحها المراكب التي يسمل حملها ، والتماثيل ، وكل الملحقات الصغيرة التي أتى بها من المعبد في احتفال خاص . وكان يسبق هذا البيت الكبير مستلتان وأربعة من صواري الأعلام ، مثله في هذا مثل المعبد الحقيقي وانتشرت في كل مكان تماثيل أبو الهول وتماثيل صغيرة وتماثيل كباش ضخمة علفت في مقدمة وهؤخرة المركب . أما مراكب موت وخونسو

وكذلك المركب المملكية . فبالرغم من أنها كانت أقل حجماً إلا أنها كادت تماثلها روعة .

ولم يكن بالأمر الهين أن تتحرك هذه المراكب وحدها ، فكانت تشد أولاً إلى مجرى النهر ، وهذا يتطلب استخدام جيش بأكمله ، مكوناً من جنود بلا بسهم الرسمية ، مردين مآزرهم الحربية ومسلحين بالحرا ب والباط الصغيرة والدرع . يحيط بهم حمة الأعلام والشارات ، والبجاعة . وقبل بدء العمل يرتلون نشيداً لآمون ويمسك الرجال الممكفون بسحب المراكب الحبال المفتولة وبشجهم الرؤساء ، بل كان الآلهى الذين هرعوا إلى الشاطئ يعاونونهم أيضاً . وأثناء ذلك كانت النساء تحرك الصلاصلا والصاجات ، وبصفق الرجال بأيديهم ، وبقرعون الطبول بمصاحبة الأنغام اللبيلة وناشيد الجنود ، ويرقص الزنوج متشابكين ويشبون منتشين ويمر بين الآلهى ناغزو النفير والجنود وقد وضع كل منهم ريشة فى شعره . وأخيراً يكون قد مر الوقت العصيب ، وتم سحب المراكب المقدسة إلى مجرى النيل الكبير بعد أن عاوتها مراكب شراعية أو مراكب تعمل بالمجاديف ، تحت إشراف رئيس ، كان يفرق بسوطه . ويتبع هذا الموكب الساحر قوارب من كل الأنواع والأحجام ، ويرى قارب صغير أنيق ، على شكل طائر ، له دفة هيئت على شكل رأس آدمى محملة بمأكولات حتى الحافة ، كما يرى أحد بحارته وقد أخذ يعيد ترتيب حمولاته ، وآخر يشكل هرما من الفاكهة والخضر .

والآلهى الذين أتوا من كافة الجهات لمشاهدوا هذا الاحتفال ويشاركون فيه بقدر ما يستطيعون ، قد ملأوا شاطئ النيل . وكان يعجبهم هذا المنظر أعجاباً ، وقد أقيمت الخيام والمشارب فى كل مكان ولا يفتأ التعمين من الطعام يتدفق من كل ناحية ، وكان يرد على هيئة قطعان من الثيران والعجول

والغزلان والطيوس والطيور والماعز البرى ، هذا بجانب سلال الفاكمة
والبخور اللازم لتطيب الهواء وتنقيته . وعندما تذبج الثيران سرعان ما يسلمخ
جلدهما فى المجازر التى أقيمت فى العراء ، وتقطع إلى أجزاء ثم ينقلها الخالمون
إلى البيوت الصغيرة ذات الأعمدة ولزخارف المبهجة ، على بعد خطوات ،
حيث الطهاة يعدون الطعام . ولا ينقطع الجنود الليبيون عن دق الطبول وعلى
رنين الصلاسل والصاجات المتواصل ، تتمايل الرافعات وصدورهن عارية .

والهدف من هذه الرحلة النبيلة هو أوبت Opet القبلية حيث يكون آمون
معبود الكرنك ضيفا على مدينة الأقصر لمدة بضعة أيام وليس لدينا معلومات
دقيقة عن الطريقة التى كان يقضى بها آمون وقته . ولم يكن آمون إلا
حديث عهد ضمن مجموعة المعبودات المصرية . وقد استقر فى طيبة فى أوج
عهدى التاريخى . والمصريون هم الذين جعلوا له من موت زوجة ومن
خونسو ابنا . إذ يتعين أن يكون لأقوى معبود أسرة إلا أننا لانعرف له
أسطورة خاصة . وكما أن آمون ورث عن مين بعض ألقابه وبعض
صفاته ، فقد استطاع أن يعبره بعض عناصر من قصته الأسطورية . وقد
يمكن حينئذ خلال هذه الحفلات التى لا تنتهى ، تمثيل بعض فصول من
أسطورة آمون ، سواء كانت صحيحة كليا أو جزئيا ، أمام فرعون ، عن المساعدة
الفعالة إلى قدمها آمون لرئيس النانى عندما أحاط به أولئك الجنود اللثام
من الحيثيين .

ومهما يكن من أمر فإن الاحتفال كان ينتهى بمجرد عودة الاسطول
المقدس وكانوا يحملون من المراكب الكبرى ، الزوارق الصغيرة ويعودون
بها إلى أماكنها داخل المعابد ، التى كانت بها منذ أربعة وعشرين يوما مضت .
ومرة أخرى يتمكون نفس الموكب ، يتقدمه قارعو الطبول نخترنا طريق
الكباش . غير أنه يعود فى كثير من الحدوء وتلبل من الضجة . وكان

الملك بمد هذا الموكب على ثقة نامة بأنه سيمتلك كل الخيرات التي يمكن أن يتأهلها إنسان من المعبودات وهي : طول حياة رع -- ومهمة توم -- والحصول على سنرات الخلود وهو متول عرش هورس في سرور ونشاط، والانتصار على جميع بلاد الدنيا -- وقوة آمون أبيه المتجددة كل يوم -- وتولى ملائكة الوجهن -- ويسكون له شباب الجسد والأبنة التي لا تبلى ولا تهدم مثل السماء للأبدية وتكون الطيور الرشيقة طوع إرادته وتبقى دورة قرص الشمس دائما أمام وجهه .

أما الشعب فقد أكل وشرب وهلل وأخذ يمرح ما يقرب من شهر كامل . وقد قرعنا بمشهد عظيم وشعر أن خير له وحتى حيائه وحريته وقف على هذا الرجل الذي يشبه الآلهة والذي طاف بوالده آمون بين معبديه الكهنيين .

٧ - عيد الوادي

يقطع مركب آمون المقدس من مرساه للاحتفال بعيد آخر ، هو عيد الوادي . (٢٥) وكان يعبر النيل تشده المعبودات ، ويفسر بعض العلماء (هذه العبارة) بأن المنتسرين الذين يضعون أقنعة ضخمة على مثال سحرة أفريقيا الاستوائية هم الذين كانوا على هيئة المعبودات وكانوا يسحبون المركب . وهذا على أية حال مجرد تفسير خاطيء كما لو كنا نفترض أن الأطباء والقبالات والمرضعات والمرضعات ممن كانوا يعنون بالملسكة أو بطفلم الحديث الولادة كانوا يرسمون على هيئة معبودات على جدران معابد الأنصر والدير البحري . ويبدو أن ليس لهذه المناظر أدنى قيمة مثالية بل تبرهن فقط على مدى العناية التي كانت الآلهة تمنحها لفرعون ومدى تتبعها لكل أعماله وتقديرهم للجهد الذي يبذله في سبيل تجميل مدينة آمون .

وعيد الوادى كانت مدته أقصر من مدة عيد أوبت إذ كانت تستمر عشرة أيام فقط ، فيخرج الملك من القصر مرتدياً زياً بسيطاً يتبعه حاملو المظلات وخدمه ويرتدى قبل أن يدخل المعبد فوطه ، فاخرة ، ويضع فوق رأسه أغلى غطاء للرأس فيه قرص الشمس وریش وثعابين الكوبرا وقرون الثور وقرون الكباش . والغرض من هذه الرحلة هو دعوة آمون لزيارة معابد الضفة الغربية ، فيتخذ هو الأعمدة في معبد الرمسيوم مكاناً مختاراً يستريح فيه ، ويستقبل ملك الآلهة ، زيارة المعبودات شفعاء الموتى . وهكذا يترك تمثال الملك المقدس المنحطب الأول معبده محمولا على نقالة يرفعها ويحيط به آخرون يحملون الأسواط الملكية ويحركون مراوح ذات أيدٍ حلوية ومظلات ، وكانت تلتظر الملك ، في قناة قريبة ، مركب مقدس يحمله إلى الأوزيرحات Ousirhat* (٢٦) وعندما يجتمع شمل المعبودات كلها تقام الحفلات لصالح العدد الكبير من الموتى الذين يرقدون في سراديب الجبل الغربى .

٨ - الأسرار الربنية

لم تكن الاحتفالات بخروج المعبودات تطول أياماً عديدة ، ولم تكن تجذب إليها وفوداً كبيرة من الأهالى إذا لم يكن منظم الاحتفالات قادراً على جعل المشهد متنوعاً ، فمرعان ما يعتري الإنسان الملل من رؤية مركب مموء بالذهب بصفة دائمة أو من مشاهدة رقص مستمر على دق الطبول . فلأجل اجتذاب اهتمام الأهالى ، فكروا منذ أقدم الأزمنة فى تمثيل أشد الوقائع إثارة فى حياة المعبودات وأفضل من ذلك أيضاً أن يتولى الحجاج أنفسهم تمثيل دور هؤلاء الآلهة . ويعلم المصريون جميعاً أن أوزيريس كان ملكاً

* أوزيرحات هى مركب آمون المقدس الكبير .

محسناً ، كما يعرفون كيف قتله ست وألقى به في النيل وكيف وصل جسده إلى أرض جبيل وكيف عاد منها إلى آخر القصة ، وكانوا جميعاً يستطيعون الاهتمام في شوق لتمثيل هذه المأساة المثيرة وكان في إمكان الكثيرين منهم القيام بالأدوار الصغيرة ، أما الأدوار الهامة فترك للمحترفين .

وأكثر تمثيلات أوزيريس إثارة هي تلك التي كانت تمثل في أيدوس (Abydos) وأبوصير (Bousiris) ، حيث يبذل المخرجون مجهوداً عظيماً في أدق التفاصيل سواء في ذلك ما يختص بالملابس أو الإخراج وكافة ما يلزم للتمثيلية كان يعده الموظفون في دقة وعناية (٢٧) وكانت تتضمن هذه التمثيلية موكباً يقوده المعبود أوب واوات فاتح الطارق ، وكان الأعداء يحاولون اعتراض موكب سير المعبود ولكنهم كان يصل منتصراً حتى داخل المعبد . أما تمثيل قتل المعبود فكان يجري في احتفالات عيد آخر أو في فصل ثامن أو كانت تروى وقائع القصة على الأقل . فيتوجع المتفرجون ويتجه موكب عظيم إلى مقبرته ، وفي حفلة أخرى يمثل مقتل أعداء أوزيريس . فيعم الجمهور الفرح عندما يرى المعبود وقد أعيدت إليه الحياة ويعود إلى قصره في أيدوس مستقلاً المركب نشمت Nechmet وفي أبوصير Bousiris يرفعون عمود أوزيريس بالحبال وكانت الجماهير ترتص وتقفز وقد غمرها السرور ، ومن بين الأهالي تمثل جماعتان سكان بيه ودب Pé & Dep البلدين المتفاربين وكانتا تتعاركان باللسم والرفس تمهيداً لاعتلاء هورس العرش . وفي سايس Sais حيث شاهد هيرودوت تمثيلات ليلية على حافة البحيرة المستديرة مثلت فيها قصة المعبود بكل تفاصيلها وما جرى فيها من آلام وعذاب وما تضمنتها من تلك الرحلة العجيبة إلى جبيل وتحول المعبود إلى عمود .

كما اتبعت لهيرودوت الفرصة في أن يزور پاپريميس Papremis في شمال شرقى مصر وهى مدينة كرسى لست ، قاتل أوزيريس وقد شاهد فيها إحدى التمثيلات من نفس النوع وليس هذا مستغربا لأن ست كان معبودا محاربا . وقد نقل تمثال المعبود وهو فى تابوته خارج الأملاك المقدسة بحرسه رجال الدين ولما حان وقت عودته كان يوضع فوق عربة ذات أربع عجلات . وما لبث أن هجم أكثر من ألف شخص مسلحين بالعصى الغليظة على الكهنة الذين كانوا يحرسون التمثال ، وأنت لهؤلاء إمدادات من الرجال . وأصبحت الاشتباكات عنيفة . وفى نهاية المعركة ، كانت العين المصابة والجحاجم المكسورة تفوق الحصر . ومع هذا فإن أهل المدينة زعموا أن هذا لم يكن إلا مجرد مزاح . ويرمز هذا إلى أن ست عندما أراد أن يدخل بيت أمه ولم يعرفه الخدم فنعموه من الدخول فذهب وأحضر نجدة أبعدت عن طريقه من كانوا يريدون منعه من الدخول (٢٨)

وفى أمبوس* فى مصر العليا كان جوفينال Juvénal قد شاهد تمثيلا مشابهاً ولكنه لم يكن بصيرا كهيرودوت إذ أن احتقاره للبصريين جعله يعتقد أنه يشاهد معركة حقيقية بين فريقين متعادين فقال إن حقا قديما فرق بين أمبوس ودندره ، لأن أهالى كل من هذين البلدين يحترق معبودات الآخر . وحدث أن إحدى البلدين كانت تحتفل بعيد معبودها وقد أعدت المناضد والأسرة لمدة أسبوع وكان الجميع يرقصون على نغمات المزمار عندما ظهر أهالى البلد الآخر وابتدأت فى الحال معركة كانت أولا بقبضات الأيدي ثم تطورت بالقذف بالأحجار ثم أخذوا يتقاتلون بالسهم ، وأخيرا هرب أهالى دندره وتركوا خلفهم واحدا منهم على الأرض . فأمسك به أهالى

* فى إقليم الفنتين وهو بعيد ست .

أمبوس وقطعوه إربا والنهوا لحمه نديا. (٢٩) وفي الواقع أن أمبوس التي يطلق عليها المصريون اسم نوبيت Noubi كانت إحدى مدن ست أمادنره فكانت من أملاك حانخور. وقد وقعت مشاجرات في أمبكنة كثيرة مجاورة بين أم هورس ومريديها، من ناحية، وبين المعبود المخرب المحب للشجار، من ناحية أخرى، وما شاهده جوفينال كان إحدى هذه المعارك التي رسمت في العصر المتأخر وتنطوي على الصخب أكثر مما تنطوي على ضرر حقيقى (١٠).

ويوجد في كل الأقاليم، وفي كافة المدن، من الطقوس الدينية والقصص المحلية ما يمكن أن يستخلص منه مادة غزيرة للتشليلات. ولا يمكن الشك عندما نتصور فقط نخامة المعابد وعدد رجال الدين والموظفين الذين كانوا يشتركون في الحفلات إلى أى حد كان الشعب المصرى محبا للانتقاد واللوم. ففرعون نفسه هذا المعبود الذى لم يكن ليتسنى لأحد الاقتراب منه دون أن تعثر به الرعشة من الخوف كان هدفا للنقد فقد قيل عنه في القصص إنه قد ضرب خمسمائة عصا (١١) وقد خدعته نساؤه وهو أعجز من أن يتحمل المسئولية أو يتخذ قرارا فكان بذلك عبدا للمستشارين والسحرة، وفي غفلته يسرقه مهندسوه. كذلك شأن المعبودات فإنها تنطوي على كافة العيوب والذائل وتتصف بالضعف البشرى بأنواعه، لاكرامة لها. وكان على المجلس في اجتماعه أن يختار بين هورس وست ليحل محل أوزيريس في القيام بمهامه، وظل الأمر معلقا ثمانين عاما دون أن يبت فيه وبقي كل من المتنافسين ينتظر الحل. ولم يكن يقابل استهتار ست وعربدته. إلا غباوته وبلاهته. وكان هورس، عندما يضرب، يبكي كطفل. وعندما دعى سيد العالم المعبودة نايث Neith لتبرهن له عن مدى احترامها لقراراته، لم يجد أفضل من أن ترفع رداءها أمامه. (١٢) أما المعبود شو فيقال إنه تعب ذات

يوم من حكم العالم ، فطار إلى السماء . والمعبود جب Geb الذى خلفه فكر فى أن يضع على رأسه الثعبان السكوپرا الذى مكن شو من أن يفوز بكل انتصاراته . ولكن ياله من مفرور ! مديده ليمسك الصندوق الذى به السكوپرا ، فالثعبان ، ابن الأرض ، انتصب لجأه وألقى كل سمومه على وجه المعبود ، فلما شعر بقسوة الحرق وشدة الألم ، أخذ يجرى على غير هدى بحثاً عن الترياق . (١٣)

وفى المسرحيات الشعبية التى كانت تمثل داخل المعابد ، إما فى الألفية أو أمام الهروح ، أو على حافة الأحواض المقدسة ، كانت المعبودات تعامل بطريقة أليفة تنطوى على البساطة تقلد أساطير المعبودات المقدسة ولم يقتصر التقليد على التمثيل فقط ، بل كانوا يجعلون الأبطال والآلهة يتكلمون ولم تصل إلى أيدينا أى تمثيلية مصرية من هذا النوع ، ويتنبهى أن نقتنع ببعض النصوص مثل بردية الرمسيوم التى أعاد نسخها الملك سباكون Sabacon من أصل قديم وقد ورد فيها فقط ذكر عناوين بعض المناظر وبعض الردود أو الملحوظات المبقة وأجزاء بسيطة من محادثات مدونة فوق بعض المناظر من الحياة الخاصة فى المقابر ، وخاصة فى مقابر الدولة القديمة ، على أن وجود هذا المسرح يمكن أن يعتبر أمراً مؤكداً خاصة بعد أن عثر المعهد الفرنسى فى أدفو على لوحة تذكارية للممثل هزلى محترف يقول فيها : « كنت أصحب سيدي فى كل جولاته دون أن أكل أو أمل من إلقاء أدوارى . وكنت أرد على سيدي فى كل أدواره . فان كان معبوداً كنت ملصكاً ، وإذا قتل أحداً كنت أعبد الحياة للقتيل . » (١٤)

وكانت هذه التمثيلات المسرحية ، دون شك ، أهم ميزات تلك الاحتفالات

والأعياد التي كانت تظل ممتدة أياماً كثيرة دون أن يعترى الشعب المصرى الملل أو السأم.

٩ - بيت الحياة

كانت أكثر المعابد تتضمن داخل أسوارها مدارس ، وليس فقط مدرسة للأطفال الصغار لتعلم القراءة والكتابة ولكن أيضاً معاهد فنية يتعلم فيها الرسامون والحفاريون والمثالون ، الذين يستخدمون مواهبهم في تمجيد فرعون والآلهة . وكانت هذه المعابد تضم أيضاً مكتبات تحفظ فيها وثائق المعبد ومجموعة من النصوص المختلفة الأنواع ، نسخها عدد كبير جداً من الكتاب وبها أيضاً كتب في علم الأخلاق والآداب والفلسفة ، التي كان يحتاج إليها صغار الطلبة ، كما كانت تضم كتباً فنية . وعندما أراد الملك نفرحتب Neferhotep أن يطلع على كتب نوم ، قالت له الخاشية : فلتدخل جلاانكم المكتبات ولتتفضلوا بالاطلاع على الأحاديث المقدسة ، وقد وجد الملك بالفعل كتاب منزل «أوزيريس خنتي أمنتيو Osiris Khentiamentiu» سيد أيديوس^(١٥) . وكانت بعض المعابد تحتوي على أبيات أكثر أهمية من ذلك تسمى «بيت الحياة»^(١٦) .

ويذكر لنا الملك رمسيس الرابع نفسه أنه كان يتردد بانتظام على بيت الحياة في أيديرس . وبإطلاعه على مدونات تحوت السنوية ، التي كانت محفوظة هناك أمكنه أن يعلم أن أوزيريس هو أشد المعبودات غرضاً ، وأنه هو القمر وهو النيل وهو الذى يملك في العالم الآخر . ويهبط إليه إله الشمس كل ليلة ، ويكون الروح المتحدة التي تحكم العالم . ويدور تحوت أو امره ، . وعندما اطلع على تلك المدونات الحولية التي يعرف وقائعها كما لو كان هو الذى درنها يتبين له تنوع الموضوعات التي تناولها البحث والموضوعات التي

يمكن الاستفادة منها . وعندما أراد أن يحصل لنفسه على ثابوت من حجر بنح
Bekben من وادي روهانو Roharou وجد في الحوليات أخبار البعثات
السابقة التي أحضرت الكثير من التوابيت والتماثيل إلى مكان الحقيقة ،*
والمعابد .

وعندما عين الأمراء والعسكريين وكبار الموظفين الذين يكونون الهيئة
العليا لبعثته لم ينس أن يضيف إليهم كاتباً من بيت الحياة . وعندما
استقبل أحد الرعامسة سفير أمير بختان Bakhtan رأى لزماً عليه أن
يستشير كتاب بيت الحياة قبل أن يرد عليه . وعندما اكتشف في عهد
بطليموس فيلادلف كبشاً مقدماً جديداً . أرسل سكان مدينة مندس طلباً
إلى الملك يلتمسون فيه أن يسمح بأن يفحص كتاب بيت الحياة هذا
السكبش .

وقد بين لنا مرسوم كانوب أن هؤلاء السكتاب كانوا يشتغلون بالفلك ،
كما كانوا يشتغلون أيضاً بالسياسة وهكذا كان اثنان من كتاب بيت الحياة ،
من بين الذين تأمروا ضد رمسيس الثالث . ومن بين هذه الشواهد وغيرها
يمكن أن تستنتج أن بيت الحياة كان عبارة عن هيئة مكونة من العلماء ورجال
الدين وذوى الخبرة العباقرة ، وهم الذين يحافظون على التقاليد الدينية وهم
الذين يحررون حوليات الملوك والمعابد وهم الذين يسجلون الاكتشافات
العلمية وتقدم الفنون . وهم الذين اخترعوا السكتابات السحرية ذات الرموز
الخاصة . ويبدو في الحقيقة أن هذه الاكتشافات وهذا التقدم قد نشأ في
بيوت الحياة .

* مكان الحقيقة هي جبانة طيبة .

ويشير هذا كله إلى أن المعبد كان مركز الحياة المصرية ، وهو قبل كل شيء منزل المعبود وفيه تقام شعائر العبادات والشكر على ما أنعم به على البشر من خيرات وهو أيضاً مركز النشاط الاقتصادي والثقافي . وقد أنشأ به رجال الدين ، المصانع والمخازن والمدارس ومكتبة ، وفي المعبد ، وفي المعبد وحده كان يمكن أن يكون لنا الحظ الذي ناله أفلاطون بمقابلة العلماء والفلاسفة وفي المعبد أيضاً نشأت وتكونت التمثيليات التي استمدت موضوعاتها من القصص والأساطير والتقاليد القديمة والتي كانت عند المصريين بمثابة الدراما والكوميديا (مآسى الحياة وملاهيها) .

الفصل الثاني عشر

الجنائزات

١ - السجود:

كتب لنا كل من بتاح حتب Ptah hotep الحكيم ، وسنوحى المفامر عن الشيخوخة في صراحة فوصفها بأنها سن القبح ، وسن الضعف الجسماني والمعنوي . ويصبح الإنسان طعيف البصر ، ثقل السمع ، ضعيف الذاكرة : لا يستطيع أن يقوم بعمل إلا وهو يشعر بإعياء شديد ، ولا ينتفع بالطعام الذى يأكله . (١) ومع ذلك فقد كان المصريون جميعاً يتمنون أن يبلغوا هذه السن المزدولة ، مثلهم في هذا مثل سائر البشر . والشيخ الذى احتفظ بمظاهر الشباب بفضل العناية الصحية وبقية قواه المعنوية سليمة كان يثير إعجاب الجميع . فـكبير السكينة روى Rome - Roy قد أقر بأنه بلغ الشيخوخة وهو فى خدمة آمون الذى غره بعطفه ، حيث يقول : إن أعضاء جسمى تتمتع بصحة طيبة - بصرى قوى ، والطعام الذى ألقاه من معبده يبق فى فمى . (٢) وقد تناول الحديث فى البلاط الملكى رجلاً مسناً من الطبقة الوسطى قيل إنه بلغ من العمر ١١٠ سنة وياً كل بشمية حتى اليوم خمسمائة رغيف من الخبز ، وكثف ثور ، ويشرب مائة جرة من الجعة ، ولكن لم يذكر بوجه التحديد إذا كان يأكل كل هذا الطعام فى يوم أو خلال شهر أو فى فصل من فصول السنة أو فى سنة بأكملها . وكان هذا الرجل المسن ساحراً عالماً ، وقديراً قوياً . فاعتزم فرعون استدعاه ليقم بجواره ، ووعد بأن يطعمه أطايب الطعام التى يمنحها الملك من المئون المخصصة لأفراد الخاشية ويتمتع

بكل ذلك حتى يلحق بآبائه في الجبانة . وقد كلف ابن فرعون نفسه بالقيام بهذه الدعوة . . فقطع مسافة طويلة من الرحلة في سفينة ، ثم قطع مسافة ثانية على كرسي محمول على محفة لأن العربات لم تكن قد عرفت بعد . فوجد من كان يبحث عنه ممدداً على حصيرة أمام باب بيته ، وكان أحد الخدم يروح له بالمروحة . وآخر يدلك له قدميه . . وعندما حياه الأمير ، أجابه في بشاشة قائلا :

« سلام عليك ، سلام عليك يا ديديف حر Didifhor ، أيها النجل الملكي المحبوب من والده . ليمنحك أبوك خوفو ذو الصوت العادل ، الثناء الطاهر وبعلى شأنك ، لتسكون مثل من بلغ أشده من الرجال . ولتتمكن ووحك (الكا ka) من إحباط محاولات أعدائك . . ونفسك (البا ba) تعرف الطريق السرى الذى يوصلك إلى البوابة ، فد الأمير ذراعيه وعاوناه على القيام وقاده ممسكا بيده حتى شاطئ النهر . فوصل الإثنين في ثلاثة سفن إلى القصر الملكي حيث قابلهما الملك فوراً . وعبر الملك عن دهشته لأنه لم يسبق له أن تعرف بهذا المواطن الوقور أ كبر رعاياه سناً ، فأجاب الضيف ببساطة نبيلة وكان تعبيره مثالا للملق ، قال : « مولاي وسيدى إن من يأتى هو الذى يستدعى - فتقد دعيت وهأنذا قد حضرت . » (٣)

وما كانوا يسمونه ، في العرف السائد ، بالشيخوخة السعيدة ، لم تكن الشيخوخة الخالية من الأمراض أو الماهات بل كان يجب أن يصحبها السخاء أيضاً أو على الأقل سعة العيش ، والذي يصل إلى مرتبة الشخص المحترم إماخو Amakhou لم يكن يكفل له العيش في أيام الشيخوخة فحسب ، بل كان يمكنه أن يعتمد على أن يكون له قبر جميل . فعندما عاد صنوحى من المنفى منح منزلاً تملكه ، ويصلح لأحد رجال الحاشية . اشتغل كثير من

العمال في بنائه وكانت أعمال النجارة فيه من الخشب الجديد ، وليس من مخلفات مبان قديمة ، كان يؤتى إلى بالطعام من القصر الملكي ثلاث مرات وأربعاً كل يوم ، علاوة على ما كان يمدنى به دائماً أنجال الملك . وبعد أن كان سنوحى يتسلم القرابين الجنائزية الملكية ، أصبح الآن يقوم بالإشراف على تشييد بيته الأبدى ، فزوده بالآثاث ونظم في دقة كل ما يتعلق بصيانة مقبرته وبالمحافظة على المراسيم الجنائزية .^(١) وكان هذا العمل مما يسر له كل شيخ طاعن في السن ، وخاصة إذا كان هذا الشيخ صديقاً للملك ، وكان الملك أن يمنح أو أن يرفض ، وفقاً لرغبته ، هذا اللقب أماخو Amakhou المرغوب فيه بين الناس . وبما أن الملك كان بناء على وصف المداحين له ، طيب القلب وعادلاً وقديراً وعليماً بكل شيء . فقد كان الأهالي واثقين من أنه لن يرضن بالإنعام بهذا اللقب على أحد من خدموه بإخلاص .^(٢) وكان كبار الدولة يتخذون أعمال الملك نموذجاً يحتذرونه .

لقد كان عدد الخدم والموظفين كبيراً لدى حكام المدن والولايات ورؤساء الدين وقواد الجيش ، وكل من بلغ من هؤلاء الخدم والموظفين سن الشيخوخة كان السيد الرحيم يلحقهم بوظيفة يسيرة تناسب وقواهم المضمحلة وبذلك يكفل لهم العيش والمأوى إلى أن تحين ساعتهم . لذلك كان فرعون ، بالرغم من أنه لم يغفر لسنوحى فراره عندما كان في سن الشباب لا يرغب في أن يحرمه من حقوقه الأساسية ، فسمح له بأن يعود إلى مصر عندما علم أنه أصبح على وشك الشيخوخة . ذلك أن مصر لم تكن تفرط في شيوخها كما لم تكن تضعى بأبنائها . على أنى لا أريد أن أجزم بأنه لم يحدث في هذه الأرض المباركة أن وارثاً متعجلاً أهى عمر أحد مورثيه الذى كان يعلن جهاراً وفي إصرار عن رغبته الملحة في أن يعيش إلى سن

العاشرة بعد المائة . لقد حدث أن ملوكا خلعوا عن عروشهم ، ولكن يلاحظ أن أئمنجات الاول الذى حكم نحو عشرين سنة ، عهد بالحكم الفعلى إلى ابنه . وقد عاش بعد ذلك حياة مستقرة ما يقرب من عشر سنوات ، استطاع خلالها أن يدون وصاياه الصارمة . والملك آپريس Apries ، وقد هزم وخلع عن عرشه ، ربما استطاع أن يحتفظ بحياته ، لو أنه لم يستثر غضب المصريين بقسوة لا مبرر لها . وعلى الجملة فقد كانت مصر من البلاد التى تعنى بالمعمرين فى حياتهم .

٢ - وزر الأعمال

يخطئ كثير من يعتقد أن المصريين القدماء كانوا يرغبون فى الانتقال من أرض الأحياء ، فهم يعلمون أن الموت لا يستمع لآى شكوى إنه لا يلين لضرعة أو شفاعة . وعشنا يتذرع الإنسان بأنه لا يزال شابا . إذ أن الموت يحتطف الطفل وهو رضيع من بين ثدى أمه ، كما يدرك الرجل عندما يصبح طاعنا فى السن ، (٦) وعلى كل ، فقيمة تلك السنين التى يعيشها الإنسان على الأرض مهما طالت ؟ إن الغرب هو أرض الرقاد والظلام الحالك ، هو المكان الذى يقيم فيه من جاء إليه ، وهؤلاء الرافدون المكفنون فى أفافهم لا يستيقظون إلا لرؤية أخوتهم وليكنهم لا يرون آباءهم ولا أمهاتهم وتنسى قلوبهم زوجاتهم وأولادهم ، والماء العذب الذى تمنحه الأرض لمن يعيش عليها هو بالنسبة لى ماء آسن ، يأتى الماء بالقرب من كان على الأرض ، أما الماء الذى يجاورنى فهو آسن .، (٧)

إن خير ما يعبر به رجل متدين عن العالم الآخر هو أن الإنسان يتخلص فيه من منافسيه ومن أعدائه ، وأنه يجد الراحة أخيرا ، كما يلاحظ أن

بعض المتشككين أخيراً . يذهبون إلى القول بأنه ، لا يعود إلينا أحد من الموتى ليقول لنا كيف حال المتوفين وماذا ينقصهم حتى تطمئن قلوبنا إلى أن تأتي الساعة التي سنذهب فيها بدورنا إلى حيث ذهبوا ، . ويقول هذا الحكيم أيضاً ، إن كافة المقابر تنهار ، وقد طمست أيضاً معالم مقابر الحكماء القدامى ، كأن لم توجد من قبل ، (٨) .

ومع ذلك لم يستنتج من قول هذا الحكيم أنه من العبث أن يعد المرء مقبرته في مثل تلك العناية وأن يفكر في أمر الموت ، قبل أن يأتيه بمدة طويلة ، ولو أنه قال ذلك ، ما استطاع أن يقنع معاصريه ، لأنهم كانوا وهم في عهد رمسيس ، يماثلون أسلافهم من عهد بناء الأهرام ، يقومون بإعداد انتقاهم من هذا العالم إلى الآخرة ، في عناية ودقة . لأن انتقال الموتى إلى العالم الآخر ، كان يعد اختباراً رهيباً : إنه وزن أعمالهم . فالملك الطاعن في السن الذي حرر وصاياه لمرى كارع Merikarê ، كان يحذر أبنه من القضاة الذين يظلمون الناس . وقد قاده هذا الموضوع إلى الحديث عن نوع آخر من القضاة :

• يجب ألا تؤمن بأن كل شيء سينتهي إلى عالم النسيان في يوم الحساب ، لا تعتمد على طول سنى الحياة ، فإن الحياة عند الآلهة ساعة واحدة عما تعدون ، ذلك أن حياة الإنسان تستمر بعد وفاته ، وأن أعماله تتكدر بحواره . ومن تقدم بين يدي قضاة الموتى دون ذنوب ، كان بمثابة إله . واستطاع أن يسير في حرية مثله في هذا مثل سادة الأبدية (٩) لقد واثقتنا ابن رمسيس أوسر مارع ، فرصة لا مثيل لها ، إذ دخل الأمنتيت Amentit حياً ، حيث شاهد الإله الكبير أوزيريس جالسا

على عرشه الذهبي الخالص ، متوجاً بالتاج ذى الريشتين وعن يساره الإله الكبير أنوب ، وعن يمينه الإله الكبير نحوت كما كان عن يساره آلهة نصح البشر في الأمنتيت ، وعن يمينه الميزان المقام في الوسط أمامهم حيث كانوا يزنون السيئات مقابل الحسنات بينما كان الإله الكبير نحوت يقوم بدور الكاتب المسجل ، وأنوب يتحدث إليهم ، كان المتهمون يقسمون إلى ثلاث فئات : فئة كانت سيئاتهم تفوق كثيراً حسناتهم ، وهؤلاء يسلمون إلى الكلية المربعة أما فئة كانت فضائلهم تفوق رذائلهم ، وكان هؤلاء يقادون لينضموا إلى مجلس الآلهة . وفئة أولئك الذين كانت سيئاتهم تعادل حسناتهم كانت توكل لهم خدمة المعبود سوكر أوزيريس - وهم مثقلون بالتهائم . (١٠)

كان المصريون يعرفون تماماً أن عدداً قليلاً جداً منهم سوف يمثل أمام القاضي الأعظم ، دون أن تكون له ذنوب ، فكان ينبغي لهم إذن الحصول من الآلهة على الصفح عن السيئات وأن يتطهروا من أدرانهم . وكان هذا الرجاء شائعاً جداً بين الناس وكثيراً ما ذكر في الصلوات الجنائزية .

و لقد أتمحت خطابي وطرحت ذنوبي جانباً وانهارت معاصي . (١١)
أنت تلقى ، بخطاياك لدى نن نسوت Nen-nisout (١٢) .

و تطهرك الساحرة الكبرى . . عليك أن تعترف بخطيئتك التي سوف تمحى ، لعمل أشياء مقابل كل ما تكون قد فعلته (١٣) . تحية لك يا أوزيريس في ديدو Dedou إنك تستمع لحديثه ، فتمحو ذنوبه ، وترفع صوته فوق صوت أعدائه وتثبت قواه في محكمة هذه الأرض (١٤) . إنك ثابت بينما يسقط أعداؤك ، وكل ما يقال عنك من شر ، لا وجود له . إنك تمثل بين مدى مجلس الآلهة الكبير وتخرج منه صادق القول . (١٥)

وقد وضع الفصل الخامس والعشرون بعد المائة بأ كله من كتاب الموتى لتخليص المذنبين من أدرانهم وخطاياهم ، وكان المصريون ينسخون هذا الفصل على ورق البردى ليوضع داخل التابوت بين ساقى المومياء . ويخيل لقارىء هذا الفصل بأن ما جاء به ما هو إلا قرار سابق لمحاكمته ، لكنها محاكمة يدور كل شيء فيها على خير ما يرام ، والسبب لا نعلمه ، سميت قاعة المحكمة ، قاعة الحقيقة ، يجلس فيها أوزيريس على العرش داخل معبد صغير ، وتقف خلفه شقيقته ، أيزيس ونفتيس ، بينما يصطف في الداخل أربعة عشر من النواب ، وقد نصب في وسط القاعة ميزان كبير ، حلى مسنده (فى أعلاه) تارة برأس الحقيقة وتارة برأس أنوبيس أو رأس نحوت . ويتربص وحش بجوار الميزان لحراسته . ويلاحظ في وسط القاعة كل من نحوت وأنوبيس وفى بعض الأحيان هورس والحقيقتان وهم جميعاً منهمكون فى العمل ويقوم أنوبيس بإدخال الميت مرتدياً ثوباً من الكتان فيجبي القاضى وكاهن الآلهة الحاضرين ، قائلاً : تحية لك أيها المعبود الكبير ، سيد الحقيقة ، لقد أتيت إليك ماثلاً أمامك . وعندما أحضرونى إليك رأيت كمالك ، إن أعرفك وأعرف اسمك وأعرف اسم الاثنين والاربعة معبوداً الذين بجوارك فى هذه القاعة : قاعة الحقيقة ، إنهم أولئك الذين يعيشون حراساً يراقبون الأشرار ويرتوون من دمهم فى هذا اليوم الذى أعد لوزن الطبايع والأخلاق أمام السكائن الطيب ، ثم يسرد تصريحاً مطولاً عن برامته فى عبارات سلبية : « لم أتركب إثماً ضد البشر لم أسىء معاملة أحد من رجال لم أكفهم القيام بعمل ما فوق طاقتهم لم أفر على الآلهة ولم أعذب الفقير ، لم أجوع أحداً ولم أطفف فى الكيل ، لم أقل فى القياس بالقصة ، لم أغش فى مساحة الحقول ولم أقل فى الوزن ، لم أحذف شيئاً من ثقل الميزان ، لم أغش فى الوزن ، لم أنزع اللبن من فم الأطفال الصغار لم أعوق سير المياه فى موسم الفيضان ، لم أعطل سير الإله عند خروجه . »

وبعد أن يكون قد دافع عن نفسه سنا وثلاثين مرة بأنه لم يعم بعمل ما هو مسكروه في نظر الاتقياء ، ينهى إلى القول بأنه كان طاهرا ، لأنه كان أنف معبود النسيات ، منبع حياة كل من عاش في مصر . ثم يكرر ما قاله لإظهار براءته كأنه يخشى ألا يصدقوه ، فيعيد إقراره الدال على براءته ، متوجها نحو الاثنين وأربعين معبودا بالتوالي ، والذين كان قد حياهم عند دخوله القاعة . وهم يحملون ألقابا مفزعة مثل : واسع الخطوة ، مبتلع الظلام ، مهشم العظام ، آكل الدم ، الصائح ، معان القتال ، وبعد أن يذكر كل اسم ينفي ذنبا من ذنوبه ، ويستطرد قائلا إنه لم يكن يخشى أن يقع تحت طائلة سلاح القضاة لا لأنه لم يسب الإله ولم يهن الملك فحسب ولكن لأنه قام أيضا بعمل ما قاله الناس وما وافق عليه الآلهة ، فإنه قد أَرْضَى الإله بعمل ما يحبه ، أعطى الخبز للجائع والماء للعطشان ، وكسى العارى وأعار معديته لمن أراد عبور النهر . وهو ممن يقابلون بالترحاب حين يراهم الناس فقد قام بعمل الكثير من أعمال البر والتقوى تلك الأعمال التي تستحق المديح . ومن أمثلة ذلك أنه استمع إلى حوار القطعة والحمار الذي نأسف جداً لعدم معرفتنا له . ولم يكن ليمتدح إلا أن نستخلص النتيجة العملية من هذه التجربة أو هذا الاختبار ، فعلى إحدى كفتي الميزان وضع قلب من تجرى محاسبتها وعلى الكفة الأخرى تمثال صغير للحقيقة ، ولكن ماذا يحدث لو افترضنا أن القلب قد تكلم ، فكذب صاحبه : لتلافى هذا الخطر صيغ الانبهاً ، موضوع الفصل الثلاثين من كتاب الموتى وهاك نصه :

يا قلبي ويا قلب أمي ويا مصدر تصرفاتي لا تشهد ضدي ، لا تعترضني أمام القضاة ، لا تجعل وزنك يعلو في غير مصلحتي أمام سيد الميزان فإنك الروح في صدري والخالق الذي يمنح السلامة لأعضاء جسمي ، لا تسمح

جان نفوح من اسمى رائحة كريهة ، لا نقل أ كاذب ضدى أمام الآلهة .، وبعد أن يناشد القلب بهذا التوصل ، يستمع صامتا إلى هذين الاعترافين ، وكانت النتيجة محققة النجاح ، فإن أنوبيس يوقف ذبذبة الميزان ويعلن أن الكفتين متوازيتان ولم يبق على تحوت إلا أن يسجل نتيجة هذا الوزن مقررا أن الطالب قد انتصر وأنه ماع خرو صادق القول ، وبهذا ينضم إلى تلمذة أوزيريس أحد الرعايا الجدد . أما القول الذى كان يأمل فى أن يلهم هذا القادم الجديد فإنه يظل باقيا فى انتظاره . هل كان المصريون يعتقدون حقيقة أنه يكفى ان يذكر الانسان ذنوبه كتابة ليحورها من ذاكرة الآلهة والناس . قد ورد فى بعض المؤلفات الحديثة عن العقيدة الدينية للمصريين القدماء أن الفصل الخامس والعشرين بعد المائة من كتاب الموتى هو نص سحرى ، وكلمة سحر ، تعنى أشياء كثيرة ، يجب على علماء الآثار المصرية ألا ينسوا أبدا أن الكتاب الذى يشمل البحث عن طريقة إعادة الرجل الطاعن فى السن إلى شباب يافع ، قد وصف بأنه نص سحرى ، وعندما تمت دراسة هذا المؤلف ، تبين أنه عبارة عن وصفات للتخلص من مظهر الشيخوخة البغيضة مثل التجمعات والحبوب واحمرار الجلد (١) ويبدولى أن مصنف الوصايا لمرى كارع ، عندما قرر أنه لا يمكن لإنسان أن يخدع القاضى الأعظم ، فلم يكن إلا معبرا عن رأى السائد فى هذا الصدد ، ويمكن التأكد أن المصرى عندما يكون قرر أنه طاهر ، أو زعم فى إصرار بأنه لم يكن قد اقترف ذنبا ، فربما يكون قد تخلى حقا ، خلال حياته من ذنوبه ونفى خطايا . هذا هو الاعتقاد الجازم الذى كان يحزره من الخوف من الآخرة .

وكان الهدف الجوهرى أن يعلن أنه أصبح ماع خرو Maa-kherou

اغنى الصادق القول ، ، ولم يكن أحد يستحق هذا اللقب إلا إذا دافع شفوياً عن نفسه أمام القضاة. وليس من الممكن إحصاء عدد المصريين الذين دونت أسماؤهم على اللوحات التذكارية أو الجنائزية أو التوابيت أو جدران المقابر. وقد وصفوا بأنهم ماع خرو . وقد ظن البعض أن هذه العبارة هي مجرد أمنية دينية كان يستعملها الأحياء إما لأنفسهم أو لأقاربهم أو لأصدقائهم. وأن هذه الأمنية لا تستجاب إلا في الآخرة . وكان هذا الاعتقاد سائداً إلى حد أن أصبحت عبارة ماع خرو تعتبر عملياً كأنها مرادفة لكلمة المرحوم. (١٧) وعلى كل ، فإننا نعلم أن أفراد من المصريين كانوا قد حملوا هذه العبارة أثناء حياتهم كان هذا هو حال خوفو الذى اتهمه الإغريق بعدم التقوى ، فى حين أنه كان ماع خرو عندما كان يستمتع لأولاده وهم يقصون عليه الواحد تلو الآخر ، قصص السحرة وكان هذا أيضاً حال پارميسيس وقت أن كلفه حرمب بإدارة أعمال معبد أوبت الكبرى قبل أن يصبح الملك. رمسيس الأول (١٨) كما كان حال كبير شعب ماشيشنق Ma Chechanq ولهم يكن قد ولى بعد ، ملكاً باسم شيشنق الأول (١٩) وباكن خونسو كبير كهنة آمون ، كان ذا صوت عادل عندما تفضل عليه رمسيس الثانى وسمح له بأن يقيم تماثله فى المعبد حيث اختلطت بجماعة المرضى عنهم (٢٠) وكان عمر رمسيس الثانى حينذاك ٩١ سنة ، وقد عاش بعد ذلك بضع سنوات . وأحد خلفائه ، رمسيس ناخت كان أيضاً قد لقب بنى القول الصادق (ماع خرو) كما نرى ذلك فى نقوش وادى الحمامات التى تسرد موضوع الحملة الكبرى التى أرسلها رمسيس الرابع إلى جبل بنجن فى السنة الثالثة من حكمه .

ولكنه كان حياً أيضاً فى السنة الرابعة فى عهد ملك يرجح أنه لم يكن إلا رمسيس الرابع أو رمسيس الخامس (٢١) ويخيل إلى أن هذه الأمثلة

تكفى لإثبات أن المصريين كانوا يصبحون ماع خرو في حياتهم وهم لا يزالون يسرون على أقدامهم. ولكن كيف كان الحصول على هذا اللقب الجليل مستطاعا؟ وقد كان أوزيريس أول من حمل لقب ماع خرو. وعندما كانت زوجته الوفية قد ردت إليه الصحة السكاملة والحياة، كان هو قد رفع دعوى ضد قائله ست أمام المحكمة المقدسة برياسة الإله رع ونسكن من استصدار حكم بادانته (٢٢).

ولم ترض إيزيس أن تظل معاركها وعلامات تفانيها وإخلاصها لزوجها مغمورة في عالم النسيان ولذلك قامت بوضع أسرار جد مقدسة يتخذها البشر مثالا ووسيلة للتسوية. وفي هذه الأسرار كانت تمثل الآلام التي تحملها أوزيريس وكانت لا تزال تمثل حتى عصر هيرودوت. وفي الأزمان القديمة التي ترجع إلى عهود أقدم من ذلك بكثير، كانت تمثل أيضا معركة أنصار أوزيريس لتخليص جسد سيدهم والعودة به منتصرا إلى معبد أيدوس. كما مثلت أسرار الخماكة وقد ورد في الفصل الثامن عشر من كتاب الموتى بيان عن المدن المحظوظة التي جرى فيها تمثيل هذه الأسرار وهي : أون On وديدو Didou وإيميت Imit وخم Khom وبه Pé ودب Dep ورختي Rekhti في الدلتا وروسيثاو Ro-setaou وهو أحد أحياء مدينة منف ونارف Narof في مدخل الفيوم وأيدوس في مصر العليا. وبدهى أن كل مصري تقي كان يمكنه أن يضمن خلاصه في الحياة الأخرى إذا هو اتبع ما قام به أوزيريس. فقد ورد في نهاية الفصل الخامس والعشرين بعد المائة تحذيرا لا يمكن توجيهه إلا إلى الأحياء : يتلى هذا الفصل حين يكون المرء نظيفا ونقيا، مرتديا ملابس الحفلات ومنتملا نعلنا أبيض اللون مكحول (م ٢٧ - الحياة في مصر)

العنين بالسجل الأسود، مدهون الجسم بالزيوت والبخور من أجود الأنواع ، وبعد تقديم قربان كامل من العجول والطيور والتربنتين والخبز والبيرة والخضر ، وقد أضاف أيضا النص المقدس ما يأتي : « ومن قام بعمل ما ذكر لنفسه فإنه يصبح فتيا * ويكون أولاده أشداء ، وينال رضا الملك وكبار الدولة ولا ينقصه شيء . إطلاقا ، وينتهي أخيراً بأن يكون من حرس أوزيريس . ، ويمكن الآن أن نتصور سر هذه المحاكمة التي كان يمكن أن يتخلص فيها المصريون من ذنوبهم . ومن كان منهم يعتبر أن أيامه معدودة وأنه على وشك الرحيل إلى الأبدية ، إما لأنه أصبح شيخاً أو لأنه مريض ، وإما لأن إحدى التحذيرات السرية التي كان يبعث بها أوزيريس في بعض الأحيان إلى من سيلحقون به قريباً في ملائكته قد مسته . (٢٣) فإن هؤلاء جميعاً كانوا يتجهون أفواجا إلى إحدى تلك المدن التي ذكرتها سابقاً . وكانوا يتخذون لأنفسهم الاحتياطات المبينة في الوصية التي سبق أن أشرت إليها : فكانوا يحرسون بنوع خاص بالأمان ينسوا أن ينفقوا ما يلزم لتقديم القران الكامل .

وتوحي تلاوة الفصل الخامس والعشرين بعد المائة بأن سر المحاكمة كان يشمل فصلين . فأوزيريس ، هو الذي يقوم في أول الأمر بإثبات براءته ، فيخاطب المعبود رع ويثبت بستر ثلاثين عبارة ، السالفة الذكر ، بأنه لم يرتكب إثماً في أي لحظة من السنة . فيردد المؤمنون بدورهم صدى هذا الإقرار المعبر عن البراءة ويشعرون بارتياح وقوة للحكم الذي صدر ببراءة المعبود . ولم يكن هذا مع ذلك كافياً . فيترك أوزيريس أريكة المتظلمين (المتوسلين) ليجلس على مقعد القاضي ، فيقوم المؤمنون بتلاوة الاعتراف

* في النص أخضر والمراد القوة وسلامة البدن .

الثاني السلي ويتقدمون كل بدوره نحو الميزان ، الواحد بعد الآخر وكل منهم يحمل شكل قلب من اللازورد نحت عليه اسمه ، ويوضع هذا القلب في إحدى كفتي الميزان ويوضع في الكفة الأخرى تمثال يمثل الحقيقة ، ويستطيع كل من الحاضرين أن يتحقق من أن الكفتين متعادلتان فيعلن رسميا بأن الميزان ، طاهر الصوت ، ويسجل ذلك . وكان يمكنه أن يعود ، بعد ذلك إلى مقره وهو متأكد من أن أبواب الآخرة لن تغلق في وجهه .

٣ - إعدام المفجرة :

الآن وقد أصبح كل مصري مطمئن النفس فلم يعد له إلا أن يكرس كل جهوده لميته الأبدى * .

أما الملوك فكانوا يبادرون دائما إلى عمل ذلك قبل أوانه بزمان طويل ، ذلك أن بناء هرم ولو كان متوسط الحجم لم يكن أمرا هينا فكانت توفد بعثات كبيرة حقيقية لنقل كتل الجرانيت والمرمر حتى هضبة الجزيرة أو سفارة . ومنذ بداية عهد الامبراطورية الحديثة نقلت الجبانة الملكية إلى وادي الملوك غرب طيبة . وخلفاء رمسيس الأول ، بالرغم من أنهم كانوا أصلا من الدلتا ، فقد قلدوا هؤلاء الذين خلعوا ليتولوا العرش مكانهم واستمروا في الحفر في جبال طيبة لإنشاء هذه السرايب التي كان يبلغ طولها أحيانا نحو مئة متر ، وكانت تزخر جدرانها بزخارف عجيبة تملأ كل جوانبها وغرفها .

وتمثل هذه النقوش رحلة رع الليلية في المناطق الاثني عشرة في العالم السفلي ، ومكافئته ضد أعداء النور ، وليس شيء من كل هذا يذكر مقام الملك بعمله خلال حياته . لم تكن هذه النقوش تتعلق بالزائرين

٥ - بعد أن أصبح ماع خرو

إذ أن المقبرة الملكية لم تكن قد أعدت لاستقبال أى زائر ، فإنها كانت مكانا مغلقا وكان ينبغى أن يظل مدخله سريا . (٢٤)

ولكن مقابر الأفراد كانت على عكس ذلك تماما ، كانت المقبرة تحتوى عادة على جزئين مختلفين تماما ، القبر ويحفر داخل بئر ويـكون فى عمقه ، وأعد لدفن الميت . وعندما يرقد المتوفى فى تابوته بعد انمام المراسيم الأخيرة ، يسد مدخل القبر بإقامة جدار عليه وتردم البئر وبعد ذلك كان يجب ألا يفتح أحد وحدته . وكان يقام فوق هذا القبر مبنى أعد لزيارة الأحياء . وواجهة هذا المبنى كانت تقام داخل فناء ، حيث تعرض لوحات تذكارية وجنائزية تتناول كل ما كان المتوفى من فضائل وكل ما قام به من خدمات ، بقصد إثارة إعجاب الأجيال القادمة .

وفى داخل هذا الفناء ، وبحوار حوض البياه قد تغرس أشجار النخيل والجنيز (٢٥) وكان هذا الفناء يودى إلى قاعة عرضها عادة أكبر من طولها أما زخرفتها فكانت أخاذة حقا . إذ أن سقف القاعة نفسه قد زخرف بزينات نباتية ورسوم هندسية ذات ألوان زاهية . والنقوش التى تـكسو الجدار أو الأعمدة كانت تمثل حياة المتوفى فى أعظم مراحلها الخاصة . ويوصفه من كبار الملاك كان يراقب أعمال الحقل ويقتنص الغزلان فى الصحراء وبلقى عصا الرماية على الطيور المائية والحربة على فرس النهر ويساهم كذلك فى صيد السمك . وكرئيس لورش آمون كان يشرف على أعمال النقاشين والنحاتين والصياغ والنجارين الذين يعملون فى خشب الأبنوس . ويوصفه أحد كبار الموظفين كان يجمع إيرادات المملكة . وكجندي ، كان يقوم بتدريب الجنود الجدد . وقد رسم وهو فى قاعة العرش ، يقدم للملك أفواجا عديدة من الهندويين الأجانب الذى وفدوا من بلاد لا تعرف مصر .

وظهورهم محدودة تن من ثقل الجزية التي يحملونها ملتسمين من الملك نسمة الحياة .

وبعد أن يقوم الزائر بتفقد هذه القاعة يجد نفسه في بحر كبير ، يرى على جدرانه المتوفى وهو في سفينة متجهة نحو أيدوس ويرى على الجانب الآخر من الممر مراحل الدفن وقد تمت طبقا للراسيم المعروفة . ويؤدى هذا الممر إلى قاعة أخيرة لا تعبر النقوش التي على جدرانها إلا عن مدى تقوى المتوفى ، فيرى وهو يعبد الآلهة وكان يصب المياه المقدسة تكريما لهم ، ويقدم لهم موقدا تتأجج فيه النيران ، ويتلو الأناشيد وفي مقابل ذلك ، كان يكافأ بالتهام الأطعمة التي تتجدد دائما والتي كان يستحقها نظراً لتقواه وفطنته . (٢٦)

وبدعى أن التابوت كان أهم قطعة في الأثاث الجنائزى . وكان نفر حطب في حياته قد تفقد أكثر من مرة المصنع الذى كان يصنع فيه تابوته فشاهد بهذا مثواه الأخير ، محملاً فوق مقعدين صغيرين والعمال حوله . بعضهم جالسون وبعضهم واقفون وكلهم عاكفون على تلميعه والحفر عليه وطلاته بالرسوم . كما شاهد أيضا الكاهن وهو يرش عليه المياه المقدسة . (٢٧)

ولم يكن الملك ولا الأغنياء يكتفون بتابوت واحد - فكانت مومياه بسوسنس Psouennês بالرغم من أن القناع الذهبى يحمىها ، كانت موضوعة داخل تابوت فضى على شكل مومياه ، وهو موضوع في تابوت آخر من الجرانيت الأسود يطابق التابوت السابق تماما في شكله . وكان تابوت الجرانيت موضوعا بدوره داخل صفحة مستطيلة الشكل متسعة نوعا ومزخرفة من الداخل ومن الخارج برسوم تمثل الآلهة المكلفة بحراسة

المومياء . وقد رسم على طول الغطاء المققب صورة المتوفى متسماً بصفات أوزيريس ، بينما رسمت على غطاء التابوت من الداخل المعبودة نوت إلهة السماء تحوط بها القوارب ومجموعات . السكواكب وجسمها الاقيق الرشيق يمتد بضعة سنتمترات فوق تابوت الجرانيت الأسود . أما الملك فيتمتع بحمال المعبودة وهو محقق فيها دائماً بعينيهِ المصنوعتين من الحجر ، بينما تمنحه تلك المعبودة قلة الأبدية .. وبهذا تتحقق أهم التمنيات التي كان يرجوها كل مصري لحياته الأبدية ، وهي أن يصبح من سكان السماء سائحاً بين النجوم التي تجمل الراحة والسكواكب السيارة التي تجمل الهلاك . وقد نقشت عيون على جانب التابوت ، يستطيع أن يرى من خلالها إمارع أو أوزيريس وكذا الأبواب التي كان يعبرها كلما أراد الخروج من قصره أو العودة إليه . وبديهي أن الأثاث كان يختلف من ناحيتي النوع والفخامة طبقاً لمقدرة المتوفى . فكان أثاث توت عنخ آمون يفوق كل خيال أو تصور : أسرة للزينة وأسرة للراحة وأرائك وعربات ومراكب ودرايب وصناديق وخزائن ، ومقاعد ذات مساند ومقاعد عادية ومقاعد صغيرة ، وكافة أنواع الأسلحة وكافة أنواع العصي المعروفة في عصره ، وأدوات للزينة ولعب وأطباق وأدوات المائدة وأشياء خاصة بالعقيدة الدينية .

وبوصفه عضواً في مملكة أوزيريس ، كان على الملك أن يسكر فروض التقوى التي كان قد قام بها في حياته ، وكرب أسرة ومليك كان عليه أن يواصل استقبال أطفاله وأقاربه وأصدقائه ، ورعايا مملكته . وكان عليه أن يمدم بالطعام . وليتمكن من تحقيق هذه الفكرة ، كانت تعدله أطباق وأدوات برفرة . وكانت توضع جانبا ، فطع عديدة من أواني المائدة الملكية ، بقصد نقلها إلى المقبرة ، كما كانت تغطي الطيور أيضاً وقطع اللحوم والفاكهة والحبوب والمشروبات ، وعلى الجملة كل ما يؤكل ويشرب .

كان يستكمل التابوت بخزانة خشبية أو حجرية وبأربع أوان. تلك التي نسميها خطأ الأواني الكانوية . وكانت هذه الأواني معدة لتوضع فيها أعضاء الجسم الداخلية التي تنزع منه أثناء عملية التحنيط ، وكانت الأواني توضع تحت رعاية الآلهة الأربع والآلهات الأربع ، فأمست Amset أحد هذه الآلهة كان له رأس آدمي ، وحاني Hapi له رأس قرد يشبه السكلب .

ودوا موقوف Douamoutef له رأس ابن آوى وقبع سنوف Qebehsenouf له رأس صقر . فغطاء الإناء الأول كان يمثل رأسا آدميا . بينما كانت الثلاثة الأخرى تمثل إما رأس قرد أو ابن آوى أو صقر . وكان بعض المرهفين يظنون أن هذا غير كاف ولذلك كانت تصنع لهم تواييت صغيرة من الذهب أو الفضة ذات أغطية وأوعية تشبه التواييت الحقيقية . وكانت توضع فيها اللفائف الصغيرة المخلطة ثم توضع هذه التواييت الأربعة الصغيرة في أوان من المرمر .

إن حقول بالو balou التي كان أوزيريس مسيطرا عليها كانت بمثابة حديقة كانديد Candide ، تعد أجل بقعة في العالم ، ولكن كان يجب أن تمهد للزراعة كما تمهد أى أرض زراعية حقيقية ، فيجرى حرثها وبذرها ، واقتلاع حشائشها وحصدها . وصيانة قنوات الري بها وإجراء أعمال أخرى لا ندرك بالضبط مدى فائدتها: إذ كان يجب مثلا نقل الرمل من شاطئ نهر إلى الشاطئ الآخر وهذه الأعمال التي يعتبرها ما لك أرض أعمالا طبيعية وضرورية كانت بالعكس ، لا تطاق بالنسبة لأولئك الذين قضوا حياتهم في البطالة أو كانوا يمارسون مهنة أخرى غير مهنة الفلاحة .

لم يعتقد أى شعب بقدر ما اعتقد المهر يون بأن التماثيل سواء التي تمثل أشياء أو

أحياء كان لها إلى حد كبير قوة فعالة وخواص الشيء الذى تمثله ، وبذلك يكون قد وجد الدواء تماما . كان يكفى أن تصنع تماثيل ليـكون فى إمكانها أن تقوم بعمل المتوفى نفسه . وكانت هذه التماثيل تصنع من الخرف المطفى ، وبعض الأحيان من البرونز ، وكانت على شكل مومياء . وفى بعض الأحيان كان الوجه يشبه وجه شخص بالذات . وإننا نعتقد بحق بأن المقصود فعلا كان تصوير شخص بالذات . وإذا لم يقصد من التمثال الشبه التام فإن الغرض من صنعه قد يصل إليه الإنسان على أى الحالات بالكتابة المنقوشة عليه أو فوق قاعدته على الأقل ، وذلك بذكر اسم ولقب الشخصية المقصودة والى سيحل التمثال محلها . ارزيريس كبير كهنة آمون رع سونتير حورنختي Amonrasonter Hornekhti ، وكثيرا ما كان النص الذى ينقش على قاعدة التمثال يبين تماما الأعمال التى ينبغى للتمثال أن يؤديها . فقد كتب على قاعدة تمثال أو زيريس ، أيها التمثال إذا كان ارزيريس قد فودى عليه واستدعى وكلف بالقيام بكل الأعمال التى يجب أن تعمل هنا ، فى الجبانة ، كما يقوم الإنسان بعمل ما يخصه لاستغلال حقوله ورى أراضيه ونقل الرمل من الشرق إلى الغرب ومن الغرب إلى الشرق ، واقتلاع الحشائش الضارة كما يعمل الإنسان تماما فى أموره الخاصة ، فما عليك إلا أن تقول : هأنذا أفعل ، .

وعندما اندفع المصريون نحو هذا الانجاء ، ضاعفوا من صناعة هذه التماثيل ليتلافوا إلى الأبد القيام بأعمال السخرة الثقيلة الوطأة . وكانوا يقومون بنقش الآلات والأجولة بين أيدي التماثيل أو على ظهورها ويضمون إلى العمال المكتبة والملاحظين إذ كان لا مفر من أن يوجد الموظف الذى تستدعى الضرورة وجوده بجوار كل فرقة من فرق العمال الزراعيين . وأخيرا صاروا يصنعون بالجملة كل أنواع الآلات والأشياء فى صورة مصغرة ويضعونها تحت

تصرف التماثيل الصغيرة . فكانوا يصنعون مثلاً ، النير ، للسقائين وحاملى الرمال وسلالا ومقاطف وفتوسا ومعاول إمامن البرونز وإمامن الخزف . وهذه الأدوات كان يكتب عليها اسم التماثيل التى كانت تخصها وذلك لتلافى سرقتها أو استخدامها فى أغراض غير التى قصدت منها أصلاً . (٢٨)

وقد أُرِحت هذه الفكرة إلى صناعة تماثيل صغيرة ، تصور نساء عاريات لوضعها فى خدمة المتوفى . فكان للملوك والأمراء محظيات فى حياتهم ولم يرغبوا فى فقد هذه العادة التى ألفوها فى العالم الآخر ، فقد وجدنا من هذه التماثيل فى مخدع بسوسنس . كان البعض منها يحمل اسماً ينتمى إلى أصل ملكى والبعض الآخر مجرد اسم امرأة . وإنما نشفق على هذا الملك لو أنه كان يختار محظياته فى حياته كما لو كان يختار عرائس يلمو بها . (٢٩)

كانت المومياة مغرمة بالزينة وبالحلى تماماً مثل الأحياء . وعلى كل حال فقد كانت المومياة تزين غالباً بالجواهر التى كان يستعملها المتوفى أثناء حياته ، وفى أغلب الأحيان كانت تصنع جواهر وحلى جديدة لهذه المناسبة . وهاك قائمة بما كان يلزم لمومياة ملك أو أحد كبار الشخصيات : (٣٠) القناع من ذهب إذا كان الملك أو للأمراء المقربين من أصل ملكى ومن الورق المقوى أو من المصيص المطلى إذا كان للأفراد . الجيد ويتسكون من لوحتين رقيقتين صلبتين من الذهب مغلفتين على شكل نسر مبسوط الجناحين .

قلادة واحدة أو أكثر من الذهب ، ومن الأحجار ومن الخرز المصنوع من الخزف مكون من عدة صفوف من الخرز أو قطع صغيرة ولها قفل واحد أو قفلان ، وتزود فى بعض الأحيان بدلاية من الذهب أو من الأحجار المتساوية الحجم من الخزف ، وبحلية للصدر واحدة أو أكثر من حلية ذات سلاسل . والشكل الذى كان يستعمل عادة هى الجعاورين المجنحة حاملة فى أجنحتها إيزيس ونفتيس وكان ينقش على ظهر الجعوران دعاء القلب

المشهور : « يا قلبي ، ويا قلب أمي ويا أيها القلب الذي لازمتني في جميع أطوار حياتي ، لا تقف لتشهد ضدي أمام القضاة ولا تجعل كفة الميزان تنقلب في غير مصلحتي أمام حارس الميزان اذ أنك الروح (الكا) التي في جسدي والإله خنوم الذي يحرص على أن تكون أعضاء جسمي سليمة ، لا تجعل اسمي تفوح منه رائحة كريهة ولا تسيء إلى سمعتي ولا تفتر على الكذب أمام الإله » .

جمارين أخرى بعضها ذات أجنحة والبعض الآخر ليس له أجنحة ، تحمل نقوشا وادكنها دون إطار . وقلوب من أحجار اللازورد ذات سلاسل نقش عليها اسم المتوفي .

أساور بعضها لين وبعضها صلب ، بعضها مفرغة وبعضها صلب للمعاصم والأذرع والأخفاف ولقصبه الأرجل . وحلقة للأصابع . أصابع الأيدي وأصابع الأقدام . وخواتم لكل الأصابع .

ونعال :

وتماثيل وتماثيل صغيرة للآلهة تعلق في رقبة الميت أو تشبك على حلية الصدر :

ولكن أنوب Anoup وتحوت Thot من الآلهة التي يتناط بها بنوع خاص مهمة حماية المتوفي ، وذلك للدور الذي يقوم به أثناء عملية وزن الأفعال وقد يختار غيرهما أحيانا . ولم يستخف بأمر الصقور أو النسور ذات الأجنحة المبسوطة ولا برؤوس الصلال ، إذ أن الصل هو الحارس للمزلاج الذي يحكم غلق أبواب مختلف أقسام العالم الآخر . كما لم يستخف بتماثيل أوزيريس وإيزيس ولا بالعين السليمة (ارچا) .

وكان ينبغي أن يضاف أيضا إلى كل هذه الزينات نماذج التماثيل المصغرة من عدة أشياء مثل العصي ، والصولجانات والأسلحة والشعارات الملكية أو الإلهية التي كان يحسن دائما أن تكون في متناول الأيدي .

ولم يكن أمرا هينا أن يقوم الانسان باختيار الأشياء وطلب صنع أشياء مختلفة ومعقدة إلى هذا الحد ، فإن ذلك يتطلب إنفاق أموال كثيرة وملاحظة تنفيذ صنع هذه الأشياء ومراقبة العمال للتأكد من حسن صنعها . إذ أن مستقبل الميث كان يتعلق إلى حد كبير بمدى العناية التي يبذلها لإعداد بيته الأبدى وأثاثه وحليه مهما ظن في هذا الصدد بعض المفكرين المسكتبيين ، إذ أن العالم الآخر ليس مكانا للراحة والهدوء فحسب بل انه مليء بالمكائد التي لا يمكن التخلص منها إلا إذا اتخذت في هذا الشأن الاحتياطات الكافية تماما .

٤ - واجبات طاهن القربى

كان المصري الطاعن في السن يعرف كيف يشيد بيت المستقبل ، بيت الأبدية . وكان يقوم بزخرفته وفقا لذوقه وامكانياته وعمد إلى النجارين وصانعي العربات بصنع مختلف أنواع الاثاث . ثم حصل من الصائغ على الحلوى وعلى مجموعة وافرة من التعاويذ والتalismans . ويبدو أنه لم يعد ينقصه شيء من الضروريات التي يحتاج إليها في العالم الآخر ، ومع ذلك فلم يكن راضيا بنفسه ، إذ كان يعتقد أنه لم ينل كل ما يصبو إليه ، ويجب على ذريته أن يعنوا بأمره بأمانة وتقوى ولا يسكني أن يؤدوا واجباتهم الأخيرة نحوه بنقله في احتفال لائق إلى مقر إقامته الجديدة فحسب بل يجب عليهم أن يعنوا بروحه مستقبلا من جيل إلى جيل .

قال أحد نبلاء المصريين : « لقد عهدت بوظائفي لابني خلال حياته - حررت له وصية بالإضافة إلى الوصية التي حررها لي والدي. وأقيم بيتي فوق أساساته وحقلّي ظل في مكانه وبيتى ثابت الأركان وكل ما أمتلك باق في مكانه فابني هو الذي سيجعل قلبي يحيا على هذه اللوحة التذكارية . سيعمل من أجلى . . ويكون وريثا وابنا صالحا ، وكانت العقيدة السائدة أن الابن يحى اسم الأب والأجداد ، وكان ذلك يذكر دائما في النصوص الجنائزية . فكان حابي جفای Hapi-Djefai حاكم أسيوط قد عين نجله كاهنا لروحه . ويوازى هذا التعبير ، ما ندر عنه بعبارة ، منفذ الوصية ، . فالأموال التي قد يتسلمها الابن بهذه الصفة هي أموال ممتازة يجب أن تقسم بين الأولاد الآخرين بل والابن نفسه لا ينبغي له أن يوزعها على أولاده ، فعليه أن يسلمها كاملة لواحد من أولاده يعينه ليتولى الإشراف على مقبرة الجد وملاحظة المراسيم الدينية التي تؤدي لإحياء ذكراه . كما يجب أن يشترك هو شخصيا في أداء هذه المراسيم . (٢١)

كانت هذه الحفلات تقام بنوع خاص ، بمناسبة عيد رأس السنة وعيد أوجا الذي كان يحتفى به ثمانية عشر يوماً بعد عيد رأس السنة في المقبرة وفي معبد أوب واوات سيد إقليم أسيوط وفي معبد أنوب سيد الجبانة أيضاً وكان كهنة أوب واوات يذهبون إلى معبد أنوب قبل رأس السنة بخمسة أيام ، ويضع كل منهم رغيفاً للتمثال الموجود بالمعبد . . وفي اليوم السابق لعيد رأس السنة يعطى أحد موظفي معبد أوب واوات إلى كاهن القرين شمعة سبق أن استعملت في المعبد ويقوم كبير كهنة معبد أنوب بعمل مماثل فيسلم شمعة سبق أن ساعدت في إنارة معبد أنوب لشخص يسمى رئيس موظفي الجبانة الذي يذهب بها إلى المقبرة

بمصاحبة حراس الجبل حيث يقابلون هناك كاهن القرين ، ويعطونه هذه الشمعة .

وفي يوم رأس السنة يقدم كل من كهنة أوب واوات رغيفاً من الحبز لتمثال حابي جفأى عندما تنتهى إنارة المعبد . ثم يصفطون خلف كاهن القرين ويحتفلون بذكره . ويقوم كذلك من جانبهم كل من رئيس الجبانة والحراس بإعطاء رغيف وبيرة وهم يحتفلون باحتفال مماثل ، وفي مساء يوم رأس السنة يقوم موظفو معبد أوب واوات الذين سبق أن أعطوا شمع عشية الأمس بتقديم شمعة ثانية . ويقوم كبير كهنة أنوب بدوره بمثل هذا العمل وتستخدم الشموع التى قد بوركمت لأنها سبق أن استخدمت فى المعابد لإنارة تماثيل المتوفى ، كما كان الأمر فى الليلة السابقة .

وقد تكرر إقامة هذه الحفلات بأكلمها تقريباً بمناسبة عيد أواجا Ouga وفي معبد أوب واوات يعطى كل الكهنة رغيفاً أبيض للتمثال . ثم يكونون موكباً خلف كاهن القرين لتمجيد حابي جفأى . ثم تضاء شمعة ثالثة طول الليل أمام التمثال .. ثم يتجه موكب كهنة نحو أنوب الدرج التذكارى الضخم الذى يؤدى إلى مقبرته وهم يرتلون أناشيد لتمجيده . ويضع كل منهم رغيفاً أمام التمثال الموجود فى هذا المكان ، وتضاء له الشموع مرة أخرى .

أما الكاهن الذى يؤدى مراسم الخدمة الدينية ، فعندما ينتهى منها يقدم خبزاً ورجعة لنفس هذا التمثال . ويقوم شخص آخر وهو رئيس الجبل فيضع أرغفة وجرار الجمعة بين أيدي كاهن القرين لتخصص للتمثال .

ويزعم حابي جفأى بأنه لم يترك فى عالم الفسيان فى أعياد أوائل الفصول

التي وإن كانت أقل زوعة من عيد رأس السنة إلا أنها لها شأنها وأهميتها . .
 ففي هذه المناسبات كان رئيس الجماعة يجتمع بحراس الجبل بجوار حديقته
 الجنائزية ثم يأخذون التمثال الموجود بها ويذهبون به إلى معبد أروب . وإليك
 الآن قراره الأخير . فمنذ أن كان حابي جفأى رئيسا للكهنة أوب
 واوات كان يقسم كل يوم من أيام الأعياد ، ونعلم أنها كانت عديدة ، كمية
 من اللحوم والجمعة . فهو يأمر الآن بأن تجلب بعد وفاته هذه اللحوم والجمعة
 إلى تمثاله ، وذلك تحت إشراف كاهن القرين ولم تكن هذه الخدمات تؤدي
 بالمجان . فكان حابي جفأى يؤدي أجر هذه الخدمات بأن يتنازل عن المزايا
 المالية التي كان يتمتع بها إما لأنه محافظ الأقاليم وأما بصفة رئيس كهنة أوب
 واوات . . كأنه قد شغل أذن في أنانية شديدة مستقبل هذه الوظائف وقلل
 من دخله إذ يجب على وارثه أن يدفع سنويا قيمة إيراد سبعة وعشرين يوما
 من دخل المعبد . ودخل يوم في المعبد يتمثل في قيمة جزء من ٣٦٥ جزء
 من الإيراد السنوي للمعبد . ومعبد أروب - واوات لم يكن ، دون شك ،
 إلا محرابا أقليمياً ، وعلى ذلك فقد كان إيراده كبيرا وكان على الورثة أن
 يتنازلوا لصالح خدم المعبد بما يوازي تقريبا عن قيمة ١١ من إيرادات أوب
 واوات وبذلك يضطرون إلى خفض ما ينفقون على أنفسهم وخاصة أن رأس المال
 ذاته يكون قد خفض بسبب هبة مساحة كبيرة من الأراضي . وعلى هذا الأساس
 تكاد تكون تكاليف صيانة المقبرة نفسها أكثر من تكاليف تشييدها ، وكانت
 مصر كلها تنوء تحت أثقال وضعها هي نفسها فوق أكتافها . وكان حابي جفأى
 ثابتا في رأيه ، لا يتزعزع ، وقد أبدى ملاحظة تتضمن أن الانقافات التي
 أبرمت بين أمير مثله وبين الكهنة المعاصرين له ليس من حق الأفراد
 اللاحقين بأن يجرروا فيها أي تعديل . وفي الواقع كانت الأبنية الجنائزية مهما
 كانت قوية البنيان ومهما كانت حصانة المؤسسات يزول أثرها بعد جيل

أو جيلين مهما أحاطها مؤسوها من ضمانات . أو بعبارة أدق كانت إرادات هذه المؤسسات تؤول لصالح الموتى الحديثين (٢٢) وقد رأينا ملوكا وبعض الخاصة يؤمنون أنهم يؤدون عملا صالحا عندما يقومون بترميم الأبنية الجنائزية ويزودون أطعمة موائد القرابين . ولكن الكثير من هذه المنشآت قد انهارت نهائيا خلال الحرب ضد الكفار . وقد أصبحت مصر في أعقاب تلك الحرب وخلال الفوضى التي تبعتها في حالة انهيار أو على الأقل في حالة من الفقر فأصبحت عاجزة تماما عن الاهتمام بأمر الموتى القدماء .

٥ - التحنيط

لم يعد هناك شيء في هذه الأرض يحجب المصري البقاء ، بعد أن أخطره أوزيريس — وقد كان لدى المصري الوقت الكافي لإتمام بناء بيته الأبدى ، واتخاذ الترتيبات التي أوحى بها إليه عقيدته الدينية واحترامه لالتقاليد المتبعة . وفي اليوم الذي يعبر فيه إلى الشاطئ الآخر وهو التعبير الذي كان يستعمله المصريون ، لأنهم كانوا لا يحبون استعمال كلمة الموت .

كان أقاربه يظلون في حالة حداد مدة لا تقل عن سبعين يوما . فكانوا يرفضون كل عمل يتطلب مجهوداً ، ويلزمون البيوت ، ساكتين واجبن ، وإذا اضطروا إلى أن يخرجوا فقد كانوا يلطخون وجوههم بالطمي كما فعل أنوبيس Anepous عندما اعتبر أنه فقد أخاه الصغير ، وكانوا يلطمون باستمرار قمة رؤوسهم بأيديهم (٢٣) . وإنما كانت مهمة أخرى عاجلة تتطلب اهتمامهم وهي تسليم الجثة إلى المحنطين واختيار طريقة التحنيط . وكان التحنيط على ثلاثة أنواع كما ذكر هيرودوت ودiodور . فالتحنيط من الدرجة الأولى كان يتطلب

مزبدا من العناية ووقفا طويلا . . كان ينزع المخ من الحجمة كما كانت تنزع كافة الأعضاء الداخلية عدا القلب ، وكانت تعالج على حدة بمواد خاصة وتوزع إلى أربع ربطات توضع كل منها في أواني كانوب الأربعة وكان يستعاض بكمية من مواد التحنيط عن هذه الأعضاء التي انتزعت من الجسم ، بعد تنظيف الجسم مرتين . ثم يملح الجسم بالنظرون وهو إحدى المواد التي تتوافر بوادى النظرون والملاحات الموجودة في غرب الفيوم ، كما كان يوجد في منطقة السكاب نخب Nekheb . وكان المصريون يستخدمونه في مختلف الأعمال وخاصة في تنظيف بيوتهم . وفي نهاية مدة السبعين يوما ، كانت تغسل الجثة ثم تلف بأربطة مقصوفة من نسيج السكتان ومشبعة بالصمغ وكان هذا العمل يتطلب لإتمامه إلى مواد مختلفة لا يقل عددها عن خمسة عشر مادة منها : شمع النحل لتغطية الأذان والعيون وفتحة الأنف ، والفم والقطع الذي أجراه الجراح لفتح البطن ، وخيار شنبر والدارصيني وزيت خشب الأرز وهو في الحقيقة الزيت الناتج عن شجرة العرعر ، والصمغ والحنة وثمار العرعر والبصل ونبذ النخيل (عرق الملح) . وعدة أنواع من المواد الراتنجية ونشارة الخشب والزفت والقطران . وبدهي أن النظرون كان هو المادة الأساسية . وكانت تحلب بعض هذه المواد من الخارج وبصفة خاصة الزيت والقطران إذ كانا يستخرجان من شجر الصنوبر في لبنان ، لذلك عندما كانت تعطل السياحة بحراً إلى جبيل ، ينتاب المحنطين وعمالهم الأثرياء السكابة والحزن لاضطرارهم إلى اللجوء إلى مواد أخرى للاستعاضة بها عما ينقصهم . (٣١)

وعندما ينتهى هذا العمل ، يصبح الجسد هيكلًا عظميًا مكسواً بجلد أصفر اللون ، ولكن الوجه يظل محتفظاً بشكله الأصلي ، ويمكن التعرف عليه بالرغم من الحدود الغائرة والشفافة الدقيقة فبعد مرور عدة قرون ، يمكن اكتشاف

أن تصور عندما نرى مومياة سیتی الأول Setou I كيف كانت ملامح هذا الملك العظيم وتعبير وجهه مما لا يتاح لكثير من الأجسام المحنطة .

ولقد حان الوقت لكساء المومياة وتزيينها بالحلى . وكانت تعلق العقود والقلائد والتمائم وتوضع الأساور والكفوف والخواتم والصدائل . ومكان الجرح الذى قام به الجراح الذى استخرج منه الأعضاء الداخلية كانت توضع فوقه صفحة سميكه من الذهب على شكل ورقة قد نقشت عليها عين أوجا وأحيانا كانت تلك العين ترصع فوق الصفحة الذهبية لأن خاصيتها شفاء الجروح ، كما توضع أربعة آلهة لحراسة الأواني السكافوية ثم توضع أيضا نسخة من كتاب الموتى بين ساقى الجسد ، لأنه المرشد الذى لا غنى عنه فى الآخرة . وبعد ذلك يلف الجسد بأكله والأعضاء بلفائف من الكتان . ثم يوضع القناع على الوجه وكان ذلك القناع مصنوعا من القماش ومن خليط المرمر المسحوق والجير لعامة الناس . أما قناع الملوك وبعض الشخصيات الكبيرة فكان يصنع من الذهب وكان يربط بخيوط إلى ثياب من خرز . (٣٥) ثم تلف الجثة أخيرا بأكلها بكفن يثبت بوساطة شرائط متوازية . وبدلاً من هذا الكفن كانت مومياة شيشنق التى وجدت فى تانيس فى القاعة الداخلية لمقبرة پسوسنس ذات غطاء من الورق المقوى - رسمت عليه بطريقة ارتجالية استخدمت فيها وريقات ذهبية ولوحات دقيقة جداً من القيشاني الأزرق أشكال الزخارف المنقوشة أو التابوت الفضى . (٣٦) وكانت تمثلها إلى حد ما . ولو أتيح خلال اجراء هذه الأعمال السالفة ، لانهجارين وصانعى العربات والسلاح وغيرهم من الصانع المتخصصين الذين اشتركوا فى انجاز المهمة الخاصة بالآثاث الجنائزى بالفراغ من عملهم فى همة ونشاط كان من الممكن

(م ٢٨ - الحياة فى مصر)

الشروع في وضع الجثة في التابوت وإجراء مراسم الدفن بعد وفاة الميت
إشهرين ونصف الشهر .

٦ - الدفنه وفكوبن موكب الجنائز

كانت طريقة الدفن لدى المصريين مثيرة ومفجعة في آن واحد (٢٧) .

فكان أهل الميت لا يخشون أن يتظاهروا أمام الجميع بالبكاء والإفراط
في أداء الحركات التي تعبر عن حزنهم العميق طيلة سير الموكب . وقد كان
أهل الميت يخشون ألا يعبروا عن حزنهم تعبيرا كافيا فكانوا يستأجرون
التدابين والتنجحات ، الذين لا يكون إطلاقا ولا يكفون عن الصراخ
والعويل . وكانت النساء تلطم رؤوسهن بأيديهن ، بينما كانت وجوهن ملطخة
بالطين وصدورهن عارية وثيابهن ممزقة . أما الأفراد وأكثرهم رزانة
أولئك الذين اشتركوا في هذا الموكب فلا يؤدون حركات بمغالة كهذه
واسكنهم كانوا يذكررون أثناء سيرهم فضائل الميت . قائلين على سبيل المثال :
« ما أجمل ما يأنيه .. لقد كان يملأ قلب خنسو إلى حد أنه تمكن من أن
يصل إلى الغرب برفقة أجيال وأجيال من أتباعه وخدمه » . (٢٨) أما ما يلي
هذا القطاع من الموكب فكان بمثابة موكب نقل أثاث تماما (٢٩) . فكانت فرقة
أولى من الخدم تحمل الفطائر وباقات الزهور وجرارا من الفخار وأوان
من الحجر وصناديق معلقة على حاقي نير وهي تحتوي على التماثيل الصغيرة
« الشوابتي » وملحقاتها . وفرقة أخرى أكثر عددا من الأولى كانت تحمل
الأثاث العادي وهو عبارة عن مقاعد وأسرة وخزائن وأصوثة دون أن
تهمل العربية ، أما الأمتعة الخاصة والصناديق التي تحوى الأواني السكونية ،
والعصى ، والصولجانات والتماثيل والشماسي ، فكانت تكلف فرقة ثالثة

بحملها . وأما الجواهر والقلائد والصقور والذئور ذات الأجنحة المبسوطة والطيور ذات الرأس الآدمى وأشياء أخرى قيمة فقد كانت تعرض على صوان وتحمل جهارا . كما لو كانوا لا يخشون بطش هؤلاء الدهماء العديدين الذين كانوا يشاهدون مرور الموكب . وكان التابوت يوضع داخل نعش مزين نجده بقرتان وبعض الرجال . ويتكون هذا النعش من ألواح من الخشب ذات إطارات غير مثبتة أو من هيكل خشبي تتدلى منه ستائر من قماش مطرز أو من الجلد ، وكان يوضع في قارب تحيط به تماثيل أيزيس ونفتيس أما القارب نفسه فكان يوضع بدوره فوق زحافة .

٧ - عبور النيل

كان الموكب يسير ببطء حتى يصل إلى شاطئ النيل . حيث كان في انتظاره أسطول صغير من القوارب (١٠) وأما القارب الرئيسى فكانت مقدمته ومؤخرته مقوستين في رشاقة إلى الداخل ، وتنتهيان في شكل بحمرعات من نبات البردى . وبه غرفة كبيرة مبطنة من الداخل بأقشة مطرزة وسيور من الجلد . وفي هذه الغرفة كان يوضع النعش ، ومعه تماثيل أيزيس ونفتيس ، ويقوم كاهن بحرق البخور وهو يغطي كتفيه بجلد فهد ، بينما تواصل النائحات اللطم على رؤوسهن . ويقتصر عدد نوتية هذا القارب على بحار واحد ، يتحسس عمق الماء بمدى طويل ، إذ أن القارب الذي يحمل التابوت كان يحمره مركب أخرى ذات عدد كبير من النوتية بقيادة قبطان يقف في مقدمة المركب يعاونه نوتى يتحكم في الدفة في مؤخرة المركب . وهذه المركب القاطرة تحتوى على حجرة واسعة تجتمع النائحات فوق سطحها

متجهمات نحو النعش وقد كشفن عن صدورهن وبواصلن الصراخ وباتن
بمركات تم عن الحزن الشديد ، وهاك بعض ما يقلنه في نديهن ، لنذهب
سريعا نحو الغرب . . إلى أرض الحقيقة . إن نساء القارب يمكن كثيرا
وكثيرا جدا . . مع السلامة . . مع السلامة أيها الممدوح يا جميل الصفات .
اذهب بالسلامة نحو الغرب . اذهب بالسلامة أيها الممدوح . وإذا شاء
الإله فسراكم أنتم الذين تسرون نحو هذه الأرض التي يتساوى فيها الناس . .
متى حان الموعد الذي يحل فيه يوم الأبدية .

ولكن ما شأن أهل جيبيل كبنيت Krbenit هنا وهي مركب معدة للسفر
في أعلى البحار ، بينما المركب الخاصة بالنعش لم تصنع إلا لتعبر النيل
فقط ؟ على أنه يوجد بينهما تشابه كبير ، إذ عندما تمكنت أيزيس من أن
تسرد الشجرة المقدسة التي كانت تحوى جسد زوجها أوزيرس حملتها فوق
مركب كانت متأهبة للإقلاع متجهة نحو مصر وهناك احتضنتها وأخذت
تروها بدموعها وهكذا تفعل سيدات الأمر تعبيراً عن حزنهن فوق القارب
أثناء عبور النيل .

وكانت تستعمل أربع سفن أخرى لنقل أولئك الذين كانوا يرغبون
في مصاحبة المتوفى حتى مثواه الأخير ، وتوضع فيها أيضا كافة الأثاث
الجنائزى . أما من لم يكن يرغب في الذهاب بعيدا فكانوا يكون على الشاطئ
ويوجهون إلى صديقهم ، تمنياتهم الأخيرة : « لعلك تبلغ بسلام غرب
طبيه ، أو كانوا يقولون أحيانا : « إلى الغرب . . إلى الغرب ، أرض الأبرار ،
إن المكان الذي كنت تحبه يتفجع أسى وحسرة عليك ! ، . .

وقد أتت اللحظة التي ترفع فيها المرأة النكلى صوتها الناحب :

« يا أخى .. يا زوجى .. يا حبيبى .. ابقى .. استقر فى مكانك ولا
تبتعد عن المكان الذى تسكنه . واحسرتاه إناك تذهب لتعبر النيل ، أبها
النوتية لا تتمجلوا .. اتركوه .. إنكم ستعودون إلى بيوتكم بينما هو ذاهب
إلى أقطار الأبدية .. »

٨ — الصعود إلى طغفرة

إن الاستعدادات على الشاطئ الآخر كلها معدة لمقابلة الموكب (٤١) فالناس
قد تجمعوا وأقيمت حوائط صغيرة تحوى مجموعة وافرة من الأدوات
الخاصة بالمراسيم الجنائزية لأولئك الذين لم يكونوا قد أنشأوا معهم بما يسكنى
منها . وقد أمسك أحد الرجال بمقدمة المركب الأولى وسرعان ما ينزلون
الركاب والنعمش والأثاث جميعه إلى الشاطئ . ولا يلبث أن ينتظم الموكب
مرة أخرى بنفس الترتيب السابق تقريباً ولكن بعدد أقل من المعزين
حين غادروا مسكن المتوفى .

فيجر زوج من البقر الزحافة التى تحمل مركباً من طراز عتيق ، وأخذت
كل من أيزيس ونفتيس مكانهما ، وكان السائقون يحمل كل منهم سوطاً ،
ويسير بجوارهم الرجل الذى يحمل لفافة البردى أما نساء الأسرة والأطفال
والتدابيات فيسرن أينما وجدن مكاناً فى الموكب . وأحياناً تحرك إحدى
النساء الصاجات . أما زملاء الفقيد فيسيرون فى تأثر عميق بانتظام ووقار شديد ،
والعصى فى أيديهم ، يتبعهم المحالون وهم يواصلون الحديث عن صديقهم الفقيد
وميو له ويستعيدون ذكرياتهم معه ويبدون ملاحظاتهم عن الآجال وضررات
القدر وعن عدم الاطمئنان إلى دوام الحياة وقصر مدتها وعندما يمر الموكب
أمام منازل بنيت بأعواد ، ترى جماعة من الناس يقفون على مقربة منها وهم

يلوحون بأيديهم بمواقد . مشتعلة وبعد أن يجتاز الموكب منطقة الأراضى الزراعية يسير قليلاً حتى يصل إلى سفح الجبل اللبى إذ تبدأ الأرض ترتفع رويداً رويداً ويبدو الطريق شاقاً وهرا فتحل البقرتان ويمجر نفر من الرجال الزحافة وعليها النعش وعند الضرورة يرفعون النعش على أكتافهم ، يتقدمهم السكاهن وهو لا يكف عن رش الميساء المقدسة من أبريقه بينما يبقى ذراعه ممدوداً مسكاً المبخرة المشتعلة الموجهة نحو النعش . وفى هذه اللحظة فإن حاتحور تخرج من الجبل على هيئة بقرة مخترة طريقتها بين آجام أوراق البردى الذى نما بمعجزة فوق الصخور الجرداء لتستقبل القادمين الجدد .

٩ - وراعاً أبئرها المومياء

وفى مشقة كبيرة ، يصل الموكب إلى القبر (١٢) وقد أقيمت هناك أيضاً حوانيت صغيرة بعد فيها بعض الناس مواقف ذات مقابض ويملاون أرباباً كبيرة بالماء لتبريدها ، ومعبودة الغرب حاضرة بجوار اللوحة التذكارية ، وهى وإن كانت محتفية من الأنظار إلا أنها ترى على هيئة صقر يقف فوق مجثم ويرفع التابوت من النعش ثم يوضع ملاصقاً اللوحة التذكارية . وتجلس امرأة القرفصاء بجواره وهى تحتضنه بشدة ويضع أحد الرجال فوق رأس المومياء قعاً معطراً يشبه ذلك الذى كان يوضع فوق رؤوس المدعوين فى حفلات الاستقبال والناحيات والأطفال وأفراد الأسرة يلطمون رؤوسهم فى عنف شديد يفوق ما كانوا يفعلونه عند بدء تشييع الجنازة . أما السكينة فكان عليهم أن يؤدوا مهمة خطيرة كان من واجهم أن يعدوا مائدة بما عليها من مواد غذائية من خبز وأباريق ملئت بالجمعة . وكان عليهم أيضاً أن يضعوا أدوات غريبة مثل قادوم وسكين مقوس على هيئة ريشة نعام ونموذج لفخذ عاجل ولوحة منتهية بطرفين مستديرين . وهذه الأدوات سوف يستخدمها السكاهن

لإبطال مفعول التحنيط حتى يستطیع المتوفى أن يسترد استعمال أطرافه وجميع أعضائه: إنه سيبصر من جديد . وسيفتح فيه ليتكلم ويأكل . وسوف يمكنه من تحريك ذراعيه وساقيه .

وقد حان وقت الفراق . وتتضاعف إمارات الحزن . فتقول الزوجة:
«إني زوجتك يا مريت رع - لا تتركني أيها العظيم ، هل في نيتك أن
أبتعد عنك ؟ إذا انصرفت عنك فستبقى وحيداً . هل سيرافقك أحد
ويتبعك ؟ لقد كنت تحب المزاح معي والآن أصبحت تسكت ولا تتكلم ؟»
وعلى أثر هذا يأتي صدى أصوات النساء قائلات بالانحراب .. وبالداهية !
.. لا تكفوا .. لا تكفوا .. لا تكفوا عن النواح لقد رحل الراعي
الطيب إلى الأبدية . وقد ابتعدت عنك حشود الناس فأنت الآن في البلد
الذي يحب العزلة . أنت الذي كنت تحب السير على قدميك تقيدك الآن
اللفائف والأكفان . أنت الذي تمتلك أفضل وأتمن الثياب ، أصبحت تنام
الآن في لفائف الأوس* !

ولا يبقى بعد ذلك إلا إزال التابوت والأثاث الجنائزي كله وترتيبه
داخل القبر (١٣) . لقد أصبح النعش فارغاً . فيأخذه الكهنة ، الذين كانوا قد
استأجروه ليشيعوا به هذه الجنازة ، ويعودون به إلى المدينة حيث كان في
انتظاره عملاء آخرون .

يوضع التابوت المصنوع على هيئة مومياء في تابوت آخر من الحجر
على هيئة حوض مستطيل الشكل أعد من قبل ونحت ونقشت عليه النصوص
ووضع في مكانه منذ مدة طويلة . ثم توضع حوله عدة أشياء مثل العصي
والأسلحة والتمائم في بعض الأحيان ، ويفعل بعد ذلك بغطائه الحجري

* تنام عليك خرق بالية .

لقد تم إعداد القبر تماماً ولم يبق على السكاهن وأعوانه إلا أن يرحلوا . وكان البناء يسد الباب بجدار ، أما الأقارب والأصدقاء الذين رافقوا المتوفى حتى مقره الأبدى فإنهم لن يفترقوا ويعود كل منهم إلى منزله على الفور بل يبقوا ، إذ أن الانفعالات الشديدة قد جعلتهم يشتهون الطعام . فالحالون الذين كلفوا بنقل أشياء عديدة لاستعمال المتوفى ، كانوا قد حرصوا على أن يتزودوا ببعض المؤن للأحياء . وعلى ذلك كانوا يجتمعون إما داخل المقبرة أو في الفناء الذى يؤدى إليها . وإما فى أحد الأكشاك المبنية بالأعواد على بعد قليل من المقبرة (١٥) . وكان لاعب القيثارة يدير وجهه نحو المكان الذى ترقد فيه المومياء ويبدأ بتواشيح يصحبها بأغان تذكر بأنه بفضل ما قاموا بعمله لأجل المتوفى فإنه لابد من أن يكون فى حالة طيبة جداً : «أنتك تتأشدرع ، وخبر هو الذى يسمع ، ونوم Toum هو الذى يجيبك ، وسيد السكون الأعلى يحقق ماتشنيه - ورياح الغرب نهب مباشرة نحوك حتى تلبس أنفك ، ورياح الجنوب تتحول من أجلك إلى رياح شمالية إنهم يوجهون فك نحو ضرع البقرة حيسات Heat . متصمخ طاهر ألتشاهد الشمس . وتغسل فى الحوض المقدس . وكل أعضائك فى حالة جيدة . وتظهر براءتك أمام رع وتكون دائم الخلود أمام أوزيريس وتسلم القرابين فى ظروف مواتية . وتاكل كما كنت تأكل على الأرض ويكون قلبك مطمئناً فى الجبابة . وتصل إلى الأبدية فى سلام . ويقول لك آلهة دوات Douat : تعال إلى روحك - كا Ka - فى اطمئنان كبير ، وكل البشر الموجودين فى العالم الآخر ، فإنهم رهن تصرفك . وأنت مدعو لتبليغ الشكاوى للسكان الأكبر . إنك تسن القانون يا أوزيريس جانفر Osiris Tja-nefer المبرور . (١٦)

الثقيل وتوضع الأواني الكانوية بجانب الثابوت ، داخل صندوق خاص وكذا الخزائن والصناديق وبقية الأثاث بأكمله . وحذار أن يفسى ما سيكون من أهم الأشياء فائدة المتوفى وهى المواد الغذائية والتي تعبر عنها بعبارة «الأوزيربات النابتة» ، وهى عبارة عن إطارات من الخشب على شكل أوزيريس «محظا» وبداخلها كيس من القماش الخشن . كان يملأ هذا الكيس بمخلوط من الشعير والرمل ، يسقى بانتظام لمدة عدة أيام فكان يذبت الشعير وينمو كثيفاً قوياً وعندما يصل طوله حوالى اثنى عشر أو خمسة عشر سنتيمتراً كان يجفف ثم تلف الأعواد بما فيها فى قطعة من القماش .

وكانوا يأملون بهذا العمل حث المتوفى على العودة إلى الحياة إذ أن أوزيريس قد نما بهذه الطريقة وقت بعثه من بين الأموات . وفى العصور السابقة كانوا يحصلون على نفس هذه النتيجة بوضع جرار مكونة من قطعتين داخل المقبرة فالقطعة الأولى الداخلية تحتوى على كمية من الماء والقطعة الأخرى الخارجية كانت ذات ثقب توضع بها بصلة من نبات اللوتس فتنبت الجذور من النبات وتتخلل الثقوب وتصل إلى الماء وتنبت منه سيقان من عنق الجرة الوحيد أو الثلاث فتحات ويزدهر ، وكانت هذه العادة شائعة الانتشار فى عهد الدولة الوسطى ، ولكنها تركت ، منذ أن اتبعت طريقة «الأوزيربات النابتة» . فاللوتس هو نبات رع Ra وكان هذا انتصار جديد لعبادة أوزيريس على العبادة القديمة وهى عبادة الشمس . (١١)

وإكراما للأب المقدس نفر حتب Nefrhotep يقوم طازف آخر
فيعزف على القيثارة ألحانا أشد حزناً وحسرة (١٧). لن ينسى أن للبيت مكانة
بمتازة حقاً . فكم من مقابر انهارت واندثرت قرايينها ، وتلوث خبزها
بالتراب . ولكن ، جدران مقبرتك أنت محكمة البنيان فقد غرست
الأشجار حول مستنقعك . وروحك البا Ba تبقى في ظلها ترتوى من مياهها ،
وقد تراهى له أن الفرصة سانحة تماماً ليتفلسف قليلاً : ولقد تستسلم الأجساد
وتذهب إليها منذ عهد الآلهة ويحل مكانها الجيل الجديد . وطالما أن رع
يشرق كل صباح ويغرب توم Tounم في الغرب ، فإن الرجال يتكاثرون
والنساء يلدن وكل الأنوف تستنشق الهواء . ولكن كل من يولد يأوى يوماً
إلى مكانه ، ولذلك يجب التمتع بالحياة ، ومن العجب أن العازف يوجه هذه
النصيحة إلى من كان راقداً في تابوته ، بينما يتصور الحاضرون أنهم هم
المقصودون بها وهم يلهمون في شهية الطعام والشراب ويعودون إلى مدينتهم
وهم ينعمون بانتعاش كبير ، بل يكونون أكثر انشراحاً عما كانوا عليه قبل
ذهابهم إلى المقبرة .

على هذا النحو كان يحتفل بتشجيع جنازة مصرى ثرى ، ولا داعى للقول
بأنه لم يكن يعمل مثل هذا الاحتفال للطبقات الصغيرة . فالقائم بعملية
التحنيط لم يكن يعبأ بفتح البطن واستخراج الأحشاء منه بل كان يكتفى بحرقه
في مؤخرته بسائل دهني مستخرج من ثمرة العرعر ، وإشباع الجسد بملح
النطرون . أما من كانوا أشد فقراً فكان يستعاض بزيت العرعر بمظهر آخر
أرخص منه ثمناً . وبعد إعداد المومياء بمثل هذه الطريقة ، كانت توضع في
تابوت وتحمل إلى مقبرة قديمة مهجورة ، وأصبحت تستعمل حالياً كمقبرة
عامة . وكانت ترص فيها التوابيت فوق بعضها إلى أن تصل إلى السقف
وعلى أية حال فلم تكن المومياء تجرد تماماً من كل ما هو لازم لها في العالم

الآخر، إذ كان يوضع داخل التابوت بعض أدوات وصنادل من البردى
المجدول وخواتم من البرونز أو من الخنزف وأساور وتماثم وجعارين وتميمة
أوجا Oudja (تميمة العين السليمة) وتماثيل صغيرة للمعبودات من الخنزف
المطلى أيضاً. وكان ثمة أناس أشد فقراً فلم يكن لهؤلاء إلا أن يوضعوا في
إحدى المقابر العامة وكان يوجد في طيبة جبانة خاصة بالفقراء في وسط
جبانة الأثرياء في العساسيف. ويلقى فيها بالموميات وهي ملفوفة في قماش خشن
من السكتان، ثم تغطى بقليل من الرمال، وسرعان ما تلقى فوقها مومياء
أخرى (١٨). وما أسعد من كان من بين هؤلاء الفقراء يذكر اسمه أو ينتش
منظره في مقبرة وزير أو أحد أبناء حكام بلاد النوبة لأنه كان يواصل
القيام بخدمة سيده في العالم الآخر كما كان يفعل في حياته في الدنيا.

ولما كان كل عمل يستحق أجراً فسوف يعيش من ثمرة جهده وسوف
ينتفع إلى حد ما من المزايا والخيرات التي وعد بها المحظوظون الأغنياء،
لأنهم كانوا عادلين.

١١ — العلاقة بين الرهباء والوُمرات

إن الذين يصفون الأمنتيت Amentit بأنه مكان للراحة والسلام فأنهم
كانوا يكونون عنه فكرة ساذجة جداً وجميلة جداً. ولقد كان الميت
كثير الشكوك والظنون عديم الثقة. ميالاً إلى الانتقام كان يخشى اللصوص
الذين يجذبهم الذهب والفضة المودعان في القبر، كما كان يخشى اعتداء المارين
العديدين، بل كان يخشى أيضاً عدم اكتراثهم به وهم الذين كانوا يغامرون
بالانتقال بين أرجاء جبانة المدينة الواسعة في الغرب، كما كان يرتاب في الموظفين
المنوط بهم صيانة الجبانة. ولذلك فمن كان لا يقوم منهم بأداء واجبه في جد
وإخلاص كان الميت يهددهم بأشد العقوبات: وسوف يسلمهم إلى نار الملك

في يوم غضبه . . . وسوف يغرقون في البحار التي ستبتلع أجسادهم . ولن ينالهم شرف التكريم الذي يمنح لأفاضل الناس . ولن يستطيعوا ازدراد القرايين المعدة للرقى . ولن يسكب أحد عليهم المياه المقدسة من النهر الممتلئ بالماء . ولن يتقلد أولادهم وظائفهم . وتفتك حرمان نسايتهم على مرأى منهم ولن يسمعوا أقوال الملك في يوم سعدده ، حيث يكون مبتهجا . أما إذا كانوا يحسنون القيام على المنشأة الجنائزية ، فيسبقتهم كل ما هو خير . . . وسيمن عليهم آمون رع سونتيير Amonrasontier بحياة طويلة مستقرة . وسوف يكافئكم الملك الذي يحكم في عصركم على طريقته .

وسوف تمنحون وظائف عديدة فضلا عن وظائفكم . وتسلمونها من ولد إلى ولد ومن وارث إلى وارث ، وسوف يدفنون في الجبابة بعد أن تتجاوز أعمارهم مائة وعشر سنوات . وستضاعف لهم القرايين . (٤٩)

ومن جانب آخر فقد كان يوجد أيضاً موتى أشرار ، فبعضهم كان السبب فيه إلى حد كبير أبناءهم الذين أهملوا شأنهم ولكن الكثيرين منهم كانوا يميلون بطبعهم إلى عمل الشرودن أدنى سبب أو مبرر سوى أنهم كانوا يميلون إلى الشر وكان ينبغي للآلهة أن يمنعهم عن الأذى ولكنهم كانوا يضللون المراقبة والحراسة عليهم وكانوا يتركون مقابرهم ويزعجون الأحياء (٥٠) وأغلب الأمراض التي كان يعانيها الأحياء كانت تعزى إلى حزن الأموات الأشرار ذكوراً أو إناثاً . وكانت الأم تخشى بأسهم على طفلها ، وتقول : إذا كنت جئت لتعاين هذا الطفل فإنى لا أسمح لك بأن تعاينه ، أما إذا كنت قد جئت لتهدئته هذا الطفل فإنى لا أسمح لك بأن تهدئه ، وإذا كنت جئت لكي تمضى به فإنى لا أسمح لك بأن تأخذه منى . (٥١)

وكان المصريون يترددون كثيراً على المساكن الأبدية وذلك إما بدافع

الرهبة أو بدافع التقوى . فسكان أهل الميت أبواه والأطفال والأرامل يصعدون إلى التل ويحضرهم معهم بعض الأطعمة وقليلًا من الماء ليضعوها فوق مائدة القرايين بجوار اللوحة التذكارية ، أو بين شجر النخيل الذى يظلل فناء المدخل ثم يرتلون الصلوات تلبية لرغبة المتوفين فيقولون : « أوف من أرغفة الخبز وجرار من الجمعة وثيران وطيور وشحوم ودهون وبحور وأقمشة وحبال وكل ما يجلبه النيل من خيرات وما تنتجه الأرض وما يعيش منه الإله تقدمه لروح فلان .. المبرور المرحوم .. »

وكان هم شديد ، يعترى أحياناً من يبتهل على قبر شخص عزيز عليه ، وقد سبق أن ذكرنا اعتراف الزوج الذى لا لوم عليه ، والأرمل الوفي الأمين وإذا كنا نعرف فضائله ومزاياه العديدة فذلك لأن هذا المسكين قد أفرغته المحن العنيفة والتجارب ، فنذ أن فقد زوجته لم يوفق فى أى عمل ، فأقدم على تحرير رسالة طويلة لها ، وقد وصلنا نصها ، وبعد أن أوضح فيها كل ما كان قد فعله من عمل طيب خلال حياة الفقيدة وبعد وفاتها ، وقد عبر عن آلامه من أن يعامل بمثل هذه القسوة . « أى شرفهته حتى أصل إلى مثل هذه الحال التى أعانيها الآن ؟ وماذا جنيت حتى ترفعى يدك على بيننا لم أتسبب لك فى أى ضرر ؟ إني استشهد بآله الغرب بما ينطق به فى وبحكم بينك وبين كتابي هذا . (٥٢) »

وصاحب هذه الرسالة الذى عاش فى العصر الأول للرعامسة خضع لعادة قديمة مشبوتة لنا بصفة خاصة معروفة بأمثلة أقدم عهدا منها وكان هو الدليل أو البرهان على أن الناس كانوا يعتقدون دائماً بفائدتها ونتائجها الناجعة . وفى عهد الدولة الوسطى كان الناس يؤثرون أن يكتبوا للميت على الأواني

التي كانت تحوى الطعام المعد له ، وذلك ليسكونوا أكثر اطمئنانا إلى أن الرسالة سوف لا تمر دون أن يطلع عليها . ومن أمثلة هذه الرسائل تبليغ أحد الأجداد بأن هناك مكيدة الغرض منها حرمان حفيده من حقه في الميراث ، وبهم الميث أن يعترض على هذه المكيدة ، وعليه إذن أن يستدعى أعضاء أسرته وأصدقائه لمساندة من يراد سلب حقه إذ أن الابن عندما يؤسس منزله ، فإنه يؤسس بيت آبائه ويحيي اسمهم . فإذا فقد أمواله فإنه يجلب الشقاء والتعاسة لأسلافه كما يجلبها أيضا لذريته .

ومهما بلغت درجة تقوى المصريين نحو أمواتهم ، فإنها لم تكن تكفى لإرضاء جحافل من كانوا يرددون في الجبانات وما كان يفعله إنسان لو ألبس له أو لجدوده لا يستلزم منه أن يؤديه لأسلافه ، لأنه لا توجد تهديدات ولا لعنات يمكن أن تلزمه بذلك وقد أتى اليوم الذى تنبأ به عازف القيثارة ، وقد تنبأ به من قبل أحد حكماء العهد القديم حين تحدث قائلا : « إن أولئك الذين شيدوا هنا أبنية بحجر الجرانيت وأقاموا قاعة داخل الهرم .. تصبح موائد قرابينهم خالية من كل شيء ، مثلها مثل موائد البائسين الذين يموتون على شاطئ النهر دون أن يتركوا ذرية . (١٣) »

وعلى ذلك تكاد أن تصبح الجبانة موضع تجمع الفضوليين الذين كانوا يمشون بالمقابر ويقرأون دون أكثرات ، النقوش التى عليها . وقد شعر بعض هؤلاء بنفس الميل الذى يعتزى المسيح المعاصرين حين يتركون أثرأ لمرورهم بالمكان ولما كنهم كانوا يضيفون عبارات تبين حسن نياتهم وتقواهم . فكثيراً ما كتب مثلاً بأن الكاتب فلانا أو الكاتب فلانا قد حضر هنا لزيارة هذه المقبرة . مقبرة أننى فوكر Antefoker وأنهم قد صلوا كثيراً وكثيراً جداً

وقد كتب آخرون يقولون بأنه قد أسعدهم أن يتحققوا من أن هذه المقبرة في حالة جيدة - قالوا : لقد وجدوها مثل السماء من الداخل ، وقد قال أحد الذين يحملون اسم أمنمحات بغاية التواضع أن الكاتب ذا الأصابع الماهرة ، الكاتب الذى لا مثيل له في مدينة منف بأجمعها قد زار المبنى الجنائزى للملك العجوز زوسر وقد أدهشه بأن يرى عليها عبارات ركيكة مليئة بالأخطاء وأن كاتبها لا بد أن تكون امرأة لا عقل لها وليس كاتبها قد ألهمه تحوت موهبة الكتابة . ويجب علينا أن فبادر لنحدد في دقة بأنه لم يفقد الكتابات الرائعة التى نقشت أسلا بمعرفة الفنيين الذين كانوا أيضا من العلماء ، وإنما اعترض فقط على هذا الزائر الجاهل المتسرع الذى سجل بعض كتابات سخيفة بالقلم العادى في زمنه دون أى فن . وفي عهد رمسيس الثانى اعتزم كاتب الخزينة حاد ناختى Hadnakhti بأن يقوم برحلة بقصد التسليم في غرب منف بصحبة أخيه بانختى Panekhti كاتب الوزير : يا آلهة غرب منف أجمعين ريا جميع الآلهة التى تحكم الأرض المقدسة ويا أوزيريس وأيزيس ، وبا أيتها الأرواح العظيمة الموجودة في غرب عنخ تاوى Onkhtaoui . أمنحوفى وقتا طيبا طويلا لأحياء لأخدم أرواحكم ليتنى أحصل على حدث عظيم نعقب شيخوخة طيبة حتى أستطيع أن أتمتع بمشاهدة غرب منف ككاتب مكرم جدأ ومثلكم بالذات ، ، (إن بطل إحدى الروايات التى كتبت في العصر المتأخر - ولكن المفروض أنه عاش في عهد رمسيس وهو يدعى تنوفر كاستاح كان يبدو أنه لم يخلق على هذه الأرض إلا ليتجول ويتنزه في جبانة منف ، مرددا النصوص التى كتبت على مقابر الفراعنة وعلى اللوحات التذكارية لكتاب بيت الحياة وكذلك الكتابات الأخرى المسجلة في المنطقة . إذ كان يهتم

بالكتابة اهتماما بالغا (٥١) وكان لنوفر كابتاح Nenoferkaptah منافس كان عالما مثله ومهتما أيضا بالآثار اسمه ساتساخاواسر أوزير مارع Setua-khamouias ousirmaré (ابن رمسيس الثاني) وكان قد اكتشف في منف تحت رأس إحدى المومياوات تهويذة سحرية وهي المدونة على البردية رقم ٢٢٢٨ إحدى مقتنيات متحف اللوفر (٥٥) إلا أنه قد اكتشفت أخيرا نقوش على واجهة هرم أوناس الجنوبية في سقارة تفيد أن رمسيس الثاني كان قد عهد إلى ولي عهده خامواسيت Khamouasit كبير كهنة أون أن يعنى باستعادة اسم أوناس ملك الجنوب والشمال الذي كان قد محى من على هرمه ، وذلك لأن ولي عهده ، خامواسيت كان ميالا جداً لترميم المباني الأثرية للملك الجنوب والشمال التي كانت صلابتها مهددة بالانهيار (٥٦) وهل كان قد خطر ببال هذا الحكيم الذي تقدم على مارييت وعلى خبراء مصلحة الآثار المصرية أنه بعد قرون عديدة مرت في الفسيان سيقوم رواد من بين أبناء البرابره (وهكذا كانوا عبرون عن كانوا لا يعرفون مصر) ، بدورهم بالكشف عن الجبانات في الجنوب وفي الشمال ، وأنهم سيعيدون إلى الحياة أسماء أسلافه وأجداده ومعاصريه ويكتبون عنهم ما يمكن من مزيد التعرف عليهم .

ونأمل أن يكون أولئك الذين وهبوا من الجلد والصبر على قراءة كتابنا هذا حتى نهايته ، قد كونوا فكرة صحيحة عن طريقة حياة هؤلاء القوم ، وهي حياة دون شك تذكر كلها بكل فخر وإعجاب . ولم يكن الشعب المصري كما كان يعتقد رينان قطيعا من العبيد يقوده فرعون مجردا من كل رحمة وعاطفة . ويتحكم فيه الكهنة النهمين المتعصبون ، حقيقة أن عدد

المحرومين كان دون شك في عصر الرعامسة كبير اجدا إذ كان يغالى في استعمال
العصى ولكن مع ذلك يظهر لنا أن فرعون وموظفيه كثيراً ما كانوا يشبهون
الرؤساء الآدميين الذين تملأ الرحمة قلوبهم - وكان الدين هو الوازع على المواساة
والسلوى .

على أنى أرى في حياة هذا الشعب الصغير أن أوقات السعادة كانت
تفوق كثيراً أوقات التماسه .

مراجع

مراجع عامة

المراجع القديمة : تراجع مؤلفات الكتاب الأقدمين وبصفة خاصة هيرودوت :
الكتاب الثاني وديودور : الكتاب الأول .

واسترابون : الكتاب السابع عشر .

وبلوتارك : ايزيس . واوزيريس (الترجمة الفرنسية لماريو مونيه

Mario Maunier باريس ١٩٣٤ وجوفينال (Juvenal) الهجاء

رقم ١٥ .

المراجع الحديثة : ومن المؤلفين الحديثين :

ولسكنسون : أخلاق وعادات قدماء المصريين ، طبع عام ١٨٧٨ في
ثلاثة أجزاء .

ماسبيرو : التاريخ القديم لشعوب الشرق القديمة ، طبع في باريس
١٨٩٥ - ١٨٩٧ . الفصول الأربعة الأولى من الجزء الأول ، والفصل

الخامس من الجزء الثاني . القصص الشعبية في مصر القديمة - الطبعة
الرابعة باريس ١٩١٥ - في عهد رمسيس وآشور بانيبال . باريس

ف . لوريه : مصر في عهد الفراعنة طبع باريس عام ١٨٨٩

أ . أرمان : مصر والحياة المصرية في العهد القديم - أعاد كتابته

هرمان راندكي طبع توينجن عام ١٩٢٣

- ديانة المصريين - الترجمة الفرنسية باريس ١٩٣٧

فلدريز بترى : الفنون والحرف في مصر القديمة (الترجمة الفرنسية)

طبع بروكسل عام ١٩٢٥

موتيه : مناظر من الحياة الخاصة في المقابر المصرية في عهد

الدولة القديمة - طبع باريس وستراسبورج عام ١٩٢٥

أ . لوكاس : المواد والصناعات المصرية القديمة . الطبعة الثانية في

لندن عام ١٩٣٤

مقدمات كتب تيمطس Tytus التذكارية وسلسلة الكتب عن مقابر طيبة للوفا ديفز .

مقبرة قن آمون في طيبة Ken-Amun ومقبرة نفرحتب Neferhotep في طيبة .

الملاحظات المدونة على اللوحات التي تكون جزئي أطلس فرسنسكي Wreszinski

التأريخات الرئيسية

Ann. S. A. E. : Annales du Service des Antiquites de L'Egypte, 39 vol., Le Caire, 1900—1939.

حوليات مصلحة الآثار : ١٩٠٠ — ١٩٣٩ القاهرة .

Az : Zeitschrift für ägyptische Sprache und Altertumskunde, 80 vol, Leipzig, 1863—1940.

مجلة اللغة المصرية والتاريخ القديم ٨٠ مجلدًا ليبرز ١٨٦٣ — ١٩٤٠ .

Bibl. æg. : Bibliotheca ægyptiaca. Bruxelles, depuis 1931, contient en particulier :

I. Alan H. Gardiner, Late-egyptian stories.

V. V. W. Erichsen, Papyrus Harris I.

VII. Alan H. Gardiner, Late-egyptian miscellanies.^(١)

المكتبة المصرية . بروكسل منذ عام ١٩٣١ تحتوى على الأخص الأول —

جاردنر (ألان) : قصص العهد المتأخر .

الخامس : اريكسون — بردية هاريس الأولى .

السابع : ألان . هـ . جاردنر : متنوعات من العهد المتأخر .

Caire, Cat. gen. : Catalogue general des antiquites egyptiennes du musée du Caire,

الدليل العام للمتحف المصرى :

J. E. A. Journal of egyptian archaeology, London (Exploration society) , depuis 1914.

مجلة علوم الآثار المصرية . لندن (جمعية الحفاظ) منذ عام ١٩١٤ .

Kemi. : Revue de philologie et d'archeologie egyptiennes et coptes, 9 vol., Paris, 1928—1942.

كيمي : مجلة فقه اللغة والآثار المصرية والقبطية ٩ مجلدات باريس

١٩٢٨ — ١٩٤٣ .

Mem, Tyt. : Robb de Peyster Tytus Memorial Series (New York, depuis 1917) contient :

I. N. de Garis—Davies. The tomb of Nakht at Thebes, 1917.

II. III. of the Same, The tomb of Puyemre at Thebes. 2 vol. 1922—1923.

IV. of the Same, The Tomb of Two sculptors at Thebes. 1927.

V. of the Same, Two Ramesside Tombs at Thebes 1927

سلسلة تيطس التذكارية : سلسلة روب دى بايستر تيطس التذكارية .

نيويورك منذ ١٩١٧ تحتوى على :

الاول : نورمان دى جارييس ديفز — مقبرة ناخت في طيبة ١٩١٧

الثاني والثالث — نفس المؤلف : مقبرة پوى أم رع في طيبة مجلدان

١٩٢٢ — ١٩٢٣

الرابع — نفس المؤلف — مقبرة نقاشين في طيبة ١٩٢٧

الخامس — نفس المؤلف — مقبرتان من عهد الرعامسة في طيبة ١٩٢٧

Med. Hapu : Oriental Institute of Chicago, Medinet Habu

I. Earlier Historical records of Ramses III by the epigraphic Survey.

II. Later Historical records of Ramses III by the epigraphic Survey.

III. The calender, the Slaughterhouse and minor records of Ramses III, by the epigraphic Survey.

Oriental Institute Publications J. H Breasted ed.

مدينة حابو — المعهد الشرقى يشيكاجو :

الاول : النصوص التاريخية الاولى لرئيس الثالث — دراسات في الكتابة .

الثاني : النصوص التاريخية المتأخرة لرئيس الثالث — دراسات في الكتابة .

الثالث : التقويم — المحزور والنصوص الصغرى لرئيس الثالث .

دراسات في الكتابة .

مطبوعات المعهد الشرقى — المحرر ج . ه . برستد .

Miss fr. : Mémoires publiés par les membres de la mission archéologique française au Caire, 18 vol., 1884—

1896. en particulier, tome V (divers tombeaux

thébains dont Rekhmara, par Béné-dite. Maspero,

Scheil) et XVIII, Boussac, Le tombeau d' Anna.

مذكرات الحملة الفرنسية : مذكرات طبعها أعضاء بعثة الآثار الفرنسية في

القاهرة ١٨ مجلد ١٨٨٤ - ١٨٩٦ .

وبالأخص الجزء الخامس (مقابر مختلفة في طيبة منها مقبرة رخمارع لبنيديت
وماسيرووشيل) والثامن عشر بوساك : مقبرة أنا .

Topographical bibliography : Topographical bibliography
of ancient Egyptian hieroglyphic texts, reliefs
and paintings, by Bertha Porter and Rosalind
Moss, 5 Vols. Oxford 1927—1937.

الفهرس الطبوغرافى : الفهرس الطبوغرافى للنصوص الهيروغليفية
والنقوش والرسوم المصرية القديمة . تأليف برتا پورتر وروزالند موس :
٥ مجلدات اكسفورد ١٩٢٧ — ١٩٣٧ .

Th. T. S. : The Theban tomb series, edited by N. de Garis-
Davies and Alan H. Gardiner, 5 vol, 1915—1932,
contient :

- I. The tomb of Amenemhet (No 82) .
- II. The tomb of Antefoker, vizier, of Sesostri I,
and of his wife senet.
- III. The tombs of two officials of Thutmosis the
fourth (nos 75 and 90).
- IV. The tomb of Huy, viceroy of Nubia in the
reign of Tutankhamun (no 40).
- V. The tomb of Menkheperresonb & Amenemoss
and another (nos 86, 112 , 42 and 226).

سلسلة مقابر طيبة - تحرير نورمان دى جاريس دافيزوالن جاردنر : ٥ أجزاء
١٩١٥ - ١٩٣٢ . وتحتوى على :

- الاول : مقبرة امنمحات (رقم ٨٢) .
- الثانى : مقبرة انتف اوكر وزير سيزوستريس الاول وزوجته سنت .
- الثالث : مقبرة موظفين من عهد تحتمس الرابع (أرقام ٧٥ ، ٩٠) .
- الرابع : مقبرة هوى حاكم النوبة فى عهد توت عنخ آمون (رقم ٤٠) .
- الخامس : مقبرة من خبر رع سنب وأمن موزى وآخر (أرقام ٨٦ ، ١١٢ ،
٢٢٦ ، ٤٢) .

Urk : Urkunden des aegyptischen Altertums, in Verbindung
mit K. Sethe und H. Schafer Herausgegeben vom
G. Steindorff :

- I. Urkunden des alten Reiches (4 fasc.) (Leipzig ,
depuis 1902) .
 - II. Hieroglyphische Urkunden der griechisch. römischen
Zeit (3 fasc.) .
 - III. Urkunden des alteren Aethiopienkönige (2 fasc.) .
 - IV. Urkunden der 18. Dynastie (16 fasc.) .
- مستندات التاريخ المصرى القديم اشترك فى التأليف كورت سيتا وشافر

وقام بالتحريـر شيندورف .

- الاول : مستندات الدولة القديمة (أربعة أجزاء - ليبيـج سنة ١٩٠٢
الثانى : المستندات الهيروغليفية فى العهد اليونانى - الرومانى ٣ أجزاء .
الثالث : مستندات ملوك أثيوبيا الأقدمين (جزءان) .
الرابع : مستندات الأسرة الثامنة عشر (١٦ جزء .

Wr. Atl. : wteszinski Atlas zur Altaegyptische Kultur-
geschichte. 2 Teile, Leipzig depuis 1913.

أطلس فرمنسكى - أطلس عن تاريخ حضارة مصر القديمة - جزءان - ليبيـج ١٩١٣ .

بيانات

مقدمة

- (١) على سبيل المثال جوفنال - الهجاء رقم ١٥ وهيرودوت الكتاب الثاني ٣٥ .
- (٢) مونتييه : مناظر الحياة الخاصة في المقابر المصرية في عهد الدولة القديمة
استراسبورج ١٩٢٥ :
- (٣) نيوبري : بنى حـ ن جزء الاول (لندن ١٨٩٣) اللوحات ٢٨ ، ٣٠ ،
٣١ ، ٣٨) .
- (٤) جريفت ونيوبري : البرشه : الجزء الاول (لندن ١٨٩٤) اللوحتان
١٣ ، ١٧ .
- (٥) كلتر - مقبرة توت عنخ آمون : ٣ أجزاء لندن ١٩٢٣ - ١٩٣٣ - مونتييه
تانيس . باريس ١٩٤٢ الفصل السابع .
- (٦) وادراسة هذه الفترة - راجع مونتييه : قصة أواريس . باريس ١٩٤١
الفصلان الثالث والرابع .

الفصل الأول

المساكن

- (١) رسم اللوحة في بيتري : اللاهور ، كادون وغراب لوحة ١٤ .
- (٢) الوصف العام للمدينة ولأهم مبانيها في پندلبرى : وفاريل العمارة باريس ١٩٣٦ — لوحة مختصرة صحيفة ٦٣ .
- (٣) رسم عام للكرنك — الفهرست الطوبوغرافى . الجزء الثانى ، مجلد ٢ و ٩٨٠ .
- (٤) أطلس فرسنسكى — الجزء الثانى ٣٠ ، ٣١ .
- (٥) الفهرس الطوبوغرافى — الجزء الثانى ١١٢ .
- رويشون وفاريل : فى مصر : الغلاف .
- (٦) المعهد الشرقى لجامعة شيكاغو — رسائل رقم ١٥ ، ١ ، ٢٨ ورقم ١٨ — صورة غلاف المكتاب .
- (٧) أنظر على سبيل المثال ، الرسوم المدونة على معابد مدينة حابو وأبيدوس ، (مدينة حابو — أطلس فرسنسكى الجزء الثانى ١٨٤ — ١٩٠)
- (٨) مونتيه : قصة أواريس . باريس ١٩٤١ ، الفصلان الثانى والرابع .
- (٩) مونتيه : تانيس . باريس ١٩٤٢ : ٩ ، ٢٣ ، ١٠٧ ، ١٢٨
- (١٠) بردية هاريس — الجزء الأول ٧٨ ، ٨
- (١١) نفس المصدر ٦
- (١٢) نفس المصدر ٢٧ — ٣٩
- (١٣) شاسيناه : دندره الجزء الأول ، اللوحة ١٥
- رويشون وفاريل : معبد الكاتب الملكى المنحوت بن حابو القاهرة ١٩٣٦ ، ٣٥
- (١٤) پندلبرى : نفس المرجع ١١٤ ، ١٤٠
- (١٥) فوج روس — الآبار الكبيرة فى تانيس — راجع كيمى الخامس من ٧١ — ١٠٣
- (١٦) پوزنر : الحكم الفارسى الاول لمصر . القاهرة ١٩٣٦ ، ١٥ — ١٦

- (١٧) حوليات مصلحة الآثار المصرية : المجلد ١٨ (١٩١٨) ص ١٤٥
(١٨) كيمى ٨
(١٩) حوليات مصلحة الآثار المصرية : المجلد ٣٠ ص ٤٠ ، ٤١
(٢٠) المكتبة المصرية : المجلد السابع ص ١٢
قارن قصة أواريس صفحة ١٣٥ ، ١٣٦
(٢١) المعهد الشرقى لجامعة شيكاغو -- رسائل رقم ٧ من ١ -- ٢٣
(٢٢) حوليات مصلحة الآثار المصرية : المجلد الحادى عشر (١٩١٠) من ٤٩ - ٦٣
(٢٣) بردية هاريس الاولى ٢٩ ، ٨
مؤلفه : تانيس الجزء الثانى
(٢٤) پيترى : قل العمارنة ٢ - ٤
ديفز : صورة الجدران فى مدينة اخناتون . مجلة الآثار المصرية . المجلد
السابع . الاوحد الاولى والثانية
(٢٥) سلسلة نيطس التذكارية : الخامس ٢٨ -- ٢٩
ولنزل تبوى Thouboui ماسبرو : القصص الشعبية الطبعة الرابعة ١٤٧
(٢٦) ديفز : نفر حتب ١٤
(٢٧) پندلبرى : الكتاب السابق ذكره ١٢٧ -- ١٤٩
(٢٨) نفس المرجع ١٥٢ ، ١٥٣
(٢٩) أطلس فرسنسكى الاول ٦٠
مذكرات الحملة الفرنسية المجلد ١٨ الجزء الاول .
مستندات التاريخ القديم : المجلد الرابع ١٠٤٦ -- ١٠٤٧
(٣٠) أطلس فرسنسكى الاول ٢٧٨ حديقة مين نخت Min-nekht
(٣١) حديقة رخ مارع : أطلس فرسنسكى الاول ٣
وسبك حتب -- نفس المرجع الاول ٢٢٢
امنمحاب -- نفس المرجع الاول ٦٦
وقن آمون -- ديفز ، فن آمون ٢٧
احدى صور الجدار رقم ٣٧٩٨٣ من مقتنيات المتحف البريطانى ، مرسومة

- في أطلس فرسنسكى المجلد الأول ٩٢
(٣٢) ديفز : منزل المدينة في مصر القديمة - سلسلة مطبوعات متحف متروبوليتان
الأول مايو ١٩٢٩ ص ٢٣٣ - ٢٥٥
(٣٣) حدى هذه القطع موجودة في متحف القاهرة والثانية في متحف اللوفر .
أنظر كيمى . الثامن .
(٣٤) ديفز نفس المرجع ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ،
(٣٥) بردية اينرس . أوصاف رقم ٨٤٠ ، ٨٥٢ ، لوحة ٩٧ ، ٩٨ ،
(٣٦) مجموعة من أكدياس عثر عليها محفوظة في حالة جيدة في مقبرة يويا وتويو
Youia & Tosiou وفي مقبرة توت عنخ آمون .
وتوجد أشكال جميلة مرسومة على جدران المعابد والمقابر ، وعلى سبيل
المثال سلسلة تيطس للتذكارية الخامس ٥ ، ٩ ، ٢٥ ،
والرابع ٧ - سلسلة مقابر طيبة الأول ١٥ - ١٦
والخامس ٤١ ، ٤٣ ،
(٣٧) صور جدران قصر اخناتون في بندلبرى - نفس الكتاب صفحة ١٤
مجلة الآثار المصرية : السابع .
(٣٨) وجدت مجموعة رائعة من هذه الأواني في الممرات السفلى في الهرم المدرج
ويمكن مشاهدتها في سقارة . وعن الأواني التي مصدرها أبو رواش -
راجع كيمى : السابع .
(٣٩) موتيه الأواني المقدسة والدنيوية في مقبرة بسونس
ميموت : الآثار ٣٨ ١٩٤١ ١٧ - ٣٩
ماسبيرو : بحث في الفن المصرى باريس ١٩١٢ من ١٨٩ - ٢١٦
ادجار : كنز تل بسطة - المتحف المصرى الثانى ٩٣ ، ١٠٨ ،
قرنييه : كتالوج المتحف المصرى - الحلى والجوهرات ١٠٤ ، ١٠٦
(٤٠) مدينة حابو ٣٨ ، ٥٥
(٤١) ديفز : قن آمون ١٣ ، ٣٠ ،
(٤٢) موتيه : الحياة الخاصة - لوحة ١٤ و ص ١٤٥

المفصل الثاني

الزمن

- (١) ماسبرو : أنشودة لانييل ١٢، ٨، ٢ .
- (٢) بردية هاريس الأولى ٣٧ م ١، ٤١، ٦٤، ٥٤، ٢، ٥٦، ١٢ .
- (٣) موريه Morel قتل المعبود في مصر باريس ١٩٢٧ ص ١٠، ١٣ .
- (٤) منشور كانوب : المستندات ج ٢، و ص ١٣٨ .
- (٥) مدينة حابو : الثالث ص ١٥٢
- (٦) بردية شستريتي الأولى — انظر ج ١
- (٧) بردية أنستاس الرابعة ١٠، ٣، ٤
- (٨) أنشودة لسيزوستريس الثالث
سليمه ، ليستوك ٦٧
- (٩) نقوش المهندس حروروع Horeure — كيمي الثاني ص ١١١-١١٢
- (١٠) بردية ايبز ١٨، ٢، ٦١، ٤-٥، ٦١، ٦٥
- بردية براين الطبية ١١، ١٢، بردية هبرست ٢، ١٧، ١٠، ١١
- (١١) استرابون . السابع عشر ٤٦
- (١٢) أسيوط الأول ٢٧٨ (عقل حابي چفای الثاني) .
- (١٣) ديفز : قن — آمون ٣٨ - ٣٩
- (١٤) حوليات مصلحة الآثار المصرية التاسع والثلاثون ٢١٩، ٣٩٩
- (١٥) بردية ساليه اربعة ، التي درسها شاباس ، تقويم أيام السعد وأيام النحس في السنة المصرية . باريس وشالون ١٨٧٠ ، ومكتبة الدراسات المصرية
الثاني عشر ١٢٧
- بدج صورة طبق الاصل للكتابة الهيروغليفية في المتحف البريطاني الثاني
— لوحة ٨٨ جريفث ، بردية بيترى ، ص ٦٢ ولوحة ٢٥
- (١٦) فيما يتعلق بالمعبود ست (Ares) Seth في پارييميس — راجع هيرودت
الثاني ٥٩، ٦٣

(١٧) ساعات النهار ، شاسناه : ادفو الثالث ٢١٤ ، ٢٢٩ ساعات الليل : بوشر :

نصوص مقابر تحتمس الثالث وامنوفيس الثاني ٨ - ٧٧

(١٨) المستندات الأولى ١٠٦ (أوتى ٣٦)

(١٩) المستندات الأولى ١٣٠

(٢٠) أرمان - رانكى ، مصر والحياة المصرية فى العهد القديم ٣٩٩ ، ٤٠٢

سلوبى : الوسائل البدائية فى تقدير الوقت (مجلة الآثار المصرية السابع

عشر (١٩٣١) ١٦٦ - ١٧٨

(٢١) مجلة الآثار المصرية - السابع عشر - اللوحات ١٩ ، ٢٢

كيعى ، الثامن .

(٢٢) مجلة الآثار المصرية : السابع عشر ١٧٠ - ١٧٤

(٢٣) ماسبيرو دراسات مصرية الأول ١٨٥ - ٦

(٢٤) المستندات الرابع ٦٥٥

(٢٥) سنوحى ب ١٠ ، ١٢ ، ٢٠ مكتبة الدراسات المصرية السابع ٣٠

يوميات قادش ٥

(٢٦) ديودور الأول ٧٠

(٢٧) بردية هاريس ٥٠٠ الرابعة ١ ، ٢

(٢٨) فاندييه وأبادى : شقف الدبر البحرى المنقوش أرقام ٢٣٢٧ ، ٢٣٣٩ ،

٢٣٤٢ ، ٢٣٤٤ ، ٢٣٤٧

(٢٩) ماسبيرو : تاريخ الثانى ٢٩٤ ، ٢٩٥

(٣٠) ماسبيرو : التاريخ الثانى ٤٣٣ ، ٤٤٤

(٣١) المستندات - الثالث ٦١ ، ٦٢

(٣٢) جاردنر - أوراق البردى المدونة بالهيراطيقية فى المتحف البريطانى .

السلسلة الثالثة لندن ١٩٣٥ الجزء الثانى لوحات ٥ ، ٨

(٣٣) نفس المرجع - الجزء الأول ٢٠ ، ٢١

(٢٤) هيرودوت الثانى ٨٣ - سورديل : هيرودوت والديانة فى مصر

باريس ١٩١٠ الفصل السادس .

الفصل الثالث

الأمرة

- (١) پتاح - حتب (طبعة ديشو) الموعظة رقم ٢١
- (٢) المستندات . الرابع ٢ - ٣
- (٣) المستندات . الرابع ٣٠ ، ٣١
- (٤) اللوفر . ج ١٠٠ ، ماسبيرو : الدراسات المصرية الأول ٢٥٧ ، ٨
- (٥) بردية هاريس ٥٠٠ أغاني الحب الثاني ٩ ، ١١ ، مولر الشعر الغرامي في مصر القديمة .
- (٦) جاردنر بردية شستر بيتي رقم ١ لوحات ٢٥ ، ٦ - ٢٦
- (٧) نفس المرجع ٢٢ ، ٨
- (٨) نفس المرجع ٢٢ ، ٨ ، ٢٣ ، ١
- (٩) نفس المرجع ٢٣ ، ٢ - ٤
- (١٠) نفس المرجع ٢٤ - ٤ - ٧
- (١١) نفس المرجع ٢٤ ، ١٠ ، ٢٥ - ٦
- (١٢) بردية هاريس ٥٠٠ ، الأغاني الغرامية الرابع ٢ والخامس ٣
- (١٣) ماسبيرو : القصص الشعبية : الطبعة الرابعة ١٢٨
- (١٤) نفس المرجع ١٩٧ ، ٢٠٣
- (١٥) ديشو : نقر حتب ٣١ ، ٣٧ في سلسلة تيطس الرابع ص ٥ لخامس ٥ - ٧ ،
ويجب ألا ننسى أن الألفاظ التي تعنى القرابة لها معان متسمة بجانب معناها
المحدد فكلمة *lot* تعنى والد وتعنى بعض الأحيان الجد و *sn* وسنت
Sn التي تعنيان أخ وأخت قد تعنيان في بعض الأحيان أعضاء جماعة .
وفعل *sn* سنن *sn* يعنى « اتحد » .
- (١٦) ماسبيرو : القصص الشعبية - الطبعة الرابعة ص ١٢٩ - ملاحظة رقم ١ -
موريه : النيل والحضارة المصرية ١١٠ ، ٣١٨ - ٣١٩
- (١٧) هيرودوت الثالث : ٣١

- (١٨) سلسلة مقابر طيبة الأولى صفحة ٤ ، أ ٢ الثامن والأربعون ٥٠
- (١٩) ماسبيرو القصص الشعبية الطبعة الرابعة ١٣٠
- (٢٠) شرنى : دستور الزواج في مصر في مجلة المعهد الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة ١٩٣٧ ، ٤١٠ وما يليها .
- (٢١) ليناج في مجلة المعهد الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة الثامن والثلاثون ٢٣٣ ، ٥٩٩
- (٢٢) مثل من كثير من الأمثلة - انظر نيطس التذكارية الرابع ١
- (٢٣) بتاح - حتب - طبعة ديثو ٣٠٩ ، ٣١٠
- (٢٤) ماسبيرو القصص الشعبية الطبعة الرابعة ٢٩ ، ٣١
- (٢٥) نفس المرجع الطبعة الرابعة ٣ ، ٢١
- (٢٦) نفس المرجع ٣٨ ، ٤٠
- (٢٧) نفس المرجع ٤٣
- (٢٨) نفس المرجع ١٤٨ ، ١٦٩
- (٢٩) بردية شستر بيتى رقم ١١ الوجه ٤ - ٥
- (٣٠) المتحف البريطانى رقم ١٠٢٧ - ماسبيرو ودراسات مصرية .
- (٣١) بردية ليدن ٣٨ - سيتا وجاردنر خطابات مصرية إلى (الموتى) .
- (٣٢) بردية أوربى Orbiney الثامن ٧ ، ٨
- (٣٣) نفس المرجع التاسع ٨ - ٩
- (٢٤) بردية وستكار Weickar ماسبيرو : القصص الشعبية الطبعة الرابعة ٢٨
- (٣٥) بردية بولاق الأخلاقية الثانى ١٣ ، ١٧
- ماسبيرو - التاريخ الثانى ٥٠٢
- نفس الإنذار فى نصائح بتاح حتب طبع ديثو ٢٨٧ - ٨
- « لأنها لحظة قصيرة لحلم من الأحلام ، إن الإنسان يموت لرغبته فى معرفة تلك اللحظة . »
- (٣٦) نصوص الأكفان : فصل ١٤٦ المجلد الثانى ١٨٠ وما يليه .
- (٣٧) المتحف البريطانى ١٠٠٥٢ ، الخامس عشر ، ٤ ، نص آخر من نصوص (م ٣٠ - الحياة اليومية)

المقابر كان أيضاً متعدد الزوجات (بديت: بردية ميير Pret : Meyer Papyri)

١٣ ، ٥ ، ٦

انظر أرمان — رانكي : مصر ١٧٧

(٣٨) مجلة المعهد الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة ١٩٣٧ ، ٤١ ، ٥٩٩

(٣٩) البحار الغريق ١٦٨ ، ١٦٩

(٤٠) مجلة المعهد الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة ، الحادى والأربعون ، ٣١

(٤١) استرابون : السابع عشر ، ٢ ، ٥

(٤٢) ديودور الأول ، ٨

(٤٣) أنظر على سبيل المثال وصايا حاني چفای لولده فى أول نصوص العقود

(أسيوط ١ ، ٢٦٩ ، ٢٧٢) .

(٤٤) بردية أوربى التاسع ٨ - ٩

(٤٥) بردية هاريس ٥٠٠ - الخامس ظهر البردية - الرابع ٣ ، ٢

(٤٦) هيرودوت : الثانى ، ٨٢

(٤٧) بردية سالييه الرابعة مكتبة الآثار المصرية - المجلد الثانى عشر ١٥٣ ، ١٥٤

١٦٠ ، ١٦١

(٤٨) بردية ايبس ٩٧ ، ١٣ ، ١٤ الأوصاف ٨٣٨ ، ٨٣٩

(٤٩) ماسبيرو القصص الشعبية - الطبعة الرابعة ١٥٦ ، ١٥٧

(٥٠) جاردنر بيت الحياة . مجلة الآثار المصرية - الرابع والعشرين (١٩٣٨) ١٧٥

ماسبيرو القصص الشعبية -- الطبعة الرابعة ١٣٠ . ملاحظة ١

(٥١) نقوش برلين رقم ١٤٥٠٦ أطلس فرينسكى الأول ٣٨٧

(٥٢) بردية بولاق الأخلاقية السادس ١٧ وما يليه -- أنظر ماسبيرو : التاريخ

الثانى ٥٠٢ ، ٥٠٣

(٥٣) ديثز قن - آمون اللوحة ٥١ و ص ٩

(٥٤) باحبرى ٤

(٥٥) المستندات -- الرابع ٣٤

(٥٦) ديثز : قن - آمون ٣٥ -- جماعة من الخدم خلف مقعد سيدهم

- (٥٧) المكتبة المصرية -- السابع ٣
(٥٨) نفس المرجع : السابع ٦٦ ، ٦٧
(٥٩) ديفز : نفرحتب ٤٣
(٦٠) المستندات : الرابع ١١
(٦١) جاردنر : أربع برديات من الأسرة الثامنة عشرة من كاهون - اللاهون -
مجلة اللغة المصرية والتاريخ القديم : المجلد الثالث والأربعون ٢٧٨٦٩
(٦٢) أوراق البردي في المتحف البريطاني ١٠٠٥٢ ، الحادى عشر ٤ ، ٩ . قالت
منهمة أخرى أنها قد اقتنت عبيدها من منتجات أملاكها . (نفس المرجع
العاشر ١١ ومايلها)
(٦٣) جاردنر قضية -- نجمت عن شراء عبيد - مجلة الآثار المصرية الحادى
والعشرون (١٩٣٥) ١٤٠ - ١٤٦
(٦٤) المستندات -- الأول ٧٥
(٦٥) ديفز -- خمس مقابر طيبية الثانى ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٩
(٦٦) تيطس التذكارية - الخامس ٣٤
(٦٧) ديفز خمس مقابر طيبية ٤
(٦٨) مذكرات الحملة الفرنسية الخامس ٥٤٧
(٦٩) ج . فاندنيه وأبادى : كيتالوج شقف دير المدينة المرسوم ٢٠٣٥ ، ٢٠٣٧
٢٠٣٨ ، ٢٠٤٠
(٧٠) نفس المرجع : ٢٠٠٣ ، ٢٠٠٤
(٧١) أطلس فرسنسكى الأول ١٢٣
(٧٢) نيوبرى بنى حسن الرابع ٥
(٧٣) المتحف البريطانى ٣٧٩٧٧ فى أطلس فرسنسكى الأول ٤٢٣
(٧٤) تيطس التذكارية الخامس ٢٥
(٧٥) مذكرات الحملة الفرنسية الخامس ٥٥٢ على قطعة الشقف رقم ٢١٤٤٣ فى
متحف برلين (إرمان ديانة المصريين الاوحد ١١) . قطة تداعب قرداً

- (٧٦) محفوظات متحف التاريخ الطبيعي في ليون الرابع عشر ٢٠ المقبرة
رقم ٢١٧ في طيبة
- (٧٧) قطعة الشقف رقم ٢٢٠١ من الدير البحري
- (٧٨) تيطس التذكارية الأول ١٠
- (٧٩) تيطس التذكارية الخامس ٣٠
- (٨٠) كوينتس : أوزة النيل . محفوظات متحف التاريخ الطبيعي في ليون
الرابع عشر ١ — ٦٤
- (٨١) المكتبة المصرية السابع ١٠٢ (بردية لانسنج ٣ ، ٥ ، ٨)

الفصل الرابع

الخدمات المنزلية

- (١) هيرودوت الثاني ٣٧ - ترد بعض الأحيان صور الفساليين ، أطلس فرسنسكى
الأول ٥٧ - فارينا الصورة المصرية ١٦٥ .
- (٢) سنوحى ب ٢٩١ - ٢٩٢ .
- (٣) نفس المرجع ٢٩٣ - ٢٩٥ . موتقيه : جيبيل ومصر ٦١٠
- (٤) جيكييه : نقوش الأشياء (Jequier : les frises d'objet)
- (٥) على سبيل المثال الوزير بتاح موزى Ptah - Mose واللوحة ٨٨ فى ليون ،
طبعها فاوى (Varille) ومنوعات لورى Loret Mélange
(مجلة المعهد الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة ١٩٣٠ - ٩٧)
- (٦) كويل : مقبرة حسى لوحة ٢١
- (٧) جيكييه : نفس المرجع ، لوكل : المواد المصرية القديمة - بردية ايبرس
٦٥ ، ١٠ - ١١ ٤٥٣ - ٤٦٣ أوصاف ٦٦ ، ٧ - ٩ - الصناعات الطبعة الثانية
٧٩ - ٨٤ - ٤٦٤ - ٤٦٥ أوصاف ٦٦ ، ١٥ - ٦٨ أوصاف
(٨) بردية هيرست ١٠ ، ٤ - ١١ - ١٤٤ - ١٤٨ أوصاف - بردية ايبرس
٨٦ ، ٤ ، ٧٠٥ أوصاف ٨٧ ، ١٦٠٣ - ٧١٤ - ٧٢٠ أوصاف بردية
ايبرس ٦٧ ، ٣
- بردية هيرست ١٠ ، ١٥ ، ١٥ ، ١٥٧ ١ - ١٥٨ أوصاف
- (٩) لورى : لتحويل الرجل الطاعن فى السن إلى شاب .
منوعات ماسبيرو : الأول ٨٥٣ - ٨٧٧
- (١٠) أطلس فرسنسكى الأول ٤٤
- (١١) المتحف المصرى - الكتالوج العام .
بنيديت (Benedite) . أدوات الزينة
ارمان - رانكى . مصر . . لوحة ١٧ ومثلها .

فارينا : الصورة المصرية ١٧ .

(۱۲) ردیة اوریفی ۲، ۳، ۹، ۲

(۱۳) دیفز : خمس مقابر طیبیہ ۴، ۲۶

سلسلة مقابر طيبة الخامس ٩ ، ١٠ والرابع ١٧ وتیطس التذكارية ١ ،

١٢، ١٨ - الرابع ٧، ٨، ١١ والخامس ٣٠

(١٤) المستندات - الأول ١٠٢

(١٥) زوجان من النعال من الذهب وجدت في مقبرة بسوسنس

موتقیہ : تانیس ۱۵۶

(١٦) بردية ايرس ٧٨ ، ٤ وما يليه .

أوصاف ٦١٦، ٦١٧، ٦٢٠ - ٨١، ٢ وما يليه ٦٤٧، ٦٤٨، بردية

هیرست ۱۲، ۸، اوصاف ۱۷۳-۲۰۵

(١٧) ديفز : العمارة الرابع ٢٦ مدينة حايبو ٧٥، ١١٢

(١٨) ديفنز : نفر حتب ٣٦ ، ٣٧ ، ٤١ ، ٥٠ - سلسلة مقابر طيبة - الرابع ٦

نيطس التذكارية الرابع ١، ٥ والخامس ١، ٩، ٢٥

(۱۹) دیفز : نفرحتب ۱۵ ، ۳۶ ، ۳۷ ، ۵۰ ، ۵۲

تبطل التذكارية الرابع ١، ٥ والخامس ١، ٧، ٩، ٢٥

(٢٠) بردية في المتحف البريطاني رقم ١٠٠٥٢ ، الحادى عشر ٧ - ٨

أنظر فاندييه : الجماعة في مصر القديمة القاهرة ١٩٣١

(۲۱) سموحي ب ۸۶-۸۸

(٢٢) البحار الفريق ٤٧ - ٥٢

(٢٣) أطلس فرنسكى الثانى ١٨٥ - ١٨٨ مدينة حاو ١٧٣

(٢٤) بردية هاريس الأول ١٣، ٧-٨، ٢٠ أ-٣-١١، ٢٥ ب من ٨-١٤

151016

(٢٥) بردية هاريس الأول ٢٠ أ ١٣ - ١٥ ٧١٠ ب ٩ - ١٠

(٢٦) مونتيه : الحياة الخاصة . الفصل الخامس ، والامبراطورية الحديثة أطلس

فرسنگی ۱۸۸ مدینة حانو ۱۷۳

- (٢٧) مدينة جابر ١٤٨ ، ١٦٠ ، ١٥٢ بردية هاريس الأول ٢٠ ب ٥٣ ب
 (٢٨) المستندات - الثالث ٥٤ (بيعانخي ١٥٠ - ١٦٣)
 (٢٩) بردية هاريس الأول ٢٠ ب ١٢ - ٢١ أ
 الأول ٦٥ - ٧ - ٨
 (٣٠) لوريه : الثوم عند قدماء المصريين مجلة أبو الهول (سفنكس)
 ١٩٠٥ ، ص ١٣٥ - ١٤٧
 (٣١) سفر العدد - الأصحاح الحادى عشر : ٥
 (٣٢) هيروdot الثاني ٣٨ - ديودور الأول ٢ و ٣٣
 (٣٣) ف لوريه النباتات الفرعونية رقم ١٥٢ ، ١٢٨ ، ١٢٩ - ١٥٧
 (٣٤) بردية شستريتي الأول والثاني ١٠ - ١٢
 وكيمر نباتات الحدائق في مصر القديمة ١ - ٦
 (٣٥) ديودور : الأول ، ٣٤
 (٣٦) - ف لوريه : النباتات الفرعونية رقم ١٤٦
 جمع الوزير رخمارع في نفس الوقت بذور الخرنوب (الخروب) والعمل
 (مستندات التاريخ المصرى القديم ج ٤ ، ١٠٤٠ - ١٠٤١)
 مدينة جابر ١٤٦ ، ١ ، ٢٨١ ، ٢٨٦
 بردية هاريس الأول ٢٨ ، ٤٦ ، ٤٨
 (٣٧) شتيندورف ، وولف : جبانة طيبة ليزج ١٩٣٢ - ١٨
 (٣٨) ديفز : قن آمون ٥٨ - ٩
 أطلس فرسنسكى الأول ٢٥٥ ، ٢٨٦ ، ٢٢٥ - ٢٥٦ ، ٦
 (٣٩) بردية أيرس ٦ - ١٤ ، ١٠ ، ١٢ ، ١٣ ، ٢٠ ، ٢٠
 بردية هيرست ٢ ، ١٢ ، ٣ ، ١٢ ، ٣٤
 (٤٠) هيروdot : الثاني ، ٧٧
 (٤١) أطلس فرسنسكى الأول ٨٤
 تيطس التذكارية الأول ٢٢ ، ١١
 مجلة الجمع المصرى الحادى والعشرون ٢١٥

- (٤٢) بردية هاريس الاول ١٦ ، ٢٠ ب ، ٣٦ أ ، ٦٥ .
 تيطس التذكارية الاول ٢٦
 أطلس فرنسكى الاول ١٦ ، ٢٢
 (٤٣) أطلس فرنسكى الاول ١٨٠ ، ٣٥٦
 موتيه : الحياة الخاصة ٢٣١ - ٢٣٦
 ديفز : خمس مقابر طيبه ٢٨
 (٤٤) سلسلة مقابر طيبه الثانى ١١
 (٤٥) بندابرى - حفائر قل العمارنة - ١٣٩
 (٤٦) موتيه : الحياة الخاصة ٢٤٢ - ٢٥٤
 ديفز فن - آمون ٥٨
 سلسلة مقابر طيبه الثانى ٨ - ١٠
 ديفز خمس مقابر طيبه ٣٩
 (٤٧) المكتبة المصرية ، السابع ، ٤١ - ٤٢
 (٤٨) المجلة المصرية - الثامن والخسون ، ٢٥
 (٤٩) نيوبرى : بنى حسن - الجزء الثانى ٦
 مجلة المعهد الفرنسى للآثار الشرقية - التاسع ، ٨ ، ٩
 (٥٠) فارينا : الصورة المصرية ١٧٠
 (٥١) ديفز العمارنه - الثالث ٤ - ٦
 (٥٢) سلسلة مقابر طيبه الثالث ٦
 نقوش بارزة من مقبرة حرجب ٢٠٣٦٥
 (٥٣) ارمان - رانكى - مصر ٢١٨
 (٥٤) كيمى ، الثامن .
 (٥٥) أسبوط الاول - العقود الخامس والسابع والتاسع .
 (٥٦) ديفز : مسرحة من عهد الامبراطورية الحديثة غير مألوفة الشكل .
 مجلة الآثار المصرية العاشر ٩ - ١٤ .

مستندات الرابع ١١٧ ، هل تسمح بأن نضىء لك المصباح أثناء الليل إلى أن تشرق الشمس ،

(٥٧) ماسبيرو - تعليمات امنمحات الاول لابنه سنوسرت الاول ص ١٠

(٥٨) المكتبة المصرية - السابع ٣٧ - ٣٨ .

(٥٩) المكتبة المصرية - السابع ٥ - ٦ حوليات مصلحة الآثار الأربعون ٦٠٥

(٦٠) المكتبة المصرية ، السابع ، ٧ .

(٦١) صور المآدب وردت كثيراً على جدران مقابر طيبة مثل : باحيرى ٦ - ٧

وديفز : نفرحتب ١٨ وسلسلة مقابر طيبة ١ ، ٦ ، ١٥ والثالث ٤ - ٦

والثالث ، ٢١ .

تيطس التذكارية الاول ١٥ الرابع ٥ .

أطلس فرسنسكى الاول ١٧ ، ١٠ ، ٨ ، ٩ ، ٩١ .

(٦٢) بتاح حتب ، طبع ديفو : ١٨ العظة ٢٧٧ ، ٢٨٨ .

(٦٣) يضاف إلى الملاحظة رقم ٦١ :

أطلس فرسنسكى ، الاول ، ١٤٥

ديفز : المارئة الخامس ، ٥ .

ف . لوريه : ملاحظة عن الآلات الموسيقية في مصر القديمة في دائرة

معارف الموسيقى ، لوفيناك باريس ١٩١٣ ، ١ - ٣٤ .

ث . جبرولد : تاريخ الموسيقى منذ بدايتها حتى نهاية القرن الرابع عشر ،

باريس ١٩٣٦ . الفصل الاول . صورة بهوان : أطلس فرسنسكى الاول ،

١٧٩ ، وأخرى : ماسبيرو تاريخ ، الثاني ، ٥٢٩

(٦٤) المتحف البريطاني ٣٧٩٨٤ - بنيديت مقبرة نفر حتبو الجمع الفرنسى :

الخامس ، لوحة ٤ ص ٥٢٩ - ٥٣١ . وماسبيرو دراسات مصرية ،

الاول ، ١٧٢ - ١٧٧

(٦٥) ماسبيرو : دراسات مصرية ، الاول ، ١٧٨ وما يليها (ليدن K . G)

(٦٦) هيرودوت ، الثاني ، ٧٨ بلوتارك : ايزيس وأوزيريس ، ١٧ .

لوسيان : الحداد ٢١

- بقرون : المجلد ، ٣٤
- (٦٧) باحيرى ، ٧
- (٦٨) ديفز : نقرحتب ١٨
- أطلس فرسنسكى الأول ٣٩٢ (بروكسل ٢٨٧٧) .
- أطلس فرسنسكى الأول ١٧٩ .
- (٦٩) أطلس فرسنسكى الأول ٤٩ ، ٤١٨
- مجلة المعهد الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة السابع والعشرون لوحة ٧
- (مقبرة ٢١٩ فى دير المدينة) .
- ليففر بت أوزيوس ٥٠
- بيعنخى ١٣٣ .
- (٧٠) موتنيه . الحياة الخاصة ، ٣٧٢ - ٣٧٦
- يونسكر : الجيزة ، الرابع ، ٣٧ .
- (٧١) ماسبيرو : قصص شعبية . الطبعة الرابعة ١٤٢ (سنخامواس والمومياءات)
- شرحه ٢ (تأثير الدروع) .
- (٧٢) موتنيه : الحياة الخاصة ٣٦٨ ، ٣٧٢ .
- ايتون : متحف بوسطن للفنون الجميلة ٣٥ (عام ١٩٣٧) صفحة ٥٤ .
- وثمة تفسير آخر لهذه اللعبة أورده زكى سعد . رسم عن ذكريات طفولته .
- انظر خاسا لويزا فى حوليات مصلحة الآثار عدد ٣٥ عام ١٩٣٧ صفحة ٣١٢
- (٧٣) ديفز . العمارة ، السابع ١٨ .

الفصل الخامس

الحياة في الريف

- (١) المكتبة المصرية السابع ١٠٤ (لانسج ، الخامس ٧ ، السابع ٧) .
السابع ٨٣ (سالى الاول والخامس والسادس ٩) .
- (٢) هيرودوت ، الثانى ، ١٤ ، ديودور ، الاول ، ٣٦
- (٣) موتيه : الحياة الخاصة ٢٥٨ - ٢٦٠
- (٤) وردت رسومها فى ديفز . نفر حتب لوحة ٤٦ - ٤٧ .
تيطس التذكارية لوحة ٢٨ - ٢٩ ، ودراسة فى ديفز حتب ص ٧٠
- (٥) توجد معظم هذه الاسماء فى اشبيجلبرج .

“Bemerkungen zuden hieratischen Amphorinschriften des Remesseums” in A.Z. LVIII 25 .

انظر موتيه - مأساة أواريس طبعة باريس سنة ١٩٤١ . الصفحات ١٥٣-٤
وفى تيطس التذكارية - لوحة ١٩ - وفى طرق هورس فى شرق الدلتا كانت توجد
كروم أيضاً

- (٦) بردية هاريس الاول ٧ ، ١٠ ، ١٢
- (٧) وردت الرسوم فى باحيرى لوحة ٤
أطلس فرانسكى ، الاول ، ٢٣٨ ، ٣٥٥ ، ٢٨٢ ، ٢٦٥
سلسلة مقابر طيبة الثالث ٣٠
ديفز نفر حتب لوحة ٤٨ .
تيطس التذكارية الاول ٢٢ .
الخامس ٣٠ ، ٦٨ ، ٣٤٥ ، ١٢ ، ٢٣٠ .
ليففر : بت أوزيريس - لوحة ١٢ .
- (٨) موتيه : الحياة الخاصة ٢٦٧ .
- (٩) رسم هذا المنظر واضحاً فى مقبرة بوى رع تيطس التذكارية الثانى لوحة ١٢

والتقطير الخمر بصفة عامة أنظر الصفحات من ٢٨٢ ، ٢٨٥ .

(١٠) بت أوزيريس - النصوص ٤٣ ، ٤٤ .

(١١) تصوير زراعة الحبوب : تيطس التذكارية . الأول ١٨ (ناخت) .

تيطس التذكارية الخامس . ٣٠ (أبوى . Apouy) سلسلة مقابر طيبة الثالث ٩

أطلس فرسنسكى ٤٢٤ (المتحف البريطانى ٣٧٩٨٢) أطلس فرسنسكى

٢٣١ ، ٢٣٤ (منا Menna) أطلس فرسنسكى الأول ٦ ، ٥١ ، ١٩٣ - ٥

(خاحمات Khemhat) ، أطلس فرسنسكى الأول ٨٣ ، ٣٨٥ ، ٤٢٢ .

٢٦١ ، ٥٨ ، ٢٧٩ ، ٣٦٦ ، ٣٠ ، ١١ ، ١٤ ، ١٤٢ ، ٦١ ، ١١٢ ، ١٩٠

باحيرى ٣ .

(١٢) اوربى الثانى ، ٢ .

(١٣) كان هذا يمارس منذ عهد الدولة القديمة .

موتيه : الحياة الخاصة ١٨٣ وما يليها .

(١٤) أطلس فرسنسكى الأول ١١٢ (بانغسى) .

(١٥) باحيرى ٣ .

(١٦) بت أوزيريس ١٣ .

(١٧) المكتبة المصرية السابع ١٠٤ (بردي لا نسج) .

(١٨) باحيرى ٣ .

(١٩) هيرودوت الثانى ١٤ ، أطلس فرسنسكى الأول ٥٧ ب .

باحيرى : لوحات ٣ - ٤ .

كيمر . مجلة المجمع المصرى ١٩ (١٩٣٧) ص ١٤٧ - ١٥٦ .

(٢٠) ايزيس وأوزيريس ٧٠ (De Isis et Osiris 70) .

(٢١) موتيه : الحياة الخاصة ١٩١ .

موريه : قتل المعبود فى مصر وباريس ١٩١٧ ص ٣٣ - ٣٥ .

(٢٢) ديوتير نوم (Deteronome) ١١ ، ١٠ - ١١ .

(٢٣) مناظر مسح الأرض : سلسلة مقابر طيبة الثالث ١٠ .

أطلس فرنسكى الأول ١١ ، ١٩١ ، ٢٣٢ ، أنظر سوزان برجر بعض
مناظر مسح الأرض .

مجلة الآثار المصرية العشرون ٥٤ اللوحة العاشرة .

(٢٤) المكتبة المصرية الرابع رقم ٤ ومجلة الآثار المصرية الثامن ١٩٣ وما يليه .

(٢٥) أطلس فرنسكى الأول ١٤ - ١٠ .

(٢٦) بت أوزيريس النص ٥٢ .

(٢٧) موتيه - الحياة الخاصة ٢٠٢ .

(٢٨) بت أوزيريس - النصان ٥١ ، ٥٢ .

(٢٩) نقوش ليدن البارزة : ٢ كتالوج رقم ٥٠ (أطلس فرنسكى العشرون

١ و ٤٢٢) وتبين نقوش منق البارزة التى تنتمى إلى الدولة القديمة أن المحصول

موضوع دائما على ظهر حمار (موتيه الحياة الخاصة ٢٠٦) .

(٣٠) أطلس فرنسكى الأول ٦١ (بانحسى) .

(٣١) باحبرى ٣ . رسوم متائلة ، أطلس فرنسكى الأول .

(٣٢) أطلس فرنسكى الأول ١٩٣ ، ٣٤٦ ، ٢٣١ .

(٣٣) تيطس التذكارية الأول . ١٢٠ وما أشير إليه فى الملاحظة رقم ٣٢ .

(٣٤) مزمو ١٢٦ ، ٥ .

(٣٥) تيطس التذكارية الأول صفحة ٦٤ . ومس وينفريد سن . بلاكان .

بعض مظاهر عروسة القمح ، مجلة الآثار المصرية - الثامن ٢٣٥ :

(٣٦) جوتييه . أعياد الإله مين Mid . ٢٢٥ .

(٣٧) تيطس التذكارية الخامس ٣ - أطلس فرنسكى الأول ١٩ ، ٤٢٢ -

(ليدن - كتالوج رقم ٥٠) ، ١٩٣ ، ٣٤٦ قلع الكتمان يمثل أيضا على

مقابر أندولة المتوسطة فى بنى حسن والبرشه ومير ، أنظر بت أوزيريس

لوحة ١٣ .

(٣٨) ما سبيرو . القصص الشعبية (الطبعة الرابعة) ٤٣ .

(٣٩) جاليلارد : على عصفورين مرسومين في مقابر بنى حسن . كيمي الثاني
١٩ - ٤٠ .

(٤٠) موتيه . الحياة الخاصة ٢٦٠ - ٢٦٥ .

(٤١) أطلس فرسنسكى الأول ٣٣ (براين رقم ١٨٥٤٠) .

(٤٢) بردية هاريس الأول ٢٠ - ٨ .

(٤٣) جاليلارد . وشم المصريين في الدولة القديمة بحثا عن استئناس حيوانات .

مجلة علم الاجناس وعلم الاجتماع ١٩١٢ .

(٤٤) بردية لانسنج - لوحات ٣ ، ٨ ، ١٠ .

(٤٥) سجل أمير السكاب رنى Renny ١٢٢ بقرة ، ١٠٠ خروف ، ١٢٠٠

ماعز ، ١٥٠٠ خنزير . المستندات - الرابع ٧٥ .

(٤٦) جاهد رمسيس الثالث في سبيل زيادة الثروة الحيوانية في مصر ، د لعد

أعددت لك (آمون) قطعان الماشية في الجنوب وفي الشمال والثيران والدجاج

والماشية الصغيرة ، فبلغت مئات الألوف عدا ، مع ملاحظين للثيران وكتاب

وملاحظين للحيوانات ذات القرون وخفراء وعدد وفير من الرعاية للإشراف

عليها . . (بردية هاريس الأول ٧ - ٩) .

والماعز البرى قربان مقبول دائما لدى الآلهة .

وقد أرسل رمسيس الثالث الصيادين لاصطيادها في الصحراء (بردية

هاريس . الأول ٢٨) .

(٤٧) سلسلة مقابر طيبة . الرابع ٨

(٤٨) قطعة من الشقاف من دير المدينة ٢١٥٩ .

ماسبيرو - التاريخ الجزء الثانى ٣١٩ (فارس من مقبرة حرمح في

متحف بولونيا) .

(٤٩) ماسبيرو : مصر في سلسلة Ars Una

(٥٠) موتيه : الحياة الخاصة . الفصل الثالث

- (٥١) نيوبرى : البرشه . الأول ١٨ .
(٥٢) ليفر : پت أوزيريس . النصوص ٤٦ ، ٤٨ .
(٥٣) تيطس التذكارية الثانى ١٢ (بوايم رح) أطلس فرسنسكى الأول
٢٦٤ (أنا) .
(٥٤) سلسلة مقابر طيبيه الثالث ٣١ .
أطلس فر سنسكى الأول ١٨٣ (أوسرحات) .
(٥٥) تيطس التذكارية الخامس ٣٠ ، ٣٤ .
(٥٦) أطلس فرسنسكى الأول ٢٩٤ .
(٥٧) موتيه : الحياة الخاصة ، كل الفصل الأول .
أطلس فرسنسكى الأول ٤٣٣ (المتحف البريطانى ٣٧٩٧٧) .
أطلس فرسنسكى الأول ١١٧ (باكى) .
أطلس فرسنسكى الأول ٢ (منا) .
(٥٨) موتيه : الحياة الخاصة ٧٣ .
تيطس التذكارية الثانى ١٥ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ . هجاء الحرف ١٩ ، ٢٠ .
(٥٩) أطلس فرسنسكى الأول ٢٥٠ .
(٦٠) أطلس فرسنسكى الأول ٢٥٠ (حرجب) .
تيطس التذكارية الخامس ٣٠ ، ٣٥ (أبوى)
تيطس التذكارية الثانى ٦٥ (بوايم رح) .
موتيه . الحياة الخاصة ٢٣ - ٤١ .
(٦١) أطلس فرسنسكى الأول ٣٥٤ ، ١١٧ ، ٤٠ ، ٣٤٣ ، ٧٠ ، ٢٩٤ ، ٢ ، ٣ ، ٧٧ ، ١٨٣ .
تيطس التذكارية الأول ٢٤ .
ديفز . قن آمون ٥١ .
(٦٢) سلسلة مقابر طيبيه اللوحة ١ وص ٢٨ (امنمحات) .
أطلس فرسنسكى الأول ٢٧١ (امنمحات) .

- (٦٣) تيطس التذكارية الخامس ٣٠ .
- تيطس التذكارية الأول ٢٤ .
- أطلس فرسنسكى الأول ٢ ، ٣٤٣ ، ٤٢٣ .
- (٦٤) موتيه : الحياة الخاصة ٤٢ .
- تيطس التذكارية الخامس ٣٠ .
- أطلس فرسنسكى الأول ١٨٤ ، ٢٤ ، ٣٤٤ .
- تيطس التذكارية الأول ٢٢ — ٢٣ .
- تيطس التذكارية الثاني ١٥ .
- أطلس فرسنسكى الأول ٢٤٩ .
- (٦٥) موتيه . الحياة الخاصة ٦ - ٨ ، ٦٦ .
- في معبد ادفو تقول المعبودة سخت (سيشات) الملك :
- د انى أهبك جميع العصافير فى مستنقعاتها ، (أدفو الثاني ١٦٤) .
- (٦٦) سلسلة مقابر طيبه الخامس ٩ .
- (٦٧) بردية هاريس الأول ٢٨ ، ٣ - ٤ .
- (٦٨) سلسلة مقابر طيبه الثاني ٦ - ٧ .
- سلسلة مقابر طيبه الأول ٩ .
- أطلس فرسنسكى الأول ٥٣ .
- تيطس التذكارية الثاني ٧ .
- ديفز خمس مقابر طيبه ١٢ ، ٢٢ ، ٤٠ .
- (٦٩) ديفز قن آمون ٤٨ .
- (٧٠) ديفز خمس مقابر طيبه ١٢ .
- (٧١) ديفز خمس مقابر طيبه ٢٣ - ٢٤ . أطلس فرسنسكى الأول ٥٣ ، ٣٢ .
- (٧٢) أطلس فرسنسكى الأول ٢٦ .

الفَصْلُ السَّادِسُ

الفنون والحرف

(١) لوحة العام الثامن ، عشر عليها في أون . (حوايات مصاحبة الآثار المصرية ٢١٩) .

(٢) انجلباك : محاجر صحراء النوبة الغربية والطريق القديم إلى توسخا Tuskha (حوايات مصاحبة الآثار المصرية ١٩٣٨ ، ٣٦٩ — أنظر سيقته : المبانى والتماثيل الحجرية في مصر القديمة وأسمائها برلين ١٩٣٣ ص ٤٩) .

(٣) كويات وموتليه : النفوش الهيروغليفية والهيراظيقية في وادي الحمامات . القاهرة ١٩١٢ .

(٤) نفس المرجع : النفوش ٢٣١ — ٢٣٧ ، ٢٤٠ ، ٢٢٣ ، ١٢ ، ٢٢٢ ، ٢١٩ ، ٨٧ ، ١٠ ، ١٠ .

(٥) نفس المصدر . النقش (النص) ١٩ ، أنظر صفحة ٢٤ .

(٦) نفس المصدر . النقش ١١٠ .

(٧) نفس المصدر . النقش ١٩١ .

(٨) نفس المصدر . النقش ١٩٢ .

(٩) لوكل مواد وصناعات مصر القديمة — الطبعة الثانية لندن ١٩٣٤ ص ٦٣

(١٠) سلسلة مقابر طيبة الرابع ٤ نص أمف Ameni في بني حسن (نيوبرى : بني حسن الأول ٨) .

بردية هاريس الأول ١٠ إلى ٧ . خريطة مناجم الذهب في متحف تورين (م ٢١ — الحياة في مصر)

- (١١) نصوص معبد الرديسيه : جولنشف ، مجموعة أعمال الثالث عشر ٧٥ وما يليه المكتبة المصرية الرابع رقم ٤ .
- (١٢) لوحة رمسيس الثانى التى وجدت فى كوبان على بعد ١٠٨ كيلومترا جنوب أسوان والآن فى متحف جرينوبل . تريسون لوحة كوبان القاهرة ١٩٢٢ .
- (١٣) ديودور الثالث ١١ — ١٣ .
- (١٤) التماثيل الصغيرة التى وجدت فى تابوت حرناخت فى تانيس (كيمى التاسع أرقام ٩٤ — ١٠٣) كانت مصنوعة بكل وضوح من ذهب غير نقى .
- (١٥) لوکاس : مواد وصناعات مصر القديمة ٣٥٢ .
- لوريه : الفيروز عند قدماء المصريين كيمى الأول ٩٩ — ١١٤ .
- (١٦) لوکاس : نفس المرجع ٣٤٨ .
- نيوبرى : دراسات مقدمة إلى جريفت ٣٢٠ .
- (١٧) لوريه . نفس المرجع . فى كيمى الأول ١١١ — ١١٣ .
- (١٨) ليسوس : التماثيل ، الثالث ٢٦ ، ١ .
- أطلس فرسنسكى الأول ٦٤ ، ٣٤١ ، ٣٤٢ .
- (١٩) أطلس فرسنسكى الأول ٥ .
- (٢٠) نيوبرى : البرشه الأول ١٦ — ١٦ .
- (٢١) ديفز : فن — آمون ٣٨ — ٤٠ .
- (٢٢) تيطس التذكارية . الثانى ، ٢٣ .
- (٢٣) سلسلة مقابر طيبه الخامس ، ١١ ، الثالث ٨ .
- (٢٤) فرييه : الحلى والمجوهرات المصرية . القاهرة ١٩٠٧ الجزء الثانى .
- (٢٥) أطلس فرسنسكى الأول ٣١٦ — ٣١٧ نيوبرى : رخ ما رع ١٨
- أنظر بقیة العمليات فى مصانع الحلى فى سلسلة مقابر طيبه الثالث ٨ — والخامس ١١ — ١٢ وتيطس التذكارية الثانى ٢٣ والرابع ١١ . أطلس فرسنسكى الأول ٢٦٣ ، ٥٩ ، ٥٠ ، ٢٢٩

- (٢٦) موتيه . الحياة الخاصة ٢٩٨ - ٣١١ أطلس فرنسكى الأول ٣١٤ -
٣١٥ ، ٤٢٠ ، تيطس التذكارية الرابع ١١
(٢٧) تيطس التذكارية الخامس ٣٧ .
(٢٨) سلسلة مقابر طيبة الخامس ١١ - ١٢ الثالث ١٠ تيطس التذكارية الثاني ٣٣
أطلس فرنسكى الأول ٣٠٧ ، ٢٢٧ .
(٢٩) سلسلة مقابر طيبة الخامس ١٢ .
(٣٠) موتيه : الحياة الخاصة ٣١١ - ٣١٤ .
(٣١) دائرة المعارف الفوتوغرافية للفن - الآثار المصرية في متحف اللوفر
٧٤ - ٧٧ .
(٣٢) موتيه : الحياة الخاصة ٣١٥ - ٣١٨ . أطلس فرنسكى ٣١٢ - ٣١٣
نيوبرى . رخ مارع ١٧ - ١٨ .
(٣٣) ديفز : فن آمون ١٣ - ٢٤ .
(٣٤) أطلس فرنسكى الثاني ٢٥ ، المستندات الرابع ٦٢٦ - ٦٤٢
(٣٥) تيطس التذكارية الثاني ٣٧ - ٣٨ .
(٣٦) المستندات الرابع ١١٥٤
(٣٧) لوحة العام الثامن لرمسيس الثاني في >ولايات مصلحة الآثار المصرية ١٩٣٩
هجماء الحرف ١١١ في البردى
(٣٨) سالييه ، الثاني ٣ ، ٩ . بردية انستامى السابع ١ ، ١
(٣٩) اللوفر - ١٤ - أنظر ، سوتاس في مجموعة أعمال السادس والثلاثين ١٥٣
(٤٠) سلسلة مقابر طيبة الأول ٨
(٤١) المستندات الأول ٢٣
(٤٢) مجموعة أعمال الرابع والعشرون ١٨٥
(٤٣) المقبرة ٣٥٩ في طيبة أنظر ، مجلة فقه اللغة والتاريخ المصرى القديم ، الثاني
والأربعون ١٢٨ - ١٣١

- (٤٤) شقف رقم ٢١٤٤٧ في برلين - راجع مجلة AZ الرابع والخمسون ٧٨ .
أنظر رويشون وفارى : معبد السكاتب الملايكي امنحتب ابن حابو - القاهرة
١٩٣٦ ص ٩ .
وقد اختلفت في أن ألقاب الأمير وألقاب السكاتب تنتمى إلى رسام محترف .
(٤٥) أطلس فرنسكى الأول ٣١٩ - ٣٢١ .
سفر الخروج الأول ١١ - ١٦ .
أنظر مالون : العبرانيون في مصر روما ١٩٢١ ١٣٤ - ١٣٨ .
(٤٦) هجاء الحرف الثامن . الخامس ٧٥ والثاني ٣٨٥ .
(٤٧) ديفز : قن آمون ٥٩ .
(٤٨) سلسلة مقابر طيبة الثالث ١ .
(٤٩) أطلس فرنسكى الأول ٤٤ .
(٥٠) موتيه في كيمي الرابع ١٧٨ - ١٨٩ ، هجاء الحرف .
(٥١) ليففر : تاريخ كبار كهنة آمون في السكرتك ١٦١ - ١٦٢ .
(٥٢) المصدر نفسه ١٢٨ .
(٥٣) اعترافات بالنفى : كتاب الموتى ١٣٥ أ .
العبارة ٦ يقرر الميت : لاني لم أجبر في أى يوم الناس على عمل فوق طاقتهم .
(٥٤) ماسبيرو : التاريخ الثاني ٥٤٠ - ٥٤١ بردية تورين ٤٢ ، ٢ - ٣ ،
٤٦ - ١٧ .
(٥٥) أطلس فرنسكى الأول ٢٠٠ .
(٥٦) دارسى : عاتمة فينيقية عن رسم مصرى .
المجلة الأركيولوجية ١٨٩٥ ٢٨٦ - ٢٩٢ .
واللوحة ١٤ - ١٥ موتيه : تراث الفن السورى ١٢ .
(٥٧) المستندات الأول ١٥٧ .
سوتاس : دراسة نقدية عن عقد بيع منقولات في عهد الأهرام باريس ١٩١٣ -
(٥٨) جاردنر : أربع برديات من الأسرة الثامنة عشرة من كاهون (اللاهون -
فيوم) مجلة فقه اللغة والتاريخ المصرى AZ للقديم ١٩٠٦ ٢٧ - ٤٨ .

- (٥٩) جاردنر : بردية شستريتي الأولى لندن صفحات ٤٣ - ٤٤ .
(٦٠) بردية رقم ١٠٠٥٢ فى المتحف البريطانى لوحات ١١ ، ١٤ - ٣٠ .
بردية رقم ١٠٠٥٣ لوحة ١١١ ، ٦٠ - ١٦ ف
(٦١) بردية شستريتي الأولى - الظهر . د ، ص ٤٣ .
(٦٢) جاردنر . قضية تقيجة شراء عبيدين .
مجلة الآثار المصرية ١٩٣٥ ١٤٢ .
(٦٣) ونامون الثانى ٤٠ - ٤٢ (المكتبة المصرية - الاول)

الفصل السابع

الرحلات

- (١) نصوص الأكفان الأول ١٠ .
- (٢) أوربى — الثامن ١ .
- (٣) أونى ١٩ — ٢٠ .
- (٤) أسبوط الثالث ١٠ — ١١ .
- (٥) ماسبيرو — التاريخ الثانى ١٢٣ .
- (٦) استرابون . السابع عشر ٤٤ ورد رسم سباحين على جدران مقبرة مروروكا وعلى حمالة قائد بوسفس أوندى باوندد
- (٧) بردية ١٠٠٥٢ فى المتحف البريطانى — الثالثة عشرة ١ — ١٥ .
- (٨) بردية شستريفى — الأول ، الخامس ٣ — ٦ (هورس — ست) .
- (٩) موتقيه . الحياة الخاصة ٣٧٩ — ٣٨٠ .
- (١٠) المكتبة المصرية السابع ٣٧ .
- (١١) سلسلة مقابر طيبه — الثالث — اللوحة السادسة .
- (١٢) سلسلة مقابر طيبه الأول — اللوحة الثانية عشر .
- بعثة الحملة الفرنسية الخامس — ٥٨٢ ، ٥١٧ .
- أطلس فرنسكى — الأول — ٣٠٨ .
- (١٣) سلسلة مقابر طيبه الرابع اللوحات الحادية عشرة والثانية عشرة .
- (١٤) سلسلة مقابر طيبه الرابع اللوحات الثانية والثلاثون .
- أطلس فرنسكى الأول ١٩٩ ، ٣٢٣ .
- (١٥) أطلس فرنسكى الأول ١٢٩ .
- (١٦) ياخيرى — ١ اللوحة الثالثة .

- (١٧) حمامات ١٩٢ .
- (١٨) أطلس فرسنسكى ١٢١ .
- بعثة الجلة الفرنسية الخامس ص ٢٧٧ واللوحة الثالثة .
- (١٩) نيوبرى : بنى حسن الأول اللوحة الثلاثون ، الثانى اللوحة الرابعة .
- (٢٠) أطلس فرسنسكى الثانى - اللوحة السادسة .
- (٢١) حوليات مصلحة الآثار التاسع والثلاثون ص ٥٧ :
- (٢٢) حمامات ١٩٩ .
- (٢٣) حمامات - الأول .
- (٢٤) مستخرج بالمكتبة المصرية ، العاشر ص ١٨٣ - ٢٣٠ . أنظر جاردنر :
مجلة القاهرة العلمية ، الثامن ص ٤١ .
- (٢٥) بردية هاريس الأول - لوحات ٧٧ - ٧ - ٨
- (٢٦) البحار الغربية - ١٤٩ - ١٥١
- (٢٧) بردية هاريس الأولى - لوحات ٢٨ ، ٣ - ٤
- لوحات ٤٨ ، ٢
- (٢٨) موتيمه قصة أواريس ١٩ - ٢٨ ، ٣٥ - ٤٣
- (٢٩) موتيمه جبيل ومصر ٢٣٦ - ٢٣٧
- ٢٩٥ - ٣٠٥
- دوناد : Biblia Grammata Dunad
- بيروت ١٩٤٥
- (٣٠) ونامون الثانى ٥١ - ٥٢ ترجمت لغة ونادور في لغة المصرية
لماسبيرو الطبعة الرابعة ٢١٧ - ٢٣٠
- (٣١) بردية هاريس الأول - اللوحة الثامنة ٨
- (٣٢) موتيمه قصة أواريس ٢٦ - ٢٨
- (٣٣) يوجد أهم مستند عن رحلات المصريين إلى بلاد بونت في معبد حاتشيبوت

في الدير البحري (نافيل : الدير البحري الثالث ٦٩ - ٨٦ والمستندات الرابع ٣١٥ - ٣٥٥)

أما عن هذه الرحلات في عهد تحتمس الثالث فانظر المستندات الرابع ١٠٩٧ ، أطلس فرسنسكي الأول ٣٣٤

وفي عهد امنوفيس الثاني انظر أطلس فرسنسكي الأول ٣٤٧ - ٣٤٨ . وفي عهد حرنمحب Horonmheb ، أطلس فرسنسكي الثاني ٦٠ - وفي عهد رمسيس الثاني وفي عهد رمسيس الثالث برديه هاريس الأول ٧٧ - ٧٨ .

(٣٤) موتيه : قصة أواريس ١٣١ - ١٣٣

(٣٥) المصدر نفسه ٢١ .

(٣٦) حمامات ١١٤ .

(٣٧) استرابون السادس عشر ٢٢

(٣٨) لا يوجد هذا التعبير الا في بردية هاريس الأول وعلى لوحة لتحتمس

الأول (جوتييه : القاموس الجغرافي الثالث ٣٣) وترجم موقدي

Mouquedi المياه المقلوبة ، ذلك أن المصريين لاحظوا أن مجرى مياه نهر

الفرات ، على عكس مجرى مياه نهر النيل ، من الشمال إلى الجنوب ،

وقد كتب المصريون ، الذين عرف عنهم حب الفكاهة ، أسم إقليم قديه

Qedo كما لو كان مشتقا من فعل قدى Qdy (مقلوب)

(٣٩) نصوص تحتمس الثالث في جبل بركل ، المجلة المصرية ، التاسع والستون

٢٤ - ٣٩

(٤٠) لوكلس المواد والصناعات المصرية القديمة الطبعة الثانية ص ٣٠٧

(٤١) لازورد تفرر ورد ذكره منذ عهد ادولة الوسطى ضمن نقوش

رحالة يسمى خيتي Kbety مجلة الأثار المصرية الرابع للوحة التاسعة ،

وضمن قائمة بالأحجار الكريمة (شاسيفناه - بالانك ، حفائر أسيوط

ص ١٠٨ ، ٢١٢) ، وكذلك في نصوص رمسيس الثاني (بيبيل

النصوص الهيراطيقية الأول ١٤٥ Piehi Inscr . hier) وقد وجدت

في مقبرة بسوسنس عقدا من الذهب مطعما بالفيرز وقد نقش على أحد
أجزائه كتابة بالخط المصارى ، وقد حل المسيو (M. Dhorme)
رموز إسم إحدى البلاد المجاورة لايلام (Elam) وأسم ملك
وأمة أكاديميا النقوش ، عام ١٩٤٥

(٤٢) لوحة الأمير بختان ترجمت في القصص الشعبية لناسبيرو ونشر الأب
تريسون في مجلة الكتاب المقدس ترجمة حديثة جدا مع صورة فتوغرافية
للوحة عام ١٩٣٣

(٤٣) تل أوجا حرر سنة طيب من سايس ، استدعاه قبيلز ايموده بوزر :
أحتلال الفرس الاول لمصر ١ — ٢)

(٤٤) أريان الهند الخامس ه ، ديودور الاول ه ه ، استرابون السادس
عشر ٤ ، ٤

الفصل الثامن

فرعون

- (١) بردية هاريس - الأولى ٥٧ ، ٣ وما يليها .
- (٢) كرينتس : لوحتان لا منوفيس الثاني ١٢ .
- (٣) جوتييه : النصوص الكبرى الافتتاحية لمعبد ابيدوس .
المجلة المصرية AZ ، الأربعون ، الثامن ، ٥٢ - ٦٦ .
- (٤) النصوص الرابع ٧٦٥ .
- (٥) موريه (Morel) . بعض الطبائع الدينية في العهد الفرعوني -
باريس ١٩٠٣ .
- (٦) بيعنخى ٢٥ - ٢٦ : المستندات الثالث ١٤ .
- (٧) بيعنخى ٨٥ - ٨٦ : المستندات الثالث ٢٧ - ٢٨ .
- (٨) بيعنخى ١٠٣ - ١٠٥ : المستندات الثالث ٣٨ - ٤٠ .
- (٩) موتيه : قصة أواريس ١٠٨ - ١١٠ .
- (١٠) ليففر . تاريخ كبار كهنة آمون في الكرنك ١١٧ وما يليه .
- (١١) لوحة رقم ٨٨ في ليون ، نبذ لوريه ٥٠٥ .
- (١٢) توجد رسوم للملك في زيه الكامل في الكرنك والأقصر و ابيدوس وفي
كل المعابد وانظر بصفة خاصة مدينة حابو ١٢٣ - ١٢٤ .
- (١٣) وجدت في مومياءات شيشنق وبسوسنس في تانيس مجموعة كبيرة من أدوات
الزينة الملكية : موتيه : تانيس ١٤٦ - ١٥٧ .
- (١٤) ديودور - الأول ٧٠ .
- (١٥) كيعي - الثامن .

- (١٦) النصوص أ A في معبد الرديسية : المكتبة المصرية الرابع .
- (١٧) حمامات ٢٤٠ و ١٢ بينما يقدر ان جاردنر أنه يحتمل قليلا جداً أن يتوجه الملك بذاته إلى وادي الحمامات (مجلة الآثار المصرية الرابع والعشرون ١٦٢)
- (١٨) هذه هي لوحة كوبان الموجودة الآن في متحف جرينوبل وطبعها تريسون القاهرة ١٩٢٢)
- (١٩) أمدا نبوان نف Nebounnef نفسه بهذه الاستفهامات في نصوص مقبرته في طيبة (المجلة المصرية AZ) الرابع والأربعون ٣٠ - ٣٥ وليفقر نفس المرجع ١١٧ وما يليه .
- (٢٠) ماسبرو : القصص الشعبية الطبعة الرابعة ٧٩ - ١٠٣ .
- (٢١) البعثة الفرنسية - الخامس ٤٩٦
- (٢٢) ديفز الممارنة - السادس ٢٩ - ٣٠
- (٢٣) حفلات توزيع المسكافات وردت رسومها بكثرة في مقابر الامبراطورية الحديثة ، ديفز ، الممارنة الأول ٦ ، ٣٠ الثالث ١٦ - ١٧ والرابع ٦ والسادس ٤ - ٦ ، ١٧ - ٢ د ، وديفز نفر حتب ٩ - ١٣ ، اللوفر ح ٢١٣ ، البعثة الفرنسية الخامس ٤٩٦ ، المقبرة ١٠٦ في طيبة (بورتز وموس الأول ١٣٤) ،
- (٢٤) ديفز نفر حتب ١٤ - ١٨
- (٢٥) أنظر النصوص البارزة لمقبرة حر محب (ليدن)
- (Beschreibung der aegyptischen sammlung IV 21—24)
- (٢٦) ليفقر تاريخ كبار كهنة آمون في الكرنك ١٩٤ - ٥ ، نصوص تتعلق بكبار كهنة آمون رومي - روى Rome — Roy وامنحطب لوحة ١١
- (٢٧) درست هذه الرسوم باسهاب في موقتيه . أطلال الفن السورى في مصر في عهد الامبراطورية الحديثة باريس ١٩٣٧ الفصل الأول .
- (٢٨) ديودور الأول ٥٣ .
- (٢٩) لوحة عثر عليها في معبد موتو في أرمنت Ex oriente lux ١٩٣٩ ، ٩

(٣٠) لوحة كبرى عثر عليها في الجيزة - طبعة فارسي في مجلة المعهد الفرنسي الآثار الشرقية بالقاهرة - الحادي والأربعون ٣١ وما يليه

(٣١) كوينتس ، لوحتان لأمونوفيس الثاني ٦ - ٧

بعض نصوص تشيد بقوة أمنحتب الثاني البدنية ، المستندات الرابع ٩٧٦
- ٧ ، حوليات مصلحة الآثار المصرية الثامن والعشرون ١٢٦ مداود

١٩٢٦ - ١٩٢٧ مجلة متحف مترو بوليتان للفنون ١٩٣٥ الثاني ٤٩ - ٥٣

(٣٢) بيمنخي ٦٤ - ٦٩ ، المستندات الثالث ٢١ - ٢٢

(٣٣) مدينة حابو ١٠٩ - ١١٠

(٣٤) لوحة تحتمس الرابع التي وجدت بين مخلي أبو الهول بالجيزة نشرها أرمان

Sitzungsberichten pr. A. K. ١٩٠٤ ، ٤٢٨ - ٤٤٤

(٣٥) لوحة نباتا نشرها ريزنر ، الآثار المنقوشة في جبل بركل

(Reissner Inscribed Monuments from Gebel Barkal A. Z.)

المجلة المصرية التاسع والستون ٢٤ - ٣٩ ونقوش امنحتب ، المستندات

الرابع ٨٩٠

(٣٦) مدينة حابو ٣٥ ، ١١٦ ، ١١٧

(٣٧) قصيدة قادش نشرها كوينتس ٨٣٨ - ٣٣٩ .

(٣٨) ديفز العمارة الثالث ٣٠ - ٣٤ ، ٤ ، ٦ ، ١٨ ، ١٣ ، الرابع ١٥ .

(٣٩) الكستالوج العلم للمتحف المصري ٣٦٠٠٢ .

(٤٠) موتيه : قصة أواريس ١١٦ - ١٢٩

(٤١) لوحة دواج رمسيس الثاني - حوليات مصلحة الآثار الخامس والعشرون -

المكتبة المصرية السابع ١٢

أنظر موتيه : قصة أواريس ١٣٤ - ١٣٥

(٤٢) ديفيريا : بردية تورين القضائية وبرديتا دي ورولان ،

(Deveria : Le papyrus judiciaire de Turin et les papyrus
Lee et Rollin, Paris 1868).

المكتبة المصرية الخامس

- (٤٣) بردية تورين القضائية العمود الرابع ٢ - ٦
(٤٤) بردية لى رقم ١ و بردية رولان
(٤٥) بردية تورين القضائية العمود الثانى
(٤٦) نفس المرجع العمود الثالث
(٤٧) نفس المراجع العمود السادس
(٤٨) ماسبيرو المومياء الملكية ٧٨٢
التاريخ الثانى ٤٨٠

(٤٩) شارف :

Derhistorische Abschnitt der lehre fur Konig Meri Kare
Munchen.1936.

ماسبيرو . نصاب امتحانات الاول لابنه سنوسرت الاول - القاهرة ١٩١٤

A. de Buck in *Melanges Maspero I* Cairo 1935 - 8 , pp.
847-52, B. Gunn in (J.E.A. XXVII (1941) pp, 2 - 6,

A. Volten, *Zwei altgyptische politische Schriften*,
Copenhagen 1945.

(٥٠) هذه هى بردية هاريس الاولى ، ويوجد منذ عهد قريب نسخة سهلة فى
المكتبة المصرية ، الخامس . ويمد تريسون فهرسا لهذا المستند الهام .

(٥١) بردية هاريس الاولى ٧٩ ، ١ - ٥ .

(٥٢) نفس المرجع ٢٢ ، ٣ - ٢٣ ، ٤ .

الفصل التاسع

الجيش والحرب

- (١) المكتبة المصرية - السابع ٢٦ .
- (٢) المكتبة المصرية - السابع ٢٧ .
- (٣) المستندات الرابع ٩٩٩ . الكأس في كتاب فرنبيه : الحلى والمجوهرات المصرية لوحة ٢٠ .
- (٤) شبلليون . ملاحظات وصفية ، ٥٢٧/٨ .
المستندات . الرابع ٩٩٥ .
- (٥) المستندات . الرابع ٩٩٧ .
- (٦) عرفنا أنباء محاجر ومكافآت نب آمون Nebamon من نصوص ورسم مقبرته في طيبة (رقم ٩٠) .
- سلسلة مقابر طيبة الثالث أنظر بصفة خاصة اللوحات من ٢٤ - ٢٩ .
- (٧) المستندات الرابع ٩١١ - أطلس فرنسكي الأول ١٨٦ ، ٢٨٠ .
- (٨) سلسلة مقابر طيبة الثالث ٢١ ، ٣١ - ٣٣ .
- (٩) قصيدة قادش ، نشرها كوينتس ١٧٢ - ١٨٥ .
- (١٠) بردية هاريس الأولى ٧٨ ،
- (١١) هيرودوت الثاني ١٦٤ - ٨ ،
- ديودور الأول ٦٤ - ٧٣ ،
- (١٢) أطلس فرنسكي الأول ٢٣٦ ،
- (١٣) ديفز : العمارنه الثالث ٣١ ، ٣٩ ،
أطلس فرنسكي الثاني ١٣ ،
- (١٤) المقوش البارزة لمعبد رمسيس الثاني في العراة المدفونة ،
كوينتس : معركة قادش لوحة ٢٢ أطلس فرنسكي الثاني
- (١٥) بردية هاريس الأولى ٧٦ .
- (١٦) ماورد في مدينة حابو ١١٢ .

- (١٧) كافايناك : سبيلوليوما وعهده
باريس ١٩٣٢ ٧٠ - ٧٢ (حوليات سبيليل صفحة ٢٧)
(١٨) لوحة كارناوفون في مجلة الآثار المصرية J.E.A. الثالث ٩٥ - ١١٠
موتيه : قصة أواريس ٩٤ ،
(١٩) لوحة سيقى الأول ، التي وجدت في بيسان
نبد لوريه ، مجلة المعهد الفرنسي للآثار الشرقية الثلاثون
(٢٠) ماورد في مدينة حابو ، ٢٩
(٢١) موتيه : بقايا الفن السوري ٣٢ - ٣٣ كيمي الرابع ٢٠٠ - ٢١٠
(٢٢) المصدر نفسه : ٣٤ - ٣٦
(٢٣) أطلس فرنسكى الثانى ١
(٢٤) موتيه : نفس المرجع ٢٧ - ٣٨ .
(٢٥) مدينة حابو ١٦ ، ٣١ ، ٦٢ : مدينة حابو ٢٥ بشأن أغطية منقوشة
للبيون خاصة بتمثال سوتخ : أطلس فرنسكى الثانى ١٨
(٢٦) مدينة حابو ١٧ - ٣١
(٢٧) أطلس فرنسكى الثانى ٣٤ ، ٤٠ ، ٤٣ ، ٤٤
(٢٨) المستندات الثالث ٨ (بيعنخى ٩ - ١٢)
(٢٩) مجلة الآثار المصرية (J. E. A.) الحادى والعشرون ٢١٩ - ٢٢٣
(٣٠) موضوعات طبعة فيرمان ديدو Firmin · Didot الأول ص ٢٠
إلى أدين بهذا المرجع إلى الميسوجان يويوت (Jean Yoyotte) وتوجد
أمثلة أخرى متشابهة فى موتيه : مأساة أواريس ٢٩ ، ٢١٥
(٣١) كتاب الموتى ١٢٥ ب - عبارة ١٥ ، أيها المنذر بالمعركة (سرخرو)
يا من تمت إلى أونس ، وأونس إحدى بلادست
(٣٢) المستندات الرابع ٦٤٩ وما يليها
(٣٣) بردية ١١١٦ متحف الإرميتاج Musee de l' Ermitage .
٩١ - ٩٨ : موتيه قصة أواريس ٢٩

- (٣٤) بناء على ماورد في قصيدة قادش ، وبصفة خاصة بمجموعة قرارات قادش ،
أنظر كوينتس ، موقعة قادش القاهرة ١٩٢٨ أطلس فرسنسكى الثانى
(٣٥) إستنادا إلى نص بارز من مقبرة حر محب فى سقارة ، وهو موزع بين
متحف بولونيا وبرلين - أطلس فرسنسكى الأول ٣٨٦ ومجلة الآثار المصرية

(J. A.) السابع ٣٣

- (٣٦) المستندات الثالث ١٤ - ١٧ ،
(٣٧) قصيدة قادش ٢٩٥ - ٣٢٠
(٣٨) قصيدة قادش ٣٢٣ - ٣٣٠
(٣٩) مدينة حابو ١٨ - ٢٠
(٤٠) مدينة حابو ٧٢
(٤١) مدينة حابو ٣٢ ، ٣٧
(٤٢) مدينة حابو ٤٢
(٤٣) موتيه بقايا الفن السورى ١٠-٥
(٤٤) مدينة حابو ٩٥
(٤٥) مدينة حابو ٩٤
(٤٦) موتيه ، البقايا ١٠ - ١١
(٤٧) أطلس فرسنسكى الثانى ٣٤ - ٣٥
(٤٨) مدينة حابو ٩ أطلس فرسنسكى الثانى ١٦٥ - ١٦٦
(٤٩) مدينة حابو ١٠ - ١١ ، ٢٤
(٥٠) أطلس فرسنسكى الثانى ٣٩
(٥١) كوينتس ، لوحتان لا موفيس الثانى ١٩ - ٢٠
(٥٢) مدينة حابو ٨٥ - ٦ (قصيدة عن الحرب الثانية فى إيبيا الأسهار من ٢٦-
٣٤) المنظر ، المرجع نفسه ٧٥
(٥٣) بردية هاريس الأولى ٧٧
(٤٤) موتيه ، البقايا ٢٢ - ٢٦

الفصل العاشر

المكتبة والقضاة

- (١) ماسيرو : دراسات مصرية الثاني ١ - ٦٦ انظر كتاب جاردنر طبع
أ كسفورد ١٩٥٢
- (٢) ليفغر : تاريخ كبار كهنة آمون في الكرنك الفصل الثاني .
- (٣) جوتييه : حاشية المعبود مين . Min. القاهرة ١٩٣١ .
- (٤) أنظر لوحة العام الأربعانة في كيمى الرابع ٢١٠ - ٢١٢ .
- (٥) المستندات الرابع ١٠٢٠ - ١٠٢١ .
- (٦) منشور نوري Nouri - المكتبة المصرية الرابع .
- (٧) ليفغر : نفس المرجع ١٢٧ - ٨ .
- (٨) بردية بولاق الأخلاقية - السابع (ماسيرو : التاريخ ، الثاني ٥٠٣)
- (٩) الصدق والكذب - بردية شستريتي الثاني •
- (١٠) ماسيرو انشودة للنيل الصحيفة الثالثة عشرة ص ١٩
- (١١) بردية انتاسى الاول ١٣ ، ٥ وما يليه في جاردنر النصوص المصرية
الهيراطيقية - ليزج ١٩١١ : ١٦ - ٣٤
- (١٢) المكتبة المصرية السابع ، ٣٣ - ٢٤ - نصوص بمائلة في المكتبة المصرية
السابع ٣٥
- (١٣) المكتبة المصرية - السابع ٤٧
- (١٤) المكتبة المصرية - السابع ٤٧ (تابع ما سبق)
- بليت وروسى : أوراق البردى الهيراطيقى في تورين
(Pleyte et Rossi : Les papyrus hiératiques de Turin).
- بردية بولاق الأخلاقية ٣ - ٦ ، ١١ .

- (١٥) بردية بولاق الأخلاقية
- (١٦) نبذ لوريه مجلة المعهد الفرنسي للآثار الشرفية بالقاهرة
الثلاثون ، ٤٩٧
- (١٧) المستندات الرابع ١٠٤٤ - ١٠٤٦
- (١٨) ليففر نفس المرجع ١٢٧ وما يليه
- (١٩) حوليات مصلحة الآثار - الأربعون ٦٠٥
- (٢٠) ما سبيرو التاريخ الثاني ٣٤٧
- (٢١) المكتبة المصرية - الرابع
- (٢٢) المكتبة المصرية السابع ٥ تاريخ ثلاثة تلاميذ مبعوثين إلى الجيش
- (٢٣) المستندات الأول ٢٣
- (٢٤) أسيوط الأول ٢٢٣ - ٢٢٩
- مقبرة بوام رع في طيبة تحتوي على نفس التحذيرات (كيمي الثالث
٤٦ - ٤٨)
- (٢٥) نقوش معبد الرديسيه ، المكتبة المصرية الرابع
- (٢٦) ليففر نفس المرجع ٢١٣
- (٢٧) اللوحة ١٣٨ في المتحف البريطاني في روبشون وفارى معبد الكاتب
الملكي أمنتحتب ابن حابو ٣ - ٤ .
- (٢٨) عرفت هذه الأحداث بوساطة بردية أبوت :
- مولي : المستندات الهيروغليفية الثالث ١٦ وما يليها .
- ويردية أمهرست وليوبولد . طبعها كاباروجاردنر بروكل ١٩٣٩ .
- (٢٩) بردية المتحف البريطاني رقم ١٠٠٥٤ . وجه البردية ١ ، ٧ .
- (٣٠) بردية المتحف البريطاني رقم ١٠٠٥٤ . وجه البردية الثالث ٧ - ٩ .
- (٣١) بردية المتحف البريطاني رقم ١٠٠٥٤ ، ظهر البردية الثالث ٦ - ١٦ .

- (٣٢) بردية المتحف البريطاني رقم ١٠٤٠٣ الأول ٦ وما يليه -
أريك بيت ، برديات ماير أ ، ب .
- (٣٣) بردية المتحف البريطاني ١٠٠٥٢ الثاني ١٤ - ٣٠ الحادي عشر ٤ - ٩ .
- (٣٤) المرجع نفسه الثالث ١٦ - ١٧ .
- (٣٥) المرجع نفسه الأول ٦ ، الثاني ١٦ .
- (٣٦) إلى مقبرة مرووكا أ ، جنوبا .
- (٣٧) بردية المتحف البريطاني ١٠٠٢ الرابع ٦ - ١٤ .
- (٣٨) للرجوع إلى مواكب رؤساء البعثات السياسية من بلاد الشمال أنظر
كتابي : بقايا الفن السورى فى مصر فى عهد الامبراطورية الحديثة
باريس ١٩٢٧ .
- (٣٩) سلسلة مقابر طيبة الرابع ٢٣ - ٣٠ - راجع أطلس فرنسكى الأول
٣٥ ، ٥٦ ، ٢٢٤ (أميسيباه (Amisoba) ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ (حرمحب)
٢٦٥ ، (أنا) ، ٢٧٠ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ (امنموزى) ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ،
٣٣٦ ، ٣٣٧ (رخمارع) ، ما سبيرو التاريخ الثانى ٢٦٩ (معبد نايت
أويل) مدينة حابو ١١ .

الفصل الحادى عشر

النشاط فى المآبد

- (١) هيرودوت الثانى ٣٧
- (٢) جوزيف : ضد ابيون الاول ٢٢٢ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ .
- (٣) كيمى التاسع ٤٠ .
- (٤) وكذلك الكاهن الذى اقترح على ننوفر كابتاح Nonoferkeptah أن يريه كتابا مكتوبا بخط يد تمحوت فى قصة سائنا (Seina) (ماسيرو : القصص الشعبية الطبعة الرابعة ١٣١)
- (٥) المكتبة المصرية السابع ١٦ ، ١٧ .
- (٦) المكتبة المصرية السابع ٦٠
- (٧) كوينتس : بعض آثار من طقوس عبادة سبلك لوحة ١١ .
مجلة المعهد الفرنسى للآثار الشرقية . الثامن والعشرون ١١٣ - ١٧٢ .
- (٨) هيرودوت الثالث ٢٨ - ٢٩ . استرابون السابع عشر ١ ، ٣١ .
- بلوتارك ايزيس وأوزيريس ٤٣ أميان مارسيلان الثانى والعشرون ١٤ .
- (٩) هيرودوت الثانى ٦٧ اكتشفت جبانة ابيس حديثا فى الصحراء أمام الاشموين قريبا من مقبرة بت اوزيريس (Petosiris) .
- (١٠) موتيه . مأساة أواريس ١٤٠ - ١٤١ ولوحة ٦ .
- (١١) ألن جلدنز . بردية عشروت فى دراسات مقدمة إلى جريفث ٨٣
- (١٢) موتيه . مأساة أواريس ١٣٤
- (١٣) المرجع نفسه ١٤٢ - ١٤٣ .
- (١٤) المكتبة المصرية السابع ٨٨ - ٩١ .

- (١٥) بيت وروسی : أوراق البردى الهيراطيق في تورين .
- (١٦) يخاطب حابي جفای (Hapi — Djefai) من أسيوط أعضاء مجلس المعبد قائلا : «إني ابن كاهن مثل أى واحد منكم» ، (أسيوط الأول (٢٨٨) .
- (١٧) المكتبة المصرية السابع ٥ .
- (١٨) مين موزيه الذى عاش في عهد رمسيس الثانى كان رئيس أسرار السماء والأرض وأقاليم العالم السفلى (اللوفر ٢١٨) .
- (١٩) أرمان : ديانة المصريين ٢٢٣ .
- (٢٠) عرفت الطقوس بفضل ثلاث برديات من متحف برلين والنصوص البارزة بمعبد ابيدوس .
- موريه : طقوس العبادة اليومية المقدسة في مصر .
- باريس ١٩٠٢ .
- (٢١) بلوك : ملاحظات على بعض لوحات يطلق عليها «للأذان» ، كيمي الثانى ١٢٣ — ١٣٥ :
- (٢٢) لاكو : التماثيل «الشافية» في مصر القديمة .
- آثار بيوت الخامس والعشرون ١٩٢٢ .
- أرمان : ديانة المصريين ٣٥٥ .
- ليفغر : التماثيل الشافى في متحف اللوفر . نبذ لوريه ٨٩ وما يليه .
- (٢٣) لوحة ٥٨٩ بالمتحف البريطانى واللوحة ١٠٢ بمتحف تورين في أرمان .
- (٢٤) لوحة ٢٣٠٧٧ بمتحف برلين .

- أومان نفس المراجع ١٠٨٨ — ١٠٩٧ .
- (٢٥) شيرنى : عبادة امنزفيس الأول لدى عمال جبانة طيبه .
- مجلة المعهد الفرنسى الآثار الشرقية السابع والعشرون ١٥٩ ومايلها .
- (٢٦) نافيل النقوش التاريخية لبيدوجم الثالث (Pidodjem) .
- (٢٧) المستندات الثالث ٩٤ — ٩٥ (لوحة اعتلاء كرسى الكهنوت الأول ١٨ — ١٩) .
- (٢٨) بوريه : دليل الآثار المصرية فى متحف اللوفر ٥٣٤ — ٥٣٥ .
- لوكيانوف : التمثال المتكلم أو وصى المعبود ربح حرما خيس .
- حوليات مصلحة الآثار المصرية . السادس والثلاثون ، ١٨٧ .
- (٢٩) شيرنى : أسئلة موجهة إلى الوصى .
- حوليات مصلحة الآثار المصرية — الخامس والثلاثون ٤١ ، أنظر مجلة الآثار المصرية (J. E. A .) الحادى عشر ٢٤٩ — ٢٥٥ ، الثانى عشر ١٧٦ — ١٨٥ .
- (٣٠) هيرودوت الثانى ٥٩ — ٦٠ .
- (٣١) استناداً إلى النقوش البارزة فى مدينة حابو والكرنك . أنظر جوتييه : أعياد المعبود مين القاهرة ١٩٣١ .
- (٣٢) جوتييه نفس المرجع ٣٢٠ — ٣٣١ ، ٢٣٩ — ٢٤٠ صفحة ٢٤٤ .
- ويفترض ليفبير Lefebure وموريه Moret وجوتييه ، أنه كان بعضى بالثور ، واسكن لم ترده مطلقاً رسوم تمثل هذه الظاهرة . أما الدور الحقيقى للثور فقد عرفه ياكوبسون فى كتابه : —

Jacobsohn : Die Dogmatische Stellung des Königs in der
Theologie der alten Aeg. Gluckstadt 1939.

(٣٣) نقوش طبعها دارسى : مجموعة أعمال ، الثامن عشر وما يليه .
(٣٤) مثل توت عنخ آمون ، فى نقوش بارزة على جدران معبد الأقصر ، أهم حوادث المعبد ، أطلس فرسنسكى الثانى ١٨٩ — ٢٠٢ (اللوحات الفردية صور فوتوغرافية . أما اللوحات الزوجية فهى رسوم يدوية على التو)
وقد ورد نفس الموضوع على معبد رمسيس الثالث فى الكرنك (رمسيس الثالث ، المعابد ٨٦ — ٩٢) .

(٣٥) فوكار : عيد الوادى الجليل — مجلة المعهد الفرنسى للآثار الشرقية ١٩٢٤
(٣٦) المرجع نفسه ، لوحة ١٤ أطلس فرسنسكى الأول ١١٨ — ١١٩ .
(٣٧) لوحة ١٢٠٤ بمتحف برلين — شافر : أسرار أوزيريس فى أبيدوس ١١٩٠٤ .

مناظر مقبرة خرو اف . Khereouef فى طيبة فى موريه ، الأسرار المصرية بباريس ١٩١٢ صفحة ١١ . لوحات رمسيس الرابع ، مارييت — أبيدوس الثانى ٥٤ — ٥٥ .

(٣٨) هيرودوث الثانى ٦٣ .
(٣٩) جوفينال الخامس عشر .
(٤٠) يوجد بالقرب من دندره مكان مذبحه ست أمام هذه المعبودة ، بروش القاموس الجغرافى ٣٨ :

وجوتييه . قاموس الأسماء الجغرافى الخامس ٨٤ — ٨٥ .

(٤١) الفرعون من خبر رع سيامون فى قصة ساتنا الحقيقية (ماسبرو : القصص الشعبية الطبعة الرابعة ١٦٨ — ١٧١) .

(٤٢) النزاع بين ست وحورس كما وردت فى بردية شتر بيتى الأولى .
(٤٣) جويون . أعمال شو ومخن جب كيمى السادس ١ — ٤٢ .

(٤٤) لوحة ادفو لم تطبع بعد واسكن أشار إليها دريتون « ما نعرفه عن المسرح

المصرى » . (Revue du Caire 1938)

ويعتقد أنه عثر على المقاعد التي كان يجلس عليها المتفرجون .

(٤٥) لوحة العام الثاني انفر حتب (مارييت أيدوس الثاني ٢٨ -- ٣٠) .

(٤٦) جاردنر : بيت الحياة (مجلة الآثار المصرية J. E. A.) الرابع والعشرون

١٩٣٨ ١٥٧ -- ١٧٩

جمع نحو ستين نصاً تتعلق ببيت الحياة

الفصل الثاني عشر

الجزائرات

- (١) نصائح بتاح حتب . المقدمة .
سنوحى ب ١٦٨ - ١٧٠ .
- (٢) ليففر : كبار كهنة آمون ١٤٨ .
- (٣) ماسبرو : القصص الشعبية ، الطبعة الثالثة ، ٣٠ - ٣٤ .
- (٤) سنوحى ب ٢٩٥ - ٣١٠ .
- (٥) كويننس : ترجمتان لتقريظ ملـكى . دراسات مقدمة لجريفييت ٣٩-١١٠ .
- (٦) بردية بولاق الأخلاقية -- الثالث ١٦ .
- (٧) اللوحة ١٠٢٧ بالمتحف البريطانى (ماسبرو : دراسات مصرية ١٨٧ -

(١٨٨

- (٨) أرمان : ديانة المصريين ٢٧٧ .
- (٩) البردية الهرماطيقية ١١١٦ أ بمتحف الارمتاج الاول ٥٢-٥٧ .
- (١٠) ماسبرو : القصص الشعبية الطبعة الثالثة ١٣٣ - ١٣٨
- (١١) المجلة المصرية (AZ) السابع والأربعون ١٦٥
- (١٢) ده بوك : نصوص الاكفان المصرية ١ ، ١٣
- (١٣) نصوص الاكفان الاول ١٤٦ الفصل ٣٧
- (١٤) نصوص الاكفان الاول ١٥١ الفصل ٣٧
- (١٥) المكتبة المصرية السابع ٣٨
- (١٦) لوريه : لأجل إعادة العجوز إلى الشباب فى نبذ ماسبرو ٨٥٣ وما يليه

- (١٧) إرمان : الديانة المصرية ٢٦٢
- (١٨) أنظر تمثال بارامسيس اللذين عثر عليهما ليجران في الكرنك - حوليات
مصلحة الآثار الرابع عشر ٢٩ - ٤٠
- (١٩) جوتييه كتاب الملوك الثالث ٣١٨
- (٢٠) ليفر كبار كهنة آمون ١٣٣ - ١٣٤
- (٢١) حمامات ١٢ ، ليفر نفس المرجع ٢٦٤
- (٢٢) إرمان الديانة المصرية ١٠١
- (٢٣) أنظر خطاب أوزيريس إلى رع في بردية شستريتي الأولى اللوحة
الخامسة عشرة
- (٢٤) يذكر أنا Anna الذي عاش في عهد الملوك الثلاثة الأولى الذين
يحملون أسم تحتمس أنه أشرف على تشييد المقبرة الملكية سرآد دون أن
يرى أو يسمع عنه ،
- المستند الرابع صفحة ٥٧
- (٢٥) أنظر الصورة المطبوعة في كتاب إماسبرو : التاريخ الثاني ٥١٦ استنادا إلى
لوحة من عهد الامبراطورية الحديثة بمتحف القاهرة .
- (٢٦) الرجوع لتفاصيل أكثر - أنظر سلسلة مقابر طيبة - الجزء الأول .
- (٢٧) ديفز : نقرحتب ٢٧ ، أطلس فرسفسكي الأول ١٢٤ .
- (٢٨) سبيليرس : التماثيل الجنائزية الصغيرة . بروكسل ١٩٢٣ ، كيمي التاسع
٨٢ - ٨٣ .
- (٢٩) كيمي التاسع ٧٨ - ٧٩ .
- (٣٠) استنادا إلى ما تحققته في مقبرة بسوسنس ،
موتيه : تانيس ١٤٦ - ١٥٧ .
- (٣١) استناد إلى نصوص عقود أسيوط . كيمي الثالث ٥٢ - ٦٩ .

- (٣٢) أنظر تاريخ معبد جنازى فى رويشون وقارى: معبد الكتاب الملكى المنحطب
ابن حابو . القاهرة ١٩٣٦ .
- (٣٣) بردية أوربى الثامن ٦ — ٧ وتعقيب لوريه فى كيمى التاسع ١٠٥-١٠٦ .
أنظر ديودور الأول ٧٢ .
- (٣٤) هيرودوت الثانى ٨٦ ، ديودور الأول ٩١ لوكاس : المواد المصرية القديمة
والحرف — الطبعة الثانية الفصل الثامن ،
- (٣٥) قناع شيشنق الثانى الذهب قطعة فنية رائعة كيمى الحادى عشر لوحات
١٤ — ١٥ .
- (٣٦) كيمى التاسع — صفحات ٦٢ — ٦٤ . واللوحة الثالثة عشرة
- (٣٧) ماسيرو : دراسات عن بعض الرسوم وعن بعض للنصوص التى تتعلق
بالجنازات . دراسات مصرىة الأول ٨١ — ١٩٤
- (٣٨) نفس المرجع ١٣٤
- (٣٩) ماسيرو التاريخ الثانى ٥١٢ — ٣١٣ .
- أطلس فرنسكى الأول ٣٨٨ — ٤٢١ .
- (٤٠) ديفز نفرحتب ٢٢ — ٢٣ .
- تيطس التذكارية الرابع ١٩ ، ٢٤ ، ٢٥ .
- (٤١) ديفز نفرحتب ٢٠ — ٢١ .
- تيطس التذكارية الرابع ٢٢ .
- (٤٢) ديفز نفرحتب ٢٤ .
- تيطس التذكارية الرابع ١٩ — ٢١ .
- أطلس فرنسكى الأول ١٣١ ، ١٦٦ ، ٢١٧ .
- (٤٣) ديفز نفرحتب ٢٥ — ٢٦ .



- (٤٤) فريزر آتيس واوزيريس ١١٢ - ١١٣ .
باريس ١٩٥٦ .
كيمي الرابع ١٦١ - ١٦٨ .
(٤٥) ماسبرو التاريخ الثاني ٥٢٣ إن مظاهر المآدب عديدة في مقابر طيبة
ولكن يجب تمييز المآدب التي تقام بعد الدفن عن تلك المناظر الخاصة
بالحفلات العائلية . أنظر جاردنر في سلسلة مقابر طيبة الأول ٣٦ - ٤١
(٤٦) فارى : ثلاث أغنيات جديدة لعازفي الفيثار ، مجلة المعهد الفرنسى للآثار
الشرقية بالقاهرة . الخامس والثلاثون ١٥٥ - ١٥٧
(٤٧) ماسبرو : دراسات مصرية الأول ١٧٢ - ١٧٧
(٤٨) هيرودوت الثاني ٨٧ - ٨٨
إرمان ديانة المصريين ٢١٦ - ٣١٧
ماسبرو التاريخ الثاني ٥٢٥ - ٥٢٦
(٤٩) رويشون وفارى ، اضحتب ابن حابو ٤ - ٧
(٥٠) قديما منذ عهد الأهرام يندد الملك بغضب الموتى (نصوص الأهرام ٦٣) ،
وقد استمر هذا الاعتقاد حتى الامبراطورية الحديثة . بردية تورين
الميراطيقى ١٢٤ ، ١٣ - كتاب الموتى - الفصل ٩٢
(٥٠) أرمان

Zaubersprüche für Mutter und Kind 1. 9. 2, 9.

ويوجد أنموذج مماثل في ، 11. 7, 12, 3

- (٥٢) بردية ٣٧١ بمتحف ليون في جاردنر وزيتا : خطابات مصرية الموتى -
طبع لندن ١٩٢٨

(٥٣) إرمان

Gespräch eines Lebendigen mit seiner Seele p 60 ff .

- فولكنر ، الرجل الذي أتعبته الحياة مجلة علوم الآثار المصرية - العدد ٤٢
(عام ١٩٥٦) صفحة ٢١ .

- (٥٤) ألن جاردنر : بيت الحياة (J.E.A) الرابع والعشرون ١٧٥ .
- (٥٥) ماسبرو : القصص الشعبية . الطبعة الثالثة ١٠٢ ملاحظة رقم ٢ .
- (٥٦) دريوتون ولاور : إحدى نقوش خامواس على الوجه الجنوبي لهرم أوناس في سقاره .
- حوليات مصلحة الآثار المصرية — السابع والثلاثون ٢٠١ وما يليه .





مطبعة المعرفة – عمارة التأمين ميدان لاطو على